

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية

" الغربة والحزن للوطن "
" في الشعر الفلسطيني بمد المأساة "

" رسالة دكتوراه "
مقدمة الى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراه
في الأدب والنقد



" إعداد "
أمين صالح محمود عبد ربه

" إشراف "
الدكتور / أحمد الشراصي

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

٢٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ترجع صلتى بموضوع الحنين والغربة الى الفترة التي عشتها مشردا عن بلادي فلسطين بعد اغتصابها سنة ١٩٤٨ . وتجربى غصص التشرد والاغتصاب في اقطار الوطن العربي التي زاولت فيها مهنة التدريس بعيد تخرجى من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر سنة ١٩٥٤ . وقد تضاعف احساسى بالغربة وأنا أتولى مهنة تدريس اللغة العربية فى بلدة عنيزة بالملكة العربية السعودية حين كنت أعالر المدرسة وأعود الى المنزل فلا أجد حولى أحدا من والدى أو أختى وأخذت اتنقل من قطر الى آخر يحرقنى الشوق الى الوطن وتلدغنى الغربة حتى أستقر بسى المقام فى بنغازى .

وفى خلال هذه المدة فكرت فى موضوع الغربة والحنين الى الوطن فى الشعر المرينى وتمنيت ان أفرده بدراسة تتناوله فى الشعر الفلسطينى بعد أن حدثت المأساة . وتمعثر ابناء فلسطين وهاموا على ودهمهم فى الارض وأخذ شعراؤهم وشواعرهم يذيبون عواطفهم حسرة ولوعة على الوطن الذى ضاع والبلد الذى اغتصب ويحلمون بالعودة الى مراتع الصبا ، وعهود الطفولة ، وتراخى بى الزمن ، وسلخت فى الدراسات العليا فى قسم الادب والنقد بكلية اللغة العربية مدة من الزمن اتيح لى خلالها أن احقق ما تمنيت وأن أجعل موضوع رسالتى للدكتوراه " الغربة والحنين فى الشعر الفلسطينى بعد المأساة " .

ومن الاسباب التى دفعتنى لاختيار الموضوع :

أولا : أننى من أبناء فلسطين الذين شردتهم النكبة عن بلادهم وديارهم وأحسوا بمرارة الاغتراب وقسوة الحياة بعيدا عن الاهل والوطن .

- ثانيا : أن غربة الشعب الفلسطيني بعد النكبة فريدة في نوعها حيث يتعدى على أبنائه ان يعودوا اليه بعد اغتصابه ، فقد أرغمتهم الدولة الباغية على الهجرة لتخلو الارض لشذاز الافاق من يهود العالم كله .
- ثالثا : أن كثيرا من أبناء فلسطين يرون بأعينهم ديارهم وحقولهم والاعداء يعيشون فيها فسادا فيزيدهم ذلك أسى وحسرة لانهم لا يستطيعون الوصول اليها ، على الرغم من أنها ارض آباءهم وأجدادهم منذ عصور طويلة وأنهم هم الذين عمروها ، وأقاموا معالمها ، وبذلوا الدم والمروق في سبيلها .
- رابعا : أن الحنين للوطن والافتراب عن المكان الذي ولد فيه الانسان كان موضوعا من الموضوعات التي تناولها الشعر في العصر الجاهلي والأسالي والعباسي والملوكي والتركي ، وسيظل كذلك عبر كل العصور والازمان .
- خامسا : أن هذا الموضوع لم يتعرض له باحث من قبل في الشعر الفلسطيني .

وقد واجهتني بعض الصحاب التي الخصها فيما يلي :-

- أولا : قلعة المصادر التي تناولت موضوع الفريه والحنين في الشعر العربي
- ثانيا : تعذر حصولي على الكثير من دواوين الشعر الفلسطيني التي طبعت في الاقطار العربية مثل " سورية ولبنان " وعدم توافرها في مكبات القاهرة وليبيا . خاصة خلال الفتره الزمنيه الراهنة نتيجة للاحداث الدامية في لبنان .
- ثالثا : أن معظم هذه الدواوين لا يوجد في المكبات العامة التي يلجأ اليها الباحث بعد أن يعيية البحث ، خاصة وأن الكثير من هذه الدواوين من الشعر الحر الذي لم يلتزم عمود الشعر العربي في الوزن والقافية ولذلك لا تعيرة المكبات أهمية تذكر .
- رابعا : أن معظم طبعات هذه الدواوين قد نفذت ولم تعد طباعتها .

وقد تدرعت بالصبر ، وتوكلت على الله ، ووطنيت النفس على أن أذلّل هذه الصماب ، وتمكنت بعون الله وتوفيقه من الحصول على كثير من هذه الدواوين عن طريق بعض الاصدقاء الذين تمكنوا من العثور على بعضها في مكبات دمشق وسيروت ، والذين تفضلوا فأعاروني النسخ الموجودة عندهم حيث قمت بتصويرها أو بنسخها ، واتصلت ببعض الشعراء الذين تفضلوا وقدموا لي بعض ما عندهم من دواوينهم ، حتى النسخ التي كانوا يحتفظون بها لانفسهم في كثير من الاحيان

ومن المصادر التي أفدت منها في هذا البحث :

أولا : الحنين والفريه في الشعر العربي الحديث . وهو محاضرات القاها الدكتور / طاهر حسن فهمي على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية . والذي طبعه المعهد سنة ١٩٧٠ ، وقد كان مصدرا مهما في الموضوع الذي تناولته ، وأمدني بالكثير من المعلومات عنه .

ثانيا : الحنين الى الوطن في الادب العربي حتى نهلية للعصر الاموي . للدكتور / محمد ابراهيم حور المد في كلية الآداب بجامعة قسنطينة بالجزائر - والذي نشرته مهضة مصر في القاهرة سنة ١٩٧٣ وقد أفادني افادة عظيمة فيما يخص الحنين للوطن في العصرين الجاهلي والاموي .

ثالثا : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين للدكتور / كامل السوافيري الذي نشرته مكتبه نهضة مصر بالقاهرة سنة ١٩٠٤ - الذي أفدت منه تاريخيا وأديبا فقد اورد نصوصا شعرية للشعراء الفلسطينيين

رابعا : أدب الفرياء " لابي الفجج الاصفهاني " الذي نشره الدكتور / صلاح الدين المنجد والذي طبع في لبنان سنة ١٩٧٢ - وقد ا نصوصا تعبر عن الحنين والفريه عبر المصور الماضية خاصة المصريين الاموي والعباسي .

خامسا : أدب المهجر للدكتور / عيسى الفاعوري - الذي طبعته دار المعارف في مصر سنة ١٩٥٨ والذي عالج الادب المهجري من جميع جوانبه ، ومختلف موضوعاته .

سادسا : شعراء الزاينة القلمية - للدكتورة / نغمرة جميل المسراج
الذي نشرته دار المعارف في مصر سنة ١٩٥٥ - وقد خصصته لشعراء
الزاينة القلمية في المهجر الشمالي ولكنها تعرضت للهجرة من
الاطنان وأسبابها ، وأحاساس الانسان المفترق .

وقد جعلت البحث من ثلاثة ابواب :

الباب الاول : تحدث فيه عن فلسطين وهي تترج تحت الانتداب البريطاني
وجعلته من أربعة فصول تناولت في الاول الجوانب السياسية والثقافية
والاقتصادية والاجتماعية خلال فترة الانتداب ، وتناولت في الثاني
وعد بفسور الظالم ، ومواد صك الانتداب والمواصلة الاستعمارية
التي دبرها الاستعمار والصهيونية ، وسخرا من أجلها كل قواهما
لانشاء الدولة اليهودية في فلسطين بعد القضاء على أهلها .
وتناولت في الثالث جهاد أبناء فلسطين وثوراتهم المتتالية ضد
الانتداب والصهيونية حتى سنة ١٩٤٧ ثم تناولت قرار التقسيم الصادر
في نوفمبر سنة ١٩٤٧ وماجره على البلاد من ويلات وما أعقب ذلك
من كفاح مسلح من أبناء فلسطين وأخوانهم العرب الكرام وتمسكوا
الى جوارهم ، وقد موال لهم كل ما يستطيعون من دعم وتأييد
وفي الفصل الرابع تناولت حدوث النكبة وما نتج عنها من ضياع البلاد
وأغصاب الارض وتشريد الشعب وما عاناه من ألم واضطهاد
وأحاساس أبناء فلسطين بالاسى والحسرة واللوعة .

أما الباب الثاني : فقد خصصته للضربة والحين في الشعر العربي بعامة وجعلته من
أربعة فصول ايضا تناولت في الاول توضيح المقصود من معنى
الضربة وأنواعها من غربة مكانية ، وروحية ، وفكرية . كما تناولت
أسباب الضربة ودواعيها * كالهجرة والجهاد والاسر والنفي وطلب
الرزق .

وتناولت في الثاني مظاهر الضربة وأعنى بها الافراد وفرة الجماعة
وغربة الشعب .
وتناولت في الثالث شعر الضربة في عصور الادب العربي الثلاثة .

" الجاهلي والاموي والعباسي " ، وأودت نصوصا لطائفة من الشعراء
في كل عصر متناولا بالشرح والتحليل كل نص من هذه النصوص .
وتناولت في الرابع شعر الغربة والحنين في العصر الحديث وعرضت
نصوصا مختلفة للعديد من شعراء الوطن العربي ولبعض شعراء المهجر .

أما الباب الثالث : والاخير فقد خصصته للغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بمد
المأساة وجعلته من اربعة فصول أيضا تناولت في الاول منها
النصوص الشعرية التي تعبر عن الحسرة واللوعة على الوطن المنكسر
وتبكي المروءة والعزلة والامجاد العربيين وتنمى العدالة الدولية
والضمير العالمي الذي طال رقاده .

وتناولت في الثاني النصوص الشعرية التي تعبر عن حنين أبناء فلسطين
وتشوقهم لديارهم ومقدساتهم والتي بكوا فيها مدنهم وقراهم وحقولهم
ومراتع طفولتهم ومهدود حدثتهم والاماكن التاريخية في الممارك الحاسمة
في تاريخ العرب والمسلمين مثل اليرموك وحطين وعين جالوت .
وتناولت في الثالث تقويم هذا الشعر من حيث الموضوعات والافكار
والمواطف والصور والاساليب ووضحت مكاتبه ومنزله في الشعر
العربي الحديث .

وفي الفصل الرابع عقدت مقارنه بين الغربة والحنين في شعر أبناء المهجر
وأبناء فلسطين من حيث الصياغة والموسيقى والتصوير والخيال والعاطفه .

ولا استطيع ان ادعي ان بحثي قد أحاط بكل جوانب الموضوع وأنه خلا من
جوانب القصور فالكمال لله وحده ولكنني أجتهدت وبذلت كل ما استطيع من جهود
حتى أعددت البحث في صورته الراهنة .

وأني أدعوا الله سبحانه ان يلمني الرشده والسداد وأن يوفقني لاضيف الى
صرح العلم لبننة من لبناته .

والله الموفق .

بنغازي في ٢٧ رجب سنة ١٣٩٧

١٤ يوليو ١٩٧٧

أمين صالح محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

الغريه والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة

الباب الأول : فلسطين تحت الانتداب البريطاني

الفصل الأول - ١ -

الحياة السياسيـة قبيل الانتداب

خضعت فلسطين التي كانت جزءاً من الشام لسيطرة الدولة العثمانية ردحاً طويلاً من الزمن امتد اربعمئة عام ، غشى الظلام خلاله آفاقها ، ونشر الجهل استاره في ربوعها وفشت الرشوة والفساد في كل جانب من جوانبها بل في كل جزء من الاجزاء العربية التي كانت خاضعة للباب العالي في الآستانه .

وقد تذرع العرب في الولايات العربية في الشام ، التي كانت تشمل يومئذ سورية ولبنان والاردن وفلسطين - وكذلك العراق بالصبر على ما يلقون من متاعب وصعاب ويسانون من الظلم والاضطهاد تحت الحكم التركي والذي كانت ابرز سماته الجور والعسف والنفال . صبروا على كل ذلك من أجل أن يحققوا الوحدة الاسلاميه ، أو بتعبير أوضح الخلافة ، لتقوية الروابط الدينية التي تربط بين العرب والأتراك وتجعلهم يتحدون تحت لواء الاسلام الحنيف .

ومن هنا التقى العرب مع رجال الانقلاب الرامي الى التخلص من نظام السلطنة الاستبدادي والذي كان منافياً لروح العصر بل منافياً للإسلام ، كما كان عقبه في طريق التقدم والحضارة إذ كان نظاما استبداديا عفنا شل حركة الشعب واناق تقدمه سواء كان ذلك بالنسبة للشعب التركي نفسه ، أو للشعب العربي أيضا . ومن هنا جاء التصميم على تحطيم هذا النظام - نظام السلطان عبد الحميد - الذي بلغ الظلم والعسف في عهدده اشدّه ، وامتد الارهاب الى كل مفكر في تركيا نفسها وفي الولايات العربية .

نعم التقى العرب مع رجال الانقلاب حول تفويض حكم عبد الحميد والتخلص من ظلمه ليتمكن المصلحون من السير بالبلاد نحو الحياة الحرة الكريمة التي تتيج للرعية الخاضعة للحكم التركي بعامة العدالة والرخاء والازدهار في جميع المجالات .

ولكن الذى حدث كان غير هذا ، وكان غير ما توقع العرب ، كما كان ملاجأة لمفكرهم ، اذ أنه حين نحي الاتحاد يون " عبد الحميد " عن الحكم ، وعزلوه من السلطنة توقع العرب فى الشام والعراق الخير ، وخففوا من معارضتهم للسلطة اعتقادا منهم أنهم سينالون الحرية والمساواة فى ظل الدستور الجديد .

ولكن ما لبثت الايام أن خيبت آمالهم وبددت ظنهم اذ رأوا أن رجال تركيا الفتاة " الحديثه " ، يسيرون على سياسة " تريك " العناصر غير التركية فى الامبراطورية العثمانية ولا سيما العنصر العربى ، كما تكشف لهم أخيرا أن النزعة الطورانية قد تحكمت فى الاتحاديين واستبدت بهم ودفعتهم للتكبر للعرب وللقومية العربية مما أثار فى نفوس العرب الرغبة فى التحرر نهائيا من السيطرة التركية والانفصال عن الأتراك ، وبحث الامجاد العربية والسير نحو تخفيف السيادة القومية واستقلالهم فى دولة واحدة تضمهم وتحترم مقومات حياتهم وتبرز خصائص امتهم وتقدر مشاعرهم ولغتهم وفكرهم وتاريخهم .

ولذلك نرى العرب يعودون الى النضال بقوى مضاعفة وارادة مصممة كى يصلوا الى الناية النبيلة التى وضعوها نصب أعينهم الا وهى الاستقلال الفورى والتخلص من قيود التبعية مهما كلفهم ذلك من تضحيات . فأسسوا الصحف وقاموا بالقاء الخطب والمحاضرات فى المحافل المختلفة وافتتحوا النوادى التى يلتقون فيها ويتدارسون امورهم . كما أنشأوا العديد من الجمعيات العلنية والسرية ، كما عقدوا المؤتمرات التى تطالب الحكومة العثمانية بالاستقلال ، وقد شجعهم على ذلك قيام الحسب البلقانيه والتى ساعدت العديد من أقاليم البلقان على التحرر من النير التركى .

وفى سنة ١٩١٢ تكون حزب عربى منظم تحت اسم " حزب اللامركزيه " فى مدينة القاهرة وكان يرأسه السيد / " رفيق بك العظم " وأخذ هذا الحزب على عاتقه اظهار نوايا اللامركزيه والمطالبه بتنظيم حكومه فى الامبراطورية العثمانية على قواعد ديمقراطية وهذا الحزب اعماه مع الجمعيات التى تأسست فى الولايات العربية . سوريا والعراق والحجاز . وعظم نفوذه مما دفع بالسلطة التركية الى الانتقام من اتباعه وشنق بعضهم خلال الحرب العالميه الاولى (١) .

(١) راجع الدكتور يوسف هيكل " القضية الفلسطينية "

ولم يقف جهاد أبناء الصرورية على أرض العرب وحدها ولكنهم كثفوا جهودهم ودعايتهم واتصالاتهم في بلدان عديدة من أوروبا وبخاصة فرنسا حيث كانت تسمح لهم بحرية الحركة والدعوة إلى قضيتهم بشكل أرحب من غيرها .

وهكذا نرى أن الصراع بين العرب والترک قد مر في ثلاث مراحل :

الأولى - وترعى إلى مساواة العرب بالترک وتمتد من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٢ م .

الثانية - وتهدف إلى استقلال العرب الذاتي في إطار الدولة الإسلامية الواحدة وتمتد من سنة ١٩١٢ م - ١٩١٤ م .

الثالثة - وتسعى إلى انفصال العرب التام عن الأترک وتحقيق الاستقلال التام وتمتد من سنة ١٩١٤ م إلى سنة ١٩١٨ م .

ومن هنا كان الشعور العربي العام حافلا بالسخط والمرارة مفعما بالكراهية والحقد وقد يما قيل في الأمثال " أنك لا تجنى من الشوك العنب " فلقد زرعتم تركيا الظلم والتحدى والاحتقار للعرب فلم تجن إلا الثورة والتمرد والحصيان .

يقول الدكتور كامل السوافيري " ولذلك كان شعور العرب في فلسطين نحو الحكم العثماني شعورا ممزوجا بالمرارة والأسى يشترك في هذا الشعور المثقون وعامة الشعب الذين سكتوا على مضمخ متخذين من المساواة في الدين بينهم وبين الدولة ذريعة للسكوت " (١)

وقد انعكست الحالة السياسية هذه على الحالة الاقتصادية والاجتماعية إذ كانت فلسطين - كسائر الولايات العربية - مكبلت بأغلال نظام اقطاعي رهيب تتحكم مصالح الاقطاعيين في العاصمة وما حولها في اقتصاد البلاد ، فالأرض الخصبة ملكا للسلطان يتصرف فيها كيف يشاء وإذا كانت الأرض في مقر السلطنة نفسه ملكا للسلطان فهي في الولايات العربية أكثر اقطاعية . وأندح ظلما لأن الباب العالي كان ينظر إلى هذه الولايات على أنها وسيلة لتوطيد سلطانه وتثبيت حكمه والمحافظة على الطريق إلى مصر " ولقد كان سكان فلسطين نفسها خلال الحكم العثماني ينقسمون إلى :

(١) راجع الدكتور كامل السوافيري في " الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص

- أ - الحضرة وهم سكان المدن - ويتألفون من أشباه الاقطاعيين والافوات وموظفى الدولة وتوابصهم والتجار والحرفيين .
- ب - الفلاحين وأكثرهم يملكون الارض التى يفلحون .
- ج - البدو وأكثرهم من سكان منطقة " بير السبع " (١) .

وكانت الضرائب تجبى بطريقة المزاد العلنى ، وكلما ضعفت شوكة الحكومه فى الاستانه قويت شوكة الامراء الاقطاعيين فكانوا حيناً فى جانب الوالى التركى ، وحيناً آخر يثورون عليه ، وقد كان الوالى يحكم المدن الكبيره احكاماً مباشراً ، أما القرى فكانت السيطرة فيها للامراء الاقطاعيين .

وكان لذلك عواقب وخيمه فى حالة البلاد الاقصاديه فى الفترة التى سبقست النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وأخذ هذا التناقض بين مصالح أمراء الاقطاع والوالى التركى يقل تدريجياً نتيجة للاصداء التى بدأت تتردد فى اسماح المثقفين فى قصر السلطنه عن الثورات فى الغرب ومن الحريات والديستاتير ما حدا بالاتراك الى اصلاح الامور تدريجياً ومحاولة الرجوع الى مبادئ العدل ، ولكن الانقلاب الحميدى وسح شقة الخلاف بين العرب والاتراك ، كما أن تنكيل " جمال " السفاح بالمجاهدين العرب جعل بالثورة العربيه على الاتراك .

وقد أعلن العرب ثورتهم على الاتراك فى ١٠ يونيو سنة ١٩١٦م بقيادة شريف مكة " الحسين بن على " الذى اشعلها أولاً فى الحجاز واستولى على مكة وجسدة والطائف ووظد سلطانه فى الحجاز .

وفى خارج الحجاز حرك كتائب فى اوائل سنة ١٩١٧م بقيادة ابنه " فيصل " انضم اليها الضباط والجنود العرب الموجودون فى الحجاز من ابناء العراق والشام ، وظلت تزداد قوة بمن ينضم اليها من البدو وضباط العرب وجنودهم الذين كانوا فى الجيش التركى خارج الحجاز واتجه الجيش العربى نحو الشام حتى دخل دمشق فى أول اكتوبر سنة ١٩١٨م ، وفى الوقت نفسه زحف الجيش البريطانى من مصر الى

(١) راجع ناجى علوش فى المقاومه العربيه فى فلسطين من " ١٩١٧ - ١٩٤٨ " ص ٩

فلسطين بقيادة الجنرال " اللنبي " حتى دخل القدس في ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧
وقال قولته المشهورة " الان انتهت الحرب الصليبية " .

وقد دارت رحى محارك هذه الحرب على ارض فلسطين وفي مدنها وقراها
في غزه وبئر السبع والقدس وغيرها مما نتج عنه تدمير مدن البلاد وقراها ، وانهاك
اقتصادها ، وتدمير محصولها الزراعي فشملت فلسطين بتضميد الجراح التي
جلبتها الحرب ، وترميم ما دمرته القنابل والمدافع ، وتعمير المساكن والمنازل ،
المهدمة ولقد تأثرت اقتصاديات البلاد بشكل ملموس خلال سنوات الحرب الاربع
من سنة ١٩١٤م الى سنة ١٩١٨م وظهر اثر ذلك واضحا في حياة المدن والقرى
اذ ارتفعت الاسعار ارتفاعا فاحشا وقلت الواردات ، واذا عرفنا أن ارض فلسطين
تروى بماء المطر ظهر لنا المدى الذي تردت فيه البلاد خلال تلك السنوات العجاف

وهكذا عاش ابناء فلسطين في فقر ومسغبة بين نارين ، نار المشائين الذين
كانوا يحكمون بلادهم ويأخذونهم للجند به على الرغم منهم ويحرضونهم للموت والفتنة
قبل أن يعرضوا جنودهم ، ونار الانجليز الذين حصدت مدافعهم ارواح الالف من
العرب والترك .

ولا غرابة اذا أن ترتفع اسعار مواد المعيشة وخاصة اسعار المأكولات وتوقفت
كل نواحي الانتاج الصناعي والحرفي ، فقد عبثت كل موارد فلسطين للحرب الطاحنة
التي اشترك فيها العرب اخيرا مع الحلفاء رغبة في حصولهم على حريتهم واستقلالهم
الذي وعدتهم به بريطانيا اذا هي انتصرت في هذه الحرب .

الحياة الثقافية :

خيم الجهل على ربوع فلسطين في ظل الحكم العثماني فلم تكن هناك معاهد
ولم تقم مدارس ، فكان ظلام الجهل يخمر البلاد من اقصى الى اقصى .
ولقد كان حظ البلاد العربية " الولايات العربية " من التخلف الثقافي اكبر
من حظ مقر السلطنة وتجلى ذلك في عدد المعاهد والمدارس التي كانت في فلسطين



في العام الدراسي ١٩١٣ - ١٩١٤ م حيث كان في البلاد كلها يومئذ ٩٥ مدرسة ابتدائية بها ٧٧٥٨ تلميذا وتلميذه يتولى التدريس لهم ٢٣٦ مدرسا ومدرسه على الرغم من أن عدد التلاميذ الذين كانوا في سن التحليم الابتدائي الإلزامي يبلغ ٧١٩٢٣ ومعنى هذا أن المدارس لم تكن تضم الا ١٠ ٪ من الذين هم في سن الدراسة .

والى جانب هذه المدارس الابتدائية كان هناك مدرستان متوسطتان اعداد يتان احدهما في مدينة " عكا " والثانية في مدينة " نابلس " ومدرسه ثانويه واحده كان يطلق عليها اسم المكتب السلطاني في القدس .

وكانت لغة التدريس في هذه المدارس التركيه لا العربيه وفي الوقت نفسه كان في فلسطين في العام الدراسي نفسه ٥٠٠ مدرسة ابتدائية أهليه " حرة " وطائفه وعدد من المدارس الاجنبيه من بينها مدارس امريكيه وانجليزيه والمانيه وفرنسيه وايطاليه وروسيه ويعود معظمها الى الارشاليات الدينيه

وكانت الدولة العثمانيه تمنح كل طائفه من الطوائف الدينيه والمذهبيه من غير المسلمين امتيازات خاصه في كل ما يمت الى الشؤون الدينيه والمذهبيه بصله ومنهما التعليم ويمقتضى ذلك كان يحق لكل طائفة أن تعلم ابناءها باللغه السائدة فيهما وترتب على ذلك السماح للندمارى الحرب أن يتخذوا اللغه العربيه لغة التدريس في مدارسهم الطائفه ، وعدم السماح بذلك للمسلمين العرب الذين لا يجيدون امامهم الا المدارس الحكوميه التي كانت لغة التدريس بها هي اللغه التركيه والابعض الكتاتيب القديمه الموقوفه التي لم تنل أى حظ من العناية والاصلاح (١) .

ولذلك كان كثير من الاميين يقطعون عشرات الكيلومترات بحثا عن يقرأ رساله وردت له ، أو كتابا وصل اليه ، وقد يضيع جهده سدى لانه لا يجد بين العديد ممن القرى من يستطيع ذلك .

ومع هذه الظلمات التي غشت سماه فلسطين ورغم الجهل الذي ساد ربوعها

وتفشي في انحاءها ، وجد فيها - بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وقبيل الحرب العالمية الاولى - صحف ومجلات ، حيث قامت في القدس ثلاث مجلات وذلك في السنة التي اعلن فيها الدستور ، وهذه المجلات هي :

١ - مجلة " الاصمعي " لصاحبها " حنا العيسى " واشترك معه فسي تحريرها خليل السكاكيني واسعاف النشاشيبي وتكنى كل واحد من الثلاثة بكنية علم من اعلام الادب العربي القدامى فكانت كنية صاحبها (ابا سعيد) وهي كنية الاصمعي ، وكنية السكاكيني (ابا الطيب) وهي كنية المتقي وكنية اسعاف النشاشيبي (ابا الفضل) وهي كنية بدين الزمان الهذاني .

٢ - مجلة " القدس " لصاحبها " جورج حنانيا " وكانت اسبوعية واشترك في تحريرها معه ايضا السكاكيني والنشاشيبي الذعد تولى رئاسة تحريرها فترة من الزمن .

٣ - " النفاثس الحصريه " لصاحبها " خليل بيدس " وكان من ابرز كتابها اسعاف النشاشيبي وعبد الله مخلص .

وصدرت في مدينة حيفا مجلة " الزهرة " لصاحبها جميل بحري ثم حولها الى جريدة سماها " الزهور " وصدرت " الكرمل " لصاحبها نجيب نصار . وصدرت فسي يافا جريدة " فلسطين " وقد انشأها سنة ١٩١١م عيسى العيسى واخوه يوسف وهما شقيقا حنا العيسى ، وكانت تصدر نصف اسبوعية ، ثم توقفت عند نشوب الحرب العالمية الاولى ، واستأنفت صدورها في عهد الانتداب البريطاني نصف اسبوعية ثم صارت يومية منذ سنة ١٩٢٩ حتى الان (١) .

ومنذ أن تم للانجليز احتلال فلسطين ، وتولى الانتداب عليها بناء على توصية عصبة الامم السابقة والتي كانت الصوبة في ايدي الدول الاستعمارية وبخاصة بريطانيا انشأوا يتوسعون في التعليم ونشره ، ويزيدون من عدد المدارس ، كما جعلوا العربية لغة التدريس وأدخلوا في المدارس وسائل التربية الحديثة وقد وصل عدد المدارس -

العربية الحكوميه الى ٥١٤ مدرسه في سنة ١٩٤٥ م .

وكان عدد المدارس اليهوديه الحكوميه ١٣٧ مدرسة في سنة ١٩٢٠ فأصبح في عام ١٩٤٥-٥٣٦ مدرسة ، وبالطبع نرى تحيزا واضحا من جانب حكومة الانتداب تجاه اليهود الذين زاد عدد المدارس عندهم عندها عند العرب رغم أن عدد العرب يزيد عن اليهود بمقدار الضعف علي الأقل ، وذلك راجع الى أن حكومة الانتداب فرضت اشرافها المباشر على المدارس العربية بينما تركت لليهود مهجة ادارة مدارسهم

ومن أجل هذا اتجه عرب فلسطين لسد هذه الفجوة بأن أنشأوا بأموالهم الخاصة مدارس وطنية - حرة - بلغ عدد ها ٣١٣ مدرسة في سنة ١٩٤٥ (١) .

كما أسهموا في انشاء للمدارس الحكوميه في المدن والقرى ، فتبرعوا بالأرض التي تبني عليها المدرسه والمال اللازم لنفقات البناء والاتك للضروري . لما حكومة الانتداب فتقدم - بعد ذلك - للتب والمعلمين الذين تدفع رواتبهم .

وقد أنشئ لكثير من المدارس بهذه الطريقه ، اما حين كانت ميزانية الحكومة تعجز أولا ترغب في دفع مرتبات المدرسين فان اهل القرية كانوا يدفعونها من جيبيهم الخاص ، كما كانوا يضيفون الي بناء للمدرسة غرفا دراسيه اخرى تحقيقا للتوسع والنمو اللذين تتطلبهما زيادة عدد السكان ، وبالتالي زيادة عدد التلاميذ الرافعين في التعليم .

ودل اقبال هؤلاء الاهالي على التبرع من اجل تشييد المدارس ودفع مرتبات المدرسين فيها على وهي عظيم وتقدير لقيمة العلم واهميتها في الحياة . فقد كان ولا يزال شعبنا يوء من أن السلاح الاول لتحقيق الحريه والتقدم هو سلاح العلم فلا غرابة في أن يعطيه هذا النصيب من اهتمامه وعنايته ولقد بلغت الاموال التي جمعها شعبنا في الفتره من ١٩٤١ - ١٩٤٥ من أجل التعليم ٥١٢ و٤٢٦ جنيهها كما أن عرب فلسطين - في عهد الانتداب - اندفعوا فتيانا وفتيات الى التعليم العالي في الاقطار العربية الشقيقه وعلى رأسها مصر ، والتحق العديد منهم بكليات

الأزهر ودار العلوم وجامعات القاهرة والاسكندرية الى جانب الذين التحقوا بالجامعات الأوروبية والأمريكية المختلفة . اندفعوا الى التعليم على حسابهم الخاص يفتديهم الشعور الوطني الذي يوجه الظلم والصف ، والتنافس الشديد بين العرب واليهود في فلسطين وقيام الجامعة العبرية في القدس في سنة ١٩٢٥ م .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية :

لم تكن الحياة الاقتصادية خيرا من الحياة الثقافية ، فوسائل الزراعة هي الوسائل البدائية التي مرت عليها عشرات القرون ، ولم تهتم الدولة العثمانية بتحسينها أو تطويرها ليتضاعف إنتاج الأرض ، ولم تنشئ في البلاد صناعات جديدة ولم تشجع الصناعات القائمة ، حقا لقد كان توزيع الأرض مخالفا للنظام الاقطاعي برغم وجود بعض الملاكين الكبار من فلسطين واجانب وارساليات ، كما كان هناك بعض العائلات الثرية التي لا تمتلك ارضا ، اما الاسر التي كانت تمتلك الاف الدونمات (١) فهي في غالبيتها غير فلسطينية سورية أو لبنانية . وقد توصلت الى ذلك لاتصالها الوثيق بالحكام الاتراك الذي وهبوا هذه الاراضي الشاسعة دون جهد أو ثمن .

وعندما جاء الانتداب البريطاني اسرعت هذه الاسر الدخيلة في بيع اراضيها لليهود بأثمان مرتفعة نسبيا مما تسبب عنه تشريد الالف من ابناء شعبنا المنكود .

ومع أن ابناء القرى يؤلفون ٧٥ ٪ من مجموع السكان فقد كان ٢٥ ٪ منهم لا يملكون ارضا وانما يستأجرونها من اصحابها الذين يسكنون في المدن ويدفعون لهم ثلث ريعها مقابل حرثها وزراعتها وجنى حاصلاتها ، وقد كان حوالي ٤٧ ٪ من ابناء القرى كانوا يشاركون في ملكية الارض المشاع ويتقاسمونها كل عام (٢)

(١) الدونم يساوي ١٠٠٠ متر مربع من الارض .

(٢) الدكتور كامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

وكانت الحاصلات الزراعيه لاتعد والقمح والشعير والفول والذرة والسّمسم وبعض الاصناف الاخرى التى تزرع فى حوض البحر الابيض المتوسط ، كالكرّم والزيتون والحمضيات ، واذنا قدر لهذه المحاصيل أن تزيد عن حاجة السكان فلن تجد طريقها الى التصدير ، اما الضرائب فكانت تحصل بعنف وشدة ولا تراعى فيها ظروف الفلاحين التمساء أرفيرهم من الممولين دون اعتبار لحال الطقس وفلة المزرعات .

* والفلاح مرفم على دفع الضرائب الفادحة التى تفوق دخله فى كثير من الاحيان وترى الحكومه حالته المحزنة فلا ترحمه ، ولا تخفف عنه حمل الضرائب الثقيل فيضطّر الفلاح للاستدانه برما فاحش ليدفع الضرائب التى لامناصله من دفعها (١) .

واذا نظرنا الى الارض الصالحة للزراعه وجدناها لاتزيد عن ثلث مساحة فلسطين الكلية والبالغه ٢٦ مليوناً من الدونمات تقريبا . ومعظم الاراضى الصالحة للزراعه توجد فى السهل الساحلى ومرج بن عامر وسهل جزرائيل .

وكان المزارعون العرب فى اواخر العهد العثمانى ، وحتى نهاية الحرب الاولى يعيشون ظروفًا قاسية ، ولقد جاءت الحرب لتزيد البائسين بؤسا والاشقياء شقاء . فخلال الحرب نقل الرجال الى جيبهات القتال أو استخفوا حتى اصبح الصل غسير ممكن خوفا من ملاحقة السلطات . ولم تكف السلطات بالاستيلاء على الرجال بل استولت على حيوانات النقل والجر ، كالخيل والبغال والجمال ، كما انهبها قطعت الكثير من الاشجار المثمرة لاستعمالها وقودا ، فكان من نتيجة ذلك أن عم الخراب البلاد ، وتحولت الاراضى الزراعيه الى قفر مجدبه ويكفى أن نضرب هنا مثلا واحد ، فلقد كانت صادرات الثمار الحمضية ٨٦١ر٥٣ر١٥٠٠ صندوقا سنوية ١٩١٣ - ١٩١٤م فأصبحت أقل من مليون صندوق سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ولم تعد الى مستواها السابق الا سنة ١٩٢٥م . (٢) .

وعلى الرغم من أن أكثر الفلاحين كانوا يملكون ارضهم الا أنهم ام يطلوا السى

(١) الدكتور يوسف هيكل - القضية الفلسطينية ص ١٣٨

(٢) ناجى علوش - المقاومة العربية فى فلسطين .

تحقيق الاكتفاء الذاتي . ذلك لضيق الرقعة الزراعية ومحدودية عطاياها لاعتمادها على المطر فضلا عن أن حوالي ٢٩ ٪ من الفلاحين لم يكونوا يملكون ارضا ، وهكذا نرى أن دخل الفلاح " العائله " يتراوح ما بين ٢٠ - ٣٠ ليره فلسطينيه (١) ، في السنه ، في الوقت الذي كان الحد الأدنى هو ٢٦ ليره . وبما أن الفلاح كان يدفع في حدود ٦ ل ف ضريبة مباشرة وغير مباشرة و ٨ ل ف فوائد الديون وجدنا الى أي حد بلغت مأساته .

هذا بالنسبة للزراع أما الصناعه فقد كانت بدائيه ولم تكن تجد تشجيعا من الدولة وكانت الصناعات خفيفه استهلاكيه وهي معظمها متعلقه بالانتاج الزراعي مثل صناعة الصابون وعصر زيت الزيتون وهذا لا يمنع وجود بعض الصناعات الاخرى مثل النسيج والخزف والزجاج ودمج الجلود ، والتي كانت منتشره في مدن فلسطين ولكن السامطين فيها لم يتجاوزوا ١٦٠٠ عامل قبيل نشوب الحرب وفي سنة ١٩١٢ ولقد نقص عددهم الى ١٢٣٦ عاملا في سنة ١٩١٨ أي عقب الحرب العالميه مباشرة .

ولقد ظلت الصناعه في هذه المرحله استهلاكيه خفيفه ثم تقدمت خطوات الى الامام بفضل وجود عناصر يهوديه مدربه وتقدم حكومة الانتداب العون الادبي والمادي لهم ، كما تهيأ لهم استخدام الكهرباء ، الا أنها ظلت عاجزه عن التطور السريع نتيجة لضيق السوق المحليه وعدم وجود فرص كبيره امام التصدير الخارجى وكذلك عدم قدره على الصمود امام المنافسة الخارجيه من البضائع الاوربيه واليابانيه اما علاقته بين العامل ورب العمل فكانت اسريه في الغالب ، حيث يحمل الابن مع ابيه أو الاخ مع اخيه فالمصانع كانت اقرب ما تكون الى المعامل الصغيره .

فاذا انتقلنا الى السياة الاجتماعيه وجدنا عجباً ، ذلك أن الاسرة التي لا تجد كفايتها الحياتيه ولا تطمئن على مصيرها ستظل تعاني القلق والحيره والتمزق ، كما أن التمطل والفراغ سيفعلان فعلهما ولا شك - فاذا اضفنا الى ذلك ما يفعله الجهل الضارب اطنابه في النفوس ، علمنا شراسة الاعداء الذين تكالبوا على هذا الانسان الصرعى المسكين فقد تحالفت القوة الباغيه والسلطة العاتيه مع الفقر والجهل والمرضى فاخذت تعبت به وتطوح بأماله وتمزق نفسه شرمزق .

ومما لاشك فيه أن الحكم العثماني ما كان ليقم النوادي أو يفتح المكتبات التي تفتح أبوابها أمام الوافدين اليها من أبناء الشعب ، وإذا فأن إنساننا العربي الفلسطيني لم يكن أمامه سوى أن يلتقى بالناس في الطرقات أو المقاهي وأمثالهما ، ولكن ليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك نواد يلتقى فيها الناس ، من أي لون ، بل كانت هناك شبه نواد لاسيما في القرى ولدى بعض الموظفين الكبار والأغنياء الذين كان لهم صلة بالحكام والسلطة .

لكن الحياة الاجتماعية تظل سيئة جدا لأن الجهل يخيم فوق ربوع البلاد والأمية تنتشر بين السواد الأعظم من الناس ، واللغة التركيبية تصر على فرض نفسها بقوة سلطانها بينما العربية تتراجع وتلاشى .

* وكان عقد الاجتماعات محرما ، وتكوين الجمعيات والنقابات جريه ، وافتتاح المدارس وإنشاء الصحف جرائم يعاقب عليها القانون .

ولذلك لم يستطع أبناء فلسطين اصدار صحف أو افتتاح مدارس الا بعد صدور الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م وكانت البطالة متفشية بين العمال ومستوى المعيشة هابطا والدخل الفردي لا يكاد يقيم الأود عند بعض الأفراد ، يضاف الى ذلك حرمان البلاد من الرعاية الصحية ، وقلة المستشفيات وصعوبة المواصلات بين المدن المختلفة وبينها وبين القرى .

وهكذا كانت الحياة الاجتماعية فراغا قاتلا وحربا ضد كل نشاط في أي مجال من مجالات الحياة (١) .

الحياة السياسية عقب الاحتلال البرياني :

دخلت القوات الانجليزية فلسطين سنة ١٩١٧ ، وفي الثاني من تشرين الثاني نوفمبر في العام ذاته أعلن وعد بلفور - والذي ستحدث عنه فيما بعد ولم يكن عرب

(١) الدكتور كامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٤٩

فلسطين الذين انضم منهم عدد كبير الى الثورة العربية سنة ١٩١٦ ودعوهما يعرفون أن الانجليز والفرنسيين قد اتفقوا على اقتسام سوريا الكبرى بينهم وعند ما كشفت ثورة أكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ وناثق الحلفاء السريه لم ينتشر خبرهما ولم يعرف بها قادة الثورة العربية الا عن طريق الاتراك ، وعند ما استفسر الشريف حسين عن الموضوع اقدمه الانجليز بأن الاخبار ليست صحيحة (١) .

وهكذا فان اهل فلسطين لم يتحركوا اول الامر بعد سماعهم لهذه المؤامرة الدنيئة وذلك لعدة اسباب اهمها ما حدثته الحرب من تخريب ودمار ، وجوع وطاعون وانتظارهم لما تسفر عنه الثورة العربية من انتصار ، وتحقيق الوعود الستى قطعها الحلفاء على انفسهم للحرب الذين ساعدوهم ضد الاتراك وحاربوا بجانبهم نظير استقلالهم من تركيا وبرزاز شخصيتهم العربية والتي طمست عبر القرون الماضية فير أن المؤامرة اخذت تتضح ابعادها يوما بعد يوم فقد زار حاييم وايزمن القدس في التاسع من كانون الاول " ديسمبر سنة ١٩١٧ " وخطب في جماعة من زملاء العرب الذين حشد هم له الحاكم العسكري البريطاني في دار الحكومة ، وقد ابدى وايزمن ارتياحه لانتصار بريطانيا " العظمى " مما سيفتح طريق " العوده " ل"ابنينا" جلدته الى وطنهم ؟ وقد اعلن في الوقت نفسه أن اليهود لا يضررون حقدا للعرب زاعما أن هذه الهجرة اليهودية لن يكون لها تأثير في مجرى حياة العرب الفلسطينيين وها نحن نرى صدق مزاعمه بعد مرور ثلاثين عاما عليها ؟ ولقد انسحب هؤلاء الزعماء من الاجتماع محتجين .

غير أن زيارة وايزمن تلك كانت نذيرا للعرب الذين كانوا يخطون في سياستهم مستسلمين لوعود " حليفهم " بريطانيا السرابيه ومرة سنة ١٩١٧ وسنة ١٩١٨ دون أن يحدث شيء يذكر ، غير أن عوامل السخط والتدمر اخذت تتجمع ، واخذ الناس يسمعون أن اليهود ينوون احتلال البلاد واستيطانها بتواطىء من بريطانيا وساعدتها ، ويذكر وايزمن أنه خلال مقابلة له اجراها مع الجنرال " اللنبي " قائد القوات البريطانية سمع منه الملاحظة التالية " نعم ، ولكن لا يمكن بالطبع عمل شيء "

في الوقت الحاضر ، علينا أن نكون حذرين جدا حتى لا نشير حساسية السكان * وهذا يدل على أن الجو كان متوترا جدا في البلاد وقد دفع هذا الواقع وايزمن أن يقول * أن التطلع لعلاقات مقبله بين العرب واليهود كان في مثل مسنده الظروف غير ذي أمل * (١)

ولم يكده عام ١٩١٩ يقبل حتى اخذت الجمعيات الاسلاميه - المسيحيه تعقد مؤتمرها الاول في القدس ، حيث ارسلت كل مدينه وكل قضاء في فلسطين مندوبين عنها من الوجهاء والزعماء المصروفين ، وفي ذلك الحين كانت تركية * الرجل المريض شكليا ما زالت قيد البحث ، اما في الواقع فقد حسم الانجليز الامر سرا مع الفرنسيين وكانت وعودهم للشريف حسين كاذبه ، وان كان رجال الحركة العربييه قد استمروا في المطالبه لتنفيذ الوعود التي قطعت لهم ولكن بدون جدوى ، وفي مثل هذا الموضع اصدر المؤتمر ميثاقا وطنيا ينص على ما يلي :

- أولا - رفض وفد بلغور والهجرة الصهيونية والاحتلال البريطاني
- ثانيا - اعتبار فلسطين جزءا من سوريه ، وتسميتها سوريه الجنوبيه والمطالبه بوحدة سوريه الكبرى
- ثالثا - استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربيه

كما قرر المؤتمر ارسال وفد الى دمشق للاتصال بالحركة الوطنيه هناك وارسال وفد آخر الى مؤتمر الصلح في باريس بلاغه بقرارات المؤتمر وشرح موقف العرب لعنقلى الحلفاء .

ولاشك في أن الميثاق المذكور كان ممثلا لمصالح العرب ومعبرا عن التيار السائد حينذاك والذي كان مندفعاً لتحقيق الوحدة العربيه التي يرى فيها صوتا لقوميتهم وعروبتهم وحفاظا على حقوقه وآماله ، ولهذا فان هذا الميثاق قد بدأ يشكل عقبة في طريق المخطط البريطاني الصهيوني فعملت بريطانيا كل جهدها لالغائه أو تعديله

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٧

بالشكل الذي يلائم سياستها ولكن محاولاتها رفضت وجوبت بمعارضة قوية ، فصار
كان منهم الا أن منعوا سفر الوفد الذي كان مرسلا الى الشام .

وفي هذه الاثناء وصلت اللجنة الامريكيه المرسله لاستقصاء اراء السكان فسي
سوريه الكبرى الى فلسطين في اواسط سنة ١٩١٩ وقد استعدت الاوساط السياسيه
والوطنيه لاستقبالها واطلاعها على حقيقه المشاعر والظروف لدى العرب اهل البلاد
الحقيقيين ، وكان الشعب مجمعا على ما جاء في الميثاق الوطني من بنود تلخص في
الاستقلال والوحده العربيه ورفض المهجره الميموديه والاحتلال .

غير أن الظروف السياسيه في سوريا والعراق رتافس الدوله الاستعماريه
بريطانيا وفرنسا وامريكا . ووجود قيادات سياسيه ضعيفه على رأس الامه العربيه
حينذاك كل هذه الظروف مجتمعه جعلت الصوت العربي ضعيفا ضائعا في مؤتمر
الصلح ، كما جعلت الامال العربيه في الاستقلال تضيع هباء وتذهب بدها .

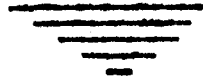
حقا أن الحرب قد فضلوا الاستعانه ببريطانيا بدل فرنسا ، غير انهم قصد
احتجوا لما جاء في ماده " ٢٢ " من ميثاق عصبة الامم لانها اعتبرت سوريه محتاجه
الى انتداب ، كما أن الملك فيصل كان غائبا عن سوريه حين انسحبت منها القوات
البريطانيه لحساب حليفتهما فرنسا مما اثار سخط الجماهير وثورتها في دمشق ولما
عاد في اوائل سنة ١٩٢٠ كان يحمل في جعبته مشروع فيصل - كليمنصو وهو ينص
على تجزئة سوريا الكبرى " الطبيعيه " وخضوعا للمطالب الفرنسيه ، وقد حاول فيصل
اقناع الناس بهذا المشروع غير أنه لم يفلح في ذلك وان كان قد نجح في خلق
انقسام للرأي العام مما كان له مردود سلبي على كفاح شعبنا العربي في سوريا
وفلسطين ولبنان وعلى الرغم من أن المؤتمر قد انعقد ثانية للبت في مشروع فيصل واتخاذ
قرارا بجعل سوريا الطبيعيه كلها مملكه نيابيه دستوريه يكون فيصل ملنا عليها واعلان
ذلك في الثامن من آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ م على الجماهير المحتشده في ساحة
المرجه في دمشق الا أن هذه الدوله لم تعش سوى اربعة اشهر ونصف بعد استقلالها

أما في فلسطين نفسها فقد حاولت الاوساط العربيه الوطنيه فقد مؤتمرها الا أن
السلطات رفضت ذلك ، فما كان من الجماهير الخاضعه الا أن انفجرت في مظاهرات
عاره في ابريل سنة ١٩٢٠ م ضد الاحتلال البريطاني والحركه الصهيونيه استمرت

أربعة أيام متتالية ، وحدثت اشتباكات بين العرب من جهة والمسلمين والشرطه من جهة أخرى مما أدى الى استشهاد اربعة عشر عربيا وخرج ثلاثة عشر آخرين وقصد برز من هذه المصادمات زعيم الحركة الوطنية في فلسطين وهو " موسى كاظم الحسينى " وقد كان رئيسا لبلدية القدس فلما مرت الجماهير الغاضبة بدار البلدية خطب فيها واجج حماسها فأقاله الانجليز . فير أنه ظهر شاب آخر كان له ، دور ملموس فى اذكاء روح الثورة والحماس فى نفوس الشباب الا وهو " أمين الحسينى " الذى أصبح مطاردا من قبل سلطات الاحتلال فهرب من البلاد بعد أن حكم عليه بمدد طويله فيابيا ، وسنرى أن هذا الشاب قد أصبح زعيم الحركة الوطنية فيما بعد .

كما أننا سنعود الى الحديث عن التضحية والجهاد فى فصل لاحق بسانان

• الله



الفصل الثانى

- ١ -

صك الانتداب البريطانى :

كانت بريطانيا وما زالت جزءا من حملة صليبيه ضد العرب والمسلمين ويكفى أن نتذكر قول القائد البريطانى الجنرال " اللنبي " حينما دخل القدس سنة ١٩١٧ بعد هزيمة تركيا فى فلسطين " الان انتهت الحرب اله ليبيه " كما لا يفوتنا أن نظل حريصين ومتيقنين بأن " دار الكفر واحده " فان ما قاله القائد البريطانى السابق يردده قائد فرنسى دخل سوريه بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالميه الاولى فكان أول عمل قام به هو اظهار التشقى والانتقام ومن ؟ من ذلك البطل الذى لم يعرف غير التسامح . نعم لقد وقف الجنرال الفرنسى " جورو " امام قبر البطل " صلاح الدين الايوبى " ليقول فى شماته " ما قد عدنا ثانياه يا صلاح الدين " .

فهل تذكرنا هذه الاقوال شيئا ؟ أم أنها تلمات عابرة ليس الا ؟ ان البحث والاستقصاء يؤدى بنا الى الحقيقه التى اصبحت واضحة وضوح الشمس الا وهى " أن الغرب والغرب كله : أوروبا وامريكا لم تنص احقادها لنا وانها ما زالت تعاني من مركب النقص تجاهنا وتحسن فى اعماقها أن وحدة العرب والمسلمين هى " البمبج " الذى يتمثل لهم ليل نهار " والا فكيف نفسر مؤامراتهم ومخططاتهم الرهيبه ضدنا ؟ وكيف نهررو قوفهم — دائما — ضدنا وبجانب اعدائنا ؟ ولماذا يبذلون كل جهدهم فى افساد كل عمل يعود بالنفع علينا ؟ وما سبب اصرارهم على الوقوف فى وجه اماننا وتطلحاتنا ؟ واستماتتهم فى سبيل أن نظل متفرقين اشلاء ممزقين لنكون فرمسة سهله بين ايديهم ؟

نعم لقد كانت الدولة العثمانيه كابوسا يجثم فوق صدورنا ، ويسمى بآهدا كسى نظل بعيدا عن ركب الحضاره والانسانيه المتطوره ، كما كانت عاملا سلبيا فى تطورنا العلمى والثافى ، أخذت على عاتقها — فى غباء وجهل — أن تقتل ابداعنا وتثد ثقافتنا ولغتنا رغم أنها تشاركنا الاعتقاد فى دين واحد ، ولكن أنى لمسئوليتها أن يفهموا روح الاسلام وسماحته وعظمة مبادئه ؟

ولكن ليس معنى ذلك أن يقبل العرب استبدال كابوس بأخر ولا فلا معنى للتضحيات الجسام التي قدموها والتي كانت في الوقت نفسه دوماً لتلك الدول الصليبية التي أنعمت أنها تحررونا وأنها تقاتل من أجل المبادئ التي نرفعها والقيم التي نحافظ عليها ونسعى جاهدين في سبيل أن تظل حية خالدة ، ولقد وعدنا حلفائنا ولكنهم ما أنجزوا وأظهروا لنا خلاف ما أبطنوا وعاهدوا فغير أنهم لم يسرفوا الوفاء فلماذا ؟ لقد قيل " إذا عرف السبب بطل العجب " نعم أن الدول الاستعمارية خاصة بريطانيا تصرف : أولاً : أن فلسطين هي قلب العالم العربي ، ولا سبيل إلى وحدته إذا كانت فلسطين في أيدي غير عربييه .

وثانياً : أن فلسطين تشرف على قناة السويس لذلك الشريان المائي الحيوي للتجارة العالمية والملاحة الدولية .

وثالثاً : أن العالم العربي يشرف على معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط وهو أهم البحار الداخلية في العالم تجارياً وملاحياً .

ورابعاً : أن العالم العربي في قلب العالم كله في المواصلات البرية والجوية . وخامساً : أن العالم العربي يحتفظ بأعظم نصيب من احتياطي النفط العالمي .

ومن هنا كان لابد من تواجد استيطان كثيف وقوي للحفاظ على تلك المصالح الخفية في هذه المنطقة من العالم ومن هنا كان التخطيط والتدبير والتآمر ، ومن هنا كانت شراسة الهجمة وتكالب كل قوى الشر والظلم .

وبما أن بريطانيا هي قائدة الركب في العقود القريبة الماضية فقد أخذت بزمام المبادرة وأعدت للامرعدته تساندها في ذلك حركة صهيونية شريرة تزعم أن اتباعها هم شعب الله المختار وتدعى اليهودية واليهودية الحقيقية منها براء لان اليهودية دين سماوي ، والصهيونية حركة استعمارية خبيثة لا يهتمها الا السيطره والمال والشر " انبيائها " تيودور هرتسل وجابوتنسكي وماكس نورد ووحايم وايزمن ودافيد بن غوريون وموشي دايان ..

وهكذا التقت بريطانيا مع الصهيونية العالمية لتصنعنا من خلال التآمر وعد بلفسور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م ثم لتفرض بريطانيا انتدابها على فلسطين بموجب موافقة صورية من عصبة الامم بعد انتصارها على تركيا في الحرب العالمية الاولى ، وجاء صك الانتداب

ليكرس الوجود البريطاني ويمهد لقيام الدولة (١) اليهودية .

وعد بلفور وادماجه في صك الانتداب :

قدمت الحرب العالمية الاولى فرصة ثمينة للصهيونية فتخلت عن نظرياتها واخذت تفتش عما يمكنها ان تستفيدة من وضع الحرب وظروفها ، ومعلوم ان اليهود كانوا وما زالوا منتشرين في بقاع مختلفه من العالم لاسيما بلدان اوربا وامريكا ، وانهم يحتلون مراكز مرموقة في عالم الاقتصاد والسياسة فضلا عن الثقافة والصحافة مما يتيح لهم تأثيرا واسعا لا يتناسب مع عدد م الضئيل ، ومن هنا فقد أخذوا يمارسون ضغوطهم والاعيبهم في شتى الاتجاهات ولدى كل الاطراف المتصارعة - المانييما والنمسا وتركيا من جهة ، وبريطانيا وفرنسا وامريكا من جهة اخرى ، وبما ان المانيا كانت حليفة لتركيا في هذه الحرب واطماصهم في فلسطين ستكون صعبية التحقيق حيث ان تركيا لاتريد احراج موقفها مع الولايات العربية والبلدان الاسلاميه الاخرى ، وبالتالي فليس في استطاعتها ان تعد للصهيونية بتحقيق اطماصها في فلسطين في هذا الطرف الدقيق ، كما ان المانيا قدرت هذه الظروف عند حليفتهما تركيا ومن ثم تأكد اليهود ان الطرف الآخر هو الجانب الذي يمكن ان يتجاوب معهم ولذلك فقد راهنوا عليه بعد ان تأكد لهم ان مصالحه تلتقى مع مصالحهم .

ومن هنا فقد أخذت الصهيونية بمالها من أعوان يهود وغيرهم تنشر البلبلة والاضطراب في صفوف العمال الالمان والمؤسسات الألمانية ، وقامت بدور الطابور الخامس .

" كان الحلفاء عام ١٩١٢ م في حاجة ماسة الى المساعدات الخارجيه من جهة والى تقليل الاصدقاء عند اعدائهم من جهة ثانية ليخرجوا من الحرب ظافرين ، فسأوا اجتذاب اليهود نحوهم تحقيقا لغايتهم ، اذ هم بذلك يحولون بين دول اوربا الوسطى وتأييد اليهود لهم ومساعدتهم اياهم ، وفي الوقت نفسه يستحصلون القوى

(١) سنتحدث عن صك الانتداب مقترنا بوعد بلفور " المشتموم "

اليهودية في سبيل مصالحهم ولليهود قوى عديده منها المال والنفوذ الدولى وكان السلفاء حينئذ في أشد الحاجة اليهما * (١) .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد وقفت على الحياد أول الامر ، ولكن الصهيونية ذات الاثر البالغ فى سياستها واقتصادها فقد دفعتها دفعا لدخول الحرب الى جانب الحلفاء سنة ١٩١٧ م . وقد قبضت ثمن ذلك من بريطانيا وعد بلفور ، ولانشك فى أن هذا الوعد حظى بموافقة السلفاء الاخرين فرنسا وامريكا واتفاقية سايكس - بيكو بين بريطانيا وفرنسا تزيد ذلك وتؤكد .

وهكذا يظهر لنا أن وعد بلفور كان ثمرة اتصالات ونشاطات سياسيه مكثفه جرت على جميع المستويات ودونما انقطاع مما دفع رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت " لويد جورج " الى القول " وكانت تلك الايام من أشد ايام الحرب ظلاما " كان الجيش الفرنسى فى ذلك الوقت نائرا ، وكان الجيش الايطالى على وشك التلاشى وكانت الولايات المتحدة قد ابتدأت فقط بالاستعداد فتقرر لدينا - أن اكتساب عواطف الطائفة اليهودية أمر حيوى لنا (٢)

وهكذا نرى أن الصهيونية العالمية قد استغلت الظروف احسن استغلال واستفادت الى اقصى حد ممكن ، أما بريطانيا فقد ضرت عصفورين بحجر واحد ، إذ انها ضمت ولاء اليهود ومساعدتهم فى جميع أنحاء العالم أولا كما لأنها حافظت على مصالحها الحيوية فى الشرق الحربى مستقبلا عن طريق انشاء الوطن القومى لشعوب مختلفة تجمعهم عقيدة واحدة وان كانت تفرقهم الالهوا .

ونتيجة لهذه الاتصالات وتقديرا للمصالح المتبادله بين الطرفين صدر وعد بلفور حيث أرسل وزير خارجية بريطانيا اللورد آرثر بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ كتابا الى اليهودى روتشيلد هذا نصه :

" عزيزى اللورد روتشيلد ،

" يسرنى أن أبحث اليكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بالتصريح (الوعد)

(١) الدكتور يوسف هيكل - القضية الفلسطينية - مطبعة الفجر يافا ص ٥٧

(٢) المصدر السابق نفسه

الذى ينم عن العطف على أمانى اليهود الصهيونيين ، والذى رفع الى الوزارة
وصادقت عليه .

" ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي
في فلسطين ، وستبذل جهدا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، مع البيان الجلي
بأن لا يفعل شئ يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف
اليهودية المقيمة في فلسطين الان ، ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به
اليهود في البلدان الاخرى " .

ونلاحظ ان هذا التصريح قد كتب بأسلوب دبلوماسي ماهر . روعى فيه اليقظة
واختيرت كلماته بحناية فائقة فجاءت مطاطة مرنة تحمل اكثر من معنى وهذا اسلوب
أجادته الدبلوماسية البريطانية الماكرة ، فمثلا لم يعرف مضمون " الوطن القومي كسا
لا توضح ماهي " الحقوق المدنية والدينية "

الا أن التصريح يتلخص على كل حال في أمرين :

الاول : العطف على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وبذلك الجهد
لتسهيل تحقيقه .

الثاني : أن لا يفعل شئ (الوطن القومي) يضر بالحقوق المدنية والدينية
التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية .

ولكن المتفحص لهذا الوعد يرى فيه تناقضات ومخالطات تعلن عن نفسها ، فمثلا
قيم التصريح الأغلبية العربية المطلقة فجعلها " الطوائف غير اليهودية " علما بأن
عدد العرب كان في ذلك الحين يزيد على ٩٢ % من سكان فلسطين أما اليهود
فكان عددهم لا يصل الى ٨ % من مجموع السكان وهذه مخالطة صارخة ، وقد جاء
التناقض من مفهوم الشق الاول وهو اقامة الوطن القومي لليهود والذي يتعارض مع
مفهوم الشق الثاني وهو " الا يضير الوطن القومي الحقوق المدنية والدينية للطوائف
غير اليهودية (العرب) في فلسطين ؟ "

فاليهود يصرون على تنفيذ الشق الاول وهو انشاء الوطن القومي ، وهو أمر يفرض
مسح حقوق الاخرين (العرب) المدنية والدينية والقضاء عليها وكيف يتسنى لبريطانيا
أن توفق بين المتناقضات رغم مهارتها في السير على الاسلاك الرفيعة .

ومن هنا حرصت بريطانيا على أن تدمج هذا الوضع الظالم في صك الانتدابها الذي ابتزته من عصبة الأمم والذي يقضى بأن تتولى الهيمنة والاشراف على فلسطين لتكسر جهودها من أجل تنفيذ وعد ما المشؤم والذي قطعت على نفسها لمصلحة الصهيونية العالمية ، ودون اعتبار لحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه ، ومن غير أن تقيم وزنا للقيم الاخلاقية أو المعايير الانسانية ، وقد جاء صك الانتداب مستندا آخر تركز عليه سياسته البريطانية علاوة على وعد بلفور ، وقد صدر هذا الصك عن عصبة الامم بعد ضغوط ومؤتمرات استعمارية صهيونية مكشوفة وكان ذلك في عام ١٩٢٢ . وهو مؤلف من ديباجة ومن ٢٨ مادة بعضها يتعلق بالوطن القومي واهمها المادة ثانياً والثانية والسادسة وتضع المادة الثانية التي تضمنت تصريح بلفور على عاتق الحكومة المتندبة ثلاثة أمور :

- ١ - انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .
- ٢ - ترقية الحكم الذاتي .
- ٣ - ضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والمذهب .

أما المادة السادسة التي تعنى على الهجرة فتلقى على عاتق الحكومة البريطانية ثلاثة واجبات :

- ١ - أن تسهل الهجرة اليهودية .
- ٢ - في احوال وشروط مناسبة .
- ٣ - مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ومركز ساكني الاهالي .

ومع أن صك الانتداب أوضح من تصريح بلفور بالنسبة لحقوق الطوائف غير اليهودية (العرب) من أنه لا يجوز الاجحاف بها ، وأنه يتحتم عدم الاستمرار في انشاء الوطن القومي ووقف الهجرة اذا كان ذلك مضراً بوضع العرب الا أن الضغط الصهيوني على الحكومة البريطانية قد نجح في تنفيذ ما يتعلق بمصالح الصهيونية دون نظر لما يحدثه ذلك من ضرر بالغ بالطرف الاخر .

وقد أحست بريطانيا بالثورة تحتل في نفوس المواطنين العرب نتيجة للشكوك التي أخذت تساورهم تجاه اهداف بريطانيا ورببيتها الصهيونية العالمية ولازالة هذه -

المخاوف والشكوك عمدت بريطانيا الى اصدار بيان لسياستها في فلسطين واعتبرته تفسيراً لمفهوم " الوطن القرمي " وخطة تسير عليها في سياستها الفلسطينية ومما جاء فيه :

" وهى (حكومة جلالتة) تلفت النظر الى الواقع بأن احكام التصريح المشار اليه لا ترمى الى تحويل فلسطين بمرمتها الى وطن قومى لليهود ، بل الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . "

" وتنفيزاً لهذه السياسة من الضرورى أن تتمكن الطائفة اليهودية فى فلسطين من زيادة عدد أفرادها بواسطة المهاجرة ، ولا يجوز أن تكون هذه المهاجرة كبيرة لدرجة بحيث تزيد على مقدرة البلاد الاقتمها ديه عندئذ على استيعاب مهاجرين جدد . ومن الضرورى ضمن عدم صيرورة المهاجرين ميثاً على أهالى فلسطين كالفئة وعدم حرمان أية طبقة من الاهالى الحاليين من عملهم " (١) .

تسخير كل القوى لانشاء الوطن القومى :

لقد صممت بريطانيا والصهيونية العالمية على وضع وعد بلفور موضع التنفيذ فقررنا ارسال المتطوعين اليهود من بريطانيا وأوربا الى فلسطين فى آخر ايام الحرب العالمية الاولى ، وذلك لاشعار العالم بأن اليهود قد ساهموا فى " تحرير " الارض " فلسطين " من نير الاحتلال العثمانى وبخاصة بعدما احتل الامير " فيصل " وهو يقود الجيش العربى بلدة العقبة فى جنوب الاردن واخذ يتجه فى وادى عربيه شمالاً الى شرقى الاردن كما أن الصهيونية العالمية ارادت أن تذهب الى مؤتمر الصلح فوجدت أن الحرب أوشكت على الانتهاء - وفى يدها ورقة تسام عليها ، فضلاً عن أن مثل هذا العمل سيكسب هؤلاء اليهود ممارسه فعلية للقتال ويطلعهم على الاحوال الجارية فى فلسطين مما يمنهم من حرية الحركة مستقبلاً .

ولقد جرى كل ذلك تحت مظلة العطف البريطانى من نقل وتسليح وتموين وتدريب

(١) الكتاب الابيض لعام ١٩٢٢ والذى أصدرته الحكومة البريطانية عن فلسطين

بل أن حاييم وايزمن قد تحدث حول هذه البعثة فقال :

" ان حكومة صاحب الجلالة قررت ارسال تلك البعثة الصهيونية الى فلسطين لكي تقوم بدراسة الأوضاع هناك واعداد الخطط العملية وفقاً لروح ومدى بلفور (١)

أما المصادر الأخرى فقد ذكرت بأن الغاية التي جاءت من اجلها البعثة كانت مثلثة الوظائف وهي :

- ١ - المساعدة في رد الاعتبار للمستوطن اليهودي بفلسطين واعادة تأهيله
- ٢ - العمل كضابط اتصال بين الحكومة والجالية اليهودية .
- ٣ - ارساء الاسس لاقامة الوطن القومي اليهودي .

وليس من السهل على مثل تلك البعثة أن تحقق أهدافها حيث كانت البلاد في معظمها حينذاك تحت احتلال الأتراك وفي حزيران " يونيو ١٩١٨ " كان وادي الأردن بيد الأتراك ولم يتمكن وايزمن والميجور اورمسي غور من الوصول الى قيادة الأمير فيصل في شرقي الأردن الا عن طريق السويس ومنها بحرا الى العقبة وبالتالي فان الرقعة التي حددتها بريطانيا لتقيم عليها وطنا لليهود لم تكن في قبضتها كما أنها لم تكن خالية من السكان ، ولهذا فقد أعطت بريطانيا التي لا تملك وعيها لمن لا يستحق " اليهود " متخافلة عن حق العرب في وطنهم ومتجاهلة حق تقرير المصير الذي تدعى أنها تحارب وحلفاءها من أجله ، كما أنها تناست اللوم الأسود التي قطعتها على نفسها للعرب والمثله في مراسلات حسين مكماهون والتي تتلخص في مساندة العرب على الاستقلال من برائن الحكم التركي في مقابل ثورة هؤلاء العرب على الأتراك ووقوفهم بجانب الحلفاء ، ولقد وضحت المكاتبات بين الرجلين الشريف حسين - مكماهون على أن فلسطين تقع ضمن حدود الدولة العربية الواحدة والتي ستنشأ بعد طرد الأتراك وحرهم لان الانجليز قد أظهروا تحفظاتهم بالنسبة للأرض الواقعة غربي المدن - دمشق ، حمص ، حماه ، حلب ، بحجة أن معظم السكان هنالك ليسوا من العرب المسلمين .

(١) حاييم وايزمن - التجربة والخطأ ص ٢١٢

ولكن بريطانيا - تحت الحجاج الصهيونية وتطلعا الى مصالحها في المستقبل
ضربت بوعودها للشريف حسين عرض الحائط وتكررت له بعد أن أصبحت في غير حاجة
اليه .

والان ماذا فعلت بريطانيا من أجل تنفيذ وعدها " وعد بلفور " للصهيونيه
انها اخذت تكريس جهدها لجعل هذا " التصريح " حقيقة واقعه ، فقد سمحت
للإهود بحضور مؤتمر الصلح في باريس كي يعرضوا " قضيتهم " حيث تبغوا النقاط
التاليه :

- أ - اعتراف العالم بأن فلسطين أرض اليهود في الماضي ، ويجب أن
تصبح كذلك في المستقبل .
- ب - اعطاء الفرض لايجاد الام نواع والاحوال اللازمه والملائمه لارجاع
اليهود الى فلسطين .
- ج - تسليم الانتداب على فلسطين لدوله يثق بها اليهود ثقة تامه أي الى
بريطانيا العظمى (١) .

ومع بواد رانتصار الحلفاء وهزيمة الاتراك خلال عام ١٩١٨ أخذ الصهيونيون
يوسعون نشاطاتهم فيعقدون المؤتمرات ويكتفون الاتصالات بشأن التباحث حول
مأسومه أهداف الوطن القومي وبرامجه .

أما بريطانيا والتي منحت " برقتها " وتأييدها لوعده بلفور فقد اهتمت بالشق
الاول منه ذلك الذي يخدم المصالح والاطماع الصهيونية ، أما الشق الثاني أو ما
جاء في صك الانتداب من المحافظه على حقوق الطوائف غير اليهوديه (المسلمين)
فقد تنكرت له كما عجزت - امام الضغط الصهيوني - عن تنفيذه وتطبيقه وقد
نجح اليهود في بسط نفوذهم على الساسه البريطانيه والسيطره على كثير من
النواب في البرلمان البريطاني ومن هنا فقد أخذوا يسيرون السياسه البريطانيه
بالشكل الذي يمكنهم من تنفيذ مآربهم ويخدم هدفهم في ايجاد الوطن القومي على
أرض فلسطين . وعلى الرغم من أن وعد بلفور يناقض معاهده سايكس بيكو نفسها وأن -

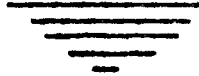
(١) نقلا عن اسكوفرنديش - فلسطين ص ١٥٥

صك الانتداب نفسه يوضح بشكل قاطع عدم الاستمرار في انشاء الوطن القومسي اذا تعارض مع مصالح العرب رغم كل ذلك فان بريطانيا قد ادارت ظهرها لكل التزاماتها تجاه العرب وتجاه الحق والقانون وعصبة الامم التي انتدبت على فلسطين من قبلها واصبحت الحويه في يد الصهيونيه العالميه تحركها ابنى شاءت وكيفما ارادت ، ولذلك لانستغرب حين نرى بريطانيا :

- ١ - تفتح باب الهجرة اليهوديه على اوسع ابوابها حتى يتضاعف عددهم ويقوى هودهم .
- ٢ - أن تسمح لليهود بامتلاك السلاح والتدريب عليه وتحظر ذلك على العرب بل تعاقبهم اشد العقاب على امتلاك سكين .
- ٣ - تهيب لهم " لليهود " الحصول على الوظائف الحساسه ذات التأثير في مجريات الامور الحياتيه المختلفه .
- ٤ - تقطع هؤلاء الدخلاء أرض فلسطين الحكوميه وتساعدهم في اصلاحها كما حدث في املاكهم " لسهل الحوله " حتى ولو ادى ذلك الى طرد المزارعين العرب ، وكما جرى في وادي " الحوارث " .
- ٥ - تفسح المجال امام اليهود للتعليم فتسمح لهم بفتح مدارسهم الخاصه وادارتها بينما تبخل على العرب بذلك رغم حاجتهم الملحط لذلك .
- ٦ - تسمح " للوكاله اليهوديه " بادارة امر اليهود وكأنها دولة داخل دولة بينما تحرم العرب من ايسر حقوقهم السياسيه والمدنيه .
- ٧ - تبالغ في فرض الضرائب ، وفي استقطاع الديون من الفلاح العربي مما يلحق به ضررا بالغا ويعوقه عن التطور والحيش الكريم .
- ٨ - عينت بريطانيا في المناصب الحساسه في فلسطين مثل المندوب السامي نفسه أو رئيس اداره الجوازات والدخليه وغيرهما من البريطانيين اليهود أو المتعاطفين مع الصهيونيه والذين يتقانون في خدمتها وتحقيق اغراضها .
- ٩ - تشير بريطانيا الحزازات والخلافات بين افراد الشعب الواحد عملا بالمبدأ القائل " فرق تسد " .

١٠ - تتعاون مع الدول الاستعماريه الاخرى مثل امريكا وفرنسا التي احتلت بلاد الشام - سوريا ولبنان كي تكرر التجزئه ويسهل بالتالي ابتلاع الفريسه ، وتعتمد أسلوب الخداع والمراوغه ، فتكذب ، وتتناقض مع نفسها وتتضارب أقوالها

ولكنها بارعه في حيلها لا يكشفها الا الذين صدق حسهم وازدادت تجربتهم هذا هو موقف بريطانيا منا ملاما ومقتضيا أما صدهاء في نفوسنا ورد الفعل عندنا فسنتحدث عن ذلك في الفصل المقبل بانشاء الله .



الفصل الثالث

- ١ -

جهاد أبناء فلسطين :

لقد اتضح منذ اليوم الاول لاحتلال بريطانيا فلسطين انها أعدت خطة مفصلة وبرنامجا عمليا لتمهيد لها وافتتاح المجال لجلب اليهود من الخارج اليها ، على أن تطرد أهلها الشرعيين أو تببدهم لان فلسطين برقعتهما الضيقه واقتصادها المحدود لا تتسع لكلا الشعبين ، ومن هنا فرضت من الاجراءات ما جعل العيلة جحيما لدى شعب فلسطين العربي ، والذي شعر بأن وطنه يختصب أمام ناظره وأن وجوده اصبح مهددا وحياته غدت رهشه في مهب الريح ، فلا غرابة اذا أن يثور بل من واجبه أن يلجأ الى الثورة كي يدافع عن حرمة وطنه المقدس ووجوده من ارض الاباء والاجداد .

نعم ان الشعب العربي في فلسطين لم يكن ساذجا بالدرجة التي تظن بها بريطانيا وحليفها الصهيونية العالمية ، بل كان يتمتع باحساس وطني حاد وقدره على استيعاب الاحداث والنفاز الى ما وراءها ، قد استطاع فعلا أن يعرف حقيقة ما يجري على أرضه ، وما تدبره تلك " الحليفة " من مؤامرات وماتسنه من قوانين جائرة كي تمهد لخلق جسم بشري غريب في هذه البقعة المقدسة من ديار الحرب ، غير مبالية بالسرائع والقيم ، ضاربة عرض الحائط ، بكل اليهود التي قطعتها على نفسها ويخطب " حاييم وايزمان " في نقابة الصهيونيين الانجليز في أواخر عام ١٩١٩ مدعيا أن حالة اليهود في أوروبا سيئة للغاية ، ويجب الاستعداد لترحيل مليون يهودي الى فلسطين ليكونوا عمالا مهرة واصحاب أموال ، وقد سبق له أن قال في محاضرة أخرى سابقة مانصه " أن هدفنا لا يزال الدولة اليهودية في فلسطين ولكن بلوغ هذا الهدف لا يأتي دفعة واحدة بل يجري على مراحل متعددة وأول هذه المراحل أن توضح فلسطين تحت حماية دولة صديقه كبريطانيا لتسهل لنا الهجرة والسكنى وتمكننا من تحضير الجهاز الاداري ، اللان بلوغ هدفنا ، وأن الحكومة البريطانية موافقة على

هذه الخطة ومستعدة لتسهيل تنفيذها (١) .

فهل بعد هذا يبقى هناك شك في نوايا بريطانيا المبيتة ضد شعب فلسطين بل والامة العربية كلها ؟ وهل هناك ايضاح بعد ذلك الذي جاء على لسان زعيم الصهيونية في ذلك الحين والذي اصبح اول رئيس لدولة العصابات الصهيونية عند انشائها في سنة ١٩٤٨ ؟ .

ان بريطانيا تتحمل وستظل تتحمل وزر انشاء دولة العصابات الصهيونية وطرد الشعب العربي من فلسطين ، ولن يغفر لها التاريخ عملها هذا .

ولكن ما هو موقف الشعب الفلسطيني تجاه هذا العداء السافر والحقد المكشوف

الثورة الاولى

بينما كان العرب يجرون احتفالهم التقليدي بالنبي موسى * بالقرب من مدينة القدس* في الرابع من نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٠ ان اعتراضهم بعض اليهود وتحرشوا بهم وحاولوا خطف العلم العربي واهانته ، قد ادت معركة بين البانبيين واشترك فيها الانجليز الى جانب اليهود وحاصرت القوات الانجليزية المدينة المقدسة التي استمر فيها القتال يومين وفي نهاية اليوم الخامس من ابريل اصدرت السلطات بلاغا ذكرت فيه ان عدد القتلى قد بلغ تسعة من اليهود وأربعة من العرب وبلغ عدد الجرحى مائتين وخمسين جريحا .

ولقد كان الشهداء الاربعة هم طليعة الشهداء العرب الذين تساقطوا على ارض فلسطين الغالية فيما بعد ، ولقد برز في الحادثة الانفة الذكر مدى تحيز الانجليز لليهود وتعصبهم وحقدهم على العرب الذين هم أهل البلاد الشرعيين والذين هم أمانه في عنق هذه الدولة الباغية كما تزعم حسب صك الانتداب الذي ابتزته من عصبة الامم المتهالكه ، كما أنهم حلفاؤها بالامس حين نانت تستجدي العون من العرب

(١) صالح مسعود بوبصير - جهاد شعب فلسطين ص ٨٦

ضد أخوانهم الترك ، ومن هنا نرى كيف وقع العرب فريسة غفلتهم ولقد ندموا أشد الندم ولكن بعد قوات الاون . يقول الشريف * حسين حين عاد مريضا الى عمان وليد فن بعد ذلك في المسجد الأقصى لاحد اصدقائه وهو على فراش الموت اياكم وتصديق الانجليز فكم ذقت مرا من صداقتهم التي هدمتني وهدمت العرب والاسلام (١)

ولم يمض وقت طويل حتى أقت السلطات البريطانية القبض على احد الرصاصاء العرب هو الامير محمود الزناتي ، وكان ذلك في ٢١ نيسان * ابريل سنة ١٩٢٠ * ووضعت في السجن فقامت الجماهير الغاضبة بمهاجمة السجن وأطلقت سراحه ثم مضت في ثورتها تهاجم الانجليز واليهود معا ، وقد نشب قتال ضار في سخن وبيسان وبعض القرى اليهودية التي فر منها أهلها تحت وطأة الثورة العربية ، وعلى الرغم من صغر هذا الشعب الفلسطيني وخروجه منها بعد الحرب واحتشاد القسوى البريطانيين في فلسطين ومصر والعراق والاردن والتي تؤيد لها الصهيونية العالمية فانه لم يستسلم أو يرضخ أو يياس وكان صادق العزم في الحفاظ على وطنه وعروبته باذلا في سبيلهما المصحح والارواح ، فلقد كانت الكرامة عند الانحن العربي أسوأ من الحياة نفسها والله در الشاعر العربي حيث يقول

لا تسقني كأس الحميلة بذلعة

بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

وقد قال أبو بكر رضى الله عنه * احرص على الموت توهب لك الحياة * نعم أن من يقتل في الفرار أكثر مما يقتل في الاقدام ، والمستميت لا يموت على أن كل عاقل يحرف أن حياة الشجاع في موته ، وموت الجبان في حياته

تأخرت استتية الحياة فلم أجد

لنفسى حياة غير أن أتقدم

هكذا كان شعار المجاهدين الصادقين تلهج به ألسنتهم وتحفظه أفئدتهم وتردده شفاههم ويشير هذا الموقف الصلب نائفة الجنرال * بولس * الحاكم العسكري حينذاك فيصدر بلاغا مليئا بالتهديد والنوعيد يقول فيه * أن في البلاد حكومة واحدة

فقط ، وهذه الحكومه هي أنا وأناى مجهز بقوةعسكريه هائله لسحق كل من يعكسر الامن وسأستخدمها فى المستقبل دون قيد ؟ (١) .

و نحن حين نطيل النظر فى البلاغ المذكور نخرج بانطباع سريع بأنه ينم عن عصبية ظاهرة وكبرياء أجوف واعتداد بالنفس يجاوز الصلف والغرور ولا شك أن هذه العصبية ترجع الى الخوف من اتساع نطاق الثورة والعجز عن السيطرة عليها وما يسببه ذلك من انهيار المخططات والمؤامرات التى تدبرها السلطات الظالمة وانزال ضربة قاصمة بهيبة بريطانيا التى كانت فى ذلك الحين أقوى دولة فى العالم لاتغيب الشمس عن امبراطوريتها والتى جاءت فى الاصل مسالمة مظهرة بصد اقة العرب والتحالف معهم ، ولقد ألفت المنشورات تزعم فيها انها جاءت متحالفة مع الشريف حسين لانقاذهم من الاحتلال العثمانى والعمل على تحريرهم ووحدهم ومن أجل ذلك فإن العرب لم يحملوا السلاح فى وجهها وخدموا بظهرها الزائف فلما تكلفت لهم حقيقتها والتقطوا أنفاسهم بعد قرون من الاحتلال العثمانى وعقب ما عانوه من الحرب أخذوا يعدون العدة للمطالبة بحقوقهم والوقوف فى وجه عدوهم المزدوج " المشترك " أى بريطانيا وحليفتها الصهيونية ولقد بلغت الوقاحة بونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانى حينذاك أن يقف فى القدس فى ٢٨ من مارس سنة ١٩٢١ يمجّد قتلى الصليبيين والمياكيين اليهود ، فتظاهر العرب ضد خطابه هذا منددين بالخيانة البريطانىة للعرب ، وهاتفين بسقوط بلغور ووعده وحذومته وتتصدى لهم القوات البريطانىة تطلق عليهم رصاص بنادقها فيسقط العديد منهم صرعى ، ولكن الهياج يشتد وتموج البلاد من أقصاها الى اقصاها بالاحتجاجات والمظاهرات ولقد كان الشعب العربى فى فلسطين فى موقفه هذا وحيدا حيث حالت بريطانيا دون وصول أى مساعده خارجيه اليه كما منعت تسرب أنباء ثورته الى الخارج فكانت فلسطين سجنا كبيرا يقبع فيها هذا الشعب الصغير الذى رماه سوء طالعهم بين وحشين كاسرين هما بريطانيا وحليفتها الصهيونية العالميه فكانا كالاخطبوط الذى يلتف حول ضحيته فيمنعها من الحركة لتختنق فى بطنه وتصبح بعد ذلك فريسة سهلة له .

(١) جريدة الاهرام ٩ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٠

الثورة الثانية سنة ١٩٢٩

ولقد لجأت بريطانيا الى الدعاية كثيرا كي تمتص نفمة العرب وتضللمهم وعرضت عليهم انشاء وكالة عربية شبيهة بالوكالة لليهود ، وقد رفض العرب هذا المشروع وقدم رئيس اللجنة التنفيذية " موسى كاظم المحسن " مذكرة للمندوب السامي البريطاني بتاريخ ٩ تشرين الثاني " نوفمبر " سنة ١٩٢٣ ~~بموجبها~~ الاسباب التي حدثت بالعرب الى رفض المشروع وجاء في المذكرة " ان الغاية التي يفسدها العرب في فلسطين ليست وكالة عربية مشابهة للوكالة المنصوص عليها في المادة الرابعة من ذلك الانتداب ، انما الذي يطلبونه ولا يقبلون عنه بد يلا هو الاستقلال الذي جاهدوا في سبيله منذ زمن طويل ، ووعدهم به بريطانيا العظمى وحلفاءها ، والذي انضم العرب من أجله الى جانب الحلفاء أيام الحرب الكونية واشتركوا فيها . (١)

ولقد وضحت المذكرة السابقة ان العرب يرفضون مشروع الوكالة لانها أقل صلاحيات من المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري اللذين عرضتهما بريطانيا لانهما لا يحققان الهدف الذي يسعى اليه شعب فلسطين ويصر عليه الا وهو الاستقلال دون قيد أو شرط . كما أنه من المستحيل على عرب فلسطين - اصحاب البلاد - ان يقبلوا مساواتهم باليهود الدخلاء ، وهكذا كان لابد للصراع من أن يستمر فها شعب صغير صاحب حق في أرضه ووطنه ، يريد ويصر أن يكون صاحب الكلمة الاولى والاخيرة في مقدرات وطنه . ولكن في الوقت نفسه هناك قوة عسكرية وسياسية هائلة تمثلها بريطانيا العظمى أقوى دول العالم حينذاك تساند ها الصهيونية العالمية تسعى الى القضاء على هذا الشعب الصغير وتشريد ولسلب أرضه ومقدراته ، ومحو عروبة فلسطين وتهويدها بكل الطرق والاساليب .

ففي يوم ٢٠ من أغسطس سنة ١٩٢٩ اشتبك العرب مع اليهود في القدس عند " مقر " البراق " الذي يزعم لليهود أنه حائط المبكى ونتج عن هذه المعركة ٢٨ قتيلا

(١) ناجي علوش - المقاومة العربية في فلسطين ص ٤٧

من اليهود و ١٣ قتيلا من العرب كما جرح ١٠٧ أشخاص ، وسرت أنباء هذه المحركة الى مدينة الخليل فاشتبك العرب فيها مع اليهود وقتلوا ستمين منهم وجرحوا خمسين آخرين ، وقام العرب بالهجوم على مراكز الشرطة التي كانت تساند اليهود وتقفد وما الى جانبهم حدث ذلك في الخليل وصفد والقدس وغيرها من المدن ورغم أن العرب كانوا عزلا من السلاح الا أنهم تمكنوا من الايقاع باعدائهم من اليهود والانجليز ، ولم يبالوا بالتضحيات الجسيمة التي كانوا يقدمونها رخيصة في سبيل هدفهم الاسمي الا وهو تحرير الوطن العزيز من الدخلاء والمستعمرين . ولكن بريطانيا العظمى تستمر في غفلة عمياء وتصر على تهويد فلسطين فتستدعي قواتها من كل مكان لترهب بها شعب فلسطين الصغير والشجاع فتخلق أسراب الطائرات فسوق الحرم القدسي والمسلمون يؤدون صلاة الجمعة في ٣١ من أغسطس عام ١٩٢٩ ، ويستمر هذا الطغيان الانجليزي وتتشدد بريطانيا قبضتها على حدود فلسطين بالتعاون مع فرنسا المستعمرة والتي تحتل سوريا ولبنان حتى تمنع كل معونه محتمل وتسلسط جيشها على العرب في بلدة * المسحة * فيسشهد ٢٤ عربيا ليلة الثالث من سبتمبر * أيلول * سنة ١٩٢٩ * (١)

ويفتخر بذلك وزير المستعمرات فيعلن أن الطائرات البريطانية استطاعت أن تقمع * التمرد * العربي في فلسطين ، كما توجه السلطات البريطانية طائراتها لمهاجمة القبائل العربية في النقب ، ولم يكفها كل هذه القسوة ضد شعب يريد الحرية لوطنه فتقوم بتوزيع السلاح على اليهود فضلا عن حمايتها لهم وتسخير كل قواها من أجل أمنهم ورفاهيتهم متكره لكل المبادئ والاعراف .

يقول كاتب عربي عاصر تلك الاحداث * أن الثورة التي امتدت خمسة عشر يوما قتل وجرح خلالها ٤٧٢ يهوديا وكانت ضحايا العرب ٣٣٨ بين جريح وقتيل (٢)

ولقد كانت هذه الثورة العارمة التي اجتاحت فلسطين من أقصاها الى أقصاها ووقف فيها الشعب الفلسطيني الأعزل الا من ايمانه بحقه امام قوتين جبارتين لا يقبل

(١) جريدة الاهرام الصادرة في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٩ م

(٢) عيسى السفري - فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١٦

المذله والهوان ولكنه يقاتل بشراسة المستميت وبريطانيا تمالي الصهيونية العالمية فتحقق اليهود الدخلاء ، وتحمل في اصرار على تهويد فلسطين فتلجأ بالتهديد تارة وبالخداع أخرى ، محاولة شق الصف الوطني وامنياس نغمته وتشتيت قوا مستقلة الى أبعد مدى - ضعف العرب وفرقتهم ووجود زعامات ضعيفة هشه تقودهم الى مزيد من الانزلال والهوان وسنرى كيف استطاعت أن تسخرهم وتدفع بهم كي يتدخلوا لصالحها .

وعلى الرغم من أن كل الشرائع والقوانين تفرض على الانسان أن يدافع عن نفسه وأن يتخذ الوسيلة المناسبة التي تحقق له ذلك نرى المندوب السامي البريطاني يندد بالحرب ويصفهم بالاجرام لانهم ثاروا مطالبين بحقوقهم في البقاء والحريه ويزعم أن الحرب اعتدوا على اليهود الامنين بنقض النظر عن النوع أو السن ولكن العرب الذين دهموا من صفاقة المندوب السامي وتزييفه يردون عليه مؤكدين وموضحين له ولنغيره مخالطاته الشنيعة ، فأثبتوا بالادلة القاطعه أن اليهود هم الذين بدأوا بالعدوان ، وأنهم قتلوا النساء والاطفال والعزل من السلاح كما أن القسوات البريطانيه فعلت الصنيع نفسه كما حدث في قرية " صور باهر " ويقول البيان العربي في رده على المندوب السامي " أن العرب يعتقدون كل الاعتقاد أن تحقيقات نزيهه كتلك ستروى للعالم حكاية حالهم الان في هذه الاضطرابات الحاضره أكثر صدقا مما صورتوه للعالم في منشوركم الصادر قبل اعطاء العرب فرصه ليرسم صوتهم (١)

ولكن المندوب السامي يضم أذنيه عن سماع الحق العربي ويندفع في عداوته السافره لهم " فيعتقل المئات من الشباب ويصدر الحكم بأعداد ٢٠ عربيا " وقد نفذ فوراً في ثلاثه من الشهداء وهم فؤاد حجازي - وعطا الزير - ومحمد جمجوم - كما حكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهداً وحكم على ١٨٧ عربيا بالسجن بمدد تتراوح بين ثلاثة أعوام و ١٥ عاماً وتنوعت الاحكام حتى بلغ عدد المحكوم عليهم من العرب ٧٩٢ شخصاً . وفرضت فرامات ماليه على عدد من القرى العربيه ، وحددت اقدمية كثير من الزعماء في أماكن نائيه من فلسطين (٢) .

(١) محاضرات في تاريخ فلسطين ص ٢٢٤

(٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ص ٦٨

وأخذت احكام الاعدام والسجن والارهاب وتحدد الاقامة تتوالى على الصرب
بنخبة ارهابهم وتخويفهم ، أما اليهود فلم يصدر حكم بالاعدام علي احد منهم سوى
واحد يحمل شرطيا دخل على أسرة عربية آمنه مكونه من سبعة أفراد فأبادها بمساحه
الحكومي * ولكن هذا الحكم يستبدل بعد ذلك بالمؤبد ثم خفض الى خمسة عشر
عاما ثم أطلق سراحه فيما بعد .

أما الابطال الثلاثة الذين نفذ فيهم حكم الاعدام قبل غيرهم وهم فؤاد حجازي
وعطا الزير ومحمد جمجوم فقد تقدموا الى الموت بثبات دون خوف أو وجل مرحبين به
في سبيل أن يعيش وطنهم حرا وتظل أمتهم العربية كريمة أبية .

ولم تكثف السلطات اليهوديه باعدام المجاهدين أو سجنهم أو تشريد هم بل
فرضت غرامات مالية ضد القرى العربية ، كما أنها ضاعفت الضرائب كي تتفق على
العمال اليهود العاطلين والذين ضللتهم بريطانيا والصهيونية فقدوا الى فلسطين
وليس فيها متسع لهم فعاشوا كالطلق على دماء الشعب العربي المرهق ، وقد زاد ذلك
من عنائه ، وضاعف من عجزه عن الحياه بعيدا عن العوز والفاقة .

وقد كان الشعب العربي في فلسطين في أمس الحاجة الى العون من ابرائهم
في البلدان العربية المجاوره ، ولظالما صدرت نداءات تهيب بالطور والرؤساء
الحرب أن يتبرعوا ببعض المال من أجل عروبة فلسطين وحرية شعبها ، ولكن - للاسف
لم تكن المشاركة العربية الا مشاركة محنويه تتمثل في البرقيات وخطابات التأييد ، ولكن
هل تجدى هذه المشاركة في كسر حدة الهجمة الشرسة ؟ وهل تفيد هذه المشاركة
في مساعدة المسجونين والمصابين والمنكوبين من ابناء هذا الشعب المنكود ؟

* ويكتب الامير المجاهد شكيب ارسلان منددا بموقف العرب والمسلمين وخلفتهم
ازاء نكبة الارض المقدسه ، مقارنا بين مجموع التبرعات التي احصاها واصلة فلسطين من
جميع الهمتمين بها فكانت ثلاثة عشر الف جنيه ، وبين النشرة الصهيونية التي تحصي
تبرعات اليهود الى منكوبيهم في نعر الثورة فكانت أكثر من مليون جنيه ، بالاضافة الى
الملايين الاخرى الخاصة بالمشاريع الاقتصادية التي تتفقها الصهيونية هنالك .

وعلى الرغم من نداءات عرب فلسطين الملحة في طلب العون المادي فان تبرعات

العرب وزعمائهم لم تكن الا دراهم معدوده اذا قيست بالملايين التي تسفد السي
اليهود من بقاع الارض المختلفه حتى من يهود البلدان العربيه المجاوره والذين
كانوا يتصرفون في اقتصادها وكانهم اسيادها الحقيقيون ، كما هو الحال في مصر
والعراق وشمال افريقيا حيث كان اليهود يسرحون ويمرحون ويتحكمون في اقتصاد
البلاد المذكوره وتجارتهما .

ثورة القسام سنة ١٩٣٥

كانت الثورة الكبرى سنة ١٩٢٦ حلقه من سلسلة متصله من الثورات والاضرابات
والصدام بين الشعب العربي في فلسطين من جهة وبين بريطانيا وحليفتهما
الصهيونيه العالميه من جهة اخرى فقد تعاقبت اعمال العنف والاشتباكات الدمويه
بين الجانبين فوقع اول هذه الاضطرابات في القدس في ابريل (نيسان) عام
١٩٢٠ ثم وقع اضطراب في مايو (ايار) ١٩٢١ في منطقتي يافا وطولكرم ثم تجددت
الاضطرابات في ربيع عام ١٩٢٢ في القدس مرة اخرى ، اما في اغسطس عام ١٩٢٩
فقد وقع اضطراب عام وثورته عارمه في جميع أنحاء فلسطين . وفي اكتوبر (تشرين
الاول) عام ١٩٢٣ وقع صدام في يافا والقدس على اثر مظاهرات صاحبه قام بها
الحرب احتجاجا على سياسة الحكومه الظالمه .

وفي عام ١٩٣٥ اشتد التدمير والاستياء من تصرف السلطات ومحاولتها المستمره
لقهر الشعب العربي وسلب ارضه وفتح باب الهجرة على مصراعيه امام عصايات اليهود
الذين لفظتهم بلدانهم الاصليه نظرا لتفوقهم وعدم اندماجهم في الشعوب التي
آوتهم ، واحساسهم بانهم عنصر متميز (شعب الله المختار) فعاشوا مئات السنين
في وهم كاذب يرددون اسطورة خرافيه بعيدة كل البعد عن الديانه اليهوديه
الحقيقيه ، وقد اثمر هذا التدمير قيام ثوره على راسها الشيخ عز الدين القسام
الذي كان بطلا من أبطال الاسلام وداعيه من دعائه المخلصين ، وقد اشترك من قبل
في الثورة العارمة التي قامت في سوريا ضد الفرنسيين ، ولهذا لم يكن درسه في مسجد
حيفا الكبير خاصا بالامور الدينية بل كان يعالج فيه مشاكل الشعب السياسي والاجتماعيه
حانا تلاميذه على الاستعداد للجهاد وعدم الخضوع للمستعمر الناصب ، وقد ترجم

أقواله الى أفعال فحمل السلاح مع مجموعة من رفاقه والتجأ الى الجبال يعلن الثورة ضد الغاصب الدخيل يترصد جنوده ويقطع مواصلاته ويفتك بأذنيه وأعوانه ، وفي يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) حاصرت قوات الاحتلال البريطاني عرين البطل المجاهد ودارت معركة في غابة " يعبد " بمنطقة " جنين " انتهت باستشهاد القائد وبعض رفاقه وأسر الباقون من عصبته المؤمنه ، ليسجنوا ويعدنوا طويلا في سجون الاستعمار ، وذهب القسم البطل المجاهد الى ربه شهيدا فجدد في النفوس معنى التضحية والاعتزاز بالبطولة ، وقوى من عزائم شعب فلسطين الأبي برغم قلة الحتاد وضآلة الزاد . (١)

وقد رثاه الشاعر فؤاد الخطيب فقال :

أولت عما ملك العمائم كلها	شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزمامة والطريق مخوفة	غير الزمامة والطريق أمان
مائت أحسب قبل شغصك أمة	فسي برد يته يضمها انسان
يارمط عز الدين حسبك نعمة	في الخلد لاغنت ولا أحزان
شهادة بدر والبقوع تهللت	فرحا هن مرحبا رضوان

الثورة النجدي سنة ١٩٢٦ - سنة ١٩٢٩

كان لثورة الشهيد البطل " عز الدين القسام " التي ابدأت سريره ثم أعلنت عن نفسها صدى في جميع أنحاء فلسطين ، فقد أجمت نار الحماسة فسي نفوس أبناء الشعب الذي آلى على نفسه أن يخيش حرا أو يستشهد أبناءه فسي ساحة المجد والشرف ، أما بريطانيا فقد هالها صمود هذا الشعب ومقاومته للقوات البريطانية المدججه بالسلاح الوفيرة العدد طيلة أسابيع متلاحقة دون كسل أو ملل رغم قلة عدده وعتاده ، وهنا أرادت بريطانيا أن تجهب الثورة التي كانت فسي

(١) صالح مسعود بويسير - جهاد شعب فلسطين في نصف قرن ص ١٧٦

دور المخاض وقررت على أن تقطع الطريق عليها فأصدر المندوب السامي البريطاني اعلانا - للتهدير - بحزمه على تأسيس مجلس تشريعي يكون عدد العرب فيه مناصفة ، الا أن هذا المشروع ولد ميتا إذ رفضه اليهود بعنف وقوة فتراجعت السلطات عن تقديمه رغم ضعفه وتحيزه الى جانب اليهود وضد مصالح العرب وتوضيح ذلك يعود الى أن اليهود كانوا وما زالوا يريدون اغتصاب فلسطين كلها بل هم يصرون على تكريس شعارهم القائل " من النيل الى الفرات أرضك يا اسرائيل " وها نحن نرى أنهم قد حققوا الكثير من شعارهم ، فمتى يستيقظ العرب من سباتهم ؟

أما عرب فلسطين فلم يقفوا مكتوفي الايدي تجاه هذا العبث بمصيرهم وكرامتهم وكانت نفوسهم مشحونه بالغضب تغلى بالمسخط والكراهية ضد المستعمرين والصهاينة فتظاهروا معلنين سخطهم على سلطات الانتداب وتطالبت الاحدك والاضطرابات حتى أعلن الاضراب العام في العشرين من ابريل (نيسان) ١٩٣٦ وقد عم البلاد كلها بشمول واستمرار لم يسبق لهما مثيل في التاريخ . وقد استمر طيلة ستة أشهر كامله تعطلت الحياة فيها حتى اصيبت بالشلل مما لفت نظر العالم الى الارادة العربية الصلبة ، وأخذت صحف العالم تتابع هذا الحدث الفريد في نوعه ولقد تكونت خلال هذا الاضراب لجنة عربية عليا شملت معظم الاحزاب السياسية الموجودة حينذاك ، وقد أعلنت هذه اللجنة أنها ستظل تدعو الشعب الى الاضراب والجهاد ريثما تجاب مطالبه التي حددتها فيما يلي :

- ١ - وقف المهاجرة اليهودية نهائيا .
- ٢ - منح انتقال الاراضي الى اليهود .
- ٣ - انشاء حكومه وطنيه في حياة برلمانيه .

ولقد تلفت عرب فلسطين الى ملوك وامراء ورؤساء الدول العربية عليهم يجسدون عوننا لديهم ولكن صمت الاذان عن سماع نداءات الاستغاثة فلا أحد يمد يد العون ولا أحد يحاول انقاذ الاماكن المقدسه . ومع ذلك استمر الاضراب ، توقفت التجار والمحامون والطلاب والاطباء عن ممارسة أعمالهم ، ورفض الفلاحون انزال محصولاتهم الى الاسواق ، ولم تبق الا الصيدليات تبيع الدواء والافران تبيع الخبز ، واحتل الشعب قسوة الحياة في ايمان راسخ وصبر لا يكل .

وفي ٧ مايو سنة ١٩٣٦ دعت اللجنة العليا للجان القومية في فلسطين لعقد مؤتمر وطني في القدس تقرر فيه اعلان المصيان المدني والامتناع عن دفع الضرائب ابتداء من ١٥ مايو ونفذ القرار في حينه ، وبدلاً من أن تعالج الحكومة الامور بالحكمة وتحقق للشعب مطالبه كلها أو بعضها أضرت الثورة وأشعلت فتيلها اذ أعلنت في ١٨ مايو جدول الهجرة الذي يتضمن قدم ٤٥٠٠ مهاجر يهودي في النصف الثاني من السنة * (١) .

وكان لهذا التصرف من جانب الحكومة أسوأ الاثر في نفوس العرب ودفعهم لفعلا الى الثورة المسلحة اذ رأوا أنها السبيل الوحيد أمامهم لاسترداد وطنهم وكرامتهم ومن هنا فقد تألفت الجماعات الفدائية وقامت بقطع طرق المواصلات ونسف السكك الحديدية والتخلص من الخريفه والسمايرة وشن الغارات على جنود الاحتلال ومحسراته وأخذت الثورة تتسع وتشتد وقد توحدت قياداتها وتقاطر اليها المتطوعون من كل حدب وصوب وشارك في ذلك أبناء الاقطار العربية المجاورة من سوريا ومصر والعراق والاردن وسالت دماؤهم المزيكه لتروى اثرى الارض المقدسة

من كل قطر عربي فتية
هبت على الوادي واجرت دمها
ثائرة ترعى أصول المحتد
متحداً باللدم المتحد

وقد أثبتت هذه المشاركة حقيقة الوحدة العربية ورسوخ القومية الواحدة وعند الشدائد يعرف الاخوان ، كما تمثلت الوحدة الوطنية بأجلى مظاهرها حين وقصف العربي المسلم بجوار أخيه العربي المسيحي ضارياً بذلك أروع الامثال في الوحدة وفوقها على العدو ومكيدته للتفريق بينهما عملاً بالشعار القائل " فرق تسد " .

ولقد بلغت الثورة ذروتها حين أقبلت نجده عسكريه من العراق بقيادة البطل " فوزي القارقي " فأخذت تنظم الفصائل وتختار القيادات ، وتؤلف المحاكم العسكرية وتحشد الكتائب ، وتجهز العدة والعتاد ، ثم كان لذلك أثر بالغ على العدو والسدي توالى عليه الغارات وقطعت خطوط مواصلته وهوجمت محسراته فسقط جنوده بين قتلى وجرحى ، كما أن العرب قد تساقط الكثير من بينهم شهداء ، ولكنهم لم يتراجعوا

(١) الدكتور كامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ١٥٦

أو يجبنوا لايمانهم بأنهم يحاربون من أجل الحق ، من أجل الوطن والعقيدة . ومن أشهر القادة في هذه الثورة الشيخ محمد الأشمر وسعيد العاصي إضافة الى القائد البطل " فوزي الفاوقجي " . . . وقيل توحيد القيادة كانت هناك قيادات فلسطينيه في جهات مختلفة من البلاد علي رأس كل قيادة قائد مشهور ، ومن هؤلاء القادة عبد الرحيم الحاج محمد ، وعارف عبد الرازق والشيخ يوسف أبودرة ، وتحت امرة كل قائد عدد من المجاهدين . وألف في كل قرية وناحيه فصيل سمي باسم قائده عربي في التاريخ ومن تلك الاسماء فصيل خالد بن الوليد وفصيل أبي عبيد بن الجراح ، وفصيل طارق بن زياد وهكذا . (١) .

ولقد وقف المجاهدون - برغم قلة عددهم وعدتهم - أمام قوات الاحتلال البريطانيه موقف الند للند وكانوا لها الصاع صاعين في معارك طاحنه استمرت طويلا واتسعت جبهاتها وتعددت الاسلحة المستخدمه فيها ، فقوات الاحتلال لم تترك سلاحا لديها الا استخدمته من البندقية حتى الطائره بل انها كانت تتدخل بطائراتها في معظم المعارك اعساسةا منها بأن قوتها الماديه رفقت سلاحها هما اللذان يحققان لها التفوق ، وأنه لو اتحد السلاح أو تماثل لكان الوضع مختلفا فأنى لها أن تنتصر على اصحاب حق نذروا أنفسهم لله وللوطن . ولكنها لا تقف عند حد استخدام السلاح المتطور ضد شعب يكاد يكون أعزل الا من ايمانه بحقه وبعض السلاح المتواضع ، فتعمد الى أساليب المكر والعدا ، وتلجأ الى زعماء الحرب في ذلك الوقت وتطلب منهم الضغط على عرب فلسطين ، بعد أن فعلت المستحيل من أجل ايقاف الثورة وفشلت . وفعلت ان الزعماء العرب عند حسن ظن حليفتهم بهم فجاؤا نداء موحد من الزعماء . الملك عبد العزيز آل سعود ملك السعوديه والملك فازي ملك العراق والامام يحيى حميد الدين ملك اليمن والامير عبد الصامير شرقسي الاردن وهذا نصه الذي أعلنته اللجنة العربيه العليا في فلسطين :

الى أبنائنا عرب فلسطين

لقد تألمنا للمسالمة الساعده في فلسطين ، فدعنا بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاق للسكينة حقنا للدماء ، محتتمدين على حسن نوايا

صد يفتنا الحكومه البريطانيه ورفقتها المحلنه لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل
السعى فى سبيل مساعدتكم * (١)

وأذاعت اللجنة العربيه العليا هذا النداء فى ١١ اكتوبر سنة ١٩٣٦ مع بيان
منها أعلنت فيه أنها قررت - بالاجماع وبعد موافقة اللجان القوميه - تلبية نداءات
الملوك وسمو الامير عبد الله وأنها تدعو الامة العربيه الكريمة فى فلسطين الى انهاء
الاضراب اعتبارا من يوم الاثنين ١٢ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وأن يبكر أفراد الامة نسي
صباح ذلك اليوم الى محابدهم لاقامة الصلاة على أرواح الشهداء ، والشكر لله
على ما ألهم من صبر وجلد ، ثم يخرجون من المحابده افتح مخازنهم وحوانيتهم
ومزاولة أعمالهم المعتاده . (٢)

وقد أنهى العرب فى فلسطين ثورتهم بعد اضراب يعد الاول من نوعه فى
التاريخ ، فقد استمر ستة أشهر تقريبا ، ولقد ألهمت هذه الثورة شعراء فلسطين
والاقطار العربيه العديد من قصائدهم ، ومن أشهر هؤلاء الشعراء ابراهيم طوقان
فى قصيدته الشهيد والفدائى وأبوسلى فى قصيدته جبل النار وفلسطين ، وعبد
الرحيم محمود فى قصائده الشهيد والشعب الباسل ودعوة الى الجهاد ، يقول
ابراهيم طوقان فى قصيدته " الشهيد "

عس الشطب فابتسم	وطفى الهول فانتقم
رابط الجأش والنهسى	ثابت القلب والقدم
لم يببال الاذى ولم	يتنه طارىء الالم
نفسه طوع همسة	وجست دونها الهمم
تلتقى فى مزاجهما	بالعصا صير والحمم
تجمع الهائج الخدم	الى الراسخ الأشمم
وهى من عنصر الفدا	ومن جسر الكدم
ومن الحسق جسدوة	نفسها حمر الامم (٣)

(١) أكرم زعيتر - القضية الفلسطينية ص ١٠٣

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤

(٣) ابراهيم طوقان - الديوان ص ٣٦

ولما كانت الشهادة في سبيل الله والوطن وساما يسعى لنيه كل شجاع شريف
فقد تساهلت الشجرا لتمجيد الشهادة ورتاء الشهداء والاعتزاز بهم ومن هؤلاء
الشجرا الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود حيث يقول من قصيدته بعنوان البطول
الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد والذي استشهد في ٢٦ ربيع سنة ١٩٣٦ :

أيها القائد لسم خلفتنا	ولمن وليت تصرف الجنود
أقفر الميدان من فرسانه	وخلا من أهله غاب الاسود
خمدت نار لقد أضرمتم بها	لعدا كانوا لها بعض الوقود
والحمى قد ريج يا ذخر الحمى	وفدا بعدك منقوض الحدود
لم أكن قبلك أدرى مالسذى	يرخص الدمع ويودى بالكبود
كل بيت لك فيه ماتسم	يندب الناس به أغلى فقيده (١)

كما يقول في قصيدة أخرى بعنوان الشهيد متحدنا فيها عن نفسه وموضحا مذهبه في
الحياة وأصراره على الفداء والتضحية في سبيل وطنه حتى ينال الشهادة :

سأحمل روحى على راحتي	وألقي بها في مهاوى الردى
فلما حياة تسر الصد يمى	وأما مصات يغيظ العدا
ونفسى الشريف لها غايتان	ورود المنايط ونيسل للمنسى
وما العيش لأعشت أن لم أكن	مخوف الجناب حرام الدمى
إذا قلت أصغى لى العالمون	ودوى مقالى بين السورى (٢)

نعم يجب أن يكون هذا شعار كل عربى يستعذب الموت في سبيل الله والوطن ولا يجد
للحياة طعما إذا خلت من العزة والحرية ، فما معنى الحياة الذليلة المهينة التى يحس
فيها الانسان انه فقد فيها احترام الناس له بله احترامه لنفسه ؟

كما يرى فيها الفاضل الدخيل يسبح ويمن في وطنه وأرضه دون رقيب أو حسيب
ان الانسان العربى المسلم لا يمكن أن يقبل هذا الوضع مهما كانت التضحيات واللحس
سبحانه يقول " والله العزة ورسوله وللمؤمنين "

حقا لقد كانت الثورات المتتابعة في فلسطين وتساقط الشهداء على أرضهم

(١) عبد الرحيم محمود - الديوان ص ١٢

(٢) المصدر السابق ص ١٢

المقدسه ينابيع ثرة ووحيا خصبا للشعراء والادباء ، تحرك قرائحهم وتمسز وجدانهم وتدفعهم دفعا للتعبير عن مشاعرهم واحاسيسهم ، ولكن هل توقفت الثورة بعد تدخل الملوك والزعماء العرب ؟ الجواب على ذلك هو بالنفي ، فلم يدم الهدوء عقب تدخلهم الا اربعة شهور كانت بمثابة فترة استراحة للمحارب تم خلالها تنفيذ حكم الاعداء في بعض الشبان العرب ، وتسلمت الجمعية الصهيونية شهادات للمهجرة اليهودية كما أعلن عن استعداد عشرة الاف يهودي بولندي للرحيل الى فلسطين وهكذا تثبت بريطانيا " صداقتها " للزعماء العرب وحرصها على تنفيذ " العدل " تجاه شعب فلسطين ؟ .

ومن ثم عهد العرب من جديد الى امتشاق الحسام والعودة الى الوسيطة الوحيدة ، لاسترداد الحقوق الا وهي الجهاد والغدا ، فحدثت حوادث متفرقة هنا وهناك ، واستمرت بريطانيا تصوم الشعب العربي في فلسطين الخسف والملاحقة وأعطت قوادها وضباطها صلاحيات واسعة في الجور والظلم والاضطهاد ، ومارست كل أساليب القمع ضد شعبنا العربي في فلسطين ، ففجرت فيه كل قوى التحدي وجابه العنف بالعنف .

اذا لم تكن الا الاسنة مركبا فما حيلة المضطر الا ركوبها

وهل يلام الشعب العربي في فلسطين اذا رفع راية الثورة وعلم الجهاد في سبيل حريته ؟ ان من واجبه أن يثور ، ولورضى بالمذلة لكان ذلك عارا لا بد ومبينة الدهر ، وأخذ العرب يتصيدون قادة الاحتلال وضباطه الذين اعماهم الحقد عن الحق فمارسوا الاضطهاد والاذى والتكيل بالمسجونين والاهالي العزل من السلاح ولم يكن الاغتيال يتم الا بعد انذارهم بالكف عن ملاحقة أفراد الشعب أو تحذير المسجونين ومن الذين اغتيلوا سنة ١٩٣٧ حاكم لواء الجليل المسمى " اندروز " و " جوردون " أحد مساعدي حنام الالوية " وحليم بسط " مساعد مدير الشرطة وحاكم جنين المدعو " موفات " وغيرهم ، مما دفع بالسلطات البريطانية الى اعتقال العديد من العلماء والاطباء والمحامين والمنقذين ، وأعضاء اللجان القوية ، وحلت اللجنة العربية العليا ، وعزلت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، ونفت الى جزيرة سيشل بعض أعضاء اللجنة وحرمت على الاخرين الذين استطاعوا الافلات العودة الى البلاد .

وقد اعتصم السيد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالمسجد الأقصى ثم تمكن من الهرب ووصل الى بيروت في ١٧ أكتوبر * تشرين الاول * سنة ١٩٣٧ وقد نتج عن هذه الحوادث سقوط القتلى والجرحى ودمرت خطوط السكك الحديدية وقطعت طرق المواصلات وهوجمت مراكز الشرطة والمستعمرات اليهودية كما حدثت اعتقالات عديدة ونفذ حكم الاعدام في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٧ في الشيخ فرحان السعدى البالغ من العمر ثمانين عاما ، وقد استنكرت الشعوب العربية الاسلامية جرائم بريطانيا هذه وقد مات احتجاجات عليها ، ولكن ماذا تجدى هذه الاحتجاجات لدى خصم لا يفهم الا منطق القوة ؟ .

ولقد فهم الشعب العربي في فلسطين هذه الحقيقة ، فلم تزد تلك الاجراءات التحسينية الا تضييكا على مواصلة النضال ، واستمرت ثورته قوية هادئة خلال عام ١٩٣٨ والشعب يسير وراء قيادته في عزم واصرار وطاعة مطلقه مما جعلها تيسر اذ رسوخا في نفسه وتحقق اكبر الاثر على الصعيد المقابل ، وبلغ من قوة الثورة أنها احتلت العديد من المدن واطلقت المساجين كما حدث في بئر السبع والقدس والخليل وطبريا ، كما كانت تنفذ احكام الاعدام في الوقت المحدد ، وكان الشعب يطيعها ويأتمر بأمرها مما أربك السلطات البريطانية وأفقدتها توازنها .

وتحشد بريطانيا حملة قوامها ٢٥ ألف جندي تحت قيادة الجنرال * هايين * لكسر شوكة الثوار واستعادة المدن التي حررها الثوار مثل رام الله وبيت شعب واريحا وغزه ثم تقول البرقيات " انه ليستحيل تطويق كل قرية من قرى فلسطين والبالغ عددها ألف قرية (١)

ويستقبل الشعب المشهور التالي بعزمه لاتعرف الكل واراده لاتعرف الضعف والتراجع متمثلا بقول الشاعر العربي :

اذا همم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
وقد دفع شعب فلسطين الدثير والكثير من دماء ابناءه وثروته لتكوين وفودا لهذه الثورة الطارئة وقد استشهد الالف وجرح الالف وبلغ عدد من اعتقل لمدد مختلفه خمسين ألف شخص وحكم بالسجن المديد على اكثر من ٢٠٠٠ شخص في عام ١٩٣٨ ،

وحده كما ندم اكثر من خمسة الاف منزل ، واصبح حكم الاعداء مستلابا لمن يحمل ولو
رصاصة واحدة .

ان اقل ما يقال في موقف الحكومة البريطانية ازاء الثورة انه لم يكن مشرفا ولكن
الحكومة لم تكن منصفه ، فقد لجأت الى سياسة البطش والارهاب لاسكات الشعب
العربي الذي لا يطلب غير العيش بحرية وسلام في بلاده الحزيرة عليه ، بدلا من
ازالة الاسباب الدائمة للاضطرابات في فلسطين . ولتنفيذ هذه السياسة سـنفت
القوانين الجائرة التي تجعل من المندوب السامي دكتاتورا اوسع سلطه من
موسوليني وهتلر . (١) .

وفي الوقت الذي كانت فيه السلطات البريطانية تعامل العرب هذه المعاملة
القاسية كانت على النقيض من ذلك مع اليهود واعتداءتهم . ان كانت تتفاضى عن
جرائمهم وتمالئهم وتمسكت عنهم حتى لو اعتدوا على جنودها كما حدث حينما هاجم
اليهود قطار يافا القدس واطلقوا النار على الركاب العرب والجنود البريطانيين
الذين يتولون حراسته . اما اعتداءتهم على العرب فلا تحصى ولا تعد فضلا عن
وجودهم نفسه في وطن غيرهم دون ارادة اهلهم فهذا اكبر اعتداء في حد ذاته .

ان اعمال الاغتيال والتخريب التي قام بها اليهود أثناء ثورة فلسطين عد يـدرة
يضيق المقام عن سرد حوادثها ، والغريب ان يقوم المندوب السامي البريطاني وزير
المستعمرات بشكر اليهود على مسالمتهم وضبط اعصابهم وعواطفهم ، ولذلك نسرى
هذا الموقف الغريب من الحكومة ، فقد قصرت تطبيق قوانينها الجائرة على العرب
فقط اما اليهود فقد تركت لهم الحبل على الخارب وتأنهم فوق القوانين ولم تدسرس
عليهم ادنى سلطة تشعرهم على الاقل بوجود حكومة تدبر شئون البلاد ، ومن هنا
كان احساسهم بانهم - اليهود - لا يقفون وحدهم وان السلطة وما تملكه من قوة
انما هو سلاحهم الاول وحليفهم الطبيعي ، وليس ذلك فريبا فالتلاحم انحصوى بين
الاستعمار والصهيونية واضح لكل ذى عينين ، ولا ينكره الا احمق او جاهل . املا
نفوذ الصهيونية العالمية في اوربا وامريكا فطاق متشعب خاصة في المجالات الحيوية
كالسياسة والاحزاب ودوائر المال ووسائل الاعلام مما يفرض على رجل الشارع ان يتصرف
على وجهة النظر التي تريد لها الصهيونية اما الرأى المقابل فدونه حجاب رأى حجاب .
(١) الدكتور / يوسف هيكل - القضية الفلسطينية ص ٢٢٢

ولا جرم أن ترى التعاطف واضحا مع وجهة نظر الصهيونية لدى قطاعات واسعة من شعوب أوروبا وأمريكا .

وهكذا نرى بريطانيا تراوغ وتتهرب وتصوغ العبارات المطاطة الغامضة والتي تصنعها الدبلوماسية والمرونة وهي في حقيقتها خيث ودهاء ومرافقه ، تلك الصفات التي برعت فيها كسل البراعة ، وجنت بها على كثير من الشعوب في مشارق الأرض - ومغاربها .

ولكن الحكومة البريطانية حين أصدرت الكتاب الأبيض في مايو " ايار " سنة ١٩٣٩ لم ترضها كل التنازلات التي قدمتها اللجنة العربية العليا ، ولذلك فقد اكتفت بالإشارة إلى ضرورة وقف الهجرة بعد ادخال ٧٥ الفا من المهاجرين اليهود ووقف انتقال الاراضي ، وتوك الكتاب الأبيض موضوع الاستقلال مرتبطا بالمكانية التعاون بين العرب واليهود حيث تختبر الحكومة تدريجيا مدى هذا التعاون بتعيين موظفين في ادارته من الجانبين .

كل ذلك والثورة مازالت تارمه مند نعه تسير من ورائها جماهير الشعب التي آمنت بكل عمق أن مصيرها مرهون بها . ولقد ضحت هذه الجماهير تضحيات لاحلهمسا ولتسها لم تزد ها التضحيات الا تمسكا بالثورة وتعضى الصحف ووكالات الانباء فتحدثنا عن المعارك المضارية التي يخوضها الثوار الاشوايس ضد عدوين في وقت واحد مما اثار احجاب العالم ودعشته فيها هو ادولف هتلر في رسالة منه الى المان السوديت سنة ١٩٣٢ يقول : اتخذوا يا المان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم انهم يكافحون انجلترا " اكبر امبراطوريه في العالم " واليهود به العالميه معا ببسالة منقطحة النظر وليس لهم في الدنيا نصير او مساعد ، أما أنتم فان المانيا كلها من ورائكم " (١)

كما يقول الجنرال ولسون (بان قائدا بريطانيا في بعض معارك فلسطين) :
" ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات لا يمكن التغلب عليهم بأقل من قرقه بريطانياه كاملة السلاح " (٢) .

(١) صالح مسعود أبو بصير - جهاد شعب فلسطين في نصف قرن ص ١٢٨

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨

أما الاخطل الصغير فيقول :

يا جهادا صفق المجد لسه
شرف باهت فلسطين به
قم الى الابطال نلمس جرحهم
قم نجع يرما من المرلهم
انما الحق السدى ماتوا لسه
لمس الفار عليه الارجوننا
وبناء للمعالي لايدانى
لمسة تسمع بالطيب يدانا
هبة صوم الفصح هبه رمضاننا
حقنا نمشى اليه حيث كاننا

وتستمر بريطانيا فى جورها رعباها ، ويضعف اليهود من اجرامهم معتمدين على
المساندة الكاملة من قوات الاحتلال ويعقد الطرفان بينهما حلفا غير مقدس الهدف
منه طرد شعب فلسطين والاستيلاء على ارضه ووطنه ، ويزداد ضرام الثورة عارضا
جارفا يكسح كل ما يعوقه والشعب رغم التضحيات تصهره الشدائد كالمعدن النفيس
تكشف النار حقيقته .

ولم يحل الشهر الثامن من هذا العام حتى استحل البريطانيون واليهود
اعمال القتل فى الحرب فرادى وجماعات بعد أن قل سلاحهم وكوتهم الثورة الطويلة
الاليه بنارها فاستنفذت قواهم . لاسيما بعد أن أثقلت الحدود الشماليه والشمالية
الشرقيه نتيجة للتقارب الذى تم بين بريطانيا وفرنسا التى كانت تحتل لبنان وسوريا
وليس يخفى على أحد أن معظم السلاح والحدود والتوجيه كان مصدره سوريا حيث
تواجدت على ارضها اللجان والقيادات التى تمد الثورة بما تحتاج اليه ، ومن هنا
تشردت هذه القيادات وطوردت ، وأصبح من العسير مرور السلاح والذخير السى
المقاتلين داخل البلاد فأحكم عليهم الطوق ، وتوقفت عنهم المساعدات والامدادات
توقفا كليا .

ازاء هذا الوضع لم يكن مفر من توقف الثورة بعد أن استمرت ثلاث سنوات * توقفت
خلال الشهر الذى نشبت فيه الحرب العالميه الثانيه وهو سبتمبر ١٩٣٩ ولم يكن بسد
من توقفها ، وما كان بيد أحد من البشر يعيش الالام التى عاشها شعب فلسطين أن
تستمر ثورته بعد ذلك التاريخ * (١)

قرار التقسيم وموقف العرب منه :

لم تكن بريطانيا وحدها حليفة للصهيونية العالمية ، فلقد تنافست مع غيرها لخطب ود تلك المجوز الشمطاء . وكان أقوى المتنافستين وأقدمهم خاصة بحسد انتهاء الحرب العالمية الثانية هي الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي ابتليت بوجود ملايين عديده من اليهود فيها استطاعوا أن يحتلوا أهم المناصب ويؤثروا في اتخاذ القرارات الخطيرة ابتداء من الصحافة والاعلام وانتهاء بالكونجرس والبيت الابيض مروراً بالمؤسسات الحكومية والنقابي والشركات ومجالس الاداره حتى اصبحوا كالاخطبوط ، ومن هنا كانت سياسة امريكا الخارجية لا تسير الا بحسب ما يخططون وبناء على ما يرون فيه مصلحة للصهيونية العالمية أولاً وقبل كل شيء .

ففي عام ١٩٢٢ يعلن الكونجرس تأييده المطلق لوعده بلفور وتأسيس وطن مسن قومي لليهود في فلسطين ، وفي عام ١٩٤٢ يجتمع المؤتمر الصهيوني العالمي في دوره استثنائية عقدها في فندق بلتيمور بنيويورك ويتخذ قراراً بتحويل فلسطين الى دوله يهوديه واجلاء العرب عنها اذا عارضوا هذا التحويل . وقد سارع الرئيس الامريكى روزفلت الى تأييد ذلك القرار كما أيده الكثير من زعماء البلاد .

ويتجمع مائة وواحد وثمانون عضواً بالكونجرس الامريكى ويقدمون عريضة موقعه منهم جميعاً طلبوا فيها الى الرئيس " روزفلت " أن يصدر وعداً بإنشاء وطن قومي قسبي فلسطين شبيهاً بوعده بلفور . ولقد تسابق مرشحا الرئاسة - الجمهورى والديمقراطى فى تقديم الوعود للصهيونية العالمية مظهرين كل الاستعداد لخدمتها فى شتى المجالات . وما زالت حال امريكا على ما هى عليه منذ عشرات السنين . سيطرة صهيونية طاغية وتسبق المرشحين للرئاسة وتنافس النواب والسيوخ فى اظهار ولائهم وحرصهم على مصلحتها حتى ولو كانت على حساب مصلحة البلاد القومية .

ويحضر الرئيس روزفلت الى مصر بعد انتهاء مؤتمر " يalta " عام ١٩٤٥ ويقابل الملك عبد العزيز آل سعود فلا يشغله فى اجتماعه به سوى أن يحرض عليه رغبة الاسر اليهوديه فى اقامة مستعمرات فى ضواحي المدينة المنوره . لقاء عشرات الالاف مسن

عن الجنيمات الذهبية ، ولكن الملك السعودي يرفض ذلك العرض * (١)

ثم يقوم حكام ٣٨ ولاية امريكيه من أصل ٤٩ - في ذلك الحين - بتقديم طلب الى الرئيس " ترومان " يطلبون اتناذ الاجراءات لزيادة الهجرة اليهوديه الى فلسطين واستمرارها ، كما يتخذ الوفد الامريكى دور المساند الاول والرئيس فمضى انجاح قرار التقسيم لصالح اليهود وقد مارست امريكا ضغطا رهيبا على الوفود المختلفة وأجبرتها على تغيير مواقفها لصالح التقسيم الذى أضر بحقوق العرب ضررا بالغا .

وفي الوقت الذى كانت فيه دول الاستعمار المختلفة تتسابق فى تأييد هالييهود وأطماعهم كان عرب فلسطين يفتون وحدهم فى الميدان . فالجامعه العربيه متخاذليه واهيه والدول العربيه تتافق الدول الاستعماريه وتخشاها ولا تجرؤ حتى على عرض الحق العربى فضلا عن حمايته والتصدي لاعدائه .

وعندما تولى حزب العمال زمام الحكم فى بريطانيا رأى أن يشرك امريكا بشكـل فعلى فى تنفيذ خطة التيهويد رغم أنها ليست منقده ولا شريكه فى الانتداب فكيف يصح لها أن تتدخل فى شئون فلسطين وبحث قضاياها ؟ ولكن هذا ما حدث دون اعتبار للاعراف والقوانين حتى من الناحية الشكلية .

وقد رأت الدولتان أن تحل أزمة اليهود المضطهدين فى أوروبا على حساب شعب فلسطين رغم ضيق مساحة فلسطين ولكن هاتين الدولتين لاتحسبان حسابا للشعب العربى فيها بل أن حزب العمال البريطانى يرى - فى اجتماعه - أن العرب لديهم ارض واسعة خارج حدود فلسطين يستطيعون العيش فيها وترك فلسطين لليهود ؟ وقد استغلت بريطانيا تفكاه العرب وضعفهم فابتزت منهم كل ما يمكنها من تنازلات لصالح اليهود ولم تكف بذلك بل عملت المستحيل من أجل ابعاد الفلسطينيين عن المؤتمرات التى تبحث مصيرهم ثم أخذت بريطانيا تدمج القضية دفعا لتصل بها الى هيئة الامم المتحده التى تسيطر عليها امريكا وبريطانيا وأعوانهما . وهكذا رفعت القضية الفلسطينيه فى عام ١٩٤٧ الى الامم المتحده والتى وافقت تحت الضغط الاستعمارى على مشروع التقسيم وذلك فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

(١) وثائق الحرب العالميه الثانيه - نشرتها امريكا عام ١٩٦٥

كانت بريطانيا قد أعلنت خلال عام ١٩٤٧ أنها ستترك فلسطين لمن يقيم فيها وذلك فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وستسحب قواتها العسكرية وجهازها الادارى ، وكانت مطمئنة أن كتلة اليهود هى الناجحة لانها وضعت فى ايدىهم المراكز الحساسة وانتشرت مصارفهم ووكالاتهم المالية كالسرطان فى كل مجال فضلا عن تدريبهم وتسليحهم ووقوف قوى الاستعمار .

وعلى الرغم من كونهم أقلية (٦٠٠) الف مقابل (١٣٠٠٠٠٠) مليون وثلاثمائة الف عربى الا أن وضعهم الاقتصادى والسياسى والعسكرى كان متميزا عن وضع العرب . ففى المجال الاقتصادى مثلا :

كان فى فلسطين اربعة عشر مصرفا ماليا كلها يهودية أو خاضعة لليهود . وكان مجموع الاموال المصرح بها اثنين وثلاثين مليوناً من الجنيهات ، ومن تلك المصارف اليهودية كان - مبالغ اثني عشر مليوناً ودائتين وأربعة وستين الفاً مقسما بين عدة مصارف مالبة يهودية أما البنوك اليهودية الاخرى وهى البنك المركزى للمؤسسات التعاونية ، والبنك الفلسطينى وبنك مزراحى ، وبنك فلسطين التجارى وبنك يعقوب يافث فكانت مراكزها بين القدس وحيفا " ١ " .

وهذه الاحصائية تعطينا صورة للوضع الاقتصادى الخطير الذى وصل اليه عرب فلسطين نتيجة للنسبة البريدانية الاستعمارية فى سبيل خلق دولة يهودية فى البلاد ، ولذلك لم يكن أحد فى العالم يمانى من قرار التقسيم ما يمانيه الشعب العربى فى فلسطين والذى شعر بأن العالم يقف ضده وأن اللطمة قد وجهت اليه من أكبر هيئة دولية كان المفترض فيها أن تكون نسيمة للشعوب لا أن تقف فى وجه تحريرها واستقلالها ، والهيئة الدولية بموقفها ذاك من شعب فلسطين انما تعمل ضد ميثاقها نفسه الذى توضح احدى بنوده حرية الشعوب فى تقرير ومصيرها بنفسها بعيدة عن الضغط والاكراه والتدخل الخارجى ، ولكن هذا الميثاق ضرب به عرض الحائط امام الضغط الصهيونى الاستعمارى ، ومن هنا كانت فجيعة الشعب الفلسطينى كبيرة وصدمة شديدة الالم فأخذ يجمع شتات نفسه ويتطلع الى المحيطين به يطلب عونهم ، ولان الخطر لا يتهدده وحده وانما يتهدد أمه ، وقد رأى هذه الحقيقة كثير من المخلصين ، أما معظم الزعماء الذين لا ينظرون أبعد من موضع اقدامهم .

(١) الفصل فى تاريخ القدس ص ٤٧٦ " عارف الماراف "

فانهم تخافوا من هذا الخطر المحدق بهم ظنا منهم أنه بعيد عنهم . ولكن الهيئة العربية العليا أخذت تلفت الانظار الى هذا الخطر وتطلع المرأى العلم العربي على حقيقته فيبادر مجلس الجامعة العربية للانعقاد ويستمع الى مندوب فلسطين السيد يعرض لهم الوضع ملخصا فى النقاط التالية :

- ١ - يرجى من الدول العربية أن تعتمد على الفلسطينيين أنفسهم فى المعركة الفاصلة مع اليهود .
- ٢ - يرجى من الدول العربية أن تصد الفلسطينيين بالسلاح والمال والخبراء العسكريين .
- ٣ - يرجى من الدول العربية أن توافق على تأليف حكومة عربية فى فلسطين تملأ الفراغ بعد بريطانيا وتبدأ حكمها فى فلسطين .

وقد بحث هؤلاء الخبراء أحوال فلسطين ووضعها الداخلى وانتهوا الى التوصيات التالية :

" أن للصهيونيين فى فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها أن يؤلفوا فورا حكومة صهيونية ، وأن لهم قوة كبيرة من الرجال والعتاد ، وفي مقدورهم أن يجندوا خلال مدة قصيرة ما يريدون من القوات الاحتياطية ولهم موارد من المال لا تنضب ، وليس لعرب فلسطين فى الوقت الحاضر من المال والسلاح والرجال ما يمكن أن يقام بما لاعدادهم اليهود " (١)

أما اللجنة العسكرية فقد أوصت بما يلى :

- أولا - المبادرة حالا بتجنيد المتطوعين وتسليحهم .
- ثانيا - قيام الدول العربية بحشد جيوشها النظامية على مقره من الحدود الفلسطينية .
- ثالثا - تأليف قيادة عربية عامه ، وأن يعين المرجح الاعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية .
- رابعا - والى أن يتم ذلك يجب أن يعد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة الاف بندقية وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية والمتفجرات وما الى ذلك من الاسلحة .

خامسا - يوضع تحت تصرف اللجنة العسكرية ما لا يقل عن مليون دينار لتمويل القسوات الفلسطينية .

سادسا - تبادل الدول العربية الى شراء كمية كبيرة من الاسلحة والاعتدة وأدواتها لتمويل المجاهدين العرب .

أما ماذا تحقق من هذه المقترحات والتوصيات ؟ فإن للتاريخ يوضح لنا - أن الجامعة العربية لم تهتد اهتماما بسوى توفير مبلغ المليون دينار فحسب .

وحيثما بدأت بعض الدول العربية المجاورة في تدريب الشبان الفلسطينيين على استعمال السلاح في أراضيها تحركت بريطانيا ووجهت مذكرة شديدة اللهجة طالبة وقف ذلك معتبرة أن تدريب الفلسطينيين هو تحد لها وسلطتها في فلسطين ؟ فما كان من المسؤولين العرب الا أن تراجعوا في مذلة مخزبه ، وسحبوا السلاح من الشبان العرب الفلسطينيين ليهبوا فريسه سهله أمام عدويه اللدودين " بريطانيا واليهود " أما السلاح الذى وعد به شعب فلسطين فقد وصل منه الخزانة اليهودية قدما قد علاه المصدأ ولبس له من نخيرة فقد كان معظمه فرنسيا أو ألمانيا أو عثمانيا مضى على صنعه عشرات السنين ، ومن هنا فقد هب أبناء فلسطين ينقبسون الصحراء الفريسه وفيهها بحثا عن بقايا السلاح المستخدم في الحرب العالمية الثانية .

وبينما كانت الكميات الضئيلة من السلاح تصل الى الشعب الفلسطينى اخذ الصراع يشتد بمجرد صدور قرار التقسيم وحدثت اشتباكات عديدة في كل من يافا وحيفا والقدس وسقط القتلى والجرحى من الجانبين . وفي القدس أستطاع العرب دخول الحى اليهودى عنوة ولكن القوات البريطانية تهرع - كما دعتهم - لانقاذ اليهود كلما وجدتهم في الموقف الاضعف لتثبت المرة تلو المرة أنها كانت وستظل عدو العرب الاول . فأنهت أساس الهلاك وصانعة النكبة . ولم تمر بمكان الا وتركت بصماتها الملوثة تشهد على جرائمها وممراتها حيث لا يزال العالم يعاني منها في أكثر من مكان . ويمضى العرب في كفاحهم لا يلوون على شئ . فهو سليلهم الوحيد ولا خيار سواه . ويأتى اليوم السابع والعشرون من ديسمبر (كانون الاول) عصيا قاسيا يقتل فيه الفريقان أنى التقيا : فى القدس و " لفتا " و " دميما " و " القمطوف " و " باب الخليل " و " باب الواد " و " القسطل " وفى كل مكان (وبينما كانت تمر قافلة يهودية فى القسطل على طريق القدس / يافا إذ

هاجمها العرب وقتلوا أربعة من أفرادها أحدهم " هانس يارت " من رجال الوكالة اليهودية ، وجرحوا خمسة منهم " فولدا مايرسون " رئيسة الشعبة السياسية فسي الوكالة " رئيسة الحكومة فيما بعد " (١) .

ويستمر شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ في حوادث متفرقة حتى اذا كان اليوم الاخير اعلن ان العرب قضوا على واحد واربعين يهوديا في معمل التكرير في حيفا (٢)

ويجيء العام الجديد سنة ١٩٤٨ ويستمر الشعب العربي الفلسطيني يواصل جهاده مقدما الضحايا على مذبح الحرية والاستقلال مؤمنا بقوله تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " ومتمثلا بقول احمد شوقي :

ولا يئس الحق ولا يحق	ولا يئس المالك كالضحايا
وفي الاسرى فدى لهم وقتق	ففى القتل لاجيال حياة
بكل يد مزرجة يصدق	وللحرية الحمراء بسباب

واذا أخذنا بالانبياء التي تروىها وكالات الانبياء وجدنا أرض فلسطين كلها تغلبي بالغضب ، فالعرب في ثورتهم ضد القرار الجائر ولذا كانت ثورتهم حفاظا على حقهم الخالد في وطنهم ومحاولة لطرد المستعمرين والدخلاء كي يتسنى لهم ان يحيا في هذا الوطن نوما أحرارا ، أما اليهود - يؤيدهم المستعمرون - فهم يسمعون جاہدين الى الانتقام ونشر التوف والهلع في نفوس المواطنين خاصة العزل والنساء والاطفال كما أنهم يقدفون الاحياء العربيه بنيران مدافعهم وقتلهم دون تمييز .

ولكن ثورة العرب تستمر وتمضي أربعة شهور منذ قرار التقسيم والعالم في ذهول لهذا الغضب البارف الذي يصد عن شعب فلسطين العربي وفي آخر مارس (آذار) ١٩٤٨ نصب العرب كمينا لقافلة يهودية فادرت القدس في الفجر ومتوجهة الى مستعمرة " كفار عصيون " واشتبك العرب مع رجال " الهاجانا " الذين كانوا يتولون حراستهما في معركة شديده .

(١) نكبة بيت المقدس ج ١ ص ٧٦ عارف العارف

(٢) جريدة الاهرام ٣١ ديسمبر ١٩٤٧

ويعد مدة قصيره يشتبك المجاهدون مع قافلة أخرى في " باب الواد " على طريق القدس - يافا - وتنشب بين الطرفين معركة ضارية يخسر فيها اليهود ٦٠ قتيلًا و ٨٠ جريحًا ما خسروا ١٢ مدفع برن و ١١ مدفع ستن و ٢٠ بندقيه وكيميائية من المسدسات والذخيرة ، ويقتل اليهود فتاة عربية عمرها ست سنوات فتقوم فرقة الامين بقيادة البطل عبد القادر الحسيني بمهاجمة الهاباناه وتقتل منهم ١٧ وتجرح ٢٠ شخصًا . ونسفت احدى المصنعات واستولت على الاخرى وعلى سيارته شحن كبيره وثمان خمسة مدافع (١)

دخول المتطوعين العرب الى فلسطين :

كان مجلس الجامعة العربية قد أحيط علما بأن لدى اليهود في فلسطين منظمات عسكريه تضم أكثر من ٦٠ ألف مقاتل ومن ثم رأى أن يسرع في تقديم السلاح الذي كان العرب في حاجة إليه ، والذي ذكرنا أن كميته ضئيله منه قد وصلت الى عرب فلسطين كما اعتمد بعض المال للانفاق على بعض المتطوعين العرب الذين أرادوا الجهاد في فلسطين وقد جاءوا من الاقطار العربيه المختلفه وكونوا ما يحرف بجيش الانقاذ والذي تكون من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة المجاهد " فوزي القاوقجي " وقد درب هذا الجيش في محسكر قطنا في سوريا ، ودخل فلسطين على ثلاثة أفواج الفوج الاول في يناير والثاني والثالث في فبراير ومارس سنة ١٩٤٨ وقد عسكر كل فوج في منطقة من مناطق البلاد كما أبدى تعاوننا ملموسا مع قوات الجهاد المقدس بقيادة القائد الماهر عبد القادر الحسيني كما تعاون مع قوات المتطوعين بقيادة القائد المجاهد احمد عبد العزيز وذلك في القتال الذي نشب في فلسطين بعد صدور قرار التقسيم في أواخر عام ١٩٤٧ .

ولما ارتكب اليهود جريمتهم الفكراء في قرية دير ياسين وقتلوا كل من فيها رجلا لا ونساء وأطفالا ليثيروا بوحشيتهم الخوف والهلع في نفوس العزل والضعفاء من النساء والاطفال قررت اللجنة السياسيه للجامعة العربية في اجتماعها المنعقد في دمشق في

الثاني عشر من ابريل ١٩٤٨ أنها ستزحف على فلسطين يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وهو الموعد الذي حددته بريطانيا لجلائها عن فلسطين كما قررت اللجنة اعلان الاحتام الحرفيه وفرض الرقابه على الصحف وارسال مفارز من جيش مصر والعراق وسوريا والاردن ولبنان للمرابطة على الحدود وربطت هذه القوات المتظارا ليوم الزحف الموعود . وحين زحفت هذه الجيوش على فلسطين كانت في صورته مختلفه من القسوة والرأى . فكيف يتسنى لها أن تطارب قوة يهوديه نظمتها وربتها أرقى دول العالم وأقواها مثل امريكا وبريطانيا .

ولكن الدول العربيه سارت في طريقها الى الحرب وفرضت الحصار البحري على فلسطين وأخذت تفتش السفن المتوجهه اليها وتمادى كل بضاعة تمضى الى اليهود هناك . وكان لهذا الزحف أثر بالغ في الرأى العام العربي وخيل لهم أن سبع دول عربيه ستحقق النصر في القريب العاجل ، وأن هذه الحمله ستكون بمثابة نزهة يقضون فيها على العصابات الصهيونيه ويلقون بها في البحر ؟ وكثرت تصريحات الزعماء والقاده وكل واحد منهم يريد أن يصف نفسه مجدا وفخارا ويباهى بهما اقرانه ودون أن يكلف نفسه جهدا أو مشقه وقاب عن الكثيرين أن هذه الحمله ستكون فاشلة متهاككه ولن تحقق الا الخيبه والخذلان والسبب في ذلك يرجع الى عوامل عدده ممن أجملها أصر شعب فلسطين ممثلا في الهيئه العربيه العليا على دول الجامعة ألا تدخل بجيوشها فلسطين وأن تكفى بمد يد العون بالمال والسلاح والخبراء والاكتفاء بحشد الجيوش العربيه على الحدود ، كما أن العالمين ببواطن الامور أكدوا أن دخول الجيوش العربيه سيحظى اليهود كل العذر في طلب المحونه والتدخل من السدول النبرى مثل امريكا وبريطانيا وباقي الدول الاستعماريه بحجة أن اليهود يتعرضون للإباده من قبل الدول العربيه المجاوره وأن الحرب الناشبه في فلسطين ليست حربا أهليه ومن ثم يجيزون لانفسهم التدخل بشتى المآذير وفي استطاعتهم اقناع الرأى العام العالمى بذلك خاصة وهم يملكون وسائل الاعلام المختلفه من صحف واذاعات ووكالات للانباء وغير ذلك .

دخول الجيوش العربية :

حين دخلت الجيوش العربية الى فلسطين تولى القيادة العامة عليها الملك عبد الله ملك شرقى اردن وكان على رأس الجيش الاردنى قائد بريطانى هو اللواء " جلوب باشا " كما كان معظم مساعديه من الضباط البريطانيين ومعنى هذا أن الخطط الحربية والاوامر العسكرية كانت تخضع فى تنفيذها وتطبيقها لرأى هؤلاء وأهدافهم فاذا عرفنا أن هؤلاء الضباط لا يعقل أن يكونوا الا بريطانيين تبين لنا الى أى حد خدع العرب فى حملتهم .

وكانت الخطة العربية تقضى بأن تلتقى الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والاردنية جميعها عند بلدة " الحفولة " فى وسط فلسطين تقريبا ثم تواصل زحفها مجتمعة لتقسيم تجمعات اليهود ، وتصل الى الساحل الفلسطينى وأن يزحف الجيش المصرى نحو عسقلان والمجدل وغزه ثم يتقدم للالتقاء بالجيوش الزاحفة الاخرى على حين يتقدم قسم من الجيش الاردنى نحو رام الله والقدس ، ويتقدم المتطوعون المصريون على طريق الخليل وبيت لحم لتطويق القدس متعاونين مع الاردنيين الذين يجب أن يحاصروها من الشمال والشرق . (١)

وفى الوقت الذى كانت فيه القوات الزاحفة لا يزيد عددها عن عشرين ألفا تضمها عدة قيادات سياسية وعسكرية تشلف وتباین فى اسلوبها ونظرتها واهدافها كما نلاحظ تشلف فى سلاحها وتدريبها ، كانت القوات اليهودية تضم ما يزيد عن ٦٠ ألف مقاتل مدرب تضمهم قيادة واحدة فى أهدافها واسلوبها وطريقة محالجتهم للامور والسوان الجيوش الزاحفة استعانت بأبناء فلسطين وتركت سلاحهم فى ايديهم لما وصل الامر الى ما وصل اليه لكنهم أخذوا يجمعون السلاح من أبناء الشعب الفلسطينى بحجة أنه قد آن الاوان كي يستريحوا وأن عليهم أن يعتمدوا على الجيوش العربية النظامية فهى التى ستفرد بدور التحرير وطرد اليهود المجرمين والقائهم فى البحر ؟

(١) عارف العارف - نكبة بيت المقدس ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣

هذا ما كان الحرب يصحونه في اداعاتهم وصحافتهم أما ما يجري وراء الكواليس فذلك شيء آخر ، فرئيس وزراء الاردن توفيق باشا أبو الهدى يتصل سرا بوزير خارجية بريطانيا في ذلك الحين السير أرست بيغن ويشج له حالة عرب فلسطين بالمقارنة لحالة اليهود الذين يملكون تنظيمات كاملة من سياسية وعسكرية واقتصاديه على عكس الحرب وهم بذلك قد لا يكتفون بما قررت لهم هيئة الامم في فلسطين ويستشيرهم فيما اذا كانت بريطانيا تقبل دخول الاردن بحجة حماية العرب ثم تضم ما يخصهم من الحرب - الى شرق الاردن على الا يشتبك الجيش الاردني مع اليهود والا يحتل غزة أو الجليل والا يحتل شبراه واحدا مما قررته الامم المتحدة لليهود من أرض فلسطين .

أما رد المستر بيغن فكان " ان هذا هو الحل الوحيد المعقول ولكن يجب ألا تذهبوا بعيدا وتحتلوا المنطقة لليهود " فأجاب الرئيس الاردني - توفيق باشا أبو الهدى " ليس لدينا هذه الامكانيات حتى لو تمنينا ذلك ، وأن الاردن حسب معاهداته مع بريطانيا لن يتخذ خطوة ايجابية الا بعد مشاركة الحكومة البريطانية " فشكر بيغن أبا الهدى لوضوح موقف حكومته وأعلن موافقته على المشروع الذي عرضه (١)

فإذا ما تطلعنا الى موقف المسئولين في مصر حينذاك وجدنا الملك فاروق يشترك في تجارة الاسلحة الفاسده ويظعن الجيش المصري من الخلف ويحقه من أداء دوره يشاركه في ذلك بعض ضعاف النفوس من اقباده مما كان له أسوأ الاثر على معنويات الجيش المصري وفعاليتها . ورغم ذلك فقد قطع شوطا بعيدا في تقدمه صوب " تل ابيب " يسانده في ذلك بعض المتطوعين السودانيين والليبيين والسعوديين وقد اشتركت هذه القوات في حصار القدس . أما الجيش العراقي فكان له دور فعال في منطقتي المثلث وقد استرد مدينة " جنين " المهمة مما احتل بعض المستعمرات الاخرى ولكنه كان محدود الحركة بفضل الاوامر التي كانت تصدر اليه من القيادة في بغداد حيث كان يهيمن عليها نوري السعيد والوصي على عرش العراق الامير عبد الاله أما الجيش السوري فقد احتل رقعة واسعة من أرض فلسطين وخاض معارك باسله أثبتت

فيها كفاءة الجندي العربي وشجاعته رغم كل الظروف .

أما الجيش اللبناني فقد حافظ على حدوده مع فلسطين ، واشترك في بعض المعارك وكان أبناء الشعب الفلسطيني هم عماد المعركة في جميع الجبهات كانوا يتعاونون مع الجنود والقيادة معهم يشاركون فيما يتاح لهم من فرص المصارك وهم أعوان الجيش وهم عدته يحمون خطوطه ويساهمون في تموينه وهم يرحبون به ويحترمون بوجوده على أرضهم . يشهد بذلك أبناء الجيش السوري في مناطق قتالهم العرير الرائع ، وسجل مثله في اعجاب واكبار القائد العربي المجاهد * عبد الله التل * (١) .

ولقد كان جلوب باشا يعلم خوافي الامور حين قال " لو سمح العرب لقواتهم كلها بالعمل في ١٥ مايو (أيار) وزحفوا زحفا جديا لنجحوا على الأرجح في اجتياح الدولة اليهودية الجديدة (١) .

وكانت القدس الجديدة قد طوقت من جميع الجهات ومنع العرب عنها التموين والماء والسلاح فعانى سكانها الويلات وطافت مظاهرات اليهود صاحبه تطالب بانهاء ال رب والاستسلام .

ولقد جرت مفاوضات التسليم خشية أن يموت المحاصرون عطشا وجونا ولكن بريطانيا أحست أن سقوط القدس الجديدة التي يسكنها أكثر من مائت ألف يهودي وتمثل حوالي سدس اليهود في فلسطين سيقرب مخططاتها رأسا على عقب وستنسف البرنامج الذي أعدته لليهود في فلسطين ويعلمها قاعدة استعماريه لها ولحليقاتها ومن هنا فقد عرضت الامر على مجلس الامن وضغطت من أجل فرض الهدنة الاولى وتم ذلك في ١١ من يونيو ١٩٤٨ بعد أن استمر القتال بين العرب واليهود خمسة وعشرين يوما كان في صالح العرب على جميع الجبهات حيث أصبحت " تل ابيب " تحت مرمى المدافع الصربية وحوصرت القدس تماما ودكت مستعمرات عديده لكن اليهود وحلفاءهم استجدوا بالهدنة فكانت لهم فلان وانقاذا كما أنهم استغلوا الوقت

(١) صالح مسعود أبو بصير - جهاد شعب فلسطين ص ٤٠٤

(٢) جلوب باشا - جريدة النهار اللبنانية العدد الصادر في ٣٠ مايو ١٩٥١

أحسن استعداداً فحسنوا مواقعهم وأسلحتهم وعتادهم وأستقدموا من بريطانيا
وأمریکا وفرنسا السلاح والجنود كذلك خاصة الطيارين ویروی مندوب الوكالة اليهودية
بأن نواة سلاح الطيران اليهودي تألفت من ٥٠ طياراً بريطانيا ولقد وكلت
الامم المتحدة الى وسيطها الكونت برناردت ومعاونيه مهمة مراقبة تنفيذ قرار
مجلس الامن الذي نص على وقف إطلاق النار وعلى الا يوترق القتال في
مركز العرب واليهود وحقوقهم ومطالبهم والا يترتب عليه أي امتياز عسكري لاحد
الفریقین أثناء الهدنة او نتيجة لتنفيذها . ومُنح دخول الرجال الصالحين للخدمة
العسكرية الى فلسطين اذا كان ذلك يحقق تفوقاً عسكرياً لاحد الطرفين وكلف مجلس الامن
الوسيط الدولي ومعاونيه بمراقبة حدود فلسطين من البر والبحر (١) .

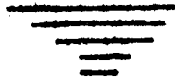
وقد حدث بعد الزحف بأسبوع واحد أي ليلة ٢٢ مايو توجيه نداء الى العرب
واليهود بناءً على اقتراح بريطانيا بوقف القتال ولكن العرب رفضوا النداء ولم
يوافقوا على الهدنة فما كان من بريطانيا الا أن هددت بقطع المعونة المالية
عن الاردن ، كما هددت بوضع السلاح عن مصر والعراق ، ولقد تراجعت
الدول العربية أمام هذا الضغط وقبلت بالهدنة بعد أن رفضتها مما
أثار دهشة الرأي العام العربي وغضباً .

ولقد كانت الهدنة نعمة على اليهود ونقمة على العرب حيث استفاد اليهود
من الاسابيع الاربعه استفادة عظيمة ، فأستطاعوا أن يعدوا السلاح الذي يحتاجونه
ونظموا صفوفهم وأصلحوا طرق مواصلاتهم التي سبق للعرب قطعها بل انهم لم يكفوا بذلك
بل احتلوا مناطق جديدة دون أن يحرك مجلس الامن ساكناً كما لم يستنكر موقفهم احد من
الدول الغربية التي كانت تتباكى عليهم بأسم الانسانية .

أما العرب فلقد اصيبوا بالتخاذل والتفكك وشعروا أن ارادتهم ليست في أيديهم
وأن بريطانيا تمسك بزمام امورهم فأشار ذلك حفيظة الرأي العام العربي وعبر الشمر
والادب عن هذه الثورة العارمة وصب اللعنات على بريطانيا وأمریکا وأذناهما من
لزما العرب .

(١) الدكتور / كامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٣٨٩

ويقول المؤرخون أن الهدنة الأولى كانت بداية المهزمنة للجيش العربي وأنه غيرت مجرى الحرب لصالح اليهود بعد أن كان في صالح العرب . وبهذا تثبتت الوقائع أن قبول العرب بالهدنة كان خطأ لا يفتقران جر عليهم الويلات وسبب للفلسطينيين خاصة وللعرب عامة مأساة دموية رهيبه ما زالت آثارها واضحة للعيان . بل تزداد يوماً بعد يوم



الفصل الرابع

- ١ -

المأساة

لقد ذكرنا أن الهدنة الأولى وقبول الحرب بها قد جر الكثير من الويلات وقلب ميزان الحرب لصالح اليهود ، حيث جلبوا كل ما يحتاجونه من سلاح وعتاد ورجال تزويدهم في ذلك دول استعماريه مازالت تفتت حقدتها ضد العرب عامسة والفلسطينيين خاصة ، ومضت الاسابيع الاربعه التي قررها مجلس الامن لوقف القتال وحين استؤنف في التاسع من يونيو ١٩٤٨ انطلق العرب في حماس يعبرون عن لهدفهم العاربه لنسب للعار ومحو ما علق بالنفوس عن قوة اليهود وضحف العسرب وقد استطاعوا فعلا أن يحققوا مكاسب ذات بال حيث استردوا كثيرا من المناطق التي اغتصبها اليهود خلال الهدنة الأولى وكبدوهم خسائر فادحة ولكن اليهود تنهال عليهم المعونات من كل حدب وصوب ماديه ومعنويه ، وتقودهم قيادة سياسية عسكريه واحده ولقد تغير الموقف تغيرا واضحا لصالحهم وزال الخطر العربي حول القدس وسحب الجنرال " جلوب " الجيش الاردني من المدينتين العربيتين " اللد " و " الرمله " فمكن اليهود من احتلالهما وضاعف من الربكه بين الصفوف العربييه وخلق هجرة جماعيه كما كشف ميمفة الجيش المصري واحتل اليهود مطار اللد العالمي الذي لا يبعد عن عاصمتهم " تل ابيب " بأكثر من اربعة عشر ميلا واستولوا على محطة السكك الحديدية في " اللد " وهي أكبر محطة في البلاد كلها وسهمل لهم السيطرة على أكثر من ٧٥٠ ألف دونم من أفضل الارض الزراعيه في فلسطين وسقطت في ايديهم - بسقوط اللد والرمله - عشرات القرى المجاوره صغيرة وكبيره

أما الجيش العراقي فلم تمكنه القيادة المنحرفه في بغداد من احتلال " ناتانيا " على البحر الابيض المتوسط رغم أنها كانت في متناول يده ، ولو أنه فعل لشطرت القوات اليهوديه الي شطرين وفرق صفوفهم ، وانا استثنيا معركة " كوكب الهوى " واستعادة جنين وقراها فان هذا الجيش الباسل لم يعط فرصة لانتبات وجوده بالمعنى الصحيح بل لقد سحب من مواقعه الي نابلس ولم يعجباً برجاءات السكان والمناضلين

الفلسطينيين الذين كانوا يساعدونه وتركهم دون عون . علما بأن هذه المعارك التي خاضها الجيش العراقي كانت كفاحا مشتركا مع شعب فلسطين ولم يخضها منفردا ، فبينما كانت المدفعية العراقية تدك حصون اليهود في يوم الجمعة ٩ يوليو (تموز) ١٩٤٨ كان المشاة من أبناء الشعب الفلسطيني يكونون فصيلا من ثلاثمائة مقاتل يخوضون المعركة باخلاص مع اخوانهم العراقيين ، حيث استولوا على " فقوه " وتل " الخروبه " و " عرانة " وحين طوق العراقيون قطاعات اليهود المعسكره في " جلية وصندلا " كان الفلسطينيون يكونون جزءا مهما من هذا الطوق العسكري وتم الاستيلاء على البلديتين ، وواصل الفلسطينيون بمساعدة العراقيين الزحف فاستردوا " غرانه " و " عربونه " و " وديرغزاليه " ومقنيصيلة " و " فقوه " وكما كان القتال مشتركا كانت الخسائر أيضا مشتركة اذ فقد العراقيون ثلاثة عشر شهيدا ، وفقد الفلسطينيون سبعة عشر ، وحين سحب الجيش العراقي فجأة وقف الفلسطينيون مشدوهين ، وراحو ينظرون الى اخوانهم المنسحبين ، وفي قلوبهم حسرات وفي مآقيهم عبرات . (١)

كما لم يحاول الجيش العراقي مساعدة جيش الانقاذ الذي كان يقوده " فسوي القاوقجي " حين هاجمه اليهود بقوات كبيره واستولوا على مدينة " الناصره " في ١٦ يونيو ١٩٤٨ ، أما الجبهة المصريه والجبهة السوريه فقد بقيتا محتفظتين بوضعهما في ذلك الوقت ، غير أن أيام القتال لم تطل حيث فرضت هدنه ثانيه في الثامن عشر من يوليو " تموز " ١٩٤٨ ولم يكن أمام الحرب الا قبول الهدنه ففسد أدركوا عمق المأساة في قيادة " جلوب " الانجليزي وعمقت لديهم الام تسلیم اللد والرملة بسحب الجيش الاردني منهما ، أما اليهود فقد كانوا يستفيدون من كل هدنة يعدون ويستعدون وتوالى الدول الصليبيه امدادهم بالعتاد وبالسلح وكثيرا ما ضربوا بالهدنه عرض الحائط ، وزحفوا فاحتلوا قرى ومساحات بينما مجلس الامن الدولي لا يحرك ساكنا ، ولا يسمع لشكوى العرب ولا يشغل بها . (٢)

وقد حاول اليهود احتلال القدس القديمه لكنهم فشلوا في كسر المقاومة العربيه

(١) نكبة بيت المقدس - ج ٣ - ص ٥٩٠ عارف العارف

(٢) صالح مسعود أبو بصير - جهاد شعب فلسطين ص ٤١٢

وخسروا مئات القتلى دون جدوى ، ولكن اليهود أخذوا يوجهون اهتمامهم السيـ
الجبهات العربية منفردة بعد أن رأوا تفككها واختلافها وخضوعها لارادة الاستعمار
واذنا به فحينما جمدت الجبهة العراقية ، رمحها الجبهة الاردنيه أصبحت الطريق
مصهده لمهاجمة الجبهة المصريه ، وكانت تلك الجبهة تعاني من السلاح الفاسد
والضئير الفاسد الذي تأمر عليها .

واستغل اليهود ذلك على أوسع نطاق فوجهوا ضرباتهم اليها فاحتلوا النقب
كله واتجهوا الى ام الرشراش على خليج العقبة وأقاموا عليها ميناء ايلات كما
حاصروا قواب " السيد طه " في الفالوجا وكان من ضباطها الرئيس الراحل " جمال
عبد الناصر " ولم يصبأ اليهود بالهدنه والمتزامتها كطأن مجلس الامن وقتئذ
مكتوف اليهين لا يستطيع حراكا بل لا يريد .

آثار المأساة ونتائجها

حدثت مأساة فلسطين على صورة مفجعه ، فلم يحدث في التاريخ أن اجلسي
شعب ما وطرد من أرضه ليحل محله شعب آخر ، يحدث ذلك في ظل مدنية القمن
العشرين وأمام سمع وبصر مجلس الامن وهيئة الام والدول " الحرة " التي تزعم أنها
ترعى حقوق الانسان وأنها خاضت حربين متتاليتين من أجل كرامة الانسان وتقرير
مصير الشعوب المضطهدة . فتمثلت مع تلك الشعوب حال الذئب مع الحمل ، وقد مست
مسرحيه مأساويه داميه في اطار هازل عابت .

وتوقف القتال بين العرب واليهود بعد أن تغير الوضع كلية لصالح اليهود فاستولوا
على معظم فلسطين وطردوا شعبها وجعلوا من الجيوش العربية شرانم مبحثه ، يحاول
كل جيش أن ينجو بنفسه في اضطراب لايلوى على شىء فقيادته السياسيه تخونه ومسئولوه
العسكريون في حيرة وتمزق واضطراب ، وسلاحه فاسد أو بدائي اذا قيس بالسلاح الذي
أصبح في ايدي العدو ، والمجاهدون الفلسطينيون أجبروا على تسليم سلاحهم السيـ
الجيوش العربية " المنقذه " التي قامت " مشكوره " بحل التنايمات الفلسطينيه العسكريه
وشبه العسكريه كما فعلت قوات " جلوب باشا " مع قوات الجهاد المقدس ، ومن هنا

فقد وجد الشعب الفلسطيني نفسه دون سلاح ، واليهود لا يراعون الا ولا نصيبه
وحقد هم يطغى على بصيرتهم فيقتلون المِظل قبل الرجل والمرأة قبل الشاب ويدمرون
القرى والمدن ويحيدون " مجد " التتار الخابر في صورة مأساوية دامية .

وثانت هذه المأساة صدمه للامة العربية وللرأى العام العربى حيث أحست أنها
طمنت في كرامتها وتلطخ تاريخها ، وأخذت تفقد ثقافتها في زعامتها التي نانت بلاء
عليها فهي فلسطين تسقط فريسه في ايدى الاستعمار والصهيونية لتكون قاة دة
ومنطلقا للعدوان على بقية الدول العربية المجاورة . والصهيونية تسمى جادة لاقامة
دولة اسرائيل الكبرى " من النيل الى الفرات "

وهكذا فقد كشفت مأساة فلسطين عن الخطر الصهيونى الذى يتهدد العرب
ويقفه عقبه كبرى في طريق تقدمهم وورحدهم ، كما كشفت لهم المأساة كم خدعوا
بزعمائهم الذين ثبتت عمالتهم للاستعمار وضلوعهم معه ايماننا منهم بأنه رب نعمتهم
فهو الذى يتحكم في اوضاعهم وحياتهم في يده وهو ولى نعمتهم ويستمدون قوتهم منه
ومن هنا فقد آمن المخلصون من أبناء الامة العربية بأنه يجب عليهم أن يعبروا
أوطانهم ذاتها أولا اذا اريد فلسطين أن تحرر وقد رلمهم أن يحاربوا الصهيونية
والاستعمار من جديد ، ان لير من المعقول أن ينطلق المقاتل العربى الى الامم
وظهره معرض للطعن من الخونه والعملاء ويكفيانا أن نقل ما قاله الزعيم الراحل جمال
عبد الناصر حينما كان محاصرا في بلدة الفالوجا حيث قال يومئذ " كنا نحارب نفسى
فلسطين ولكن احلامنا كانت كلها في مصر . كان رصاصنا يتجه الى العدو والرابض
أماننا في خنادقه ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا المحيد الذى تركناه للذئاب
ترعاه . وفي فلسطين كانت خايبا الضباط الاحرار تدرس وتبحث وتجتمع في الشفاد ق
والمراكز في فلسطين جاءنى صلاح سالم وزكريا محى الدين واخترقا الحصار السى
الفالوجا ، وجلسنا في الحصار لانصرف له نتيجة ولانهاية وكان حد يتنا الشاغل ووطننا
الذى يتعين علينا أن نحاول انقاذه .

وفي فلسطين جلس بجوارى مرة كمال الدين حسين وقال لى وهو ساهم الفكر شارح
المنظرات . هل تعلم ماذا قال لى احمد عبد العزيز قبل أن يموت ؟ قلت ماذا قال ؟

وقال كمال الدين حسين وفي صوته نبرة عميقة وفي عينيه نظرة أعمق لقد قال لي اسمح
يا كمال ان ميدان الجهاد الاكبر هو في مصر ولم ألتق في فلسطين بالاصدقاء الذين
شاركوني في العمل من أجل مصر وإنما التقيت بالافكار التي انارت امامي السبيل
وأنا اذكر ايام كنت في الخنادق واسمح يذهني الى مشاكلنا ، كانت الفالوجا محاصرة
وكان تركيز العدو عليها بالمدافع والطيران تركيزا هائلا مروعا وكثيرا ما قلت لنفسى
هنا نحن هنا في هذه الجحور محاصرين ، لقد فرر بنا ، ودفعنا الى معركة ليس
نعد لها . لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤمرات وشبهوات وتركنا هنا تحت النيران
بخير سلاح . (١)

وما صوره الرئيس الراحل من التفرير بالجيوش وتركها بدون سلاح وعبث السياسة
بكرامة الجيش والشعب لا يصدق على الجيش المصرى وحده ولكن يصدق على بقية
الجيوش العربيه التي عانت من ويلات الهزيمة والخيانة ، وبزت على أمتها عامة وعلى
الشعب الفلسطيني خاصة الويل والثبور ، حيث خرج من دياره مرعبا تحت وطأة
التهديد بالموت وهتك الاعراض وقتل الاولاد وهو لا يملك سلاحا يدافع به عن نفسه
بعد أن فر المدافعون عنه لاجبنا ولكن تنفيذنا لاوامر الساسة العملاء .

حدث هذا على الجبهة الاردنيه كما حدث على الجبهة العراقيه والجبهة
المصريه ، فطعن الجندي المصرى فى صميم كرامته ووصم بالجين وهو منه براء وتبجح
اليهود وملاوا الدنيا صراخا وضجيجا محلنيين عن شجاعتهم التي هبطت عليهم من
السماء فجأة ، وتناسوا أنهم قوم ضربت عليهم الذل والمسكنه ، وأن ما حدث لا يحدو
كونه حالة شاذة افرزتها ظروف خرجت عن طبيعة الاشياء فخالفت النواميس الكونيه .

فالكل يعلم دور الدول الصليبيه فى مساندة اسرائيل وبذل كل غال ورخيص فى
سبيل بقائها ووجودها والكل يعلم كم بذلت الصهيونيه من المال وكما اشترت ذمما
وكم سخرت أقالما واعلاما .

وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أن هذا الجيش من الاعداء ما كان ليتكتمل
الا وهو موقن أنه أمام عدو قوى ، وفى مواجهة امة عريقه لها جذور وقم وتقاليد وهى ان

ضعفت فما ذلك الا حالة ارثة ، وسحابة صيف عما قريب تنفخ .

وانا كان قيام اسرائيل كدوله في قلب الوطن العربي اول اثر مادي على حدوث
المأساة الفلسطينية وعلان وجودها في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ فقد كان تحقيقا للحلم
الذي راود خيال الصهاينه منذ أكثر من مائتي سنة بعد أن بذلوا في سبيله أعظم
الجهود ، وقد موا من التضحية والبذل ما لا يوصف .

وقد كان حصولهم على وعد بلفور مقدمه لهذه الغايه التي ناضل من أجلهم
رجال الحركة الصهيونية ، لضم شتات يهود العالم واحياء القوميه الصهيونية المنذرة
في فلسطين واعادة الصلة التي انقطعت بين اليهود وفلسطين منذ قرون (١) .

لما أخذت هذه الدوله تفرض وجودها واستمرارها مستنله ضعف العرب وتفككهم
واختلافهم يؤيدها في ذلك احد تاوها الاقوياء والذين اظهروا شجاعتهم بالعرب
وحقد هم عليهم ، وقد سبق لنا أن أوضحنا بعض مظاهر هذا الحقد حين دخول
الجنرال " اللنبي " القدس وحين دخول الجنرال " جورو " دمشق ما يدل - بوضوح
على أن القوم لم ينسوا قهر العرب لهم وتدوين المسلمين اياهم سواء كان ذلك في
اسبانيا وجنوب فرنسا ، وصقلية أو في دخول محمد الفاتح " القسطنطينية " ووصول
الاتراك الى أسوار " فينا " في وسط اوربا .

وقد قامت دولة اسرائيل على اساس ديني وأسطورة خرافيه تزعم أن فلسطين وما
حولها ارض لبني اسرائيل علما بأن التاريخ يؤكد عروية فلسطين قبل مجي " سيدنا
ابراهيم من العراق بأكثر من ألفي سنة وكانت " التوراة " تسميها أرض كنعان ثم أن
اليهود في ايماننا هذه ليسوا شعبا واحدا متجانس الخصائص والسمات ولكنهم شتات
متباين ولا أدل على ذلك من اختلافهم لونا وجنسا وتفكيريا وهذا ما يبرر تمييز طبقة
منهم على أخرى ، فما جعل الطبقة الاخيره تشعر بالخبن والاضطهاد ، وتحس أن
وحدة الشعب اليهودي ما هي الا خرافة وأنه قد غرر بهم وخذعوا ، ولذا نراهم يلحون
في هجرة مضادة يعودون فيها الى اوطانهم التي جاءوا منها لانهم ينتمون الى شعوبها
ولكن الا يحق لنا أن نتساءل - كيف استطاعت هذه الدوله البقاء والنماء بل ومجابهة

(١) الدكتور كامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٤٠٥

الدول العربية مجتمعه ؟ والرّد على هذا التساؤل يتلخص فيما يلي :

١ - ان اسرائيل لا تقف وحدها في الميدان فالدول الصليبيه - كما اسلفنا تقف وراءها بكل ثقلها السياسي والاقتصادي والعسكري والاعلامى ايضا ففى الامم المتحده ومجلس الامن تتحول القرارات التى تدّين اسرائيل الى قصاصات ورق لا تساوى شيئا ، وفى المؤتمرات الدوليه تقصف الولايات المتحده وبريطانيا وفرنسا - احيانا - وهولنده وبلجيكا واستراليا وغيرها من الدول الاستعماريه تساندها وتضغط على باقى الدول لمسايرة اسرائيل وتقبلها ، وفى مجال الاعلام خياله وصحافه واذاعه تبرز اسرائيل كدوله ديمقراطيه حرة بحيره فى صحراء الاقطاع والتخلف والجهل ، وينجز العرب عن الرّد وتبقى وجهه نظرهم لا تفارق ضمائرهم لا خجلا وحياء بل جبنًا وضعفًا .

٢ - ان الدول العربيه - وهى تعانى من عقدة الذنب - لا تقوى على تحديد موقفها ولا تستطيع ان تبلور ما تريد لتباغضها وانقسامها ولانها ابدىست بقيادات لا تفهم القيادة الا تسلطا وجورا واستبدادا وهذه طباع الضعيف ومعالم تعلن عن الاساس بنمركب الفقص ، ولذلك فهى تتخذ من قضية فلسطين قميم " عثمان " تلوح به فى المناسبات ، وتظن الجهاد بالخطب والمؤتمرات قد حل " محل " الجهاد بالسيف والرمح ، وأنهم قد أعفوا من كل ذلك ، نوان هذا الحدف الذى يشكل خنجرا فى الجسم العربى لا يوجه اليهم بل على العكس من ذلك فانه يحفظ وجودهم اذا هادنوه فى الحقيقه ولا مانع ان يتظاهروا بمحاداته أمام شعوبهم كما أكدت لهم دول العرب - حليفنا على الرقم منا - ان امتيازاتهم والقابهم ومناصبهم مصونه ولن تصراة كل هذا ماذا فعلت حكوماتنا العربيه المتعاقبه ؟ هل اعطت الجماهير دورها الطليعى ؟ وهل دريت كل الشعب كما فعلت اسرائيل ؟ وهل وصحت الرحل المناسب فى المكان المناسب ؟ وهل اعتمدت فى قوانينها ومراسيمها على التشريع السماوى الذى لا يابيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وهل حررت الناس من الخوف والقلق ؟ وهل وفرت لهم متطلباتهم الاقتصاديه والثقافيه والنفسيه ؟

لانباخ ولن نعدو الحقيقة نسي شي اذا كان جوابنا بالنفي على كل تساؤلاتنا
اسابقه ولذلك خاض الحرب ما يسمى بالحرب الاولى ١٩٤٨ كما " خاضوا " الحرب
الثانية ١٩٥٦ وخاضوا الحرب الثالثة ١٩٦٧ وخاضوا الحرب الرابعة ١٩٧٣ دون أن
يحققوا ما يرجونه وما تتطلع اليه نفوسهم وما يجب أن تحققه ارادتهم ، فان قمم
اسرائيل والذين من وراء اسرائيل ليس أمرا مستحيلا كما يظن البعض ، " فكم من
فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله ، والله مع الصابرين " أما اليهود فقد نانسوا
وما زالوا ألد أعداء العرب والمسلمين قال تعالى " لتجدن أشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود " صدق الله العظيم .

وقد كتبوا شعارا على برلمانهم " الكنيست " هو " حدودك من النيل الى الفرات
يا اسرائيل " وبين فوربون يقول في إحدى خطبه في امريكا " ان خمسة ملايين يهودي
سيقتلون اسرائيل خلال عشر سنوات " ويقول في خطبة أخرى في حفل لتخريب
الضباط اليهود في المدرسة العسكرية في مايو ١٩٤٩ " اننا لم نصل بعد الى غايتنا
أى الى النصر النهائي فنحن حتى الان لم نحرر من بلادنا تحريرا كاملا غير قسم واحد
منها فقط أما الاقسام الباقية فسيكون مصيرها مصير القسم الذي تسيطر عليه اسرائيل
الان (١) .

ولم تكف اسرائيل بما أحرزته في ١٩٤٩ بل كانت تتقدم كل يوم وتوسع من رقعتها
ففي اعتداءتها المتكرره وسعت رقعتها في سهل العوله ، كما وسعت حدودها في منطقة
اللطرون في حدودها مع الاردن كما امتدت بحدودها على شاطئ البحر الميت وخليج
العقبة ثم وسعت رقعتها على حساب المنطقة المنزومة السلاح في العوجا واحتلتها
وفي حرب ١٩٥٦ احتلت سيناء كلها ولم تسحب الا بعد أن ضمنت مرور سفنها في
خليج العقبة عبر مضيق تيران وشم الشيخ وفرضت القوات الدوليه لمدة تزيد على عشر
سنوات على الجانب العربي ، وانطلقت تبني نفسها وتوسس علاقات جديدة في كل اتجاه
ونجحت في افريقيا نجاحا ملموسا ، واستغلت حداثة استقلال دول افريقيا وسيطرة
الاستعماريين الانجليزى والفرنسى السابقة عليها فسخرت كل ذلك لحسابها في غياب
الاعلام العربى ، فأصبح لها ذلك نفوذا هائلا هناك وجعل هذه الدول تقصف

في معظمها - الى جانب وجهة النظر الاسرائيلية .

وفي الحرب الثالثة ١٩٦٧ تمكنت اسرائيل من تعظيم الجيوش العربية الثلاثة لمصر وسوريا والاردن في ايام قلائل واحتلت سيناء كلها للمرة الثانية واحتلت بقبضة ارض فلسطين - الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما احتلت قسما من سوريا وهو هضبة الـولان ، وأخذ الزعماء العرب يناهرون ويعلنون بأن اسرائيل قد فشلت ولم تحسق ما كانت ترجوه من يأس السرب واستسلامهم لها ، وقد يكون بعض ذلك صحيحا ولكنهم اضافوا الى ذلك بأن اتساع رقعتها سيجعلها تبعثر قواتها وفي ذلك مقتل لها ومضت السنوات تطحن كبرياء العرب وكرامتهم ، وحق لاسرائيل أن تتبجح ودفعها الضرور الى القول بأنها اصبحت في غير حاجة لامريكا أو بريطانيا فقوتها الداتيه كميله بتأديب العرب ، وأحست انها اصبحت القوة الفعالة في منطقة الشرق الاوسط ، وأن على العالم أن يتعامل معها من هذا المنطلق وكان لكل ذلك أثره بلا شك ، وكاد اليأس يتسرب الى النفوس ، وفقد الكثيرون الثقة بدولهم وحكوماتهم ونيل للبعض أن الانسان العربي قد اصيب بالعمم وأنه لاصلة له بالفروسية العربية الاسلامية ، وأنه ليس من طينة خالد رآبي عبيد موطارق وصلاح الدين ، كما شعروا بأن ما تقوله الصهيونية عن جنودها فيه الكثير من الحقيقة والواقع .

ومن ظلام هذا اليأس وحلقة ذلك القنوط بزغ فجر الامل متمثلة في ظهور المقاومة الفلسطينية التي كانت أنبل ظاهرة خرجت من ظلام الهزيمة ، حقا أنها سبقت هزيمة ١٩٦٧ حيث بدأت انطلاقها في الفاتح من يناير ١٩٦٥ وكانت بدايتها محسوده دا لانها حوريت من الانظمة العربية نفسها قبل محاربتها من اسرائيل فلما جاءت نكبة يونيو ١٩٦٧ وحدث ما حدث اتيج لها أن تثبت وجودها ، فالانظمة العربية تلحق جراحها ، ولن يصيبها اكثر مما اصابها " أنا النريق فما خوفي من البطل " وتظاهرت تلك الانظمة بتأييد الثورة الفلسطينية وهياث لها المجال الاعلامي وأخذ الزعماء التقليديون يخطبون ودها ويصيح البعض قائلا " كلنا فدائيون "

ولم تضر الا ٣ سنوات ثلاث حتى ينقض النظام الاردني - تسانده امريكا واسرائيل وصمت الدول العربية الاخرى على الثورة متذرها بحجج واهيه في معظمها وتسقط نسي تلك المذبحة المدبره بليل عشرات الالاف من القتلى فان ذلك ما أعظم هديه تقدم الي

إسرائيل الفرحة الشامه ، ويخرج باقى الفدائيين من الاردن مطرودين ،
وينقل الفدائيون نشاطهم الى لبنان - ولا ننكر وجود انقسام
بين جماعات الفدائيين فى أسلوب الثورة - لا فى هدفها -
ومرجع ذلك الى اختلاف الاوضاع فى العالم العربى الذى انسحب
بالتالى على أبناء الشعب الفلسطينى الممزق هنا وهناك ومنتهج
عن ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى بأذن الله .

وجاءت الحرب الرابعه فى ٦ تشرين الاول " أكتوبر " سنة
١٩٧٣ وأنطلق الجندي العربى يفسل عن نفسه عار الجبن والمهزبه ،
وأثبت - بلاشك - وللعالم أجمع أنه مقاتل من الدرجة الاولى ،
وأنه كفرد يتميز بخصائص قلما توجد فى انسان آخر وحقق هذا
الانسان - فى المرحلة الاولى - من المنجزات ما يصل الى حشد
الاعجاز " وبذل ادمه وروحه رخيصة فى سهيل عزة الوطن وكرامة
المواطن ، وكانت نفسه تتحرق شوقا الى أسترجاع أرضه -
كل أرضه - وتحطيم غرور ذلك العدو الذى أصاب فرصته
فى عقله من الزمن فظن بنفسه الظنون ولعبت برأسه الاوهام ،
وأخذ يلقيه درسا قاسيا فى قتال حقيقى لا يثبت فيه الا -
الانسان المؤمن وهللت قلوب العرب والمسلمون وعشاق الحق
والقيم فى كل مكان ، وأندفع العرب من كل حدب وصوب يقدمون
المون فى جميع صوره وأشكاله من الخليج شرقا الى موريتانيا
غربا ولكن السياسة تأبى الا أن تشد هذا الحماس وتكبل هذه
الشجاعة وتلجمها وترغمها على أن تقف فى دور المدافع بعد ما كانت
تنفذ دور المهاجم ، ويتدخل المستعمرون يساعدون ربهتهم ويقدمون
لها حتى أنفسهم وأبنائهم .

* تشرد أبناء الشعب الفلسطيني *

تحدثنا فيما مضى عن آثار المأساة وما جرته من ويلات على الأمة العربية وشعوبها عامة وعلى الشعب الفلسطيني خاصة ، وقد عانى الشعب الفلسطيني وحده - من المدوين اللدودين " الاستعمار والصهيونية " طيلة خمسين سنة الكثير من المصاعب والالام ، كما قاسى التشرد - طفردا - طيلة عشرين عاما فيما بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ أى منذ أن حدثت المأساة فى عام ١٩٤٨ حتى نكبة يونيو ١٩٦٧ - فتضاعفت جموع اللاجئين من غزة والضفة الغربية ومن سيناء ومدن القنال وقراها ومدن الجولان وقراها ، ولأول مرة تشعر الشعوب العربية المجاورة بمرارة الاغتراب ، كما شمرت هذه الشعوب لأول مره أيضا بخطر أسرائيل عليها إذ كانت تتوهم أن أسرائيل لا ترغب فى أرض فلسطين ، ولن تفكر فى اجتياز حدودها المعروفة ، حتى كانت نكبة يونيو ١٩٦٧ قلبت المفاهيم رأسا على عقب ، وليت العرب اتعظوا وأستفادوا منها المبر واللدروس اللازمه ولم يكتفوا بهمض الدموع يذرفونها والتنهيدات يصعدونها ثم ينمسون كل شمسى * ويمسودون الى سابق عهدهم وكأن شيئا لم يحدث .

وهكذا ظل الشعب العربي مهتماً عن قضيتيه الأولى -
علماً بأن التاريخ يثبت بأن تحرير الأوطان والنهوض بها
والدفاع عن مكتسباتها وأهدافها أمور من صميم واجبات
كل مواطن .

ونحن حين نتحدث عن التشرد فلا بد أن نتطرق إلى
الظروف التي نزع فيها الشعب العربي في فلسطين إلى
أماكن أخرى وترك دياره مرغماً يتهدده الموت .

والتخيل فضلاً عن ظنه بأن هذا النزوح مؤقتاً ، وأن القوات
الصليبية ستقضى على عصابات اليهود في أيام قليلة يمسود
المسرب بعدها إلى ديارهم وقد تظهرت من رجس المعتدين الدخلاء
وما كان أحد منهم يتخيل أن هجرته ستتمد شهوراً بمسبل
سنين .

وكانت هجرة الفلسطينيين إلى المدن والقري
الفلسطينية الأخرى التي لم تسقط في أيدي اليهود
مثل الخليل ونابلس وطولكرم ورام الله
وبيت لحم وما حولها من القري
وغزة وجباليا وخن يونس ودير البلح ورفع .

كما توجهت أفواج منهم شمالا الى لبنان ، وأفواج اخرى الى سوريا ، كما واصل البعض توجهه شرقا الى شرقي الاردن ، واستمر البعض في توجهه جنوبا فعبر سيناء متوجها الى مصر ، وهكذا نرى الشعب الفلسطيني قد تجمع أصلا في مدن وقرى فلسطين التي بقيت عربييه ثم في لبنان وسوريا وشرقي الاردن ومصر .

نعم تبعثر اللاجئون في كل مكان حول فلسطين ودخلها يحسون فيه ببعض الامن وكانوا في معظمهم شيوخا ونساء واطفالا أما الرجال القادرون فقد دافعوا جهدا استطاعتهم الى أن نفذت ذخيرتهم أو تحطم سلاحهم المتواضع ، فاستشهد من استشهد وجرح من جرح وتراجع من استطاع التراجع لان العصابات اليهودية لم تكن تعترف بقوانين الحرب وكيفية معاملة الاسرى وانما تهدف الى الابسادة ما استطاعت الى ذلك سبيلا وهناك أمثلة كثيرة على وحشيتهم التي خبرها الجميع وعرفها القاصي والداني في دير ياسين ويافا واللد والرملة وحيفا وفي كل مكان من ارض فلسطين ، فكانت هذه الفظائع مدعاة للهجرة من الاماكن التي يحتلها اليهود أو المهتدده باحتلالهم وهي كما نرى اسباب وجيهه لا يستطيع أحد أن يلوم الشعب الفلسطيني عليها ، وماذا تكون الاسباب المبرره للهجرة اذا لم تكن هذه الاسباب والتاريخ يشهد تكرارا دائما لاحد ، نه وتقاربا لمبرراته .

" فقد هاجمت ليبيا جحافل الطليان عام ١٩١١ وعلى طول تاريخ الجسها د وحتى عام ١٩٣٢ وجموع الشعب الليبي تغادر الوطن مهاجرة وباحته عن الملجأ الذي تجد فيه الامن واسلامه فاتجهت تلك الجموع الى مصر وفلسطين وسوريا شرقا والى تونس والجزائر غربا والى السودا ان جنوبا .

وبالامر القريب حين التهمت ثورة الجزائر المجيده رأينا جموعا غفيرة من أبناء الشعب الجزائري البطل تتوجه شرقا وغربا تطلب الملجأ وتفتش عن الامن في المغرب وتونس وليبيا (١) .

(١) صالح مسعود ابو يصير - جهاد شعب فلسطين ص ٤٢٩

وفعلما اقتربت قوات المحور من مدينة الاسكندرية ولما جموعا فغيره من سكانها تتوجه الى القاهرة والى الارياف باحتقن الفجاة والسلامة هذا فى عصرنا الحديث وفى عالمنا العربى .

فاذا استقرأنا تاريخ المسلمين الاوائل كيف هاجر المسلمون هجرتهم الاولى والثانية الى الحبشه ، ثم هاجروا بعد ذلك الى المدينة وقد تركوا ديارهم وأموالهم فرارا بدنينهم وحفاظا على عقيدتهم ونفوسهم وكرامتهم . ومن هنا فليس من حقنا أن نلوم الشعب الفلسطينى على هجرته التى كانت تفرقا طبيعيا واستجابة لفرصة حفظ البقاء مارستها كل الشعوب عبر مراحل التاريخ المختلفه كلما مرت بألروف قهرهم وترفمها على ذلك ، فالحرب مثلا ما كانت لتستوجب كل الافراد فالشيوخ والاطفسال والحجزه والنساء يجب أن يهدوا عن مياد ينها لاعتبارات مختلفه ، ولم تكن الهجرات وفقا على عالمنا العربى والاسلامى وانما حدثت فى بقاع مختلفه من العالم وعبر عصوره المتعدده .

فحين تنادى الصليبيون فى انباء اوربا لطرد المسلمين من فلسطين عام ١٠٩٥م وشقت جحافلهم اوربا تحمل دوافع المادى والنهب . هربت الشعوب امامها وخلقت مشكلة لاجئين كما حدث حينما هاجمت جحافل المغول فى العصور الوسطى آسيا أن تكونت اعداد هائله من اللاجئين الذين تهدمت ديارهم واختطفت ارواحهم وتعرضت أعراضهم للمهتك والاستباحه كما حدث مثل ذلك حين هاجمت قبائل الهون اوربا فى العصور الوسطى .

اما فى العصر الحديث واثناء الحرب العالميه الثانيه فقد غزت جحافل الالمان فرنسا عام ١٩٤٠ فكانت أولى المشاكل هى مشكلة الهجرة الى الدول والى سبب كثير من التعقيدات للمسؤولين حينذاك والامثله على هجرة الشعوب اثناء الحرب والقتال عديده ، وبهذا لم يكن الشعب الفلسطينى بدعا بين الشعوب ولم تكن هجرته لمرأ فريدا علما بلن تلك الهجرة حدثت نتيجة للمذابح التى ارتكبتها عصابات اليهود فضلا عن الاعتقاد بأنها ستكون مؤقتة وأن الجيوش العربيه الزاحفة ستلقى بالمحتدبين فى البحر وستعيد الامر الى نصابه فى القريب العاجل .

وأيا كانت الظروف والمبررات فليس من حق اليهود أن يدعوا الحق في امتلاك وطن هؤلاء اللاجئين أو التحكم في أملاكهم وأرزاقهم . يقول المؤرخ البريطاني الشهير " ارنولد توينبي " في حوار مع سفير اسرائيل في كندا " ياماكوف هرتزوك " :

" عندما غزا الالمان فرنسا سنة ١٩٤٠ حرب بضعة ملايين من سكان شمال فرنسا الى جنوبها لنفس السبب الذي حرب منه عرب فلسطين ، وهو كونهم فسي منطقة العمليات الحربية سنة ١٩٤٨ ولست أظن أن أحدا يوافقني على القول بأن هؤلاء الفرنسيين الهاربين ، كما يحاول أن يفعل جميع السكان المدنيين في منطقة عسكريه ، قد تخلوا عن حقوقهم وأراضيهم وممتلكاتهم وبيوتهم الموجودة في شمال فرنسا ولو أن الالمان في الوقت الحاضر اقاموا الدعوى قائلين : لقد غزونا البلاد وكان هؤلاء الفرنسيون قد نفذوا نصيحه غير سيديه فهربوا ، وقد لنا حق شرعي في ممتلكاتهم ، وأنه لمن العيب كما أنه غير شرعي ألا نحوز هذه الممتلكات لكسان جوابنا " انه كلام سخيف " (١) .

وكذا اصبح معظم الشعب الفلسطيني يعيدا عن دياره يعاني من التشرد ويشعر أفراده وكأنهم نباتات اقتلعت من جذورها وجف فيها ماء الحياة وهي عرضة للرياح الهوج تتقاذفها في غلظه وقسوة تتضاعف على مر الزمن .

ومما يثير الدهشة والخرابه أن كثيرا من المسئولين اليهود يزعمون أن الشعب الفلسطيني قد خرج من دياره بطوع اختياره وبتهريض زعمائه مستشهدا بالهيئة العربية العليا الا أن الهيئة العربية العليا تكذب هذا الافتراء بالوقائع فقد أرسل رئيس الهيئة العربية العليا رسالة الى الحكومات العربية تحمل الرقم د ١٣٢٩ (٨٠٨) ومؤرخة في ١٩٤٨ / ٣ / ٨ جاء فيها ما يلي : " نظرا للحوادث الجارية الان في فلسطين بدأ بعض السكان العرب ينزحون عن البلاد الى البلاد العربية المجاورة ، ان من شأن هذا النزوح أن يؤثر تأثيرا عكسيا في الحركة القومية ويؤثر تأثيرا سيئا في عرب فلسطين وأن يخلق أوضاعا تضعف المصنوعات العربية " وتستطرد الرسالة فتطلب " عدم تجد يد اذونات اقامتهم ووجوب عودتهم الى فلسطين " (٢) .

(١) آرنولد توينبي - جريمة ودفاع ص ١٠٨

(٢) مجموعه من الباحثين - فلسطينيات ١٢ ص ١١٨

ومن هنا نرى أن الشعب الفلسطيني لم يترك دياره طوعاً اختياره ولا بناءً على نصيحة أسديت إليه من زعمائه وإنما تمت تحت ضغوط رهيبه من التهديد والتخويف وجهت إلى المدنيين قبل أن توجه إلى المقاتلين فقد انتشرت أخبار المذابح والمجازر المرعبة ، وكانت عصابات اليهود قترك بعض الناس أحياء ممن شاهدوا جرائمهم كسى يتحدثوا بها ويصوروا بشاعتها فيكون لذلك أثر سيء في نفوس الباقين . وتتكون لديهم قناعه بأنهم جيش فقد كل معاني الانسانية يعمطش افراشه للدماء وخاصة دماء الاطفال والشيخ والمدنيين الحزل من الملاج . وقد أثبتت المجازر التي أقدموا عليها هذه الحقيقة المرعبة .

وهكذا شرد العرب الفلسطينيون بعدما قاسوا الكثير وبعدما قدموا أعظم التضحيات فان التاريخ يشهد لذلك الشعب أنه لم يترك أرضه وبلاده لمجرد الارهاب فقد دلت الاحصائيات الرسمية أن أغلب اولئك الذين لجأوا كانوا من الذين يعجزون عن حماية أنفسهم ، اولئك الذين أجمعت الشرائع والقوانين على حمايتهم الا شريعة جيش اليهود في فلسطين ، فقد كان ٣٠٪ من اللاجئين اثناء القتال من اطفال لم يبلغوا الخامسة من عمرهم وكان ٣٦٪ من أعمار تتراوح بين السادسة والثامنة عشر و ١١٪ من نساء حوامل وأمهات مرضعات و ٨٪ من الشيخ والمرضى والمجيرة ويبلغ هذا ٨٥٪ من النسبة المئوية للاجئين ، فاذا أضفت إلى هذا أن المرأة العربية لم تكن محسوبة من المحاربين ، وأن العرب يعتبرون المرأة عرضاً يجب ابعاده عن ميادين تستوى فيها احتمالات النصر والهزيمة تبين لك بعد ذلك أن الرجال لم يهاجروا من أوطانهم ولم يفروا من ارهاب اليهود ، ولكنهم تحصنوا ودافعوا وبذلوا الكثير (١)

أما اذا أردنا أن نحرف عدد اللاجئين " التقريبي " والامكة التي توزعوا فيها فان هذه الأرقام تحطينا صورة قريبة من الواقع الذي نود الاحاطه به .

أولاً - أن عدد الشعب الفلسطيني كله يبلغ الان ثلاثة ملايين على الاقل

وقد كان ٢٤٥٣٠٠٠ منذ عشر سنوات أي في عام ١٩٦٢ م .

ثانياً - أن عدد المقيمين على أرض فلسطين يبلغ نصف العدد السابق أو يزيد

قليلاً وهو ٣٠٤٠٠٠ منهم ٣١٣ ألفاً في أرض فلسطين المحتلة

منذ سنة ١٩٤٨ م و ٢٩٠ ألفاً في قطاع غزة والباقي وهو ٦٠٠

الف في الضفة الغربية .

(١) . محمد طلعت غنيمي - قضية فلسطين أمام القانون الدولي ص ٢١٦/٢١٧

ثالثا -

يتوزع باقى شعب فلسطين على النحو التالى :

فى سوريا ١٥٠ ألفا وفى لبنان ١٦٨ ألفا وفى الكويت ٩٥ ألفا
وفى السعوديه ٥٠ ألفا وفى الاردن ٥٠٠ ألفا وفى امارات الخليج
عشرة الاف وفى بلاد عربيه اخرى ٤٠ ألفا وعشرة الاف فى المهجر
وهذه الارقام هى ارقام تقريبيه وهى مستمدة من المصادر التالىيه

أ - البيانات الرسميه لبعض الحكومات العربيه .

ب - البيانات الرسميه لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة
للأمم المتحده .

ج - البيانات الصادره عن سلطات الاحتلال الاسرائيلى .

د - البيانات الصادره عن منظمة التحرير الفلسطينيه .

هـ - البيانات الصادره عن الهيئه العربيه العليا .

رابعا -

أن هذه التقديرات تقريبيه كما أنها قد مضى عليها عشر سنين
وبذلك فلسنا نبالغ حين نقول أن العدد الحالى قد تجاوز الثلاثة
ملايين رغم عشرات الالاف من الضحايا الذين سقطوا اما نتيجة
الارهاب الصهيونى واما نتيجة المذابح التى ارتكبتها الانظمة
العميله فى الاردن وسوريا والاحزاب الفاشيه فى لبنان ، وعلى
الرغم من كل التضحيات التى قدمها شعبنا والتضحيات التى تعرض
لها فانه قد ظل شامخا كالطود لا يلين ولا يتراجع ولا يضعف ولا مسرا
فى أن ارادة الشعب من ارادة الله .

اذا الله احيا أمة لن يردّها الى الموت قهارولا متجبر

مظاهر الاسى والحزن

• على الرغم من تآرد أبناء فلسطين تحت كل كوكب ومعتوتهم فى كل قطر - وقسوة
الحياة عليهم فقد صبروا صبرا الكرام على لغوب العيش وخطوب الزمن وشداد المحسن

صهروا على الجوع وتحملوا كل الآلام دون أن يتسرب اليهم اليأس ومافتثوا يواصلون
كفاحهم بكل الوسائل من أجل استعادة وطنهم (١)

وإذا أردنا أن نصور أسي شعب فلسطين وحزنه فلن نستطيع ذلك وستعجز
الأقلام وتضيق الصفحات ولكننا سنقدم بعض اشعارهم التي كانت زفراء ~~عجيب~~
أسي ولوعة لما كابدوا من محن وما عانوا من مصاعب ، وليس هناك ما هو أسمى على
النفوس من مبادئها للمد له بعد العز واحساسها بالهوان بعد المنعة وليس هناك
شعب على وجه البسيطة اقتن من أرضه وموطن ابائه واجداده والقي به في الصحراء
أو تحت الأفيام الممزقة في الصحارى والبيد ، وترك نهبا لعاديات الزمن تفوشه
وتزدرى آديمته عدا شعب فلسطين مما كان له ابعد الاثر في نفوس ابنا هذا الشعب
الذين حفرت المأساة في وجداناتهم ندوبا عميقا وانطقت الكثيرين فبهم شجرا ينسرف
دما ويقطر مراوه وأسي ، ولم يكن ذلك مفتعلا أو متكلفا وإنما كان شعرا صادقا يعبر
عن تجربة شعوريه حيه حافله بالنبض والمعاناة وفي عرضنا لبعض هذه الأشعار
سنكشف عن حقيقتها نقول فمن قصيده لقدوى طوقان بعنوان " بعد النارثة " (٢) نقول

يا وطني مالك يخنسى على	روحك معنى الموت معنى العدم
امضك الجرح الذي خانته	اساته في المأزق المحتدم
جرحك ما أعمق أغواره	كم يتنزى تحت ناب الألم
اين الالى استصرختهم ضارعا	تحسبهم ذراك والمعتطم
ما بالهم قد حال من دنهم	ودون ما سباتك حسي أصم
قلبت فيهم طرف مستنجد	فمزك المنذ فح المقتحم
وأخجلتنا حتام أهواؤهم	تغرقهم في لجها الملتطم
هم الانانيون قد أغلقوا	قلوبهم دون البلاء الملم
لا ربح يستنهض من عزهم	لانخوة تحفزهم لاهمهم
أحنوا رقاب الذل يا ضعفهم	واستسلموا للفادار المحتكم

فالشاعرة تصور الأسي الذي ألم بوطنها بعد أن أصابته جراح الأعداء

(١) الدكتور نامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٤٢٠

(٢) قدوى طوقان - ديوان وحدي مع الايام ص ١٢٧

وتغلى عنه أساته ومساعدوه وتركوا جراحه تنزف دون أن يقدموا له العون المنشود فأصبحوا عليه عبئا بعد أن كان يظنهم عوناً له ، وقد فرقتهم أهواؤهم ومزقتهم مطامعهم ، تتحكم فيهم أنانيتهم الضعيفة ، وخلوا من قيم النجدة والمرءة ، كما استقاموا للمذلة والهوان أمام المستعمر الفاشم .

أما في قصيدة " حلم الذكري " فتقول الشاعرة نفسها " فدوى طوقان " خلال دخان علا واستدار على العتبات تدب همام وبين الزوايا عناك تحبوا وأبصرت أشلاء قومي هنيا عيون مفقاة بعنسترت وأيد مقطعة ووجوه

رأيت الحمى خربة ماحله
وتعبر قافلة قافلته
وتمحن في زحفها وأغلك
وهناك على طرق السابك
على الأرض حباتها السائله
غذ الترب ألوانها للخائفه

وكان هناك وراء الدخان
قطيع ود يح بقية قومي
تظلمهم في الحراء الخيام
براكين خامدة لاتسفور
قصارى مطامعهم لقمسة
تجود بها كف جلالهم

قطيع تشتت في كل بيد
فهذا شريد وهذا طريد
وقد أخذوا في هدوه بليد
استحال اللظى في حشاها جليد
مخمسة بهوان العبيد
لتخديرهم كل صبح جديد (١)

فالشاعرة تصور لنا الحمى وقد استحال خرابا يلفه الدخان ، والحشرات والهموم تسبح في عتباته قافلة وراء قافلة والحناك نسجت بيوتها في زواياه ، كما صورت لنا بشاعة الجريمة التي ارتكبتها الاعداء ضد ابناء شعبها الذين مثل بهم اشنع تمثيل . أما الشعب المصري في فلسطين فقد تشتت في كل قفر كأنه قطيع ضال لا يطك من أمره شيئا وقد استبدل مساكنه بالخيام البالية التي لاتدفع حرا ولا تمنع زمهريرا وأصبح كل أمل أن يلقي لقمه ترد عنه غائلة الجوع وهذه اللقمة تأتيه ممن كانوا سببا في بلائه ليظل مخدرا عاجزا عن الثورة والسعى في الثأر لوطنه وحماة .

(١) فدوى طوقان - من قصيدة " حلم الذكري " مجلة صوت البحرين السنة الرابعة العدد الخامس جمادى الاولى سنة ١٣٧٣ هـ .

أما الشاعره * سميره أبوغزاله * فتصور لنا مظاهر الاسى الذى ترك بصماته فى
حياة اللاجئين الفلسطينيين فتقول :

مشيت فى وجه الاباء الطريد
وشاح الشقاع على جسمها
وفى صدرها أنة الفاقدمات
نظرت اليها وفى لهفة
كطيف حبيب لحلم حبيب
وفوق المحيا وشاح المنيب
وقصة ذاك النعيم السليب
ترأى لصينى خيال حبيب

سليمى تعانق أقصى الرزايا
وقد أسلمت روحه للالسه
وفى الجسم من طعنات الرزايا
تشدد الى الصدر طفلا رضيع
ومالت عليه بشكل مريح
بقايا حطام النعيم الصريح (١)

والصورة التى ساقتها الشاعره هى صورة امرأة من نساء شخبها قد الم بها الاسى
فهى تسمير واجمه وقد طردت من ارضها ويلفها الشقاء وكأنه اصبح وشاحا لها ، وقد
تكلمت عليها الهموم اذ فقدت ولدها الرضيع بعد أن فقدت وطنها وشردت مسح
اهلها عن حماها ونعيمها النائم .

أما الشاعر * هارون هاشم رشيد (٢) * فيقول :

رب أم حنت على طفلها البكير
الصقته بصدرها خشية الموت
وعجز هوى الجدار عليها
ويتيم قضى أبوه شهيدا
هدمت فوقه الحواصف بيتها
وفتاة مكلومة القلب تبكى
وصغار مشردين بلا أهـل
وكثيرين قد أفاقوا حيارى
هتفوا بالسماة أن تحبس الشيث

وضمته وهى خوف وذعر
وهل يدفع المنية صدر
فاذا بيتها المهدم قبر
فهو من بعده دموع وفقر
هو فى واقع الحقيقة جحر
فقد خدر ، وما جواه الخدر
تراموا على الطريق ومروا
مالهم ملجأ ولا مستقر
وهيهات أن يفيض بحر

فالشاعر يرسم لنا صورة حزينه سوداء يجلبها الاسى وت مرها النوعه ، صورة الام التى
تدخر على ابنها البكر تخشى فقدته وتدفع عنه الموت ، وصورة العجز التى اصبح بيتها

(١) سميره أبوغزاله - من قصيدة * مشهد من مآسى الحياه بين اللاجئين الرسالة
العدد ٩٤٩ - ١٠ / ٩ / ٥١ .

(٢) هارون هاشم رشيد - من قصيده عنوانها "أين المفر" ديوان مع الضرباء ص ٢٧

فهرأ لها ، وصورة اليتيم الذى فقدته والده فأصبح وحيدا فى الحياة يصارع أهوالها دون حول أو طول ، وصورة الفتاه التى فقدت حماها وخدرها فأصبحت على قارعة الطريق بعد أن كانت عزيزة فى خدرها ، وصورة الصغار المشردين الذين هاموا على وجوههم ، وغيرهم كثيرون أصبحوا حيارى لاوطن ولا ملجأ لأنها لوحدة حزينه قاتمه ويزيد ما حزنا أنها أصبحت واقعا تعسا يحياه ذلك الشعب المنكوب .

أما الشاعر " محيين بسيسو " (١) فيرسم لنا الصورة على النحو التالى :

لم يترك السيل غير الحبل والوتيد	من ذلك الشعب أو من ذلك البلد
وغير بعض الحرايبا الساجيين على	تلك الوصول بقاياهم من الولد
وغير ما شاهدت عيناك من جثث	منفوخة لم تزل مجهولة الممدد
هنا حطام هنا موت هنا غسرق	هنا بقايا رغيغ عالق بيهد
هنا العمون التى تصطك ميتة	هنا الشفاه التى تدعو لذارغهد

تلك البقية من شحى ومن بلدى
تلك البقية من شحى فذاك أبى
ان جئت تسأل عن اطفالها صرخت
يامن نصبت لهم سود الخيام على

فالشاعر يرسم لنا صورة شعبه من اللاجئين وقد جرف السيل خيامهم وأفرقتهم
الوحول فتناثرت الجثث - بلا عدد - منفوخة فى العراء والمباني قد حطمت فلم
تقو على الثبات أمام عاديات الزمان - ولكن عمون الموتى وشفاههم كانت تتطلع السى
هم النار .

وهذه بقية الشعب الذى طرد من أرضه ودياره تحولت الى مجموعه من الشرانم
لاتكاد تربطهم رابطته وقد فقدوا السيطرة على تفكيرهم ومسار حياتهم وقد أصبحت
حياتهم فى الخيام أمرا لا يطاق ، فالخيام السوداء المنصوبة فوق الرمال الصفراء هى
أسوأ مسكن يمكن أن يدفع اليه الانسان .

أما الشاعر محمود الافغانى (٢) فيرسم لنا مظاهر اليأس والاسى فيقول :

(١) محيين بسيسو - من قصيدة بعنوانها (السيل) ديوان المعركة ص ٦
(٢) محمود نديم الافغانى - من قصيدة بعنوانها " أخى ايها اللاجئ " مثلى

الام ونـــــــيران	أخى فى القلب والاحشــــاء
وفى الاعماق هرــــكان	وفى جفنى طمــــنــــات
ومن أرجوهم خانــــوا	لمن أشــــكولظى همــــى
من قطب الى قطــــب	أخى يا أيهما اللاجــــى
حتى تاه فى الســــدرب	ومن أودت بعد الايــــام
وأجائل من القــــلب	تحيات وأكبــــهــــار
وغم تتابع الخــــطب	لمن لم يحن منه الهــــام
لى أينما كانــــا	أخى يا أيها اللاجــــى
ف اشكالا وألوانــــا	جرعنا الكأس رغم الانــــ
كوامك وأوطانــــا	وقالوا ويلهم باعــــوا
أخى هل نحن من خانــــا	أخى هل نحن من باعــــا

وهكذا نرى الشاعر يصور ألمه من أعماقه وجوانحه وكأنه نار تحرق احشاه وبركان يمزق جنبهيه ، وهو لا يجد من يشكو اليه همه اللاهب بعد أن خانه الذين عقد عليهم رجاءه ، وهو يحى أخاه اللاجى الذى أودت به الايام وطوحت به من مكان الى آخر ويكبر فيه عزته واهائه رغم كل المصائب والخطوب ، كما يوضح أن اللاجى الفلسطينى قد تجرع كأس الاسى مترعه رغم أنه وتحالفت كل قوى الهفى والطغيان عليه ، ولم يكف بعض السذج بذلك بل اشاعوا عنه أنه باع ارضه ووطنه والتاريخ يعلم ان الزعماء الخونة والرجعية الجبانة كانوا عوناً للاستعمار والصهيونية وهم بذلك يستحقون سبة التاريخ ولعنة الدهر - أما الشاعر " رجا سمرين " (١) فيقول فى هذا المجال

يا خياما فى القفر مثل القبور	وصمة أنت فى جبين الدهور
والناس فى جميع العصور	يا نشاز الانغام يا سبة التاريخ
على رسم حقتا المهــــدور	أنت مأوى للبهائم شيدك الظلم
بأيدي مضمومة بالشــــور	أنت سفر الالام سطره البهــــسى
يسفح الدمع فى دجى الديجــــور	كم حوى نسجك الارث عزيزا
قد قضاة منعماء فى القــــور	رائيا عيشه الكريم وعمــــدا
يترع الكأس من مدا مــــور	يوم ان كان فى الديار كريمــــا

لقد كانت الخيمة رمزا لللاجى المشرد فكانت وصمة فى جبين الزمن لانها جلبت المــــار ، وأستحقت لعنة الناس والتاريخ ولقد فرضتها الدول الكبرى الاستعمارية على شعبنا مكان منازلنا ولطماننا فكم من عزيز كان يسكن القصور ويميش حياة مرفهة ابيح نزيل هذه الخيمة الحقيرة

كتبتين : يهـ كومرس المذله والهوان .

(١) رجا سمرين - من قصيدة عوانها " خيام اللاجئيين " ديوان " المنائمون " .

أما الشاعر " خليل زقطان (١) " فيصور أسي هذا الشعب هكذا :

أنا في ظلال الواقع المشعور	ن بالازراء أحيسا
أنا رغم آلامى الجسام	فدوت اطوى اليأس ظمها
وأقود آمالى على أشـ	لاء حلم كان غيمسا

أنا قد صحت على الجراح
أنا قد صحت وإذا أنيسا
أنا قد صحت على العروبة
أنا قد نظرت المستجير

تسيل من بعضى لبعضى
ملقى بأرض غير أرضى
تزدري جهرا وتغضى
وإن به ياقوم عرضى

أخى ما هذه الخيميات
وما هذى الجبال الجرد
فلا ترض وان زاد ولـ

بعد القصر تعطى لها
بعد السهل تزواها
إلا الأرض اياها

ان الشاعر يصور لنا نفسه كرمز للاجى ، الفلسطينى بأنه يحيا رغم الظروف القاسية المشحونه بالالام ، وهو لا يحترف باليأس وإنما يندفع بامله ليتغلب على واقعه المرير وعلى الرغم من أن جراحه ما زالت تنزف ، كما أنه يوضح لنا أنه قد ألقى بعيدا عن أرضه وأن أمته العربيه تعاني من الازدراء والتحقير ولنشها لاتحرك ساكنا وليس هناك من يجير الشرف المثلوم .

كما يتساءل فى عجب كيف تعطى ايبها للاجى ، خيمه بدل القصر ؟ وكيف تسكن الجبال الجرداء عوضا عن السهول الخصبة الخضراء ؟

انك يجب عليك أن تتمسك بأرضك ولا ترضى بها بدلا .

أما الشاعر المبدع (أبو سلمى (٢)) فيصور أساء وحزته هكذا :

(١) خليل زقطان - من قصيدة بعنوانها (قسا بجوع اللاجئين) ديوان صوت الجياع

ص ١١٠

(٢) أبو سلمى - من قصيدة بعنوانها (سنعود) ديوان المشرد ص ١٤

فلسطين الحبيبة كيف أحييا
تناديني السفوح مخضبات
تناديني الشواطئ باكيات
تناديني الجداول شاردات
تناديني مدائنك اليتامى
بعيدا عن سهولك والهضاب
وفي الافاق آثار الخضاب
وفي سمح الزمان صدى انتحابي
تسير فريضة دون اغتراب
تناديني قراك مع القباب

فالشاعر يخاطب فلسطين الحبيبة قائلا لها أنه لا يستطيع أن يحيا بعيدا عن سهولها وهضابها حيث نشأ وترعرع ، وسفوحها المخضبة بدم الشهداء تناديه هو واخوته فهم اصحابها وأولى الناس بها لانهم منها واليها ، اما الشواطئ الغالية فتبكي حرقا والما لفراق شعبها المشرود والذي يتجاوب مع بنائها بالنحيب الذي علا سمع الزمان والجد اول تناديه شاردة اللب تشعر بخيرتها رغم أنها مازالت في مآنها لم تبرحه ، أما المدائن التي فقدت أهلها فلبست ثوب اليم وهكذا شأن الترى وكل ملامح الوجود ومظاهره في الوطن المفقدي .

أما الشاعر على هاشم رشيد (١) فيرسم الاسى والحزن على النحو التالي :

أخى لا تلمني ان بكيت على عمري
أنت قبيل اليوم تحلم أننا
وهل نظرت يوما بذهك أننا
شباب لنا مثل الزهور تشتتوا
الست تنى ما يضمرد دهر من غدري؟
سيقذفنا فقر محيل الى قفري؟
سناكل من عدم ونشرب من فقري؟
فيقذفهم قطر عضوب الى قطري

نسيت فؤادي ان نسيك موطنى
وان انا لم أذرف دموعا فاننى
فان نحن شتتنا سيجمعنا غدا
ومن يطلب الامال بالجد والهدى
فمالي لعمرى حين انساك من عذري
امل صبرى ما ينوه به صبرى
نداء مجيد حين نهتف للشار
سيجنى ثمار الجد بالفوز والنصر

فالشاعر يبكي على عمره أسى ولوعة حيث يحس ويلمس ما يضمره الدهر الخثون وما كان أحد ليتصور أو يظن أن القنار ستقذفنا ، ولم يكن أحد

(١) على هاشم رشيد - من قصيدة عنوانها "وداع نانج" ديوان مع الضرباء

ليتمخيل بأننا سنقتات العدم ، ولانجد ما نشعره ، وها هو شبابنا الخاض يتشتت
بين الاقطار المختلفه والتي تخلق أهبابها دونه ، وهكذا يتحتم على كل فرد منسا
الا ينسى موطنه الذي منه - وحده - عزته وكرامته وجد يربنا أن نذرف الدموع
رخيصة في سبيله ليطل صورة حيه في أذهاننا ، وانا كما قد شردنا عنه اليوم
فلا بد أن يجمعنا نداء النار والموءه ، ولا يد أن يفوز بالنصر كل من شخذ السبيل
الموءية اليه .

وهذه نماذج من الاشعار التي ترسم بعض مظاهر الاسى والحزن التي عانى
منهما الشعب الفلسطيني كثيرا ، ولو أردنا أن نقتبح كل ما قيل في هذا الباب
لضاق بنا الصفحت ولكننا نكتفى بهذا القدر ولعلنا نكون قد قدمنا غي ~~هنا~~
المجال ما يعطى صورته تبل الصدى وتروى النله .



الباب الثاني

الفريسة والحنين للوطن في الشعر العربي

الفصل الاول

— معنى الفريسة ومفهومها :

الفريسة هي النزوح عن الوطن والابتعاد عن الاهل والديار ، بمعنى أن يشعر المرء بأبتصاده عن مكان نشأته وفراقة لذويه الذين يرتبط معهم نفسيا عاطفيا وأجتماعيا ، " ويبدو أن الانسان منذ بدأ يضرب في الارض قد حمل بين جوانحه ضروبا من الاحساس بالفريسة " ، حتى لقد تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الاحساس ، وربما كانت أسطورة الحارث الجهمي التي ذكرها وهب بن منبه في " كتاب التيجان وتصور زوال الجراهمة " وبقاء الحارث وحده في التيه والفريسة ، هي في الواقع رمز لحياة العربي التي تضرب في التاهات بلا انقطاع ، الذي لا يهدأ وراء المطر والكلا (1) .

وهكذا نرى الانسان العربي يحس احساسا عميقا بفريسته لاظطراره - جريا وراء رزقه ومعيشته - الى مفادرة مواطنه التي نشأ فيها مما يدفعه دفعا الى بكاء الاطلال والمرايح ، كما نجد ذلك واضحا في جميع أشعاره وقصائده ، ولذا أصبح شعر الاغتراب لونا واضحا في شعرنا العربي كشعر الغزل أو الرثاء وغير ذلك من الاغراض الاخرى .

والفريسة والتعبير عنها في الشعر العربي أمران واضحا المعالم هما رزا السمات منذ أزمان بعيدة وفي بيئات مختلفة يدوية كانت أم حضريه ، وأن كانت الفريسة تختلف وتتفوع حسب الزمان والمكان والمجتمعات ، وبرغم التقدم الحضاري الذي حققته البشرية فإنه لم يستطع القضاء على الفريسة وأن كان قد جعلها منظمه لتتلاءم مع ظروف الحياة الجديدة ومتطلباتها .

(1) الدكتور / ماهر حسن فهمي - الحنين والفريسة في الشعر العربي

ومما لا يخفى على أحد أن طبيعة حياتنا المربية * الهداوة والجذب* كان لها أثر كبير في دفع الانسان المربى الى الاغتراب والتنقل من مكان الى آخر حتى كأن الاغتراب أصبح السمة الغالبة على حياة الانسان المربى في المصور الزمنية الماضية ، كما أصبحت الهداوة صفه ملازمه له ، وأن كان يشاركه فيها الكثير من الاجناس الذين يقيمون في مناطق مشابهة من حيث المناخ والتضاريس أى الذين يسكنون الصحارى مثلا في آسيا وأفريقيا وأستراليا وأمريكا ، كذلك سكان المناطق الجليدية الذين يرتحلون وراء عيدهم ومعيشتهم ، ولسنا نريد الاسترسال والاستقصاء لهذه الانواع من الغربة ، ولكننا نريد حصر الغربة عند المرب فقط لانها هى موضوع البحث .

والغربة التي نذكرناها هنا هى الغربة للمكانية أى تلك التي تعنى نزوح فرد أو أفراد من الموطن الذي نشأوا فيه الى مواطن أخرى لمدة تقصر أو تطول وتحت أى ظرف كان وهى التي يقصدها الناس عادة ، ولكن هناك انواع أخرى من الغربة مثل " الغربة الروحية " والغربة الفكرية " والغربة الجدلية وهذه الانواع تشطبها الغربة الممنوية " .

أولا : الغربة الروحية :

أن الانسان مدنى بالطبع وهو يميل الى الاجتماع بغيره والعيش معهم ويتجاوب مع متطلبات الحياة تلك فيتكيف معها ، وأن كان هذا التكيف يختلف من شخص لاخر ومن بيئة لاخرى ، ولكن الحياة كثيرا ما تتعقد وتتضارب مصالح الناس ، ويحاول البعض فرض سيفرته على البعض الاخر ويقدم مصالحه الخاصة على مصالح الآخرين ، وتنتشر المفسد والشرور ، ولقد حدث للمرب بعد الفتح - أن أصبحوا اغنياء بما أنعم الله عليهم من المغانم فكثرت الاموال في أيديهم وتغيرت أحوالهم وتبدلت من البساطة الى التكلفة ومن القناعة الى التكاليف والجري وراء الثروات ، مما كان له أثر كبير في تبدل اخلاقهم وهادتهم .

وفي الوقت نفسه كانت هناك جماعات لا ترضى بهذا التبدل وترى فيه مخالفة لروح الدين وسماحته وقد دفنوا هذا الضيق الى الزهد والتصوف وأحسنت أنها

تميش بين أناس غرباء عنها لا يشاركونها مشاعرهما ونظرتها الى الامور
فهى فى واد وهم فى واد آخر .

* فالاستعداد للزهد والتصوف ينشأ من ثورة باطنية تخامر النفوس ،
يبدأ صاحبها بجهد نفسه ، وقد أورثت الظروف الاجتماعية الزهاد والمتصوفه
روحاً انفرادية تأملية تفر الى المزلّة ، فالقلق يملأ نفوسهم وتطوف أحلامهم
حول الموت (١) .

ويذكر ابن عربى أن تطلع الزهاد الى الموت انما هو عودة الى الام التى هى
الارض ولذلك هم يحسون بفترتهم بين الناس الاخرين ، فالزاهد او المتصوف
غريب فى عصره ، غريب بمزلقته وتفكيره ، غريب بروحه التى تبغى الاعتناق ،
غريب أيضاً بحبه السماوى مثلما نلاحظ عند رابعه المدوية ، ولم تكن الغربة
الروحية مقصورة على العصور السالفة ، فأن عصرنا الحديث ملى بها فأن
المادية المفرطة فى الحضارة المصرية قد ضغطت كثيراً على روح الانسان
وفرقت عواطفه ، وقد لاحظنا ان الانسان فى شرقنا العربى قد تعرض لهجينة
تلك الحضارة التى جاءت مع الاستعمار الحديث كميستير ومستبد ، فكانت
نتيجة للهزيمة التى لحقت به لا من جراء انتصاره كما حدث فى عصر الفتوحات
الاسلامية ، وهذا ما جعل وقعها اشد قسوة ، وأكثر صخباً لان فيها معنى
التطوير العبرى الذى احدث هزات عنيفة فى الفكر والحياة الاجتماعيه ،
وهكذا حدث للكثير من الاقطار والشعوب لا سيما بعد الحربين العالميتين الاولى
والثانية يقول أحد الباحثين :

* عاد مئات الالوف من الفلاحين الذين كانوا فى خدمة جيوش الحلفاء بمد
انتهاء الحرب الى قراهم ، وقد فقدوا كثيراً من مساحة الريف وبذاجته ، ينقلون
الى رفقاءهم غرائب الاخبار والعادات ونزح الكثير منهم الى المدن فأبتلعهم
مصانعها التى أستحدثت لسد الحاجة الى ما أنقطع استيراده من البضائع فى
أثناء الحرب ، وطبعتمهم بطابع جديد هو اشبه شىء بطابع العمال الاوربيين

(١) الاسلام والحضارة العربية

الذى يتسم بالطيش والقلق والاندفاع وأخذ هو لاء يتلفون شبابهم وأموالهم فسى مقارفة الآفات والآثام والسوم التى خلفتها الجيوش ، ففقدوا ما يتجمل به اهل الريف من الحياء الذى يحول بينهم وبين الاجتراء على المادات (١)

ولذلك فالمتبع لصور الحضارة يجد فيها اهتزازا واضطرابا نتج عن اختلاف المقاييس والمعايير ومدى التكيف حيث يجد الاختلاف فى الملبس والمطعم والمشرب والسلوك حتى فى المجتمع الواحد ، وكان هذا مما حدا بالكثيرين الى الانكفاء داخل نفوسهم التى أقمتمها المرارة والاسى من جراء هذا التمزق الوجدانى ، وقد لعبت الثورات الفاشلة دورا كبيرا فى إدخال اليأس الى بعض النفوس المرهفة فى حساسيتها وجعلتها تبدو وكأنها غريبة عن المجتمع الذى تحيا فيه لانها لم تستطع هضم هذه المواقف الوافده والطارئة فترك كل ذلك نزيفا داخليا أخذت تعاني من جرائه ، ودفعتها ذلك السى العزله التى هى ضرب من الاحتجاج السلبي ، وهروب من صراع لاجدوى فية .

وأذا كانت الامه الاسلاميه ابلان مجدها وتحماتها وأصطدامها بحضارات مادينة متفوقه على حضاراتها قد عانى الكثيرون من أبنائها منها حيث صدمت مشاعرهم وتصوراتهم بما جلبته من ترف وما استحدثته من تقاليد وسلوك ، فأنصرفوا عنها - طائعين او مرغوبين - الى الزهد والتصوف فأن الامه الاسلاميه فى وقتنا الحاضر حيث تبد وضعيفه كسيرة الجناح بعدما تناوشتها سهام الاعداء ، شمر الكثير من أبنائها بأنهم يحيمون فى وضع غير الوضع الذى ينهى ان يكونوا فيه ، ويضطرون الى سلوك لا يتمشى مع تقاليدهم وشريعتهم . " وهكذا دفعوا قسرى طريق زلفه دون الاستعداد النفسى والتهيؤ الفكرى الذى يصاحب عبادة السير الهادى والتطور الطبيعى (٢) .

فالاغتراب كما نرى ليس اغترابا ماديا سببه الانتقال او الرحيل ولكنه اغتراب روحى يتمثل فى عدم التجاوب والتكيف الاجتماعى لحدوث أمور طارئة وعادات وتقاليد وأفدة أو أحداث صاخبه تهز الوحدات وتقلب المقاهيم والمقاييس بسرعة حيث لا تترك فرصة للانسان كي يتغير بالتدريج ، وأما تفرض ذلك التغيير

(١) الاتجاهات الوطنيه - ج ٢ ص ١٨٠ " محمد محمد حسين "

(٢) المذكور / ماهر حسن فهى - الحنين والفرية فى الشعر العربى الحديث

فجأة مما يستحيل على المرء ان يوازن بين الداخل والخارج ويسبب له اضطرابا نفسيا وروحيا اى غربة روحية .

* وما مظاهر العود الى الطفولة عند الشاي وناجى أو الارتقاء في أحضان الريف أو التفرغ بالغباب عند جبران أو الحنين الى المجهول والرغبة العارسة في الانطلاق من قيود المجتمع الجديد وتكلفة عند السياب * وتقديس الحب عند بشارة الخورى وميخائيل نعيمة بعد أن فقدت العلاقات الانسانية للتفسير من سماتها الا مظاهر لانفتراب الروحي (١) .

وكلما قويت الروابط الاجتماعية ضعفت الغربة الروحية لانها لاتتم الا حيث تتفكك هذه الروابط * وتشعر الذات بوجودها مما يجعلها تنكف على داخلها * فيجسم لها مشاعرها وأحاسيسها * فالفردية بيئة صالحة للغربة الروحية * والعلاقات الاسرية والاجتماعية القوية توفر للمرء المناخ الملائم للتكيف الاجتماعى والانسانى مما يشعره انه لا يقف في مواجهة الحياة وحده وأفضل ما يمثل ذلك الانسان القرية والقبيلة * أما انسان المدينة الكبيرة فغالبا ما يشعر انه يغالب الحياة وحده ويقف منفردا أمام عواصف الحياة وأحداثها * مما يورثه الكثير من القلق الذى يدفعه الى محاولة التسرية عن النفس بشتى الطرق والوسائل .

ثانيا : الغربة الفكرية :

* يختلف موقف الشاعر المعاصر عن موقف الشاعر الرومانتيكى من ثلاثين أو أربعين سنة * حين كان يحلم بعالم مثالى فيفر من واقعه ويحس بالغربة الروحية فالشاعر المعاصر لا يحلم ولا يفر لان غرته من نوع آخر * وقد حملت أفكار الشاعر المعاصر طابع المعاناة الحادة * لانه يدرك موقفه في إطار المجموع فلا مهرب أذن مثل مهرب الرومانتيكيين الفرديين ولكنه في نفس الوقت لا يكاد يجد فلسفة هادئة وسط دوامات الفكر المتصارعة في العالم بعد أن الخيت المسافات عن طريق التطور التكنولوجى وثقافة الشاعر تقود تطلعاته - بصورة عامة - الى الامام والى البعيد ولكن واقع مجتمعه مازال يشده الى الخلف والى البعيد ايضا * أليس في هذا مزيد من الاحساس بالتمزق ؟

(١) المصدر السابق ص ١١٠ .

ولا شك أن " الأرض الخراب " لا يليوت كان لها أثرها في شعرائنا ، فالحضارة الغربية تنهار أو تسير الى السقوط كما يقول توينبي وكولن ولسن ، وتتحول قيمها الى حطام ، ونحن من حطامنا نحاول ان نشيد ، فهناك نقطة التقاء عند الحطام في منحني الخط البياني ، ولذا تقبل شعراؤنا (الأرض الخراب) (الرجال الجوف) وأحسوا ان هذا الشعر يمس وجدانهم المأزوم (١) .

وهكذا نرى أن التمزق الذي اصاب انساننا المعاصر وعبر عنه الشاعر والفنان أنما كان مبعثه وفود ثقافات وأفكار جديدة ذات صبغة تصادمية ، فالعلم يلبس ثوب الخمر ويؤلسه المدنيه المعاصرة وبعض العلماء يقدمون نظريات وأبحاثا تتناقض مع العقائد والتقاليد الرأسخه والتصورات الانسانية التي أختزنها عبر عصور متوالية وثقافات متشابهة ، فداروين مثلا يجعل من الانسان حيوانا فقريا مر بتطورات متعاقبة حتى وصل الى حاله الحاضرة . وفرويد يرجع كل حوافز الانسان الى الجنس ويجعل من الرغبة الجنسية والسلوك الجنسي اساسا لكل علم او فن أو سياسة . فالمعظم والصبقرية في الشعر والحكمة والحقيقة في تراث العلم والفلسفة كلها صيغ من عبقرية الفريزه .

ثم يأتي ماركس فيرجع كل ذلك الى العلم والمدنية والآلة التي أطعمت معدهم وجملتهم بزوارك مضيئة لاضاع مجتمعهم الطبقية والاقتصادية وعزا كل ذلك الى التفاعل التاريخي وصراع الطبقات ، وهكذا نرى أن هذه النظريات والافكار قد أقرست الانسان ومزقت وجدانه ودفعته الى الشعور بالفريه الفكرية حيث أحس بانفصاله عن هذه الافكار والنظريات . فهو - في أعماقه - مرتبط بتراثة الدين والتاريخ والثقافة الذي يشده الى الخلف بينما تريد الحياة والواقع المتجدد أن تدفعه الى الامام البعيد دون تمهيد أو تهيب ، نهني وفكري مما يصيبه بالتشتت .

ولكن اللاس في حياتنا المعاصرة وخاصة الشعراء يختلفون في موافقهم من هذه النظريات والافكار فالبعض قد يفقد اتزانه ويقع فريسة لليأس ويحاني من الحزن والسأم وهما هنا المظهر الخارجي للفريه الفكرية . أما البعض الاخر فيتمسك بحبال الامل الضاء ، ويشعر بان الاستسلام لليأس والحزن لن يحل المشكله

(١) الدكتور / ماهر حسن فهى - الحنين والفريه في الشعر العربي الحديث

بل يزيدا تعقيدا . ولذلك يندفع في أمدام وجراة داعيا الى مضاعفة الجهد والبهذل والسعى لنيل العلم والمعرفة للنهوض بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى حتى يقضى على الفروق الشاسعه التى أوجدتها المدنيه بين الدول القويه المستعمره وبين الدول والشعوب الضعيفه المستعمره ، والقضاء على هذه الفجوه لا يتم الا بالعمل المشمر البناء وتكاتف الاحرار والمخلصين فى كل مكان . ولذلك كان أيمان الشعراء بالانسان قويا وهم يعمنون بالانسان من يتخلص من سلبيته وسكونه بحيث يكون ذا حيويه ونشاط ولو قادت حركته الى مشارف الخطر ، أما الانسان - " اللامتمنى " ذلك الذى توقع على نفسه وأجر سأمه فلا أمل يناط به ، كما أن هذا البعض من الشعراء يوضح لنا اننا نعيش فى عالم واجهته منسقه ولكن اعماقة فوضى تكسح كل شىء وتسحق كل شىء .

كما لجأ الشاعر المعاصر الى استخدام الرموز التاريخيه والاسطوريه بوفرة - " فالسندباد " مثلا يتخذ رمزا فى كثير من أشعار الشعراء المعاصرين والاسطورة تحذثنا عن مغامراته الى بلاد بعيدة ، وقد يضل أو يتحطم نوره ولكنه يواصل رحلاته الخطره ليكشف لنا فى كل مرة شيئا جديدا وهكذا يتحول الشاعر المعاصر الى انسان يبحث عن الحقيقة مهما صادفته العقبات او اعترضت طريقه المخاطر ، وهو يريد أن يكشف " جزيرة " القرن العشرين .

كما يؤمن الشاعر أن الكلمه تحيا ولا تموت وأذا عجزت عن التأثير فى جيل ما فأنها لا بد وأن تؤثر فى جيل آخر .

ومن ثم فأننا نرى الشاعر المعاصر يقف من القيم الحصاره حوله موقف معاناه فكل التيارات الفكرية المتصارعه تصطدم به فتجبره على أتخاذ موقف معين منها فيدور فى دوائتها يبحث عن الحقيقة ، وهو يحس مثلا أن الحضارة المعاصرة معرضة للانهييار الا اذا وقف التقدم العلمى منها موقف التأييد والمساندة ، ثم هل يظل الشرق والدول النامية فريسة للتخلف عن الدول المتقدمه ؟ - أم يتسنى لهذه الدول أن تلحق بهركب الحضارة لتتخلص من وضعها الذى تمنى منه ؟

حقا ان عصور الانتقال تسبب قلقا وارتياها فى عقول المفكرين والشعراء لانهم لا يعمدون شد وجذب وتحتاج الى تكيف واع يتم بهدوء وتخطيط مدروس . ولا يسمتنا الا القول بأن جذور الفكره الفكرية قديمه نجدها عند شاعر العربيه المهديع أبى الطيب

المتنبي حيث كان يحس بثقافة المميزه * ولقد جسم هذا الاحساس عنده
طموحه وتطلعه لنيل ولاية او اماره * ولهذا كان يشعر بأن معاصريه لا يفهمونه وتمثل
ذلك الشموخ في قوله :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها
انى بما انا منه محمود
وهكذا ندرك أن اغترابنا ليس ظاهره فردية ، كما أنه يعبر عن ثقافتنا في مقابل
الثقافة الانسانية العالميه من وجهة نظر الشعراء المعاصرين .

ثالثا : الغربة الجدلية (الموقف الجدلي)

أن المجتمع في عالمنا الشرقى يتكون - عادة - من مجتمع المدينة ومجتمع الريف
وكل منهما يكمل الآخر ، وحركة التطور الاجتماعى تتطلب نزوحا من الريف الى المدينة
كما تتطلب - فى الوقت نفسه - نزوحا عكسيا من المدينة الى الريف ، فأبناء الريف
يتوجهون الى المدينة للدراسة والعمل والسعى فى سبيل الرزق حيث توجد
الجامعات والمعاهد والمعامل والمصانع ، كما توجد الاسواق والمتاجر والدوائر
الحكومية . أما أبناء المدينة فيتوجهون الى الريف ليكونوا موظفين او تجارا
او اطباء او مهندسين أو غير ذلك .

وفى الوقت الذى نرى فيه أبناء الريف يتكالبون للتوجه الى المدينة جريا وراء
العلم او العمل ، أو لانها تشدهم بجاذبيتها فيزحمونها ويضاغفون من سكانها
ويصير معظمهم على البقاء فيها مما يصيبها بالترهل ويعقد من اجراءاتها الاداريه
ويشل حركتها فى المواصلات والخدمات العامه نرى ان الريف لا يكاد يعود اليه
من أبناءه احد ، فقد فضلوا البقاء فى المدينة ، ومن ثم فإن القرية لا تنمو
الا ببطء ، كما أنها تعاني نقضا خطيرا من الخدمات لان أبناءها الذين تزودوا
من جامعات المدينة بالعلم والمعرفه فأصبحوا اطباء ومهندسين ومدرسين - قد
فضلوا البقاء فى المدينة ، فأذا كان ابناؤها قد فعلوا ذلك فإن غيرهم سيحذو
حذوهم بلا شك .

وهكذا نرى شعراء ناقدا نزحوا الى المدينة من أمثال * صلاح عبدالصبور ، عبد
المعطى حجازى * الذين نزحوا من القرية الى القاهرة ، كذلك نرح بدر شاكر
السياب وعبد الوهاب البياتى من قرئتيهما فى العراق الى بغداد العاصمه وفصل
الكثيرون مثلما فعلوا جريا وراء الشهرة وتطلعا الى الطموح والقدره على التأثير ،

كما أن المدينة - وحدها - هي التي ستوفر لهم جمهورا واسعا عن طريق الندوات والمحاضرات والصحافة والاذاعة .

ولكن هل كان من السهل على أي منهم ان يترك موطن نشأته ومراتب صباه ويفارق اهله وخالته ليتوجه الى بيئة جديدة يجد نفسه فيها غريبا لا يعرفه أحد ولا يعيره أي اهتمام ؟

فسكان القرية يعرف بعضهم بعضا وكأنهم أسرة واحدة اذا مر ادهم طرحة السلام ، واذا غاب ادهم استفسر الجميع عنه ، واذا مرض عادوه ، واذا وقع في مأزق وقفوا بجانبه . فالعلاقات الاجتماعية قوية مترابطة والقيم الانسانية والاخلاقية لها مكانة محفوظة ، فأين من هذا كله في المدينة ؟

فالجار لا يعرف جاره ، وكل أنسان يجرى وراء شؤنه الخاصه ولا وقت عنده للجاملات وعجالات الحياة تسير بسرعة مما يفرض على المرء أن يعنى بنفسه وأمره فحسب ، وليس في أمكانه أن يطرح السلام على من يقابلهم في الطريق فذلك أمر مستحيل ، وليس لديه الوقت كي يلتفت الى ما يحدث هنا وهناك . وهكذا يسير ويتحرك وكأنه يحيا وحده ، فاذا ما أنتقل ابن القرية الى المدينة هذه وشاهد ما يحدث فيها ورأى الترام والقطار الكهربائي وزحمة للناس وأنشغال كل واحد منهم بشؤنه ، فماذا يكون رد الفعل عنده ؟

ليس من شك في أنه يشمر بالخربة ويحس بالضياح ويشمر انه " أضيع من الايتام في مأدبه اللثام " فلا أحد يعيره التفاتا ، وليس من أنسان يعنى بأمره ، ويحس بضيق المدينة - على رحبها - وكان شوارعها وجداراتها قد تحولت الى سجن يطبق عليه ، وأين منه ذلك الفضاء الرحب الذي خلفه ووراءة في الريف ؟ - وأين منه تلك الوجوه الهادئة المطمئنة التي تبهت في نفسه الامن والراحه ؟ كل ذلك لم يعد سبيل اليه .

أسباب الغربة ودواعيها :

تحدثنا عن الغربة ومفهومها ، وذكرنا أنواعها ، مكانية ومعنوية بأقسامها
الروحية والفكرية والجدلية وعلينا ان نوضح هنا اسباب تلك الغربة ودواعيها أما بالنسبة
للغربة المكانية فإن أسبابها كثيرة ودواعيها متعددة .

ومن هذه الاسباب :

السمى وراء الرزق ، كأن تضيق الحياه بأنسان او قبيله فيرتحلون عن أماكن
نشأتهم ومواطنهم الاصلية بحثا عن الرزق ، وسعيًا وراء الماء والكلأ كما كان يحدث
في الهيئة العربية الصحراوية ، فالبدو يقيمون مادامت الاقامة توفر لهم الماء
ولانما همسهم الماء والكلأ والا فأنهم يبحثون عن موطن آخر تتوافر فيه اسباب
الحياه عندهم .

ومن هنا رأينا الشعراء العرب يتحدثون في أشعارهم عن الاطال والدمن
ويكون الحى القديم ومراتع الصبا ويدعون لها ، وقد استمر بكاء الاطال ، كما
استمر الارتحال وراء أسباب الحياه زما طويلا حتى أصبح سمة بارزة في حياة العرب
وأدبهم " فأمرؤ القيس " يقول في مطلع معلقته المشهورة :

ققا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بمقط اللوى بين الدخول فحومل

أما عنتره بن شداد المبسى فيقول في مطلع معلقته المشهورة ايضا :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توههم

كما يقول لبيد بن ربيعة في مطلع معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها بمعنى تأبد غولها فرجامها

ويسير على هذا النهج كل الشعراء الجاهليين تقريبا ، وأحتذى حذوهم الشعراء
في العصور اللاحقه ، ومرد ذلك الى احساس كل واحد منهم بأن الظروف تفرض
عليه النقلة والارتحال عن موطن شهيد ذكريات عزيزة على نفسه ووجدانه ليس مسن
السهل عليه أن ينساها فلا يفتأ يذكرها ويرددها في غنائده وأشعاره .

ومن أسباب الضربة أحساس المرء بفقد الأليف أو الحبيب حيث تصبح الحياة خالية من البهجة والسرور مفعمة بالأسى والوحشة • مما يعمق الاحساس لدية بالضربة - نجد ذلك واضحا في قول ذي الرمة :

عشية مالى حيلة غير أننى بلقط الحصى والحط في التراب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيدته بكفى والغريان فى الدار وقوع

حيث صور نفسه وحيدا الى جوار بقايا الاطلال تعبت يده بالحصى وكأنها جزء من ذكرياته التى تثير فى نفسه الحنين • غير أن ذكر الغريان يوحي بالوحشة والضربة ويولد جوا من الكآبة النفسية •

" فالاعتراب هنا كامن فى فقد الآلاف والمحبين • وفقدان مذاق الحياة وأشتهائها مادام الحب معادلا لاستمرارية الحياة وخصبها او بمعنى آخر الاعتراب هنا معادل موضوعي للمعم والجذب والعدم • وهى حقيقة كبرى فى بيئة الشاعر القاحلة التى لا تعرف الخصب والمطاء • والحاح الشعراء على هذا المسمى فى مطالع قصائد هم ما يوحي أحياء أقرب الى اليقين بأحاسيسهم الشديد بفجيمية الضربة • بل بفجيمية الحياة التى تسيطر عليها قوى القدر الذى يضرب ضرباته القوية فينشق بين المسحبين • وهى قون لا يستطيع السيطرة عليها ولا زحزحتها حيناً من الزمن • ومحاولة التخلص الوحيدة التى يملكها ازاء هذه الضربة هى ركوب ناقته لبرحل فيبسى • اى انه يقابل الضربة بأعتراب آخر • وهكذا تدور حياته • وهكذا علمته الصحراء التى يعيش فيها (١) •

ومن أسباب الضربة فى المصر الجاهلى وفى العصر الاموى • ما كان يصرف بالخلع حيث كانت القبائل تخلع أبناءها الذين يخرجون على قوانينها وتقاليدها فتتبرا من جرائدهم وتتخلى عن تأييدهم فيهيمنون على وجوههم فى الفلوات يقطعون الطررق ويعتمدون على الفزوة • ورغم انهم قد يبدون أحرارا فى الظاهر الا انهم مشردون غرباء فى الواقع لانهم منفيون عن قومهم وذوهم فكانهم انتزعوا من بيتهم وأبعدوا عنها مما ولد فى نفوسهم تمزقا وضياعا والقسى بهم بعيدا عن الراحة والاستقرار •

تقول الدكتور بنت الشاطى :

" تحس تلك المرارة التى تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمنون على وجوههم فى الفلوات احرارا فيما يبدو ومشردين غرباء فى الواقع • فأنا نلتفت الى ما ترك الخلع

(١) الدكتور / ماهر حسن فهى - الحنين والضربة فى الشعر العربى

في وجدانهم من أشر عميق ناقد سجلته أشعارهم المسحونه بأشجان الخربة ووطأة
الوحده النفسية وقسوة الحرمان من السكن والاهل والدار ، بل أن سلوكهم نفسه
كان يطوى وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق في الفضاء العريض ، والمغامرة
الفتاكة المثيرة ، سخرية مريرة بالحريه الفردية ، وشعورا عميقا بالتمسك
والضياع (١) .

ولقد كان هذا الاحساس بالمرأ طبيعيا لان الهدوى نشأ في بيئة تقمدهس
الجماعة والقبيلة ، ولا تخرج عن ارادتها او حكمها حتى ولو كان باطلا وها هو
شاعرهم يقول :

وما أنا الا من غزوة ان غوت غويت وأن ترشد غزوة أو غوت

- الاسر :

ومن أسباب الخربة ودواعيها الوقوع في الاسر ، فالمحارب الذي يقع بين
أيدي الاعداء فيسومونه اشد انواع العذاب ويلقون به في غياهب السجون بعيدا
عن أهله وذويه ومحبيه ، يشعر أنه قد اصبح انسانا آخر تتنازعه خواطر شتى ويعيش
في دوامة من الهواجس والافكار - كما أنه يحس احسا ما عميقا بوحدته وغرته ، وكأنه
يقف وحيدا يصارع القدر ويصارعه ونرى ذلك عند " أبي فراس الحمداني " حين
يسقط اسيرا في أيدي الروم فيلج على ابن عمه " سيف الدوله " أن يفتديسه ،
ويذكره بمدى أسهله في قتال الاعداء وحاجة الوطن الماسة اليه فيقول :

سذكرني قوى اذا جد جدهم وفي الليله الظلما يفتقد البدر
- أما المرجى السجين فقد عانى كثيرا من العذاب والتكيل فيقول :
أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت استنها بنحري
أجرر في الجوامع كل يوم فيالله مظلمتى وصبري (٢)

(١) الدكتور / بنت الشاطي - قيم جديدة ص ٣٦ .

(٢) أبو الفرج الاصفهاني - نالغاسي ج ١ ص ٢٨ م ٢٩ .

- الجهاد :

ومن أسباب الفرية ودواعيها الجهاد في سبيل الله ، فلقد خرج الكثيرون من العرب من جزيرتهم في سبيل الجهاد وأوغلوا شرقا او شمالا في فارس والشام ومصر وغيرها من المناطق التي أتجه اليها الفتح ، وأبتعد هؤلاء المجاهدون عن أوطانهم وبيوتهم ، فأحسوا بالوحشة والفريه فقد شط بهم المزار ونأت الدار وأبتعد الأهل والأحباب ، وقد كان الشعور بالفرية يتضاعف اذا احس الجندي بالمرض او الشيخوخه او دنوا الاجل ، ومن الامثله على ذلك ما قاله مالك ابن الربيع التميمي حينما شعر بدنو اجله في خراسان بعيدا عن أهله وموطنه ان يقول :

الا ليت شعري هل أبيتن ليلسة	بجيب الفضا أرحى القلاهي النواجيا
فليت الفضا لم يقطع الركب عرضه	وليت الفضا ما عى الركاب لياليا
فيا صاحي رحلي دنا الموت فأحفرا	برابية انى مقيم لياليا
وخطا بأطراف الاسنه مضجعى	وردا على عيني فضل رداثيا
خذ ابى فجرانى بثوى اليكما	فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
وقد كنت عطافا اذا الخيل أدبرت	سريعا الى الهيجا الى من دعانيا
غداة غد يالهف نفسى على غد	أذا أدلجوا عني وأصبحت ثلثيا
تذكرت من يهكى على فلم أجد	سوى السيف والرمح الوديني با كيا (١)

وأذا نظرنا الى الابيات السابقة وجدنا فيها ألما مضا ومسارة مشحونه بالاسى واللوعه ، فقد عز عليه ان يموت غريبا لا يبالي به أحد ويتذكر ما كان عليه في حياته من بأس وقسوة حيث كان ملء السمع والبصر ولكنه الان لا يجد من يهكى عليه الا سلاحه " سيفه ورمحه " .

- الزهد والتصوف :

ومن أسباب الفرية - الروحية - الزهد والتصوف فالزاهد لا يرتحل ولا - يبتعد عن موطنه وأهله بجسه وأن كان يخالفهم في نظراته الى الحياه والتأمل فيها ومن أبرز الامثله على هذا النوع - رابعه العدوية - فقد افاقت روحها مـأـ أصابها من اثم وتطهرت نفسها من ذنوبها السابقة فأعتزلت الناس وتوجهت الى

(١) ذيل الامالى - ص ١٣٥ وما بعدها

الله بكل جوارحها تصعى الى الاتصال الروحي به عن طريق التخلص والتطهر من
أكدار النفس وشوائبها ولقد أستطاعت بأخلاصها وثباتها أن تبلغ قمة السمو
والاستفراق في الحب الألهي ، وهي تحس أنها مازالت غريبة مادامت لسم
تتصل روحيا بالمشوق " الآله " وقد زال أحساسها بالغرابة هذا حينما
وجدت طريقها الروحي إليه .

ومن الذين سلكوا هذا النهج الشبل الأمير حيث تنازل عن أملاكه وسار في
الطرق حافيا يتحول الناس ويتوجه الى الله في إخلاص وتغان وهو يلح في أن
يفنى في عشق الله ، وقد طور مفهوم الجنون في الحب - الذي كان يعاني منه
قيس بن الملوح - الى عشق روحه ، وقد رد ذلك المصنف في اسمه حينه
يقول :

بإح محزون عامر بهـــــــــــــــــــــواه وكنت المهوى ففرت بوجدي
وأذا كان في القيامة نسوي ابن أهل المهوى ؟ تقدمت وحدي (١)

التشريد والنفي :

ومن أسباب الفرقة التشريد والنفي والمقصود بهما الطرده والإبعاد
فإن الانسان المطارد لا بد وأن يخترب بعيدا عن أهله وأوطانه ومن أبرز هؤلاء
" عبد الرحمن الداخل " حين سقطت دولة بني أمية وظمت على أنقاضها دولة
بني العباسي - فالتاريخ يحدثنا عن هروبه من الشام الى مصر ثم الى شمال
أفريقيا ومنها الى الاندلس وقد عانى الكثير في هروبه وتخفيه ، وشبه في حاله تلك
الشاعر " أبا عدى المهلب " الذي انضم الى جانب " الملويين " ضد
المباسمين ، وقد ولي " لمحمد بن الحسن " الطائف ولكنه لم يكد يرضى اليها
حتى أحس بهزيمه " الملويين " فخرج منها هائما على وجهه الى اليمن حيث
يقول :

هيهات تلك معالم من ذاهب أمس بحوض أم بحقل قباب
قد حل بين أبارق ما أن لـــــــــه فيها من أخوان ولا أصحاب
شطت نواه عن الأليف وساقـــــــــه لقرى يمانية حمام كتاب (٢)

(١) ديوان الشبلي - ص ٩٩ .

(٢) الدكتور / ماهر حسن فهدى - المحنين والفرقة في الشعر العربي

كما نفى في عصر بنى أمية الاحوصى و أبو قتيبة - حيث نفى الاول الى الشام
ونفى الثانى الى اليمن ، وكان لكل منهما شمر يعبر عن آلهما في الغربة البقى
سببت لهما مماناة وشقاء بلا حدود .

أما في العصر الحديث فقد نفى الكثيرون وشردوا عن أوطانهم وأهليهم على أيدي
الاستعمار وأذنا به من أمثال " عبد المحسن الكاظمى " في العراق الذى كان داعية
للاصلاح بعد تأثره بالسيد " جمال الدين الافغانى " ، ومن هنا طارده الولاة -
المثمانيون فهاجر الى إيران فالتهد ثم جاء الى مصر . ومنهم " محمود
سالى البارودى " الذى كان أحد القادة في ثورة أحمد عرابى . وقد
نفاه الانجليز الى جزيرة " سرنديب (سيلان) " وقد عبر عن أحساسه
بالغربة بشعره الذى ينهض بالشوق والحنين ويطلق بالمرارة والاسسى .
كذلك عانى أمير الشعراء " أحمد شوقى " من النفى الى أسبانيا
حيث أبعده الانجليز عن مصر فحن إليها قائلا :

وطنى لو شغلت بالخلد عنـــــــــــــــه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

ومنهم الشاعر العراقي " محمد الجواهري " والشاعر السوري " سليمان
الميسس " والشاعر الفلسطينى " عبد الرحيم محمود " وكثير من أمثالهم
أبعدهوا عن موطنهم وأثبتوا أن الشاعر الحق هو الذى يعبر عن وجدان
أمته ويكافح من أجل حريتها وكرامتها فالجهاد بالكلمة لا يقل عن
الجهاد بالسيف .

- الهجرة :

ومن أسباب الغربة ودواعيها الهجرة فردية كانت أم جماعية فقد يحبس
بعض الافراد او الجماعات ان حياتهم فى أوطانهم اصبحت جحيما لا يطاق ، ويسرون
ان الهجرة عن هذا الوطن قد تخلصهم من عناء ما هم فيه كما حدث للمسلمين الاولين
حين هاجروا الى الحبشة اولا ثم الى المدينة ثانيا .

فالظلم والاستبداد يفرض على كثير من الناس الذين لا يرتضون هذا الذلم أو
يحاربون ويشيرون الناس عليه ، مما يدفع بالحاكم المستبد الى ملاحقتهم ومطارقتهم
فيهاجرون الى مكان آخر فرارا بأنفسهم وحفاظا على مبادئهم يقول عبد الرحمن الكواكبي
" أن الاستبداد داء اشد وطأة من الوباء ، وأكثر هولاً من الحريق ، وأعظم
تخريباً من السيل ، وأذل للنفوس من السؤال ، داء اذا نزل بقوم سممت أرواحهم

هاتف السماء ينادى القضاء والارض تناى ربهما بكشف الهلاك ، كيف لا تقشعر
الجلود من الاستبداد وعهده عهد اشقى الناس فيه العقلاء والاغنياء ، وأسعدهم
بمحياء الجهلاء والفقراء ، بل أسعدهم اولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسد هم
الاحياء . الاستبداد يتصرف في الكفر الاميال الطبيعيه والاخلاق الحسنه
فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها فيجعل الانسان يكفر بنعم مولاه لانه لم يملكها
حق الملك ليحمده عليها حق الحمد ويجعله حاقدا على قومه لانهم عيون
الاستبداد عليه ، وفاقدا حب وطنه لانه غير آمن على الاستقرار ويود لو أنتقل
منه . وكل هذه المسليات المشبهات تهون عند ذلك السم القاتل الذي يحول
الاذهان عن التماس معرفة سبب الشقاء ، فيرفع المستولى عن المستبدين وليتقيها
على عاتق القضاء والقدر ، وقد وضع الناس الحكومات لأجل خدمتهم ، والاستبداد
قلب الموضوع فجعل الرعيه خادمة للرعاة ، كأنها خلقت لأجلهم فقبلوا
وقنعوا (١) .

وهكذا نرى الكثيرين يهجرون أوطانهم برغم محبتهم لها - إذا ما فقدوا فيها
حرياتهم " فلا وطن بلا حرية " .

نقد هاجر كثير من المناضلين عن أوطانهم ، كما هاجر الشعراء والادباء حينما
وجدوا انفسهم عاجزين عن التعبير عن انفسهم ، واحسوا ان الحكام الظالمين
يطاردونهم ولا ينفكون عن ملاحقتهم . ومن امثال هؤلاء :

" عبد الرحمن الكواكبي ، وجمال الدين الافغانى ، والشاعر العراقي عبدالغنى
الجميل " الذى يقول :-

دع الزوراء ان رمت المحاللى وسرعنها تجد عنها بدىلا
فأن الحر لا يرضى بأرضى يرى فيها مهانا أو ذليلا

وهكذا كانت هجرة السوريين واللبنانيين الى الامريكين فى أواخر القرن الماضى
وأوائل القرن الحالى هروبا من اضطهاد الحكم التركى .

وهناك نوع آخر من الهجرة يكون اختياريا جريا ووااء الرزق وسميا لتحقيق
طموحات مادية او علمية - كالذى نراه من هجرة " الادمغه المريبه وهجرة
الممال والفنسين وغيرهم الى أمريكا وأوربا واستراليا وغرب أفريقيا . ومنها هجرة
أبناء الريف الى المدينة او العكس ، فكل هذه الانواع تسبب الشعور بالخربة التى
تولد الحنين فى نفس الغريب ، وتعمق احساسه بالألم والاسى مهما حاول أن يخفى

ذلك او يتغلب عليه فالانسان خلق اجتماعيا بطبعه ، ومشاعره الانسانية
وعلاقاته الاجتماعية وارتباطاته مع ذويه وأهله تجعله لا يجد الراحة الحقيقية
ولا يحيا حياة طبيعية الا معهم وبين ظهرانيمهم ، فاذا ما جدت ظروف قهرية
وفرضت ابعاده عن بيئته تلك أحس بأنه قد أنتزع من مكانه واصبح كريحه فسى
مهيب الريح . هذه هى بعض أسباب الغربة ودواعيها ولقد اقتصرنا عليها
لشهرتها ولانها تفتى عن بقية الاسباب التى أصبحنا فى غير حاجة لسردها .



• الفصل الثاني •

• مظهرها (مظاهر الغربة) •

- غربة الفرد :

أن الأصل في الاغتراب - مكانيا أو زمانيا أو معنويا - أن يكون فرديا حيث تخلع القبيلة فردا من أبنائها لانه خرج عن قوانينها ، وأثقل كاهلها بجرائره فتتخلى عنه لا تتحمل مسئولية أعماله ولا تدافع عنه ، وتتركه وحيدا مطاردا من أعدائه مثل تأبط شرا ، أو الشنفرى فى العصر الجاهلى ، أو القتال الكلابى أو مالك بن الربيع التميمى أو عبيد الله بن الحر الجمضى فى العصر الاموى ، وهو لاء جمعهم ممن كانوا يسمون بالصعاليك ، أو -
المخلوعين •

وقد كانت هناك غربة فردية تحلت فى الارتحال وراء الرزق أو بحثا عن العشب والكأ ، وقد كان الشاعر يحاول التخلص من هذه الغربة بركوب ناقته والاعتماد عليها ، كما كان الصعاليك يحاولون التغلب على غريبتهم بأقتناس الوحش فيقول شاعرهم " الاحيمر السعدى " :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب أذعوى وصوت أنسان فكادت أطير
رأى الله أنى للأهيس لشانىسى • وتبفضهم لى مقلنة وضمير
فلليل أذ وارانى الليل حكمه وللشمس ان غابت على نذور (1) •

فتراه قد ملأ الرعب جوانب نفسه فبالخ فى الهرب من الناس وأنقطع عنهم وأصبح لا يرى الطمانينة الا فى المكان الموحش الخالى ، يكره الناس أشد الكره ويألف الحيوان كل الألف ، ومع أبناله فى البعد كان يكره نور الشمس لانه يخشى ان يدل عليه الناس ، بينما يشكل الظلام سترا واقيا لسه من أعدائه •

وها هو ذا شاعر آخر " عبيد بن أيوب العنبرى يقول :

(1) ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ص ٨٧ •

وأصبحت كالوحشي يتبع ما خـبـلا ويترك بأنسوس البلاد المبرحـر (١)
فهو حينما اشتد هروبه وخوفه من البلطه يشبه نفسه بالحيوان الوحشي الذي
ينأى عن الاماكن المأهوله والمطروقه ، ويلجأ الى الاماكن المنزويه والغاليه
المهجوره .

هذه بعض النماذج من غربة الصعاليك الخلعاء ، وهناك غربة فردية مثل غربة
" أبي الطيب المتنبي " الذي كان يحس - بطموحه وتفرده - أنه يمشي
في زمن غير زمانه . فقد كان يشعر بأنه لم يعط حقه ، وأن كثيرين قد أخذوا ما لا
يستحقون ، كما كان يحس بأنه قد جاء متأخرا ولهذا لم ينل ما تتوق اليه نفسه
فيقول :

أني الزمان بنسوه في شبيبتـه فسرهـم وأتيناـه على الهـرم

فأذا تذكرنا ما حدث للامير الأموي " عبدالرحمن الداخل " وكيف هرب من
بطش العباسيين واستطاع الوصول الى الأندلس ، ثم يشاهد نخله هناك في غير
بيئتها ويقارن بين وضعها ووضع هو فكلاهما انتزع من بيئته الى بيئته غريبه عليه
عرفنا ان غرته كانت فردية تمثل حالة خاصه .

أما أبو تمام فيحن الى مصر وحلوان بعد ان غادرها ووجد وطنا ثانيا لكن
ذكرياته تلح عليه وتمود الايام لتعيب به وتفركه عن أخوانه وخالنه فيقول :

بالشام اهلى وبغداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط أخواني

وكثرة تجواله وتنقله تحرمه الراحة والاستقرار ، وتدفعه دفعا الى الحنين لمن خلفهم
وراءه من الاهل والاصدقاء والاخوان وتشعره بغيرته .

أما ياقوت الحموي - فيتحدث عن نفسه بصيفه الغائب : " اراد أستمتاب الدهر
الكالح واستدرار خلق الزمان الشمام الجامح ، اغترارا بأن الحركة بركة ،
والاغتراب داعية الاكساب ، والمقام على الاقتار نذل وأنتقام ، وجلبس
البيت في المحافل سكيت :

(١) الجاحظ - الحيوان ص ١٦٥ .

فودعت اهلى وبالقلب ما بهسه
وباكية للبين قلت لها أصبى
وسررت عن الاوطان فى طلب اليسر
فللموت خير من حياة على عسر
يقل بها فيض الدموع على قبرى
سأكسب مالا لو أموت بهلسدة

فأمطى غارب الامل الى الغربة ، وركب التطواف مع كل صحبة ، قاطع الاغوار
والانجاد ، حتى بلغ السد أو كاد متسليا بالاخوان قد أرتضى خالدهمهم ،
وأمن بوائقهم عاشرهم بالأطاف ورضى منهم بالكفاف لاخيرهم يرتجى ، ولاشومهم
يتقى :

أن كان لاهد من أهل ومن وطن فحيث آمن من ألقى ويأمننى (١)

ولكن هل يستطيع نسيان غربته ، وهل ظاب له العيش حيث يأمن ؟ لا ،
فأن الحديث عن الهم والاعتراب ينفى ذلك ، وإنما هى محاولة ينشد بها
السلوان مادام الدهر قد حكم عليه بالرحيل المستمر .

والبحترى - الذى ولد " بمنهج " بالشام ثم يرحل الى العراق
وهناك يتصل بالخليفة المتوكل فى سر من رأى ويصبح شاعره المقدم عنده ، ويقضى
معظم عمره بالعراق فهل ينسى موطنه الاول فى الشام ؟ * أنه يظل يحن الى ذلك
الموطن ويحس بالغربة على الرغم من المال والجاه اللذين نالهما فى اغترابه .
ولهذا نراه يعبر عن أحاسيسه تلك فى الكثير من شعره .

أما اذا أتجهنا غربا صوب الاندلس فأننا نجد شعرها المهدع " ابن زيدون "
ونسمع قصائده الرائحة فى الحنين الى قرطبة التى فارقتها الى " ابن عباد "
فى اشبيلية . وما زال الدهر هدايا للعنات الشاعر لانه هو الذى أبعده عن وطنه
ومحبيه " وأن يك رزًا ما أصاب به الدهر (٢) " . كما يقول " وأنى لا عتاب
الزمان لناظر " غير أنه يحاول التماسك وأظهار التجلد متعللا بأن " الحر
يجفى فيظمن " وهكذا كانت كل موشحاته فى الحنين الى قرطبة وما فيها من
أحباب ، ومن هنا فقد عزف أجمل ألحانه بدافع الحنين والغربة .

وفى مصر يطالعنا " البهاء زهير " الذى ولد فى وادى نخله بالقرب من
مدينته مكة فى الحجاز ، وعاش هناك حتى بداية مرحلة الشباب ثم هاجر مع

(١) ياقوت الحموى - معجم الادباء - المقدمة ص ٢٨/٣١ .

(٢) ابن زيدون - السديوان - ص ٣١٢ .

والده الى بلده قوص بصعيد مصر والتي كانت ثانيه المدن فى مصر بعد القسطنطينية
وقد قرأ هناك الادب وسمع الحديث وبرع فى النظم ، ثم أنتقل الى القاهرة وأتصل
بالسلطان الصالح نجم الدين أيوب ، ولذلك نجد شعره فى الحنين والاعتراب موزعا
بين قوص والحجاز ، فهنا إقامة وذكريات وذلان وهناك أهل وأحباب . فقوص
يحس بالوحشه لفراقها ، ولكن حنينه الى الحجاز اقوى وأشد فقد كانت موطنه
الاول ومرتع صباه وملاعب طفولته . يقول أبو تمام :

تقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب ألك للحبيب الاوى . .
كمن منزل فى الارض يسكنه الفتى وحنينه دوما لاول منزل

ولذلك فالهباء زهير يهتف به الشوق الى الحجاز فيقول :

" ويا طول شوقى نحوه وحنينى " ثم يردد :
" وأيامنا بين المقام وزمزم وأخواننا من أفسد وقطين (١)

وحنينه متصل مشهور بالعواطف التى تدور حول وحشة الهباء ، غير أننا
لا نلح فيه عتابا للدهر ولا ثورة على القدر .

أما الشاعر ظافر الحداد (٥٢٩ هـ) السكندرى الاصل فقد ترك الاسكندرية
كبيرا وأنتقل للإقامة فى القسطنطينية ، ولكنه ظل طيلة حياته يحن الى موطنه مما
ضخم احساسه بالفرقة فتحولت الحياه عنده الى أعتراب دائم .

وأذا أنتقلنا الى عصرنا الحديث تطالعنا غربة البارودى الذى كان علما من
اعلام الثورة العربية ، كما أنه مجدد الشعر العربى ، وباعت نهضته الذى رد
اليه ديباجته وخلصه من أثقال الهدى وصبغ الالفاظ الرنانة التى لا طائل تحتها ،
وقد كان أول من قبض عليه عند فشل الثورة وألقى به فى السجن ، فكانت حياة
السجن تجرسة جديدة له وهو الفارس الشجاع الذى لم يعرف الاسر ولا القيد
وعمانى فى سجنه ما يعانى ، ولكن ذلك لا يقاس بمعاناته حين أقتله السفينه منفيما
عن وطنه الى سرنديب ولم يكن لديه كبير أمل فى العوده (ليت شعرى متى أرى
روضته الحنيل ذات النخيل والاعناب) ولحنه هذا يكاد يكون نفس اللحن الذى
ردده من قبل شاعر أموى هو مالك بن الربيع التميمى " الا ليت شعرى هل
أبيتن ليلة بجنب الغضا " وتضى الايام متناقلة لتبدد شبابه " وقد أصبحت
كهلا فى محنة وأعتراب " (٢) .

(١) راجع الهباء زهير - لمصطفى عبد الرازق ص ٦ - ٢٩ .

(٢) الحنين والفرقة فى الشعر العربى الحديث - د / ماهر حسن فهى ص ٤١

أما أحمد شوقي الذي نفى الى أسبانيا وشاهد السفن في الميناء فتحن نفسه الى وطنه مصر وكل شيء يثير أشجانه ويذكره بغيرته ، حتى قصيدة ابن زيدون النونية والتي يصور فيها بعده عن قرطبة وحنينه اليها تذكره بحاله فيسمى الى معارضتها ، ثم يتجول في ربوع الاندلس عليه ينسى ، الا أن التجوال يضاعف من حنينه لان كثيرا من المشاهدات هناك تذكره بوطنه وتشده اليه .

وحيثما يسمع بنها الساج له بالعودة تحطه السعادة على أجنحتها فقد أن له أن يعود وأن يتخلص من مرارة الغربة وآلامها .

ولكن أثر الاستعداد في الغربة لم يتوقف عند هذا الحد في عصرنا الحديث ، فقد تميزت الحركة العربية في فترة ما بين الحربين العالميتين بمفاهيمها المحافظة اليمينية بحيث حصرت جهدها في الحصول على الاستقلال السياسي دون أن تمنى بتطوير المجتمع من الداخل تطويرا يحقق المساواة والمداله الاجتماعيه ، وكانت النتيجة لهذه الصبغة المحافظة للحركة الاستقلالية ان عهد الاستقلال ، لم تلتفت الى المواطن باعتباره قيمة نهائية للمجتمع وللثقافة وللاستقلال ، بل اعتبرته مجرد أداة حتى فقد ثقته بها (١) .

ومن هنا فقد عانى أفراد كثيرون في الوطن الغربة نتيجة اضطادهم وحرمانهم من حقوقهم السياسية وحررياتهم الشخصية ، بل لقد تعرضت حياتهم للاخطار من قبل السلطات الحاكمة - أجنبية كانت أو عربية - التي حرمت رعاياها كل الحقوق الاساسيه الا الهتاف والتصديق لها .

فها هو ذا السياب وهلال ناجي وسعدى يوسف وسليمان العيسى وعبد الرحيم محمود وغيرهم كثيرون يصورون آلام غريبتهم وما يكابدون من عناء النفي والتشريد يقول سليمان العيسى في ديوان " شاعر بين الجدران " :

من أين يخترق الظلام مزغردا هذا النشيد
تصغى له الجدر الثخان بجانبى وتستزيد
صمت " النظاره " والرطوبة والندى حولى همود
وخيمال شاعلاك القديسم طومح اهدا تسرد

(١) فى مفهوم الزعامة السياسيه - ص ٣٥

(٢) سليمان العيسى - ديوان " شاعر بين الجدران " ص ٢٨

أما الشاعر العراقي " محمد مهدي الجواهري " والذي عاش دهرا طويلا من
عمره منفيًا فيقول في ديوانه " على قارعة الطريق " :

لم يبرح العام تلو العام يقذفنا
زواحفًا نرتى أنا وأونسمة
آه على أيمن من ربح صهوتنا
في كل يوم بمومة ويرمونها
مصعدين بأجواء شواهيننا
كما نجول بها غراميامنينا

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن غربتهم وصوروا ما تجرعوا من آلامها عبد الوهاب
البياتي ، احمد عبد المعطي حجازي ، صلاح عبد الصبور ، يوسف الخطيب
وغيرهم .

- غربة الجماعة :

تحدثنا فيما سبق عن غربة الفرد وتبعنا - عبر المصور - حالات بعض
الشعراء كل حالة على حدة وألقينا عليها الضوء دون أسهاب ولكن بالقدر
الذي يفى بالفرض المنشود ، ووجدنا أن الانسان العربي قد أحتمل
- لظروفه القهريه - آلاما مبرحه نفسيه كانت او بدنيه ، وأن الاديب
خاصة قد تأثر أكثر من غيره لرهافة حسه ورقه مشاعره وقد ترجم معاناته تلك نفس
صور أدبيه بقيت لنا على مر الايام وستظل شاهدة على كفاح الانسان المستمر
من أجل حياة أفضل يحقق فيها حرته ويمارس خلالها آدميته التي كرمها الله على
العالمين .

وفيما يلي سنتحدث عن الغربة في مظهر آخر الا وهو مظهر غربة الجماعة على أن
يتم ذلك بتتبع أحوال الجماعات المفترية عبر المصور ، وسنحرص على توضيح
ظروف كل جماعة على حدة .

وأولى هذه الجماعات هي :

أولا : جماعة الصعاليك :

يؤلف الصعاليك في الجاهلية طائفة من الشعراء لها أسماءها بموضوعاتها
ومميزاتهما ولها أسلوبها وغاياتها في حياتها ، وهي طائفة كان للبيئة الجغرافية
والاوضاع الاقتصادية والتقاليد الاجتماعية اثر بعيد في نشأتها ونموها وأستمرارها

على مدار العصر الجاهلي (١) .

فقد كانت البيئه العربيه قاحله مجده لا توفر الحياه الكريمه لكل الناس أو -
معظمهم - بل أن الثروه قد أحتجتها فئه محدوده من الناس ، بينما ظل السواد
الاعظم من السكان لا يجد الكفاف ، ولقد برزت هذه الصوره المشوهه اقبح ما تكون في
مكة ، مما دفع الفقراء المتمردين الى محاوله استخلاص قوتهم عن طريق القوه ،
فلجوا الى قطع الطريق وتهديد حياه الناس ، وكان لعلمهم هذا رد فعل سلبي
في نفوس قبائلهم التي استنكرت تصرفاتهم وتخلوا عن تأييدهم بل وخلصوهم فهاجروا
وجوههم في الصحارى والمها والقفار ، وبرز منهم فرسان فطاك دفعهم اليأس الى
ركوب المخاطر دون مهاله بالحفاظ على ارواحهم .

وعلى الرغم من أن الانسان أجتاعى بطبعه فإن هذه الفئه من الناس كانت تجسد
نفسها مجبره على الانفراد والتوحش حيث يهشون في الصحارى والقفار يناون بأنفسهم
عن الاماكن المطروقه ، ويخافون من أن يراهم أحد حتى لا يقتص منهم ، فقد كانوا
مدائين ومطاردين من جهات عديده . ومن ثم فقد كانت هجماتهم خاطفه تتم تحت
جنح الظلام عادة وبسرعه فائقه ولكن احساساتهم الانسانيه - رغم هذا - كانت
تشدهم فتحن نفوسهم الى حياه الجماعه والعوده الى الاهل والاحباب ومرابح المصالح
والطفوله .

وهذا الاحساس بالمراره طبيعي لان التضامن في سبيل العيش قد جعلهم يقدسون
الحياه القليله ، والشعور بالوحده القليله كان عميق الجذور في نفوس العرب ، فالخامه
الذين فروا الى الصحراء مشردين لا بد ان يقاسوا من الاحساس بالفريه ، والحنين
الدايق الى حياه الجماعه ، مهما صقلت حياه الوحده من شخصياتهم ونجد ذلك
واضحا في شعر أبي الطمحان الذي كان يخشى ان يموت بعيدا وحيدا فيقول :

وقبل ارتقاء النفس بين الجوانح	الا علاشي قبل نوح النوائح
إذا راح أصحابي ولست برأئح	وبعد غد يالهف نفسي على غند
وغودرت في لحد على صفائح	إذا راح أصحابي تفيض دموعهم
وما للحد في الارض القضاء بصالح (٢)	يقولون هل أصلحتم لأخيكم

(١) يوسف خليف - الصعاليك في العصر الجاهلي .

(٢) الحماسه البصريه - ج ١ - ص ٢٨١ .

هذا شأن الصعاليك في الجاهلية فلما جاء الاسلام قضى على للفرق الطبقية والاجتماعية والعضوية وجعل الناس في الحقوق والواجبات سواء وبث العلمانيين في النفوس وأنتزع الحقد والبغضاء منها وجعل من المؤمنين اخوة متحابين فقال تعالى :

* واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة أخوانا * وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم * (١)

فلما جاء عصر بني أمية وأخذوا يعطون على أثاره الفتن ، وقدموا اناسا وأبعدوا آخرين شمر الكثير من الناس بالظلم والاضطهاد ورأت أنها تمبر عن رفضها لهذا الواقع المراد ما لجأت الى القوة تسترد بها كرامتها المهذرة فتكونت جماعة الصعاليك مره أخرى من جديد ، وقد تعرضت هذه الجماعة للمطاردة من أمراء بني أمية وقوادهم وأشد ما كان يؤلم الصعاليك الامويين ويؤذيهم تخلي قبائلهم عنهم واتناعهم عن مناصرتهم وأنشدنا للمهري بن بشر العكلى والقتال الكلابي ابياتا في الفصل السابق ينحى كل منهما على أهله باللوم ويحذفهم لقعودهم عن مشاركته في حياته وتفاعسهم عن النهوض لمساعدته ، حتى لقد ود كل منهما لولسم يكن ينتسب الى قبيلته (٢) .

وها هو القتال الكلابي ينحى على قبيلته تفاعسها عن نصرته فيقول :

هل من معاشر غيركم ادعوهم —————
ولقد لحنيت لكم لكيما تفهموا
فلقد سنحت دعاء بالكلاب
ووحيت وحيا ليس بالمرتاب (٣)

(١) الآيات الكريمة : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ - من سورة آل عمران .

(٢) الدكتور / حسين عطوان - الشعراء الصعاليك في العصر الاموي .
ص ٨١ .

(٣) القتال الكلابي - الديوان - ص ٣٦

ويرى الدكتور حسين عطوان أن الصعاليك في العصر الاموي اربع فئات :

الاولى : فئة الصعاليك الفقراء الذين انشأتهم السياسة الاقتصادية الجائرة التي أتبعها الدولة مع القبائل وفقا لمواقفها منها . مثل مالك بن الربيع وطهمان بن عمرو الكلابي .

أما الثانية : فتكون من خلفاء القبائل وشذائها الذين انحروا سلوكهم في قبائلهم أو في غيرها فخلعتهم وتمصت منهم وتوقفت عن المطالبة بحقوقهم والنهوض بجرائرهم ومن هؤلاء " الخطيم المكلبي ومسمود بن خرشة التميمي " وعبيد بن أيوب المنبري وغيرهم .

الثالثة . : كانت من القادريين من وجه المداله من جنوا على غيرهم وطلبتهم السلطات لاقامة الحدود عليهم أو مماقتهم على جرائمهم فقروا من وجه الطلب ومن هؤلاء " القتال الكلابي ، والقتال الباهلي ، عبد الله بن الاحدب السمدى التميمي " وغيرهم .

الرابعة : هي فئة الصعاليك السياسيين الذين لم يروا طائلا في تصارع الاحزاب المختلفة وتطاحنها على الخلافة والحكومة والذين يتسوا من عدل الدولة الاموية فناصروها خلفاءها وعمالها المداء وخرجوا عليهم منذرين مهددين وساخطين ثائرين من أمثال " ابي حردبه السازني التميمي " عبد الله بن الحجاج الشلبي ، عبيد الله بن الحر الجعفي " (١) .

وقد عاش الصعاليك الامويون على اختلاف فئاتهم فقراء وخلفاء وجنائه فارسيين وسياسيين ثائرين في ظروف صعبة قاسية ، فقد تبرأت قبائلهم منهم وتخلت عنهم وأخذت الدولة تطاردهم فعاشوا في غربة مريرة يتناوشهم القلق والخوف فلا يعرفون للحياة طعما لانها خلت من الدعوة والراحه ، وأنقطعت عن الحياة الانسانية الاجتماعية وهم بهذا كله يشبهون أمثالهم الصعاليك الذين عاشوا في العصر الجاهلي الى حد بعيد .

(١) الدكتور / حسين عطوان - الشعراء الصعاليك في في العصر الاموي

ثانيا : جماعة المجاهدين والقاتلين :

لقد خرجت جيوش الفتح الاسلامي شرقا وغربا وشمالا ترفع رايه الاسلام وتسمى جاهدة لتحرير البشيرة الممذومة من نير العبودية والاستغلال ، وكانت هذه الجيوش مؤلفة من جنود غادروا بلادهم التي نشأوا فيها وأعتادوا طقسها . كما تركوا وراءهم أهلهم وذويهم وأخوانهم ، وكان لكل ذلك أثره في نفوسهم فقد اختلفت عليهم البشيرة ، وأحسوا بهعدهم عن بيوتهم الاولى بكل ماتمثلة في نفوسهم فهاج شوقهم وطفح بهم الحنين ، وأخذ أحساسهم بالخرية يتضاعف كلما طال فراقهم لوطانهم وأهلهم ، وهكذا ظهرت هواكبير الحنين الى الوطن في الشعر العربي ، فقد اصبحت الخربة عند هؤلاء الجنود بعدا عن الجزيرة العربية كلها ، عن معالمها وعن الامل هناك . حيث يتذكر المرين ناقتيه ومضارب قومه ومرايح الصبابة ، كما تسترأى له الصحراء بسماؤها الصافية وفضائها الرحب ورمالها الذهبية وكتبانها وشعابها وحصانها ، ولكل من هذه المعالم اثر لا ينسى في نفسه فأذا اضفنا الى كل ذلك تعلقه بأهله وأخوانه وأحبائه عرفنا الى اي مدى كان شوق هذا الجندي العربي وكيف كانت تتضاعف في نفسه مرارة الخربة والابتعاد .

ومن هنا فإنه كان يعيش بجسده - فقط - في أرض الخربة بينما فواده مازال هناك في وطنه وبين أهله وذويه ، مما حول هذا الحنين الى زفريات عند طائفه ممن الشعراء المفترين من أمثال " مالك بن الرهب التميمي ، عوف بن محلم الخراعي ، الصمة بن عبد الله القشيري " وغيرهم :

ولقد كان الصمة بن عبد الله القشيري من أبرز الشعراء في هذه الجماعه حيث تطور عنده مفهوم الوطن فأصبح كائننا يموج بالحياه لا مجرد ارض أو اسماء أماكن وذكريات شباب . ويقول صاحب الاغانى عن هذا الشاعر :

" وأخبرني جماعة من بني قشير ان الصمة خرج في غزو من المسلمين الى بلاد الديلم فمات بطبرستان ، ثم روى له هذين البيتين " :

الاتسالان الله أن يسقى الحمى بلى فسقى الله الحمى والمطالبها
وأسال من لاقيت هل مطر الحمى فهل يسألن عنى الحق كيف حاليا (١)

أما مالك بن الربيع التميمي فقد حضرته الوفاة بمهدا عن أهله وذوية فأشبهه
تصيده يهكي فيها نفسه ويترحم عليها حيث لا يوجد بالقرب منه أنيس أو صديق أو -
قريب غير فرسه وسلاحه ، ويتحدث فيها عن شجاعته وسالته في الحروب ومظلمها :

الا ليت شعري هل أبيتن ليلسه بهجنب النضنا أزجى القلاص النواجيا

وقد أثبتناها في غير هذا الموضع .

- غربة الشعب :

لقد ذكرنا فيما سبق أن الفرد قد يفترق عن وطنه مختارا او مضطرا لظروف
سياسية أو اقتصادية ، كما ذكرنا ان الافراد والجماعات تفترق وتبتعد عن أوطانها
مضطره او مختاره ، فرارا من حاكم مستبد أو حكم جائر ظالم أو ارتباك أقتصادي
لا يمكنها من الميش الكريم ، كما أنها قد تطلب الهجرة لتحسين وضعها المادي
والاجتماعي ، وقد يكون أغترابها معنويا لانفصالها عن المجتمع الذي تعيش فيه
ذلك لانها متعمدة على الوضع أو خارجه على القوانين والنظم المعمول بها ، كما هي
الحال عند جماعة الصماليك ، او لانها فقدت ثقمتها في نظام الحياة والمجتمع الذي
تحيا فيه ، ولم تستطع الاندماج فيه ومجاراته ، ورأت أنه لا يستحق اهتمامها ومن
ثم فقدت زهدت فيه وأنفصلت عنه كما هي الحال عند جماعة الزهاد والمتصوفة .

ذلك كله قد يكون أمرا عاديا يتكرر حدوثه خلال حقب التاريخ المتلاحقة وفي
أماكن عديدة من الدنيا ، فالترحال والهداوة في حياتنا المربية ، وتشرذم الافراد
والجماعات والاسر خلال الحروب التي تنشب هنا أو هناك أدله واضحة على ما نقول ،
لكن الذي كان يدعنا في التاريخ - قديمه وحديثه - هو أن يتشرذم شعب بأسرة
يقتلع من وطنه أرض أبائه وأجداده ليقتذف به مشردا ضائعا في المهملات
والقفار دون ذنب جناه اللهم الا في كونه مثل مكان القلب من أمه العرب
ووطنها . مما جعله يمثل مكانا " استراتيجيا " لقلعه استعماريه توسعيه
عدوانية تريد أن تميد المنطقة المربية كلها الى حظيرة الاستعمار الجديد ،
فكان ان صدر وعد بلفسور المشثوم في " ٢ نوفمبر ١٩١٧ " ثم أنتهدت
بريطانيا للقيام على شئون فلسطين ومهدت لانشاء وطن قومي لليهود فيها ،

وساعدت مع حلقتها الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية على إنشاء ما يسمى اليوم بدولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ * وكان قيامها نذير شؤم على الشعب العربي في فلسطين الذي أجبر على مفادرة أرضه ووطنه تحت تهديد بالابادة والافناء ، وبعد ان وجد نفسه وحيدا الا من عذابه وآلامه ، وكان أمة المرب من الخليج الى المحيط لا يعنيه امره ولا يهمها ان ينتزع منها كبتها *

ولقد حذر الكثيرون من أهل الغيرة والشعراء أبناء وطنهم ورجال أمته ممن هذا المصير وكان من هؤلاء شاعر فلسطين الفد ابراهيم طوقان حيث يقول :

أماك ايها العربي يوم	تشيب لهوله سود النواحي
وانت كما عهدتك لا تبالى	بغير مظاهر العيب الرخااص
مصيرك بات يلمسه الاديانى	وسار حديثه بين الاقصاص
فلا رحب القصور غدا بهساق	لساكنها ولا ضيق الخصاص (١)

وعلى الرغم من اشتراك سبع من الدول العربية ، أسيا ، في الحرب ضد اليهود فإن الاستعمار استطاع ان يحقق غرضه ، وكان أمر مرجر السى هذا هو ابعاد الفلسطينيين عن الصراع وجمع السلاح منهم بحجة أن الجيوش العربية النظامية ستتولى امر مقارعة اليهود - وليتها لم تفعل - -
وها هو ذا شاعر من فلسطين يصور ذلك بنهضة ومشاعره أصدق تصوير :

سبع من الدول الكبرى تناصرها	شعرا فكان الذى قد كان من عجب
أما الثلاثون عاما وهى راوية	عن كبحنا أمتي شهر ومستلب
فلم تنل من شباب راح يضررها	فى وجه ملتجى منهم وسفتصيب
شموا موصولة النيران جائمة	نكراء ، كافرة ، صحا به الذهب
صلب العقيدة هالات عزائم	كأنه فى صراع المشركين نبي
ليت العروبة فى ابان وثبتها	لم تشهر السيف بتارا ولم تشب
ليت العروبة مازالت تهددهم	من خلف عسكرها المستأسد اللجب
أذن لكان لها فى قلبهم هلع	وكان بعض الذى نبغىه من أرب (٢)

(١) ابراهيم طوقان - الديوان ص ٢٨

(٢) محمود الحوت - المهزله العربية النشيد ٢

فالشاعر يذكر لنا أن الدول العربية السبع قارعت اليهود شهرا فحدث ما حدث
أما الشعب الفلسطيني فقد بقي ثلاثين عاما بمفرده في الميدان فمجزت قوتا البنفسى
الصهيونييه والاستعمار - عن كسر شوكنه وظل هذا الشعب الصغير يصلهم ثورة
عارمه ملتهمه يفتد بها الايمان بالله والوطن والاصرار على الحيا بكرامة أو الموت فى
سبيلها ، ويتمنى الشاعر لو أن العرب ظلوا بعيدا عن القتال واكتفوا بالتهديد
لكان ذلك أجدى ولما كشفوا عن ضعفهم وتخاذلهم وأودوا بنتا الى هذا المصير
التمس .

حقا أن شعبنا العربى فى فلسطين قد التجأ الى الشعوب العربية المجاورة
وحقا ان هذه الشعوب قد استقبلته بما عرف عن العربى من مروءة وكرم تجاه الناس
وخاصه الاقرباء ، وقد تم اليه ما تستطيع من عون ومساعدة ولكن الحكومات العربية
كانت فى واد والامه العربية فى واد آخر ، فهذه الدول لم تحرك ساكنا تجاه المسأه
وكان الامر لا يعمها ، والشعب الفلسطينى يجتر الامه وتتقطع انفسه حسرات ،
فهو محروم من التدريب والتجنيد - كما أنه محروم من التنظيم السياسى والاجتماعى
والقت دولنا العربية " الرشيدة " مسئولية هؤلاء اللاجئين على عاتق (وكالة
الضوت) وما أدراك ما هى وكالة الضوت ؟ أذ يكفى ان نعرف أن أمريكا
تسيرها وهى التى تدفع لها معظم التزاماتها المالىه ، وحرصت الوكالة على أبقاء
الانسان الفلسطينى لاجئا ، فلاهومييت فينسى ولاحى فيرجى يعيش على الكفاف
ولا يجد الا مايسد الرمق ، والمعونه التى تقدم اليه ، فئات يجب أن يأخذها
فى مذلة وهوان والا فالويل له كل الويل . وهو فى معظم البلاد العربية محروم من
العمل ، فاذا تسنى له أن يعمل فهو ممنوع من الترقية وممنوع من أن يتساوى
بأمثاله ، وحقوقه الوطنيه تخضع لمزاج رؤسائه ، فلا قوانين تضبطها ولا جهة
تسهر عليها .

وأذا اراد ان ينتقل - مثل أى انسان آخر - أخذت التحقيقات تلاحقه وتطارده
وأسرعت العميون تتعقبه - فقد يشمل ثورة هنا أو هناك - هكذا اصبح الفلسطينى
مطاردا معذبا حتى من بنى جلدته أخوانه فى الجنس والدين والمصير .

وقد كان أخرى بهؤلاء العرب أن يفتقوا موقفا تمليه الاخوه والنظرة البعيده لا
أن تكون - هذه الحكومات - حربا على الشعب المسكين فتقف فى صف واحد مع
جلاديه من صهيونييه وأستعمار ، فقد كفاه ما عانى وما يعانى ، إذ اصبح بعيدا

عن أرضه ، مشردا عن أهله وأخوانه ، يفترش الفجرا ويلتحف السماء وقد صور حال هذا المشرد شاعر فلسطين " أبو سلى " اذ يقول :

يا أخى انت معى فى كل درب	فأحمل الجرح وسر جنبنا لجنب
قد مشيلاها حطا أمية	انبتت فوق الثرى أنضر عشب
نحن أن لم نحترق كيف السننى	يملاً الدنيا ويهدى كل راكب
والدم الحمر الذى وحدنا	خلد التاريخ فى أروع كتب
سر معى فى طرق الممر وقل	اين من يحى الحى أو من يلى ؟
فهنا الايتام فى أدمهم	وهنا تهوى العذارى مثل شهب
الوشاحات تعرى زهرها	بعد ما كانت موشاة بسحب
وشيوخ حملوا أعوامهم	مقلات بشظايا كل خطب
هم ضحايا الظلم هل تعرفهم ؟	انهم أهلى - على الدهر وصحبى
يارفاق الدهر هلى شردكم	فى الورى غدر عدو ام محب ؟
زعما . دنسوا تاريخكم	وملوك (شردوكم دون ذنب
وجيوش (غقر الله لها	سلمت أوطانكم من غير حرب
دول (تحسبها شرقية	وأذا امعتت فالحاكم غرسى
يوم هزت للوفى راياتهم	حكمت فيه على تشريد شعب (١)

وقد كان لهذا التشريد فى نفوس ابناء فلسطين اثر وادى اثر ولم تعد مأساته مأساة قومية فحسب ، بل تجاوزت حدود ذلك لتصبح مأساة انسانية فريده من نوعها ولا غرابة فى أن تمهز ضمير العالم . ولكن هذا الضمير فى معظم بقاعه كان أعزل من القوة التى احتكرتها دول البنى والاستعمار فأصبح الحق المرسى فى فلسطين مجرد كلمات تتناولها المناظر ويتبارى خطباؤها وزعمائها العرب فى التشدد بها والحرض الشديد - فى الدفاع عنها ، ومن هنا ظل يعيش على هامش التاريخ . كما بقى جرحا نازقا فى وجدان كل فلسطينى أو عربى مخلص . وقد فجرت المأساة قرائح الشعراء وأمدت الشعر بالصورة الدائمة المعبرة وأنطقت الادباء والشعراء وليس هنا ما يجلسو النفس ويصهرها كالألحم فأنقسم الشعر فى فلسطين الى ثلاثة أقسام :

" التشرد والحنين الى الوطن - الاحساس بالقرية فى الخمسة - الرغبة فى التخلص من الاغتراب بالعودة .

فكيف عبر الشعراء الفلسطينيون عن وداعهم لوطنهم وحنينهم اليه ؟
وما شهوم الوطن وسط الاحساس بمنف التشرد وقوة الفريسة يقول " هارون
هاشم رشيد " مصورا ارتباط المرء بالارض بأعتبره قد خلق من ترابها
ومن هنا ارتبطت مشاعر الناس في الارض الواحده وجمعتهم امال واحده
كما ربطتهم الذكريات ولهذا فهو يترك عمره حين يترك بلده " غزة " (١)

وداعا فيم ياغزة بالله الوداع ؟
وأنا منك تراب وشعور والتماع
وحنين الخد المرموق شوق والتماع
أنا ان ودعت مفناك تلقاني الضياع
وتلقني ذئاب جائعات وضبياع
وداعا كان يا غزة من غير كلام
عبر الصمت به عن كل حس وسلام
ومع الفجر تسلك كطيف مستهام
تاركا خلفي أيامي وعمرى والفرام
تاركا غزة خلفي تحت اشجار القمام (٢)

والفريه التي يعانيتها الانسان الفلسطينى هى مأساة امه كامله ولذلك
لا يجف نريف الجرح والتساؤل والحيرة يفجرها هو لاء المفتربون المهددون
فى وجهه انسانيه كلها لتتحمل مسؤوليتها كامله فى معاونتهم على أسترجاع حقهم
المهدور ، لانها سكت عن ملاحقة المجرمين وتعريه موقفهم ووقت موقفا سلبيا أتاح
لهم التحرك فى حريه يعبثون هنا وهناك وينتهكون مقدسات الاخرين ويقامرون بمصائرهم
وها هو الشاعر الفلسطينى خليل زقطان يصور آلام اعترابه وضياع وطنه الذى وقع فريسة
فى أيدي الاعداء الطامعين ، فهو يستجير به كى ينقذه ولكنه لا يستطيع نظرا للظروف
القهرية التى تكبله فيقول :

أنا قد صحت على الجراح تسيل من بعض لبعضى
أنا قد صحت وأذا أنا ملقى بأرض غير أرضى

(١) الدكتور / ماهر حسن فهمى - الفريه فى الشعر العربى الحديث ص ٨٥

(٢) هاروق هاشم رشيد - ديوان غزة فى خط النار ص ٧٦

أنا قد نظرت المستجير وأذا به يا قوم عرضى
أنا من أنا ؟ لا شىء والاعداء رابضه بنقاصى
أنا ليس يجد بينى البكاء أو التحدث عن مصابى
ماهذه الاغلال ؟ ما معنى تزوجى وأغترابى (١)

وشعراء فلسطين حين يكون وطنهم فانما يكون الذكريات والارض التى بدلت
بأهلها قوما آخرين ولذلك تبدد كالحبه حزينه ، فهى تهكمهم كما يكونها وتحسن
اليهم كما يحنون اليها وكيف لا ؟ وقد خلقوا من تراثها وتنسوا هواها وشربوا
من مائها وأكلوا من خيراتها وقيها نشأوا وعليها درجوا ، فلاحياة لهم بعيدا
عنها - يقول ابو سلى :

فلسطين الحبيبه كيف أحيا
بميدا عن سهولك والهضاب
فالتعلق بالوطن احساس غريزى لا ينقسم ، فهو مرتبط بشرايين القلب
ويسرى مع دم الانسان فى كل كيانه حتى لو عاش فى أحسن بقاع الدنيا فان
لاهد وأن يشده الحنين الى وطنه - يقول " أحمد شوقى " :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وهكذا كانت الغربة فى فلسطين غريتين :

" غربة الارض - وغربة الشعب " فقد اصبحت أرض فلسطين غير ماكانت عليه
أذ سمى اليهود المفتصون الى طمس معالمها وتغيير هويتها وطبعمها
بالتطبيع المزيف ، الذى يريدونه لها ، فهم يسعون جاهدين من أجل الغاء
عرويتها والقضاء على آثارها وضمها بالصنفة اليهوديه الدخيله . أما الشعب
فقد أغترب بنزوحه عن وطنه وأصراره على المسوده اليه ورفضه ان مساومه عليه . كما
أنه لم يقبل الانصهار فى الاقطار العربيه المجاورة رغم ارتباطه العضوى والمصيرى
بأخوانه العرب فيها ، لانه يشعر بأن ذلك لو تم فإنه سيضيع حقه فى المسوده التى
دياره والمطالبه بها والسعى الجاد من أجل استرجاعها . وقد كلفه ذلك الموقف
الكثير من شطف العيش وقسوة الحياه احسها ولمسها الكثيرون من ذوى الحس
المرهف من الشعراء والادباء العرب وأعتبروا ان غربة الملاجى الفلسطينى غرسه
لكل انسان عربى فما ساءة فلسطين ما ساءة العرب جميعا يقول الشاعر المراقى " عبده
الوهاب البياتى " متسائلا :

على النار على الشوك
مشينا ومشى شمسى
لمذا نحن ياربى
بلا وطن بلا حبيب
نموت ..
لمذا نحن فى المنفى
لمذا نحن ياربى (١)

أما الشاعر السوري سليمان العيسى فيصور هذه الفربة على النحو التالي :

ضياح بأماقنا نيمسقه	حياة تجسد فيها الهوان
فكيف بلا جذرها تنزورق	غصون مقطعة فى السدروب
على أحفادنا يشرق	خلاص وأين ؟ سنا فى الغيوب
تدور وتسحو ما تسحق	تركت ورائى رحى البائسين
ظالمى ولىلى الذى أعشق	وأسلمت للجوع والزمهرير
الى اين يبصقنى النورق	وسرت على غصن لا أعسى
اليه ومن مائه العسق (٢)	طلت السراب أحث الخطا

" فالغصون المقطعه فى الطريق " تعبیر دقيق عن غربة الشعب العربى فى فلسطين بعد أن أجدت الارض وأبعدت العصون عن جذورها والارض التى تنبت فيها ولا طريق يخلصها من غربتها تلك الا بالغوده الى ارضها حتى لو كان قى ذلك فناؤها وموتها كما يقول الشاعر المصرى " محمود حسن اسماعيل " *

أخى قد هزقت ریح الدجى بيتى وأيامى
وساقتنى على الارض بهذا الهيكل الدامى
وهذا الشيخ المطرود فى هذا الاسى الطامى
ينادى اين ملك الله تخبط فيه أقدامى ؟
وأين الارض تحطنى وتدفن بعضى الآمى ؟ (٣)

(١) عهد الوهاب البياتى - النار والكلمات ص ٤٦

(٢) سليمان العيسى - رسائل موهرة ص ٤٢

(٣) محمود حسن اسماعيل - نار وأصفاء ص ٨١

وهكذا نرى الشعر العربي قد تحمل مسئوليته في غربة الارض وغربة الشعب ففى فلسطين أستشمارا بأن الغربة هي غربة والمأساة مأساة وأن الشعر السدى يعبر بصدق عن احساس صاحبه لا تقف في وجهه الحدود المصطنعة المزيفة *

أما شعراء فلسطين فقد صوروا آلامهم وغربة شعبهم تصويرا صادقا لانهم هم الذين يعانون ويتألمون وليس من يعرف وضعهم على حقيقته ويشعر بواقعتهم مثلهم فصوروا الغربة والتشرد واللجوء والخيام التي أصبحت رمزا للبوء من بعد ان كانت تشد وجدان الانسان العربي في تاريخه العابر أما اليوم فقد تغير الوضع فأصبحت تحوى العذاب وترمز الى الظلم الذى نزل بالشعب العربي فى فلسطين يقول الشاعر الفلسطينى - رجا سمرين :

يا خياما فى القفر مثل القبور	وصمة أنت فى جبين الدهور
والناس فى جميع العصور	يانشاز الانعام ياسبة التاريخ
على رسم حقنا المهذور	أنت مأوى للبوء شيدك الظلم
بأيد مخصوبة بالشرور	انت سفر الآلام سطره البسى
يسفح الدمع فى دجى الديجور (١)	كم حوى نسجك الارث عزيزا

وقد أصبحت الخيمة رمزا للاجى * الغريب المبعد الذى لم يبق منه النزوح الا جثة قد أنتفخت وهو يشد على الرغيف بيده بعد أن تقطعت حبال خيمته وجرفها السيل بعد أن أقتلح أوتادها * يقول معين بسيسو :

لم يترك السيل غير الحبل والوتد	من ذلك الشعب أو من ذلك البلد
وغير ما شاهدت عينك من جثث	منفوخه لم تزل مجهولة العدد
هنا حطام ، هنا موت ، هنا غرق	هنا بقايا رفيف عالق بييد
تلك البقيه من تصبى ومن بلدى	ما بين باك ومجنون ومرتمد
تلك البقيه من شمسى فذاك أبى	وتلك أوى ، وما فى الخيش من أحد
أن جئت تسأل عن أطفالها صرخت	وقهقه السيل لم تحبل ولم تلد
يامن نصبت لهم سود الخيام على	صفر الرمال لقد غاصت الى الابد (٢)

(١) رجا سمرين - الضائعون - قصيدته بعنوان " خيام اللاجئين " *

(٢) معين السيسو - المعركة ص ٦ *

أما * كمال ناصر * فيصور الخيمة شهحا للخطيئة وجمجمة للموت ترفع
شراعها كالاكفان - فيقول :

لاحب في سمائها لحنان	حيرى على أوهامها فى المدى
كأنما شدت بأيدى الهوان	مشدودة فى الأرض منصوبة
تطوى جراحات الردى فى أمان	أكفانها مشرعة للردى
فات عليها فى الرجوع الاوان •	يا خيمة أعرفها فى الاسى
وفى زواياها تلاشى الدخان	النار فى احشائها اخمدت
ما كان من مجد لديها وكان (٢)	يجد تاريخها راوياً

وقد ظلت الخيمة وما يعانیه انسانها اللاجى * المشرد رمزا للظلم مما أضطرب
الشاعر العربى فى كل مكان الى أن يصبر عن عطفه ومشاركته لآخيه اللاجى * ودفعه الى
الوقوف فى صفه يرقب ميلاد فجر العودة وقد صور بدر شاعر السياب مأساة
اللاجئين كاملة فى فافلة الضياع ويقول فيها :

قاهيل أين أخوك ؟ - يرقد فى خيام اللاجئين
الليل يجهمض والسفائن مثقلات بالفضول
يلقيين فى حيفا مراسيهن كاهوسا تراه
تحت التراب محاجر الموتى فتجمظ فى اللحد
شىء يقول : " هنا الحدود " ..
هذا لكل اللاجئين - وكل هذا لليهمود
ماذا نخط على شواهدنا ؟ - أكانوا لاجئين
اليوم تملىء الكهوف بنا : تظلل بالخيام
وبالصفيح وقد تغلفهن بالاجر دار ..
هيهات ليس للاجئين ولا جنات من قرار
الا مراهج كان فيها أمس معنى ان تكون
سنظل نضرب كالمجوس نجس ميلاد النهار (٢)

(١) كمال ناصر - جراح تفنى عن ١١٩ •

(٢) بدر شاعر السياب - أنشوده المطر عن ٥٩ •

ولكن الاحداث العربيه والعالميه تترك بصماتها على غربة هذا الشعب وتنقله من مرحلة الاسى والهكاه الى التساؤل والاستعداد للكفاح من أجل العوده ، يقول هارون هاشم رشيد على لسان طفله لاجئه في حوار مع ابهها :

لماذا نحن يا أبنت	لماذا نحن أغراب ؟
أليس لنا بهذا الكسون	أصحاب وأحباب ؟
لماذا نحن في سقم	وفى بؤس وفى فقر ؟
نظل بتيه جوابيين	من قطر الى قطر
أما كانت لنا أرض ..	بها الامال تخضر ؟
أما كان لنا وطن	يسبح بأسمه الزمن ؟
لماذا نحن يا أبنت	لماذا نحن أغراب ؟
لنا أمل سيدفنا	إذا مالوح الثمار
فصبوا يا أبنتى صبوا	غداة غد لنا النصر (١)

ثم تطور الاحساس عند الانسان اللاجئ ، فبعد ان كان حيرة وتساؤلا وتفكيراً في الكفاح وتطلعا اليه اصبحت لديه الاصرار على العوده وتخطى كل العقبات التي تعترض طريقه مهما كلفه ذلك من تضحيات ويجىء هذا الاصرار والتصميم على لسان الشاعر نفسه " هارون هاشم رشيد " ان يقول :

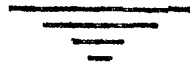
أنا لن أعيى مشردا	أنا لن أظل مقيدا
أنا لى غد وغدا	سأزحف ثائرا ممردا
أنا لن اخاف من	العواصف وهى تجتاح الطدى
أنا صاحب الحق الكبير	وصانع منه الفدا
أنا ثورة كبرى تزجر	بالعواصف والردى
أنا نازح دارى هناك	وكرمتى والمنتدى
لى موعد فى موطنى	هيهات أنسى الموعدا (٢)

(١) هارون هاشم رشيد - مع الفرياء ص ١٧

(٢) هارون هاشم رشيد - عودة الفرياء ص ١١١ .

وهكذا يقوى الصوت وتبرز ادارة التحدى بعد أن خلع صاحبها رداء
الضعف الممزق - وليس ثوب المكافح المؤمن بحقه في وطنه فصمم
على أن يعود اليه - لانه صاحبه ولا حياة له بعيدا عنه ، وقد أستمد
ليكون ثورة عارمة تقتلخ في طريقها كل الاشواك وعاصفه تدمر كل العراقيل
والمعوقات •

ونعتقد ان هذا الانسان قد قطع شوطا طويلا في هذا السبيل ، وكان صادقا
مع نفسه ساعيا بكل جهده كي يكون أهلا للهدف الذى جعله نصب
عينيه ، الا وهو العوده الى دياره - وقد تحررت من الغاصب الدخيل •



الفصل الثالث

شعر الغربة في عصور الادب العربي

شعر الغربة في العصر الجاهلي :

تحدثنا عن أنواع الغربة وأسبابها وذكرنا ان حديث الشاعر الجاهلي عن الاطلال وبكائة للانسار والدمن - يعتبر نوعا من الغربة ، كما قلنا أن طهيمة الحياة الهدوية وما تقرضة من ترحال دائم وتنقل لا يهدأ بحثا عن الكأ والماء أمر يفرض على الانسان العادي احساسا بالاغتراب فما بالناس الشاعر الذي أرهف حسه وحلق خياله ، وسنرى كيف عبر هذا الشاعر عن غرته وأبتماده وصور شوقه وحنينه .

فها هو " امرء القيس " الذي انطلق يبحث عن يساعده في أسترداد ملك أبيه ويتوجه الى قيصر الروم ، ثم يصاب جسمه بالقروح ويحس بدبيب الموت فيتضاعف ألمه وتزداد لوعته لاحساسه بالوحشه والغربة ، حيث يقول وقد شاهد قبر امرأة غريبة بالقرب منه وكان الغربة قد جعلتهما قريبين :

أجارتنا أن المزار قريب
وأنى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا أنا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب قريب (١)

أما النابغما للذبياني فيرثى أخاه الذي مات غريبا بصيدا عن أهله وقومه ويصور حسرته ولوعته عليه بعد أن فصل بينهما الموت فيقول :

لا يهني الناس ما يروعون من كالأ
وما يسوقون من أهل ومن مال
بعد أن عاتكة الصادى على أمر
أمسى ببلده لاعم ولا خيال
حسب الخليلين نأى الارض بينهما
هذا عليها وهذا تحتها بالس (٢)

(١) الاغانى ج ١ / دار الكتب ج ٩ ص ١٠٩

(٢) ديوان الحماسة ج ٢ ص ٥٢٤ .

أما عنزة المسمى فيندفع بكل قوة مع عاطفته ويتألم بكل قلبه ليمبر عما
أصابه من جراح البعد والنوى فيقول :

أحرقني نار الجوى والبعد بعد فقد الاوطان والاولاد ٠٠
شاب رأسي فصار أبيض لونا بعد ما كان حالكا بالسواد (١)

وعنزة هذا الذي لا يعرف الخوف عند لقاء الأبطال نراه قد فارق جلدته ومسيره
وحمله الشوق والحنين على أجنحته ليذكر مواطن حبه وذكرياته مع عبئه فيقول :

بين المتيق وبين هرقه ثمعد ظلل لمبة مستهل المهعد
يامسرح الآرام في وادي الحمى هل فيك ذو شجن يروح ويختدى (٢)

وأذا عدنا ثانية الى أمرى القيس نجد احساسه بالفريه والحنين طاغيا حين
يبتعد عن دياره وأهله سعيا وراء من يسلطه في أسترداه ملكه ولكنه حين
يشعر بأقتراب منيته بعيدا عن قومه ودون أن يحقق مراده الذي ركب الصواب في
سبيله يعضه ألم الفريه ويشعر بالوحده القاتله تجاه الموت .

ففى مطلع قصيدته " الا ابلغ بنى حجر بن عمرو " يقرر أنه انسان له مشاعره
الصادقه التي تدفعه دفعا الى القول بأنه انسان من لحم ودم وليس حجرا او حديدا
وعلى الرغم من اختلافه مع قومه وأهله الا أنه كان يتحنى لومات بينهم ودفن في موطنهم
لا ان يموت غريبا في أرض الروم فلا نسب قريب منه ولا أحد يعالج جراحاته ،
فهو غريب ليس له بين الناس من يفهمه ، كما يذكر لنا بأنه لم يخادر اهله ودياره
مختارا - ولكنه أرغم على ذلك أرغاما اذ ليس في أستطاعته أن يسلم بضياح طسك
أبيه او يقصر في الانتقام لمقتله فيقول (٣) :

ألا ابلغ بنى حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحى الحريدا
بأنى قد بقيت بقاء نفسى ولم أخلق سلاحا أو حديدا
فلو أنى هلكت بنار قومى لقلت الموت حق لا خلونا
ولكنى هلكت بأرض قوم بعيدا عن دياركم بعيدا
أعالج ملك قيصر كل يوم وأجدر بالضيعة ان تمودا
بأرض الروم لا نسب قريب ولا شاف فيسند أو يمودا

(١) ديوان عنزة ص ٦٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٦

(٣) ديوان أمرى القيس ص ٢١٣ .

أما في قصيدته الرائية المشهورة التي نظمها وهو في طريقه الى قيصر - فقد افصح عن عاطفه جياشة تمرور بالطموح والرجولة ، فقد أخذ يحث صاحبه على الجلد والصبر ، ثم يصور الصراع الدائم بين البدوية والمدنية حين يطل على حمص أو على بعلبك ، فيجد ان البيئة قد تغيرت أمامه فيهيج ذلك من حنينه الى البادية وما فيها من أحباب وذكريات وليس في أماكن " دمشق أو بعلبك " مهما كان فيهما من ضروب الجمال ان تشغله عن موطنه الحبيب وفتاته المحبوبة فهو يقول (١) :

وأيقن اننا لاحقان بقيصرا	بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه
نحاول ملكا او نموت فنمذرا	فقلت له لا تبك عينيك أنما
ولا بن جريح في قرى حمص أنكرا	لقد أنكرتني بعلبك وأهلها
ولا شي * يشفي منك يا بنه عفررا	نشيم بروق المزن اين مصابه

ونلاحظ أن أمرا القيس قد أستطاع بشاعريته الاصيله وخياله الخصب أن يصور لنا تجاربه المشعوره في أغترابه أو بعدده وفي حنينه وتشوقه ومن هنا نرى قصائده تتوالى في هذه المجالات فقصيدته " معلقته " المشهورة مطلقها ينهت من الشوق والحنين الى منازل الاحبه وديارهم وهو :

ققا نبك من ذكرى حبيب ومسنزل بسقط اللوى بين الدخول حومل
فها هو يناشد صاحبيه الوقوف ليدرف دموعه ممبره عن حنينه وشوقه وأساه لفرقة الاحباب الذين تركوا مواطن الذكريات فخلفوا في القلب لوعة واى لوعة *

ثم نراه يحميد الكرة ثانية في قصيدته التي مطلقها :

ققا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وريح خلت آياته منذ أزمان
مما يوءكد لنا أنه عانى كثيرا فقد أمضه الفراق وعضه الألم ، وليس له ما يفرج عنه كرتة سوى البكاء في تلك الاماكن التي شهدت قمة سروره بالوصل واللقاء *
ولكن هل يكفي امرؤ القيس بذلك ؟ - لا أنه لا يفتأ يتنزي حرقه وألمها وتفويض نفسه حسرة ودموعا وها هو يصور لنا نفسه وقد غشى ديار الحسى ينقب فيها الواحدة تلو الاخرى فاذا ما أعياه البحث جلس متظلا بردائه من

(١) المصدر السابق نفسه ص ٥٦ " امرؤ القيس "

من حر الهاجرة * يمد الحصى * وعبراته لا تكف ويلج على رفيقه المتوهم ان يساعده في نسيانه همومه التي جعلت ليلته متاهما لا ينقض فيقول (١) :

غشيت ديار الحى بالكسرات	مفاعة فبرقة المـــبرات
نفول فحلّيت فنف فمنجج	الى عاقل فالجب ذى الامرات
ظالت ردائى فوق رأسى قاعدا	اعد الحصى ما تنقض عبراتى
أعفى على التهام والذكريات	يبتن على ذى الهم ومتكسرات
بليل التمام أو وصلن بمثلته	مقايسه أيامها نكسرات

والذى نلاحظه كما أسلفنا أن شعر امرئ القيس حافل بالشوق والحنين مما يوضح مدى الألم الذى اعتصر فؤاده من جراء اغترابه ونفيه وتشرده ويكفينا هذا القدر من شعره لننتقل الى شاعر آخر عانى من الضربة المكانية والنفسية الكثير . فقد كان عنقرة ابن أمة سوداء ما دفع أباه شداد الى التنكر له ، وعاطفه القوم جميعا بأحتقار وازدراء ، ولكنه لم يرض بذلك ولم يقف أمام امتهان كرامته مكتوف اليدين ، بل صمم على أن يسترد حرته وأن يضع نفسه حيث ينبغى ان تكون فكان له ما أراد ، ولسنا بصدده متابعه الاحداث التى مرت بحياته لنثبتها ^{هنا} ، هذا فيما يتعلق بغرته النفسية أما غرته المكانية ، فالتاريخ يحدثنا عن ارتحاله الى ارض شيبان وراء محبوته عبلة ، ثم توجهه الى بلاد العراق وفارس بحثا عن مهر محبوته الغالية .

كل هذه الاحداث والظروف ألهمت شعره ثوبا من الرقة الانسانية وانعكست عليه مشاعر الشوق والحنين الى ارض الاحبه ومواطن الذكريات ، ورغم ملاقاه من أهوال وما صادفه من مغريات فأنه لم يكن لينسى تلك الارض التى شب عليها والمواطن التى نعم فيها بروية من يحب ويهوى . فأذا ألقينا نظرة على معلقته المشهورة وجدناه يحيى أطلال الاحبة ويناشدها ان تجيبه ويخفف من لوعته وأساءة لمصدر الاحبه ومفادرتهم لاما كتبهم التى لقيهم فيها فيقول (٢) :

(١) المصدر السابق نفسه ص ٧٨ * امرئ القيس *

(٢) ديوان عنقرة بن شداد ص ١٤٢ .

هل غادر الشعراء من مترد م
أعيانك رسم الدار لم يتكلمهم
ولقد حبست بها طويلاً . ناقتي
يادار عبلة بالجواء تكلمسى

أم هل عرفت الدار بعد توهمهم
حتى تكلم كالأصم الأعجمهم
اشكوا الى سفح روادك جنهم
وعنى صباحاً دار عبلة وأسلمى

وينهج عنقرة هذا النهج في كثير من قصائده حيث يشفه الوجد ويضنيه الشوق
فلا يجد متنفساً الا في بكاء الاطلال ومناجاة الاحبة وذكرياتهم التي تهز شفاف
قلبه فيبكى وهو الفارس الشجاع والذي تمود ان يكون بطلاً مديدًا ولكنها الماطفه
القوية المضطرمه ، يقول (١) في قصيدة أخرى :

طال الثواء على رسوم المنزل
فوقفت في عرصاتها متحيرة
لصبت بها الانواء بعد انيسها
أفمن بكاء حمامة في ألكة

بين اللئيك وبين ذات الحرمل
أسل الديار كفاعل من لم يذهل
والرامسات وكل جون مسهل
ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل

وعنقرة كان يسكن - مع قومه - ارض الشربة - والعلم السعدي في منطقة
القعيم ما بين المدينه المنوره والرياض . فأذا ما أغترب عن موطنه هذا أو كان
بعيدا عن أهله وذويه رأيناه يخاطب هذه الارض بشعبها وواديها وقد رحل
أهلها عنها ، لكنهم لم يرحلوا عن قوادمه ، فأذا ما هبت الريح او خفق البرق
أو أهرغصن أو غرد طير ، رأينا عواطفه تجيش في قوة وعنف وتتحول هذه
العواطف الى صور رائعه لونها الشوق والحنين الى الاهل والديار والى البيئته
التي نشأ فيها بشعبها وتلالها وأطيارها وأشجارها وبرها ونسيمها كل ذلك
لا يفارق قوادمه وإنما يهمل في سويدائه .

ثم يذكر لنا أن الريح التي تهب من موطنه تطفئ لهيب صبايته وتذكره بعهدده
لهم رغم انهم لا يعرفون له مكانته وقدره ، ولم يعاملوه المعامله التي يستحقها
فيقول (٢) :

إذا الريح هبت من ربا العلم السعدي . .
طفنا بردها حر الصبايه والوجد
وذكري قومنا حفظت عهدهم
فما عرفوا قدرى ولا حفظوا عهدى

(١) المصدر السابق نفسه ص ١١٨ " عنقره بن شداد "

(٢) " " " " ص ١٣٩ " " "

ويضيف عنقرة أسبانيا أخرى لتعلقه بموطنه منها أن تراه ونسيمه كالمسك الذي يتضوع والنعبر الذي يفوح ، كما أن ديارهم تحوى الجمال الأسر الذي يأخذ بمجامع القلوب الذي تشكل محبوبته رمزاً حياً له فيقول (١) :

أرض الشربة تربها كالعنبر ونسيمها يسرى بمسك أذفر
وقبائها تحوى بدورا طلما من كل فائنة بطرف أحور

ولا تزال أرض الشربة محور آماله وأحلامه فهو يلجج بذنرها دائما ، ولذلك فهو على استعداد أن يروى تلك المنازل بدموعه إذا ما بخل عليها السحاب لانسه قضى فيها أوقاتا سعيدة مع الفريد والحسان فيقول :

يا منزلا أدمى تجرى عليه إذا ضن السحاب على الاطلال بالمطر
أرض الشربة كم قضيت مهتججا فيها مع الفريد والأتراب من وطر

أما النابغة الذبياني فيثير فيه الفراق ألما ولوعة ، ويخشى الغد المخيف الذي يتمدد به ويتوعد به بأعتيال سعادته ، وتشتيت شمله فيقول (٢) :

أمن آل مية رائج أو مختد عجائن ذا زاد وغير مـزود
زعم البوارح أن رحلتنا غد وبذاك تنعاب الخراب الأسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به أن كان تفريق الأحبه فى غد
أغد الترحل غير أن ركبنا لما تنزل برحالها وكان قد
تسع البلاد إذا اتيتك زائرا وأذا هجرتك ضاق عنى مقعدى

ولم يكن الفراق وحده يثير الحنين والشوق فى نفس النابغة الذبياني ، وإنما كان للاطلال دورها الخالد فهكاهها فى المديد من القصائد معبرا عن مشاعره التى تجيش فى صدره فيقف عليها ويسائلها ، ولكنها لم تكن لتجيبه بمد أن أرتحل عنها أهلها وفت عليها السبول ، فيقول (٣) فى قصيدة أخرى :

يا دار مية بالعليا فالسند أقوت وطلال عليها سالف الامد
وقفت فيها أصيلا أسائلها عيت جوابا وما بالريح من أحد

(١) المصدر السابق ص ٨٦ " عنقرة بن شداد "

(٢) ديوان النابغة ص ٢٨ .

(٣) ديوان النابغة ص ٢ - ٥ .

وأذا تبهمتنا شعر النابغة وجدنا فيه قصائد عديدة تصبر عن الشوق والحنين اللذين
نتجا عن الاغتراب او الفرقة ، حيث كان الشاعر كثير التنقل والارتحال لدى بلاط
النعمان او بلاط الفساسنة سمياً وراء التكسب ونيل الخطوة أو فرارا من توعد
النعمان له .

فأذا ما انتقلنا الى شاعر جاهلي آخر وهو حاتم الطائي رأيناه وقد بكى شوقاً
وحنيناً الى طلل قصر كان فيما مضى موطناً للذكريات الحبيبة ، ويحاول أن يعثرى
نفسه بأن الموت والفناء لا يد من أن يعمر بكل شئ ، فلا عجب اذا نالت يد الحدثنان
من هذه الدار فيقول (١) :

بكيت وما يبكيك من ظلل قصر	بسقف اللوى بين عموران فالنصر
بمنعرج الغلان بين شـبيرة	الى دار ذات السهضب فالبرق الحر
الى الشعب من اعلى ستار فترسد	من الموت الامثل من حل بالصحـر

أما زهير فيتساء عن زين أم أوفى بحرمانة الدراج فالمثلثم التي عفى عليها الزمن
وليس فيها الا العين والارام ، يقف بها زهير بعد عشرين سنة فلم يتعرف عليها ،
الا بصصوبه بالفه ، وحين يعرف أنها دار سلى يحييها ويدعو لها بالسلا مة
فيقول (٢) :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلـم	بحومانة الدراج فالمثلثم
ديار لها بالرقمتين كأنها	مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفه	وأطالوها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة	فلأ يا عرفت الدار بعد توهيم
أثافى سغافى معرس مرجل	ونوياً كحوض الجد لم يتثلثم
فلما عرفت الدار قلت لربها	الا انعم صباحاً ايها الريح وأسلم

(١) ديوان حاتم الطائي - ص ٤٥

(٢) ديوان زهير ص ٤ وما بعدها .

ولسنا نستطيع أن نفضل شوق المهدي^١ إلى محبوبته عن حنينه إلى وطنه . فقد كان الارتباط بينهما قويا ومتصلا ، فهو أن أحب فأنا يحب إحدى قريباته ، أو فتاة من قبيلة يصرفها وتمرفه - وتتيح لهما الظروف فرص اللقاء والمناجاة ومن النادر أن يعشق العربي - في جاهليته - امرأة أو فتاة من قبيلة أخرى حيث كان التعصب للقبيلة يضرب بجذوره في أعماق العادات والتقاليد ، وها هو زهير يعود به حنينه إلى ذكر الأجداد فيجره النوم ويدفعه دفعا إلى الالتحاق بهم مع أنشاق الفجر ، وهم أحبائه الذين لا يقوى على فراقهم أو البعد عنهم فيقول (١) :

تأويني ذكر الأجداد	هجمت ودوني قلة الحزن فالرمل
فأقسيت جهدا بالمنازل من مني	وما سحفت فيه المقادير والقمل
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبسن	إلى الليل إلا أن يمرجني طفل
إلى معشر لم يورث اللوم جدهم	أصاغرهم وكل فحل له نجل

ولا يزال بكاء الاطلال يثير في نفوس شعرائنا الجاهليين أوجاجا متلاحقة من الأسى والشجن ويبعث فيها الحنين جارفا بعد أن عمد الزمان إلى تمكيز صفو حياتهم فدفع بأحبائهم إلى الارتحال ، أو فرض عليهم هم الفريسة والبعد ، فلم يجدوا إلا الاطلال يسائلونها والدمع يسكنونها لهمهم بهذبه الدموع يطفئون لهيب الشوق وحرقة الوعة والحنين .

وها هو شاعر جاهلي آخر ينهج نهج رفاقه الذين تعرضوا لهم وهو " طفيل الغنوي " الذي يتوق إلى الديار وسكانها فيقول :

بالمفرد دار من جميلة هيجمت	سوالف حب في فوادك منصب
وكت أذابانت بها غربة النوى	شديد القوى لم تدر ما قول مشغب

(١) شرح الديوان ص ٩٨ وما بعدها

(٢) ديوان طفيل الغنوي ص ١٧ وما بعدها

فأذا فاضت دموعه من روية رسم قد بلى أو طلل أقوى ، أستنكر
هذه الدموع وزجر نفسه ليظهر جلدًا متماسكًا فيقول (١) :

أمن رسوم بأعلى الجزع من شرب فاضت دموعك فوق الخد كالشرب

أما " البراق " وهو شاعر جاهلي * قديم وكان شاعرا مشهورا من أهل اليمن
فينادر موطنه ويصبح غريبا في بلاد لا يجد فيها أبا أو أئسا يواسيه
أويشد أزره * مما يدفعه الى أن يذرف العبرات لعلها تخفف عنه آلامه
المبرحة فيقول (٢) :

وقد أصبح البراق في دار غربة وفارق اخواتا له ومواليها

حليف نوى ، طاوى حشا ، سافح دما

يرجع عبرات يهجن البواكيا

فمن مهلغ عنى كرمه أمه لتندب غرسانا وبراق ثانيها

و " عمرو بن قميئة " من شعراء بكر في الجاهلية تسأله أبنته عن وجهته

من الهجرة والارتحال وتذكر أرضا نشأت فيها ، وفيها أهلها
وأحباؤها ، ويدفع ذلك الى البكاء - كل ذلك يشرفى نفسه الشوق

والحنين ، فيصور ذلك قائلا (٣) :

قد سألتني بنت عمرو عن

لما رأت ساتيد ما أستمعبرت

تذكرت أرضا بها أهلها

الأرضين أنه تنكر أعلامها

لله در اليوم من لامها

أخوالها فيها وأعطاهمها

والاعشى صناجة العرب يمر بدار ليهجوتها " ميثاء " وقد تعفت طاولها
بفصل الريح والمطر ، فتعود به الذكريات الى الوراء حين كانا يلتقيان
ويتناجيان قبل أن تفرق بينهما يد الحدثان فيعصر الالم فؤاده ويتمنى
أن تعود تلك الايام الماضية فيقول (٤) :

(١) ديوان طفيل الغنوي ص ٩٥

(٢) شعراء النصرانية ١٤٧/١

(٣) المصدر السابق ٢٩٥/١

(٤) الديوان - ص ١٧٥

لميثاء دار قد تعفت طامولها
عفتها نقيضات الصبا فميلها
لما قد تعفى من رماذ وعرضة
بكيت وهل يبكي اليك محيلها
لميثاء اذ انت وأهلك جيرة
رثاء وان يفضى اليك رسولها

ويحتاجه شوق الى دياره وأهله بعد أن شط به المزار ، وشوقه الى أهله
يستتبع بالضرورة الشوق الى الارض والوطن فيقول (١) :

فعلى مثلها أزور بني قيس
أذا شط بالحبيب الفراق
أنسى منهم وأنهم قومي
وأنسى المهمل مشقتا

ويعاوده الشوق والحنين حين يرى مقام " تياً " التي تعلق بها فؤاده ويشاهد
خيامها فتثور في نفسه لواعج الشوق ويتضاعف ذلك حينما يسمع حمامة
تثير أحزانه ، ولكنه يتماسك ويحاول التجلد راشدا فيقول (٢) :

عرفت اليوم من " تياً " مقاما
بجو أو عرفت لها خياما
فهاجت شوق محزون طروب
فأسبل دمعها فيها سجاما
ويوم الخرج من قرما هاجت
صباك حمامة تدعو حماما

أما الشاعر الجاهلي " لبيد بن ربيعة " فقد أنكر من قومه بعض عاداتهم
وشماثلهم ودفعه ذلك الى الرحيل عنهم وفراقهم ، غير أنه لم يستطع كبت
شوقه اليهم وحنينه الى ديارهم ، مبررا ذلك بأنهم أهله فهو جزء
منهم ولا يستطيع الاستغناء عنهم ، ومن ثم فعليه أن يرضى بهم
على علائهم فيقول (٣) :

أقول وهو مني بعيد
يخط الشت من قتل الجبال
سقى قومي بني مجد أسقى
غيرا والقبائل من هلال
دعوه مرعا وتصيفوه
بلا و بأسى ولا بال
هم قومي وقد أنكر منهم
شماثل بدلوها من شمال

(١) الديوان ص ٢١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٩٥

(٣) شرح الديوان ص ٩٣ - ٩٤

ثم نراه وقد تضاعف حين يتذكر قومه (الذين يعاش في أكتافهم)
وقد تركوه وحيداً يعاني من الوحشة ، ولذلك نراه يحث نفسه للحاق بأسرته
والعودة اليها فيقول (١) :

والحق بأسرتك الكرام الغيب	قض اللبانة لا أبالك وأهـب
وبقيت في خلف كجلد الاجـسـب	ذهب الذين يعاش في أكتافهم
ويعاب قائلهم وأن لهم يشـفـب	يتأكلون مفالسة وخيانـة
خليتني أمشى بقرن أعـضـب	يا أريد الخير الكريم جـدودـه

و " المزرد بن خدار " يوضح أن الحنين الى الوطن شعور غريزي
يلزم الاحياء كلهم لانه ينبثق من خلجات النفوس ، التي لا تحس
بطيب الحياة إلا المقام حيث نشأت فيقول (٢) :

أبانيين • بالنائي ولا التباعـد	وما خالد منا وأن حل فيكم
غلاما كفضن البانة المتفايد	تسفته عن ماله إذ رأيتـه
لاوطانها من غيظه فالندافـد	تحن لقاح التفلي صبايـة

و " عبيد بن الأبرص " وهو من الشعراء الجاهليين المشهورين ويحده بعض
النقاد من اصحاب المعلقات يخلبه الشوق والحنين في الكثير من قصائده
وظالما وقف على الديار يناجى أطلالها فتحيج أشجان وتسح عبراته لان
أهلها أرتحلوا عنها وعز عليه لقياهم - او يتذكر اهلـه ويحن اليهم
ويشتاق الى منازلهم وديارهم التي أغترب عنها فيقول (٣) :

فقلبي عليهم هالك جد مفـسـوب	تذكرت اهلي الصالحين بطحـوب
وأهل عناق الجرد والبر والطيب	تذكرت أهل الخير والباع والندي
كأن جدول يسقى مزارع مـشـسـوب	تذكرتهم ما أن تجف مدا مـسـي

(١) شرح الديوان ١٥٣ - ١٥٥

(٢) ديوان المزرد ص ٧٧

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص ٢٤ / ٢٥

ولو أردنا تتبع الحنين والشوق في شعر " عبيد بن الأبرص " لضاق بنا المقام - فقد كان بكاء الأطلال ، ومناجاتها ، وتذكر الأيام الخوالي نهجا يسبرون فيه لا يكاد يشذ منهم أحد .

أما الشعراء الصعاليك فقد كانت غريبتهم مضاعفة ، ومن ثم فقد كان حنينهم جارفا وقد سبق لنا ان عرضنا أمثله من أشعارهم التي تفيض بالشعور بالوحدة والفرقة ، وتطع بالشوق والحنين التي الحياة الاجتماعية كغيرهم من الناس رغم ما يبدو أنه أحيانا من عدم مهابة وتظاهرهم بأنهم قد أنسوا بالوحشه والقفر ووجدوا لديهم السمادة التي كانوا ينشدونها .

— شعر الغربة والحنين في صدر الاسلام —

لقد قلنا أن الفتح الاسلامية فرضت على الكثيرين من أبناء الجزيرة العربية أن يتوجهوا شرقا الى العراق وفارس وشمالا الى الشام وغربا الى مصر وشمال أفريقيا • ومن ثم فقد قازقوا اهلهم وأوطانهم التي درجوا عليها وعاشوا فيها • ونزحوا عنها الى بلاد جديدة أحسوا فيها أنهم غرباء عنها وأنها غريبة عنهم — وكما عرفنا الانسان يحن دائما الى وطنه ويشتاق الى أهله وأخوانه — ومن هنا أخذ هؤلاء الفاتحون يمهرون عن شوقهم وحنينهم في غربتهم في شعر يفيض رقة وهدوءة • لانهم يصور تجربة شعورية صادقة لا زيف فيها ولا تصنع بل كان الصدق الفني فيه أوضح سماته •

وليس هؤلاء المجاهدون — وحدهم — الذين تشوقوا للديار بعد أن أغتربوا عنها بل أن هناك فئات أخرى فوض عليها الاغتراب او دفعتها الظروف الى البعد والارتحال لاسباب عديدة • وهناك الذين فارقوا احباءهم فأشتاقوا الى مواطن الذكريات فهكوا الاطلال والدمن ووهنوا عليها على سبيله أخوانهم في العصر الجاهلي •

فها هو " عمر بن الاهتم " يطلب الغنى لكنه في الوقت نفسه يحن الى الوطن فيحدث في نفسه الصراع هل يترك وطنه ويسمى الى الرزق في كل مكان ويمانسى من بعده عن وطنه وأهله ؟ أم يبقى مكانه ؟ وهو يوضح أن البلاد لا تضييق بأهلها ولكن أهل البلاد تضييق أخلاقهم فيقول (١) :

لصالح أخلاق الرجال سـرورق	ذريني فأن البخل يا أم هيـثم
ولكن أخلاق الرجال تضييق	لمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

(١) ابن قتيبة — الشعر والشعراء ٦٣٤/٢

أما " هلال بن الاسمر " فيفترب الى أرض اليمن ، وتحن ناقته
كما يحن هو الى الوطن والاهل والديار بعد أن فرقة، الدهر بينهما
وبين تلك الديار وأهلها ، فيدعو لها بالسقيا ، ويؤكد أنه لم يفارقها
عن قلى وأما أجبر على ذلك فيقول (١) :

أقول وقد جاوزت نصى وناقتي	تحن الى جنبى فلج مع الفجر
سقى الله يا ناق البلاد التى بها	هواك وأن عنانأت سبل القطر
فما عن قلى خفت النوى	بنا عن مراعيها وكتبانها المفسر
ولكن صرف الدهر فرق بيننا	وبين الادانى والفتى غرض الدهر
فسقيا لصحراء الاهالة مرهبا	وللوقى من منزل دمك مسترى
وسقيا ورعيا حيث حلت لمأذن	وأيامها الفر المحجلة الزهر

أما " الصمة القشيري " فيدعوا الله ان يسقى الحمى ويطلب مسن
حقه ان يسأل عنه فى غربته ، وأن يبادل له شعوره فيقول (٢) :

ألا تسألان الله أن يسقى الحمى	بلى فسقى الله الحى والمطالبا
وأسال من لاقيت هل مطر الحمى	فهل يسألن عنى الحى كيف حالبا

ويطلب من فواده أن يصبراً وأن يتحمل بعده وفراقه عن حماه غسير
أنه يحس بالشوق يحمله طائرا على أجنحته فيقول (٣) :

تمزّ يصبر لا وجدك لا ترى	بشام الحى أخرى الليالى الفواهر
كأن فوادهى من تذكره الحمى	وأهل الحى يهفوه ريش طائر

وما زال " الحى " والحنين اليه شغله الشاغل وهاجسه الننى لا يفتتر
أو ينقطع ، ويحس بأن كبده ستمزق شوقا ولهفه على تلك الايام الفابرة
والتي قد لا تعود ، ولذلك فلا يجد عزاء الا فى البكاء اذ لملته يخفف
عنه بعض ما يعانى به فيقول (٤) :

(١) أبو الفرج الاصفهاني - الاغانى ٦١/٣ - ٦٢

(٢) المصدر نفسه ٥/٦

(٣) المصدر نفسه ٦/٦ - ٧

وأذكر أيام الحى ثم أنشئنى على كبدى من خشية ان تصدعا
فليت عشيات الحى بسرواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعما

وحين بدأت الفتنة فى الحجاز ووصل عبد الله بن الزبير الى الحكم
نفس بعض المعارضين له ومنهم ابو قطفه الذى نفس من المدينة السى
الشام وقد عانى الكثير من هذا النفس فقد سيطرت عليه الكآبة
وفارقتة أبتسامته وخيم عليه الحزن والاسى يبكى فراق قومه ومعده عن
دياره ويهتئ اليهم سلامه وتحياته - لانه يشعر بأن حياته وهناتسه
مرتبطتان بهم - فليس له عنهم غنى • ومنذ أن فارقه تخلق عنه النوم
وأستولى عليه القلق وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن فيقول (١) :

أقرهنى السلام أن جئت قومى وقليل لهم لدى السلام
أقطع الدهر كله بأكتئاب وزفير فما أكاد أنسام
نحو قومى إذ فرقت بيننا الدار وحادت عن قصدنا الاحلام

ولما بلغ ابن الزبير شعر أبى قطفه هذا - قال :
" حنّ والله أبو قطفه وعليه السلام ورحمة الله - من لقيته
فليخبره أنه آمن فليرجع • فأخبر بذلك فانكأ الى المدينة راجعاً •
فلم يصل اليها حتى مات •

وهذا " حميد بن شور الهالسى " يشتكى مما أصابه من البعد والفرق
ويصبر عن شوقه وحنينه الى أهله ووطنه وأحبائه • ولكنه يطلب من خليليه
أن يخففا عنه لوعته - كما يطلب منهما الا يخشيا سره وأن يصونا الامانة
وأن يكونا رسوليّه الى ليلى العامرية فيقول (٢) :

خليلى " هياً عللى وأنظرا الى البرق إذ يفرى سنا وتبعما
عروضاً تمدت من ههنا ههديت لنجد فساقى البرق نجد أواتهما
كأن رياحا اطلمته مريضاً من الفور سمرن الاياه المضراً
كنفض عناق الخيل حين توجهت اليهن ابصار وايقظن نوماً

(١) ابو الفرج - الاغانى ج ١ ص ٢٨ / ٢٩

(٢) ديوان حميد بن شور ٢٧ - ٢٨

خليلى " أنى مشتك ما أصابنى
أملكما أن الامانه من يخسن
لستيقنا ما قد لقيت وتعلمنا
بها يحتمل يوما من الله مائنا
ابثكما منه الحديث المكنما
الى آل ليلي العامريه سلمنا
لتتخذ الى يارك الله فيكنما

وبهاجر المسلمون - فى سبيل الله - الى المدينه وهم يعتنقون أسمى
عقيدة ويحلمون اعظم رساله • ومع ذلك فان حب الوطن يسيطر على
مشاعرهم وتبقى قلوبهم معلقه به •

فهذا ابلال الحبشى " يخلبه الشوق والحنين الى مكه فيتمنى لو قدر
له ان يبيت فيها ليلة واحده - رثملى " نفسه بمنظر نباتها الاذخر -
ويشرب من مائها ويهدو لعينيه مناظر جمالها فيقول (١) :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليله
وهل أردن يوما مياه مجنسه
يفج وحولى أذخر وجليلى
وهل يبدون لى شاقه وطفيل ؟

أما " قيس لبنى " ذلك الشاعر الماشق فقد كان دائم الحنين موصول
الشوق لا ينسى حبيبته ليدكرها فقد كانت هاجسه الدائم - وصورة متملثة
أمام ناظره وفى مخيلته ليلة ونهاره • فى يقظته ونامه ومع ذلك فهو يحن الى
الايام السالفه • ويدعوله ار الحبيبته بالسقيا فيقول (٢) :

أراجعة يالبن ايامنا الالى
سقى طلل الديار التى أنتم بها
بذى الطلح ام لا مالمهن رجوع
حيا ثم ويل صيف وريبع

وسحيم عبد بن الحساس يقف على أطلال حبيبته فى واد من وديان جزيرة
المرب فحبيبته حيث كانا يلتقيان ويتناجيان هناك • ثم يتمنى أن يلقاها فى
ذلك اليوم - لكنه يقيق الى نفسه ويسر أن الديار خاليه ولقاء الحبيبته
أمر محال • ويعرف همه - متعزيا - الى السبرق الذى ينير الهضاب
الهميدة - والتي اصبحت موطننا جديدا لحبيبته فيتمنى لو كانت هذه
الهضاب قريبه لى حظى بالوصال فيقول (٣) :

(١) محمد إبراهيم حور - الحنين الى الوطن فى الادب العربى ص ١٤٨

(٢) الدكتور / حسين نصار - قيس وبنى ص ١١٣

(٣) ديوان سحيم عبد بن الحساس ص ٢٢ / ٢١

ألا أيها الوادي الذي ضم سيله
فيا ليتني والعامرية نلتقي
فدع ذا ، ولكن هل ترى ضوء بارق
يضى ، سناه الهضب هضب متالع

الينا نوى الحسناء حبيبت واديها
ترود لأهلينا الرياض الخواليها
يضى ، حبيبا منجدا متعجبها
وحبباً بذاك الهضب لو كان دايها

ولقد كان للمهاجرين الفاتحين حين جارف الى أوطانهم وشوق لا ينقطع الي
أهلهم وذويهم وقد انطقهم ذلك الحنين شعرا عذبا فيه ذوب قلوبهم
وعصارة احساسهم ومشاعرهم التي صوروها لنا فكانهم نقلوا الينا ما يحسون به
غير أن كثيرا من هؤلاء لم تخلد أسماؤهم اما لانهم لم يكونوا مشهورين ، أو أن
شعرهم كان قليلا قد اقتصر على غرض واحد محدود فحين هؤلاء المهاجرين الفاتحين
من ظل ، يكرر بطرفه صوب وطنه - نجد - رغم بعده عنه وأستحاله رؤيته
له ويحن الية ويحسب ان تراه معك يتضوع - ويجعل من أحواله وشيا محسوبا
كما يحن الى أرض الحجاز ، تطلع الى خيامه بنجد ، ويدفعه الحنين الى البكاء
ولن يجد قلبه راحته فهو أما أن تحرقه الذكري او مشغول بالحرب والجهاد
ل (١) :

أكرر طرفي نحو نجد وأنى
حيننا الى أرض كأن تراهها
بلاد كأن الاقصوان بروضه
أحن الى أرض الحجاز وحاجتي
وما نظرى من نحو نجد بناقع
أنى كل يوم نظرة ثم عبرة
متى يستريح القلب أما مجاور

اليه ، وأن لم يدرك الطرف أنظر
اذ أمطرت عود ومسك وعنبر
ونور الاقاصي وشهبود محسب
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
أجل - لا - ولكن الى ذاك أنظر
لمينيك مجرى مائها يتحدر
بحرب دامما نازح يتذكر

وها هو مجاهد آخر يتذكر موطنه - نجدا - وحبيته " ريا " ويكيههما بحرقه
فلن يسمح له الزمن القاسي بالعودة الى الديار لينعم بلقاء أهله وأحبائه ، ولن يطأ
تراب ذلك الموطن الجمعد ، ولن يجد ريح الخزامى ، فقد قذفت به
الفتوح الى قرى أجنبيه لا يعرف لغتها ولا عاداتها ، ولكن ماذا يستطيع أن يفصل
وقد فرض عليه الجهاد ليس في استطاعته الا ان يتوجه الى البرق الذي أضاء سناه

الظلماء تذكره بوطنه - نجد - الذي يقصر ليله وتهب عليه الريح البادرة فقال (١) :

أتبكي على نجد ورياً ولن تـرى بمعينك ريباً ما حبيت ولا نجدا
ولا مشرفاً ما عشت أقار وجده ولا واطناً من ترهبين جمدا
ولا واجدا ربح الخزانى تسوقها رياح الصبا تملو ذكائك أو هددا
تبدلت من ربا وجارات بيتها قرى بنطيات يسميني مسردا
الا ايها البرق الذي بات يرتقى ورجلونه على الظلماء ذكرتنى نجدا
الم تر أن الليل يقصر طولسه بنجد وتزداد الرياح به مسردا

أما طائفة الشعراء الصعاليك في الاسلام فقد تأثرت بالاسلام الى حد بعيد فإن هؤلاء الذين ادركهم الدين الجديد قد رأوا فيه منقذا لهم من ضالهم وأحرفهم - كما أنه - بتعاليمه السمحة ، قد قضى على كل الاسباب والعوامل التي كانت تدفعهم الى الصلابة والخروج على المجتمع وقطع الطرق على المسافرين وشن الغارات على الامنين .

أننا نعتد أن نرى بوضوح عند نفر منهم تأثرهم بالاسلام واستجابتهم لتعاليم بحيث توقفوا عن قطع الطرق وشن الغارات وكفوا عن التمرد والثورة أيما تأثرهم بأن مجتمع المزور والنهب قد انتهى وأن عهد الظلم والفساد قد أديله منه حياة قوامها العدل والانصاف ، والاعتصام بالقانون والخضوع للسلطان ، وخير من يمثل هذا الجانب عندهم " أبو خراش العذلي " فقد كان في الشطر الاول من حياته بالجاهلية صلوكاً شبيهاً عاملاً ، ومدوداً من فرسان العرب وقتاكهم - لصلاية نفسه وقوة قلبه ، وسرعة عدوه ، وكثرة غزواته ، وتمدد جنساياته وتراثة (٢) : فمن ذلك قوله (٣) :

وأني لأثرى الجوع حتى يملئني فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي
وأعنتبق الماء القراح فأكفسي اذا الزاد أمسى للمزج ذاك طممي
مخافة أن أحيا برغم وذلكة وللموت خير من حياة على رغمي

(١) النعمان عبد المتعال القاضي - شعر الفتح الاسلامية ٢٥٤/٢٥٥

(٢) الدكتور حسين عطوان - الشعراء الصعاليك في العصر الاموي ص ١٧ دار المعارف

(٣) ديوان المهديين ١٥٩/٢ .

أوقوله (١) :

فليس كمهد الدار يا أم مالك
ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل
سوى العدل شيئا فاستراح العوائد

==

(١) ديوان الهذليين ١٥٠/٢

- الفرقة والحين في العصر الاموي :

أن الفتنة العارمة التي نتجت عن مقتل " عثمان بن عفان " رضى الله عنه ، قد أحدثت شرخا رهيبا في بنية المجتمع الاسلامى ، وأطلقت كوامن الحقد والكراهية والانقسام في نفوس العرب والمسلمين ، فأصبحوا شيما وأحزابا متنافرة متباغضة ، استحلووا كل ما حرمه الله من سفك لدماء ونفى وتشريد وأقتال فيما بينهم ، وأخذ كل فريق منهم يكفر الفريق الاخر ، ويدعى أنه - وحده - الذى يمثل المسلمين فهو ولى الامر وغيره ناسر متمرد ينفخ فى نار الفتنة ، ومن ثم فهو يستحق اقسى العقاب (وكان لهذا كله أثره فى أشاعة الهلابة والاضطراب فى نفوس الناس جميعا ، وأفقد الكثيرون المقبرة على تحديد موقفهم ، ودفعهم الى التنقل فى تأييدهم من جانب الى آخر بعد أن يتمرفوا على حقيقة نواياهم وتبين لهم ما يؤكد أن هذا الفريق على غير ما كانوا يتوقعون منه ، كما أفرز هذا الاضطراب المائج جماعة اضطرت الى حمل السلاح وممادة السلطنة والخروج عليها تمييزا عن رفضها للواقع الاليم الذى يمشه مجتمعهم .

" فقد كان عن شأن هذه الحياه السياسيه الثائرة المتقلبه أن تحدث بلبه فى النفوس وتخلق اضطرابا وقنوطا عن نفر من الناس - فلمن ينتسبون ؟ ومن ينصرون ؟ " لقد كان بعضهم يظاهرون بنبى أمية على أعدائهم - ثم لا يلبث أن بهم لغدرهم وتكرهم وكان بعضهم يؤمن بعبادى بعض الاحزاب وينضم اليها ويحارب معها ، فإذا تضعفت أو قومت حار فى أمره ، فلا هو يستطيع الثبات على رأيه وموالاه بجزبه ولا هو يقادر على التخلي عن مذهبه والفوز برضا الهيئة الحاكمه التى كان جهر بعدائه لها وشارك فى الثورة عليها ، فتوعدته وأهدرت دمه ، وكان بعضهم يكفر بالجماعة الحاكمه والاحزاب الممارضة معا ، ويتمق فى نفسه احساس بالياس بمن تلاحم الامه واجتماع كلمتها (١) .

(١) الدكتور / حسين عطوان : الشعراء الصعاليك فى العصر الاموى ص ٧١

وهكذا تكونت من هذه الاحزاب المتصارعة والفئات الناقصة جماعة الصماليك التي يصح لنا أن ندعوها " طائفة الصماليك السياسي " التي هيأت الظروف المتقلبه والاضاع غير المستقره لنشأتهم وظهورهم - وكانت ظروفهم الاقتصادي والاجتماعيه تشبه الى حد بعيد ظروف الصماليك في العصر الجاهلي - غير أنهم تحلوا ظروفهم القاسيه واستوعبوا جيدا فتضاعف حقدهم واشتدت ثورتهم وعنف تمردهم .

ومن هؤلاء " عبد الله بن الحجاج الثعلبي " وكان شجاعا فاتكا صملوكا من صماليك العرب يسرع الى الفتن والثورات ، فقد خرج مع عمرو بن سميد بن العاص فلما قتل عمرو لم يستسلم عبد الله ولم يستكن وإنما انضم الى زعيم من الخوارج هو نجدة بن عامر الخارجي ، ومقاتل جيوش عبد الملك فلما تراجع الخوارج وتقهقروا شعر عبد الله أن الدنيا برحبتها - قد قاتت في وجهه نتيجة لطلب عبد الملك له فصور رعبه وفزعته قائلا (١) :

رأيت بلاد الله وهي عريضة
على الخائف المطر كفة حابل
تودى اليه أن كل ثيبية
تيممها ترى اليه بقاتل

وهكذا نرى أن هؤلاء الصماليك الخارجيين على " الملوك والامراء " قد عرضوا أنفسهم لملاحقتهم ومطاردتهم ، فأوعزوا الى قوادهم وعمالهم ان يشتدوا في طلبهم ، ليدركوهم بكل وسيله ، وأما هؤلاء فقد أوعزوا في الهروب والتجأوا الى المغاور والقفار والجهال فبعثوا عن أهلهم وذويهم ، وشعروا بالحنين الجارف اليهم والشوق المبرح للقيامهم ، وقد صوروا هذه الاحاسيس الصادقه في أشعارهم ، فيها هو الخطيم الملكي اللس يصف خوفه من السلطان وحنينه الى أهله وعشيرته فيقول (٢) :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليليه
بأعلى بلى يذى السلام وذى السد
وهل اهبطن روض القطا غير خائف
وهل أصبحن الدهر وسط بنى صخر ؟
وهل أرين بين الحفيرة والحمى
حصى النير يوما أو بأكبسة الشمر ؟
جميع بنى عمرو الكرام وأخوتى
وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر

(١) الاغانى " طبعة دار الكتب " ١٥٨/١٣

(٢) معجم البلدان ٢٨٤/٢ - ٣٤٧/٣

فالرهبة قد ملأت قلبه ، وسد عليه الخوف منافذ الحياة ، وأعتقد انه سيفضي
الصرير مطرودا دائما - فلابهنا بروية أهله ، ولن تتحل عيناه بمنظر موطنه وما فيه من
رياض وشعاب وتلال ، ويتحسر على الايام الفاخرة التي سعد فيها بقرىهم ولقياهم .
ولقد نجحت السلطة في اعتقال الكثيرين من هؤلاء الصماليك وزجت بهم فسى
السجون مما جعل قرائحهم تفيض بالحنين واللوعة وتتوق على تلك الايام الخالية
التي كانوا يحبونها في حريه وأنطلاق ، فهذا ابو النشاش التميمي يشبه نفسه وهو
مكبّل بالأغلال لا يستطيع حراكا ولا فكاكا ، بعد أن كان حرا يتنقل انى شاء ويجوب
البلاد كما يهوى بالفرس الذى طالما اسرع فى المدو ، وشارك فى السباق ثم
قيد ومنع من المدو والانطلاق فيقول (١) :

كأنى جواد ضمه القيد بعد ما جرى سابقا فى حله ورهـان

وهكذا نرى شعر هؤلاء الصماليك يفيض بالحسرة واللوعة ويتوق الى الحرية
والانطلاق ، فقد ألمهم السجن أشد الألم وفجر قرائحهم بالشكوى المره والحنين
الى أيامهم السابقة وبواطنهم الحبيبه ، وأخذوا يقارنون بين الحالين ، وقد
أذكرتهم حالهم الراهنه الحال التي كانوا عليها أيام ان كانوا طلقاء ، فلشد
ما وجدوا بينهما من فروق !

ولم تقتصر الغربة على شعر هؤلاء الصماليك ، فلقد كان هناك من أغترب
للجهاد والفتح ، ومن أغترب للتجارة او طلب الرزق ونحو ذلك ، ودفعت الغربة
هؤلاء كلهم الى الشوق ، والحنين ، وكان من بينهم شعراء ، ففاضت قرائحهم
تعلن عن هذا الشوق ، وترجم تلك المشاعر فى اطار عاطفى مثير ، فهذا مجاهد من
المجاهدين يحن الى موطنه نجد بعد أن ذهب للفتح فى بلاد فارس وشعر بغربته
وأبتعاده عن وطنه فقال (٢) :

تبدلت من نجد ومن يحلــه
وأصبحت فى أرض البنود وقد أرى
محلّه جند ما الا عارىب والجند
زمانا بأرض لا يقال له بنــد

(١) الاغانى (طبعه دار الكتب) ص ١١٢ / ١٧١

(٢) شعر الفتح: الامسلاحيه - ص ٣٥٥

أما " مجنون ليلى " قيس بن الملوح العامري ، فقد تنقل في الصحارى
والقفار يبحث عن ليلاه ويتنعم أخبارها ، وهو حين يفارق أرض نجد وما فيها
من الذكريات الجيعة والحزينه ، وحين يفادر أهله وذويه يصور لنا هذه
المشاعر بنهض قلبه ، حين يقول (١)

تمتع من ذرى هضبات نجــــد فأفك موشك الا تراها
أودعها الفداه فكل نفســــ مفارقة اذا بلفت مداها

ومن أرق الشعر وأعذب قصيدته الرائية التي يطلب فيها من صاحبه أن
يتمتع من شميم عرار نجد ثم يخيل له أن الشهوة في نجد لا تنقضى ولا
يشعر بها ، وليلبها خير ليل ، ونهارها طويل ، كما يمدح مطرها
ونسيمها وبنيتها في حب يشبه التقديس فيقول (٢) :

أقول لصاحبى واليمش تهوى بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجــــد فما بعد العشية من عرار
ألا يا بهذا نفحات نجــــد وريا روضه غيب القطمار
وأهلك أذ يبل الحى نجدا وأنت على زمانك غير زارى . . .
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل وأطول ما يكون من النهار

ولو أردنا تتبع الشوق والحنين والشعور بالفريه في شعر المجنون لفاق بنا
المقام ولهذا فأنا نكتفى بهذا القدر من شعره كي نفسح المجال لغيره ممن عانوا
من الفريه وكابدوا من الشوق والحنين فهذا . . . أبو زياد الطائي ، لسم
تغيب داره عن مخيلته فلا يستطيع أن ينساها كما لن ينسى أهله وقومه
وحماه الذى نشأ فيه ويوضح أن تائمته قد ينطقت عليه في تلك الديار
التي يفادرها مكرها الا أنه سيظل متعلقا بها يحبها ويذكرها أبدا
فيقول (٣) :

(١) ديوان مجنون ليلى ص ٣٥

(٢) " " " " " " ص ٦٣

(٣) المنازل والديار ٢٤٦ / ٢٤٧

أحقا عباد الله أن لست ناسيا
ولا ناظرا نحو الحق اليوم نظيرة
بلاد بها توطت على تمانسى
بلاد بها قوى وأرض أجهها
بلادى ولا قومی ولا ساكنا نجدا
آسلى بها قلبى ولا محدثا عهدا
وكان بها عصر الصبا نظرا وفدا
وأن لم أجد من طول هجرتها بدا

و " ابن الدمينه " يطلب من أخويه فى المدينه أن يصعدا به جبلا ليرى
نجدا ويتنسم هواها العليل ويخفف لونه لفراقه أهباءه وخلائه ولكن
الصعود والاشراف يزيد صباهته ويضعف حرقة بعد أن يراه الحب وتركه
شبحا لا يرى استمع اليه يقول (١) :

أيا أخوى بالمدینه أشرفنا
فما زادني الاشراف الا صباهة
فأن بنجد من برانى حبه
فقال المدينيان أنت مكلف
بى الصهد أنظر نظرة هل أرى نجدا
ولا أزدت الا عن معارفها بعدا
فلم يترك منى عظاما ولا جليدا
بداعى الهوى لا تستطيع له ردا

والقطامى تهجر عواطفه ، وتلوب ذكريات الحجاز فى فواده فيتوجه الى
ريح الحجاز يناشدها بكل ما فى نفسه من لوعة وحنين أن ترد تحيته بمثلها ،
وأن تهب نحوه لملمها تخفف عنه ما به من الشوق واللمفه ، ويكمن سر هذا التعلق
حين نعرف أن تلك الريح قد ضمخت بمطر حبيته عليه الذى يعمش من أجلها
فيقول (٢) :

ريح الحجاز بحق من أنشاك
هى عسى وجدى يخف وتنطفى
ياريح لولا أن فيك بقبية
ردى السلام وحى من حياك
نيران أشواقى يبرد هواك
من طيب عيلة مع قبل أن ألقاك

ويتواصل حنين الشاعر الى موطنه فى الحجاز الذى يأخذ حقه من التقريط ويدفع
أبنائه الى التعلق به والتلطف للعودة اليه ، فليست نجد وحدها
هى الوطن المنشود الحافل بالذكريات المفجر للشوق والحنين ،
فشاعرنا " القطامى " يتذكر هباته بعد حين من الفراق فيحن قلبه
الى الحجاز ويهيج غرامه وتسبح دموعه فيقول (٣) :

(١) ديوان عبد الله بن الدمينه ١٨٧ / ١٨٨

(٢) ديوان القطامى ص ١٦٩

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٤

ذكرت ههائي من بعد حسين
وحن الى الحجاز القلب مضي
فمادلي القديم من الجنون
فهاج غرامه بعد السكون

وحماهي البرجصى يسجن في المدينة ومعانى من وحشه السجن والامه
وهشمربفريته بعيدا عن أهله ووطنه ، وتهدل في سمه حمامه تتجاوب
مهما حنائهم في سجع شير أشعلو ويهت أشواقه ، مما يخاف مسن
آلامه المبرحه فيقول (١) :

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت
تجاوبها ورق الحسام لصوتها
هتوف الض بين الغصون طروب
فكل لكلاً مسعد ومجيب
ومن يك أمسى في المدينة رحله
فأنسى وقيلار بها لفريسيب
وما عجلات الطير تدنى من الفتى
نجاحا ولا عن ريشه يخيبيب

وأما عبد الله بن قيس الرقيان فقد أعترب عن وطنه وعانى من الأم الفريسة
وتنقل بين بلدان كثيرة ولكنه لم يمتنع نسيان موطنه وأهله ، فتضاعف حنينه واشتد
الشوق عليه ، وأخذت دموعه تحيل بهنزارة لعلمها تخفف للتلعبه وحرقت ، ولم
يذكر معشره وأهله فيقول (٢) :

وأغترابى عن عامر بن لسوى
كل يوم التى بن شائمه ليس
حوله قومه وقومى بسا أرض
وطوك فارقتهم أبرد ونسى
أقلقت منهم الفراديس فالفسو
فضمير فالماطرون مخمسوران
لم تجهنى منها الطلول ولم أملك
وتذكرت معشرى وهم كانوا
بهلاد كثيرة الاقصال
عن الشرط استطاع بالسى
حرم دوتهم حنين الشمال
وصروف الايامى واللبيالى
طه ذات القرى وذات الظلال
فقار بسايس الاطلال
دموعا تميل كالأوشال
طوكا نسى سالف الاحسوال

(١) أدبيات السجن ص ٤٣/٤٤

(٢) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ١١٣/١١٤

والشاعر حين يجتاز حوران الى فلسطين يرى للنواصم الالهكر وقد حلت بسوس
فلا يستطيع مخاطبتهم خشية لفت انتباه الناس الذين لا يرضون عن مثل
هذه الافعال ، الا أنه قد سمع منهم عند الانصراف قولهم " لقد شط
بالحبيب المزار " ومن هنا فهم يهين للفرس والفراق الذي وقع بينهم
وبين أحبائهم وهذا ما يضاعف من ألم الفرس فقد قال (1) :

ان عهدى بهم غداة استقلسوا	ولن فلسطين والدمع
وأستمازت على القناطر من حو	ران عين نواعم الهكر
لم يكلمن خشية العين ذا اللب	وظسى الدموع منها الخمار
غير أنى سمعت حين أنصرفنا	قولهم شط للاحبيب المزار

والشاعر عمر بن أبي ربيعة حين يخترب بعيدا عن وطنه ، ويحس بوحشة بالفسة
انه يفارق أهله وأحبائه ويستبدل داره بدار أخرى لا يجد فيها راحته
ويحن الى دارة الاولى ويتمنى العودة اليها ويدعو من أعماقه الا يبعد وطنه
عنه ، فلا حياة له بعيدا عنه فيقول :

هيهات من أمه الوهاب منزلنا	اذا حللنا بسيف البحر من عدن
وحل أهلك أجياد فليس لنا	الا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا يا وهب أن نزحت	نوال عناولا أو طانكم وطني
فلمت أملك الا ان اقول إذا ..	ذكرت : لا يبعدك الله ياسكني

اما الشاعر " أهزبيادة " فيحن الى موطنه عندما كان بالشام عند الوليد بن يزيد
ويشعر بفقرته ويعبر عن هذا الاحساس الصادق بقوله :

ألا ليت شعري هل اهبتن ليلسة	بحرة ليلي حيث ربتني أهلي
وهل أسمعني الدهر أصوات هجه	تطالع من هجل اصل الى هجيل
بلاد بها نيطت على تائمسي	وقطمن عن حين أدركني علسي

فهو يتنقى المودة الى موطنه في " حرة ليلي " حيث نشأ بين أهله وذويه
تلك الهللا التي نيطت بها تماثله عليه ، الى ان شب وكبر ، ولما سمع الوليد قوله
قال له " يا ابن ميادة كأنك قد خرضت من قرينا " (١) .

والطرماح يفترب بعيدا عن وطنه حتى يصل الى بحر قزوين في شمال ايران ثم
تلوح له الثريا في كبد السماء فتذكره بموطنه ويشوقه البرق اليماني لانه يلمح عنه
أحبابه الذين أبتعد عنهم فيقول (٢) :

طربت وشاقتك البرق اليماني	يفج الريح في القافران
أضوء البرق يلمع بين سلمى	وبين الهضب من جهلى أبان
أضوء البرق بت تشيم وهنا	لقد دانيت ويحك غير دانى
الم تر أن غرغان التريسا	يهيج لى بقزوين احتزانى

والاحوس يفترب في " عمان " بعيدا عن موطنه " ملح " فيشتاق ويحن
ويحزنه البرق المتألكى والريح المروضه لانهما يضاعفان من شوقه ، وهو حزين
يتطلع الى موطنه يعرف أن المناوز تفضله عنه ، ولكنه يحاول ان يرى منازل
قومه وعشيرته رغم البعد ، غير أن نظرتة المشوقة تلك قد كشفت عن أنفعا لاته
التي عبر عنها البكاء من فرط الجوى والصاباه فقال (٣) :

أقول بعمان وهل طرى بهـ	الى أهل سلع ان تشوفت نافع
أصاح ألم تحزنك ربح مريضـ	وهرق تلالاً بالعقيقين لامع
فأن الغريب الدار ما يشـ	نسيم الرياح والبروق اللوامع
ومن دون من أسوا بطر في لارضهم	مغاور مغبر من التيه واسمع
نظرت على فوق وادنى عشـ	بنا منظر من حصن عميان يافع
وللمعين اسراب تفيض كأنـ	تعل يكحل الصاب منها المدامع
لا يصر أحياء بخاخ تـ	منازلهم منها التلاع الدوافع
فأهدت كثيرا نظرتى من صباـ	وأكثر منها ما تجن الاضالع
وكيف اشتياق المرء يهـ	الى من نأى عن داره وهو طائع

(١) الاغانى ج ٢ ص ٣١٠

(٢) ديوان الطرماح بن حكيم ص ط ١٠٢

(٣) شعر الاحوس الانصارى ص ١٤٥ / ١٤٦

و " الفرزدق " يحن الى وطنه حينما قويا غنيا ، ويربط ذلك بحنين ناقته
التي تحن الى ولدها الذي تركه خلفها فيقول (١) :

حنين عجول تبتغي البهراشم تحن بهزوا المدينة ناقتي
باحفار فلج أوسيف الكواظم وباليث زورا المدينة اصبحت

أما " جرير " فحين يفترب يتجسد الحزن في غرته ويشمر بأنه قد
أصبح أسيرا لا يقوى على التنقل والحركة ، وتكاد صلته تنقطع بالناس فهو لا يزورهم
وهم لا يزورونه لانه غريب عنهم ، وهذا ما يضاعف اساه فيقول (٢) :

كأني بالمديير بين زكنا وبين قري ابي صفري أسير
كفى حزنا فراقهم وأنسى غريب لا أزار ولا أزور

ويحتل جبل الريان مكانه مرموقه في نفس جرير وحينما أحبه احب كل من
يسكنه أيا كان ، والنساءم التي تأتيه من هذا الجبل تبعث في نفسه الشوق والحب
وتحمله على تمضي الموده الى سابق أيامه الممتعه التي قضاهها في ذلك المكان
فيقول (٣) :

يا هذا جبل الريان من جبل وهذا ساكن الريان من كانا
و هذا نفحات من يمانية تأتيك من قبل الريان أحيانا
هبث شمالا فذكرى ما ذكركم عند الصفاة التي شرقى حوراننا

و " لئن كان الرجل يحن الى وطنه ، وعشيرته وأهله فيقف على ديارهم
وأطالهم ، يبكي ويستبكي بصدق حينما وتكلف حينما آخر - فإن المرأة
أعنف شعورا بالحنين الى الوطن وغم انها لم تقف على الاطلاع -
المرأة - في رأينا - أرق عاطفه - وأرهف أحساسا من الرجل - لذلك
كان حنينها الى وطنها وأهلها حينما مليئا باللوعة والاسى ، وذلك
بفضل عوامل كثيرة ، مردها الاول والاخير الى رهافة حسها ورقه عواطفها (٤) :

(١) ديوان الفرزدق ٣٠٧/٢

(٢) ديوان جرير ص ١٧٨

(٣) ديوان جرير ص ٤٩٣

(٤) محمد إبراهيم حور - الحنين للوطن في الادب العربي ص ١٦٨

وأذا كسا قد قدمنا نماذج في الغرير والحنين من شعر الرجل فمن حق المرأة علينا أن نقدم من شعرها بعض النماذج التي تعبر عن الشوق والحنين ، ولا جدال في أن المرأة تجيش عواطفها وتهيج انفعالاتها بدرجة أكبر مما لدى الرجل وتخطب " جمل السليسه " دار يلجأ بأنهما أحب ديار لديها مخصبه كانت أم مجدبة . فلقد نشأت فيها وكانت أول تراب مس جسمها ، وعلقت بها التماشم عليها ، فهي تدعو لها بالسقيا والفيث فتقول (١) :

ألم تعلقى يادار يلجأ أننى	إذا أخصبت أو كان جدلنا بها
أحب بلاد الله ما بين منجم	الى وسلوى أن يصوب صحابها
بلاد بها عى الشبان تيممتى	وأول أرض مس جسى تراها

وتحن قلوب " أم المثلم الهذلية " بعد هدوء صبايتها فيضعف ذلك من روعها وكان ذلك الحنين من جراء سنا يارق شب لعينها ، وقد أخذت أم المثلم تصبرها وتصبر نفسها على هذا البعد فتقول (٢) :

وحتن قلوب بعد هدو صبايته	فيا روعة ماراع قلبى حنينها
حتن فى عقاليها وشب لعينها	سنا يارق يعرى فجن جنونها
نقلت لها سيرا فكل قرينة	مفارقها لاهد يوما قرينها
وما برحت حتى أروعينا لصوتها	وحق أنبرى منا هعين يعينها

أما " ميسون بنت مجدل الكلابية " التي حظيت بالزواج من الخليفة الاموى - معاوية بن ابي سفيان - فينقلها من حياة البداوة وشظفها الى رفاهيه قصور الملك وما فيها من أثاث وفرش ورياش - وما يقوم على خدمتها من جوار وقيان - وتوفر لها كل أسباب الراحة والهناء فترفض كل هذا النعيم وتشوق الى حياتها السابقة تفضلها من جميع جوانبها على حياتها فبيت الشعر أفضل من القصر ولبس البعياة مع راحة البال وهدوء النفس أفضل بكثير من الملابس الحريرية الشفافة - وعيشها الخشن فى بدائها أحب الى قلبها من هذه العيشة الجديدة وهى بكل صدق مع نفسها لا تريد استبدال وطنها

(١) شاعر العرب ص ٤٨

(٢) شاعرات العرب ص ٣٩٨

الشريف فتقول (١) :

لهبت تخفق الأزواج فيمسه
وبكر ينبح الاطسان سقيسا
وكلب ينبح الطسراق عسنى
وليس عباءة وتقر عيسنى
وأكلر كبيرة في كسر بيسنى
وأصوات الرياح بكل فسج
وخسرق من بسنى عسى نحيف
خشونه عيشق في البدو أشهى
فما أبغى سوى وطنى بسديلا

أحبّ الـ من قصر منيف
أحبّ الـ من بقل زفوف
أحبّ الـ من قط ألميف
أحبّ الـ من ليمس الشفوف
أحبّ الـ من أكل الرغيف
أحبّ الـ من نقر الدفوف
أحبّ الـ من علج عليف
الى نفس من العيش المطريف
فحسى ذاك من وطن شريف

أما " ليل العفيفة " فتصور عذابها وعناها وهى بميدة عن أهلها
حيث وقعت فى اسر الاعجم ، وتمتفيت بحبيبها " البراز " وأخوتها
أن ينقدها ومدوا لها يد المساعدة ، وتؤكد انها مستظل محافظه على شرفها
وفتها مهما نالت فى سبيل ذلك من عذاب اذ تقول (٢) :

ليت للبراق عينا فترى
يا كليها يا عقلا أخوتسى
عذبت أختكم يا ويلكم
يكذب الاعجم ما يقربنى
قيدونى ظلونى وأفعلوا
فأنا كارهة بفيتكم

ما أقاسى من بلاء وعنا
يا جنيدا ساعدونى بالهكا
بعذاب النكر صبحا ومسا
ومعى بعض حساسات الحيا
كل ما شئتم جميعا من تلا
ومرير الموت عندى قد حلا

ثم تواصل التعبير عن شوقها وحنينها الى ديارها وأهلها وحبيبها البراق
وتعرض ما تقاسيه من آلام فى غربتها ومدتها وتتشوق مستفسرة عن أحوال
عشيرتها وأحبائها ، وتذكر انها تكاد تذوب - فى غربتها - من فرط الشوق
والحنين ، وتتمنى عوده الايام السابقة وما فيها من وصل ولقاء فتقول (٣) :

(١) المصدر السابق ص ٣٩٦
(٢) شعراء النصرانية ١/١٤٩
(٣) " " " " "

قد كان بي ما كفى من حزن غوسان
ما حال هراق من بعدى ومعدشنا
قد حال ودونى يا هراق مجتهدا
كيف الدخول وكيف الوصل وأسفا
لما ذكرت غريبها زاد بي كمدي
تمرح الشوق فى قلبى وذبت كما
فلو ترانى وأشواقى تقلبىنى
والآن قد زاد فى هوى وأحزانى
ووالدى وأعمامى وأخوانسى ؟
من النوائب جهد ليس بالفانى
هيهات ما خلعت هذا وقت أمكانى
حتى هممت من الهوى بأعـلان
ذاب الرصاص أذا أصلى بنيران
عجبت هراق من صبرى وكتمانسى

وهذه امرأة من بنى الصادر * فى بصرى الشام تسأل بعض المسافرين عمن
وطنهما فى نجد وتناشدهم ان يحملوا تحيتها اليه وتتمنى ان يحن عليها الدهر
بهوىته كى تشهد * ما * وقيمة * وترى جانب الحى وقد نهبت على رطله التفلس
الجمد فتقول (١) :

أيا رفقة من دير بصرى تحطبت
إذا ما بلغتم سالمين فبلفوا
وقالوا تركنا الصادرى مكبلا
خياليت شعرى هل أوى جانب الحى
وهل أردن الدهر ما دقيمة
توأم الحى لقيت من رفقة رشدا
تحبه من قد ظن أن لا يزى نجدا
بكبل الهوى من حيكم مضرا وجدا
وقد أنهت أجراءه نفلا جمدا
كأن الصبا تصبرى على منه بردا

ولو أردنا تتبح ما قلته النساء الشواعر فى الشوق والحنين لضاق
بنا المقام • ولعلنا نكون قد قدمنا ما يفى بالفرض فى هذا المجال •

- الغربة والحنين في العصر المباسي :

حينما أنتصر العباسيون على الامويين أخذوا يطاردونهم ويتعقبونهم تعذيباً وتقتيلاً ، وخرج الكثيرون من أركان النظام السابق وأتباعه هائمين على وجوههم طلباً للسلامة . وكان أبرز هؤلاء الامير الشاعر " عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك " وكان في العشرين من عمره حينما تعقبه الجند ، وأستطاع أن يقطع الفرات سباحةً وأتجه جنوباً الى فلسطين فمصر فشمال أفريقيا حتى المغرب - وكان - من حسن خطه ، أنه يَصِلُ الخوذة الى قبيلة " نغز " هناك فأحتسب بها ووجد لديها عطفاً وتمسكوا ، ثم أستطاع ان يستغل الخلاف الذي نشب بين اليمانيين والقيسيين في الاندلس ، وساعدته الظروف وجرأتته وحنكته السياسية على ان ينجح في الانتقال من عبد الرحمن الشريد الى عبد الرحمن الداخل " الطك " وينال بجدارة لقب " صقر قریش " .

الا أنه ومع ذلك كان صارماً جاداً معظم اوقاته لا يكاد يعرف الابتسام والبشاشة لكثرة ما كابد في هروبه ، وقد رأى ذات يوم نخله في قصر الرصافة بقرطبة وعقد مشابهة معها اذ ان كلا منهما ات من الشرق . غريب عن هذه الديار فقال (١) :

تهدت لنا وسط الرصافة نخلة	تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى	وطول التنائى عن بني وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلى
سفتك غوادى الحزن فى صوبها الذى	يسح ويسترى السماكين بالوئيل

أما شاعر الصرب الاشهر " أبو الطيب المتنبى " فقد أكثر من حديثه عن الغربة والوحدة حيث كان قلقاً لا يعرف الاستقرار ، يصفه قلقه الى التنقل من الشام الى العراق أو من الشام الى مصر وبالعكس يقطع الصحارى ويجتاز المغاور :

(١) جارسيا جومس " الشعر الاندلسى " ص ٢٧

صحت في الغلوات الوحش منفردا حتى تعجب منى القور والاكـم

ويحل بأرض لا يعرف فيها صديقا يخلص له الود او يضمه في الصلابة اللائقة
به والتي يستحقها بجدارته فتضيق به الدنيا ويحس أنه يمشى وراء سراب وأن المنفعة
المادية التي يبحث عنها لا تستحق هذا العناء :

شر الهلابة بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وحين يترك سيف الدولة قاضيا يتألم أشد الألم لذلك ، لأنه كان يحترم
سيف الدولة ويعجب به لغروسيته وشجاعته وعروسته في أزمان قلت فيها تلك الصفات
فيخيّل إليه أنه لن يموت هذه الصحبه ولن يلقى من يملأ ذلك الفراغ فيصـرـخ
قائلا :

يا من يمز علينا ان نفارقهم ووجدنا كل شي بعدكم عدم

وقد أثر هذا التغرب في نفسه تأثيرا قويا ودفعه الى الاعتداء والشعور بالتفرد
والتميز والاحساس بالانا " فيقول :

أصخرة أنا مالي لا تحركني هذى المدام ولا هذى الاغاريـد

او يفتخر بنفسه ويسمو بها ليضمها في مكانة لا تبلغ شأوها نفس أخسرى
حيث يقول :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
أنا الذي نظر الاعى الى ادبى وأسمعت كلماتى من به صمم
أنا مل جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم (١)

أما الشاعر " ابو فراس الحمداني " فلقد كان يخزو الروم كل عام ، وحين
زحف الروم الى حلب أسر ابو فراس بعد أن استمات في القتال ، ونقل الى
عاصمة الروم " القسطنطينية " ، ولا سباب كثيرة بقي في الاسر اكثر من عامين مما
ضاعف احزانه لبعده عن أهله وعدم مشاركته في قتال هؤلاء الاعداء ، فأخذ يهتـم
بقصائده الى أبن عمه ويحثه على اقتدائه . يصور له حاله فيقول : (٢)

(١) ديوان المتنبى ص ١١١ - ١٢١

(٢) ديوان أبي فراس ص ٣١

دعوتك للجفن القريح المسهد
وما ذاك بخلا بالحياة وإنما
وآنف موت الذل في دار غربة
لدى وللنوم القليل الضشود
لاول ميذول لاول مجتسدى
بأيدي النارى الملف ميتة أكيد

وأبن الرومى يحن الى الوطن حتى ولو كان منزلا يريدون أرغامه على ترته فيصـور
أحساسه بفراقه كأن روحه ستفارق جسده ، كما يبين لنا أن الذكريات تربط
الناس بأوطانهم وتضاعف من تعلقهم بها فيقول " ١ " :

ولى وطن آليت الا أبيعـه
عهدت به شرح الشباب ونعمـة
وصبب أوطان الرجال اليهم
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم
فقد الفته النفس حتى كأنه

والا أرى غيرى له الدهر مالكا
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
مآرب قضآها الشباب هنالكا
عهدود الصبا فيها فحنوا لذلكا
لها جسد ان بان غودر هالكا

وأبو نواس يسافر الى مصر فيذكر الكون وهو فى رحاب الخصب فتلدغسه
الغربة والحنين فيقول " ٢ " :

ذكر الكون نازح الاوطان
فصبا صبوة ولات أوان ٠٠

أما أبو تمام فيحن الى اول منزل رآته عينا ويؤكد بأنه مهما دارت به الايام
فسيظل حنينه لاول منزل سكنه ، كما أن فواده سيظل معلقا بأول حب وقع نبيه
فيقول " ٣ " :

نقل فوادهك حيث شئت من الهوى
كم منزل فى الارض يسكنه الفتى

ما الحب الا للحبيب الاول
وحنينه دوما لاول منزل

وهو حينما انتقل من الشام الى مصر وجعلها وطنا ثانيا له شعر بأن الكثير
ينقصه من فواده ما زال مشربها نحو الشام والمراق فهو فى مصر
مصر ، ولكنه فى الشام وهو فى العراق فيقول :

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا
بالرفتين وبالفسطاط أخوانى

-
- (١) ابن الرومى - الديوان
(٢) ماهر حسن فهى - الحنين والغربة ص ٣٩
(٣) أبو تمام - الديوان

وقد كانت حال البحترى - كشاعر متكسب - شبيهة بحال أبي تمام وأضرابه
فهو يرحل من بلده من ضيق الى المراء ويتصل بالخلفاء وينال عطاياهم ،
ولكنه يظل مشتاقا الى وطنه وتترد هذه المشاعر في شعره حين يقول (١) :

تجانف بي نهج الشام وطاع لسى عنان الى اكاف منيح مطلق
وانى خليق بل حقيق حديث ما يقرب شخص ان شوقى يشرق

ويرد هذا الحنين قاصلا (٢) :

حنت ركاى بالعراق وشاهها فى ناجر بر الشام دريفه
وتضام ما تحت الضلوع من الجوى سير يفتق على الهوان وجينه

ثم يصور نفسه بعد ذلك فى صورة الجمل المشرود الذى ليس له وطن فتقذفه
البلاد ليظل بعيدا غريبا ، ويجعل من الطائر الذى ينوح رسولا فى اقبال
مشاعره أو " حلقة اتصال " بين مشاعره ومشاعر أهله فى الشام ، وأذا كان غريبا
يحن الى وطنه فأن هذا الوطن لا يستغنى عنه بل يتساءل عن مكانه كما
تتساءل الام الروم عن ولدها فى حبرة ولهفه حين يقول (٣) :

تقذف بي بلاد عن بلاد كأتى بينها جمل شرود
اذا سجع احطام هناك قالوا لفرط الشوق اين ترى الوليد ؟
واين يكون مغرب بدهر شريد فى حواده طريد

فأذا ما عاد الى أهله ووطنه صنعت له الايام وأشرق الدهر ، أما شاعر الاندلس
الكبير " ابن زيدون " فقد ارتحل الى اشبيلية خلفا وراه مدينته الجميلة
قوطبه وفيها هواه ، ومن هنا فقد كان شعره يقطر اسى ولوعه لهذاه
الخرابه ، التى جعلت اجفانه لا تعرف النوم حيث كبل فواده بذكريات
حبه نهد ، ويسائل احبابه ان كانوا يذكرونه فى غربته وحزته حين
يقول (٤) :

-
- (١) البحترى - الديوان ج ٢ ص ١٢٥
(٢) " " " " ج ١ ص ١١٣
(٣) " " " " ص ١٢٨
(٤) ابن زيدون - الديوان ص ٣١٢

هل تذكرون غريباً عادته شجــن
يا ويلتاه أيبقى في جوانحه
من ذكركم وجفا أجفائه الوش
فواده وهو بالاطلال مرتهمن ؟

وحين سألت دموعه حبيبته " ولادة " بنت المستكفي " يصور لنا حاله بعد الفراق
وقد سألت دموعه وأضطربت جوانحه • لكنه مع ذلك يحفظ لها عهداً ويقوم على حبه
لا يتطلع الي غيرها • يفالب اساء الذي يوشك أن يقضى عليه • ومن هنا فقد اصبحت أيامه
سوداء بعد أن كانت لياليه بيضا بقربها فيقول (١) :

بنتم وينا فما أبتلت جوانحننا
لم نعتقد بمدكم الا الوفاء لكم
شوقا اليكم ولا جفت ما قيننا
رأيا ولم نتقلد غيره دينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضى علينا الاسى لولا تأسيننا
حالت لفقكم ايامنا ففقدت
سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

والشريف الرضى كان فى مجلس الخليفة الطائع حين تهجم الديلم عليه وعلى
من فى مجلسه • وأستطاع الشريف أن ينجو بنفسه من براثنهم ويصور نفسه وقد
أفلت من كيدهم الذى أوقعوه به غيره • ويعزو ذلك الى حزمه ورباطة جأشه
فيقول (٢) :

أعجب لمسكة عقلى بعد ما رميت
ومن نجائى يوم الدار حين هوى
من المصائب بالابكار والمسون
غيرى ولم أخل من حزم ينجينى
مرقت منها مروق النجم منكـدرا
وقد تلاقى مصارع الردى دونى
وكت أول طلاع ثنيتهمنا
ومن ورائى شر غير ما مسون

وأبو الفرج الاصفهانى يروى هذه القصة فى كتابه " أدب الغرباء " عن
الغريبه وما قيل فيها من شعر (٣) :

" من ذلك ما حدثنى به أبو عبد الله أحمد بن جيش التمار قال :

دنى عن أبى عن بعض ولد احمد بن هشام - عن أبيه قال :

" كنت فى جملة عسكر المأمون حين خرج الى بلاد الروم فدخل وأنا معه الى كنيسة قديمه

البناء بالشام عجبته الصور فلم يزل يطوف بها فلما أراد الخروج قال لى :

(١) ترجمة ابن زيدون - للاستاذ / عبد الجواد رمضان ص ٢٩
(٢) احمد الشعراوى - الادب العربى فى ظلال القويمات ص ٤٩
(٣) ابو الفرج الاصفهانى - ادب الغرباء ص ٢٣

" في شأن الغرباء في الاسقار ومن نزحت به الدار عن أخوانه وأترابه ، إذا -
دخل موصفاً مذكوراً ، ومشهداً مشهوراً ان يجعل لنفسه فيه أشراً تبركاً بدعاء ذوى العربة
وأهل التقطع والسياحه ، وقد أحببت ان أدخل في الجملة فأبغ لي دواة ، فكتب
على ما بين باب المذبح هذه الابيات :

يامعشر الغرباء	ويكــــم	ولقيتم الاخبار عن قــــرب
قلب عليكم مشفق	وجــــل	فشفا الاله بحفظكم قــــلبى
انى كتبت لكى	أساعدكــــم	فاذا قرأتم فأعرفوا كــــبى

كما يروى أبو الفرج هذه القصة أيضاً فيقول (١) :

" حدثني أبو الطيب أحمد بن محمد المخرمي قال :

حدثني بعض بني نوبخت قال : لما أجتاز الرشيد في طريقه الى خراسان
أقام بخلوان ايما ، ثم رحل فوجد بخط على جسر كان بالقرب منه :

حتى متى أنا في حل وترحال	وطول سعى وأدبار وأقبال
ونازح الدار لا أنفك مفترها	عن الاحبه لا يدرون ما حالى
بمغرب الارض طوراً ثم مشرقها	لا يخطر الموت من حرص على بالى
ولو وقعت اتانى الرزق في دعة	ان القسوع المنقى ، لاكثره المال

وفلان بن فلان الصروي . يحن الى أيام التلقى ويرثى لكل غريب فيدعولسه
بالعودة ، لان الحياة لا معنى لها بدون التواصل ، ولا متعة فيها اذا خلت
ن الاحبه ، ويمر بمسجد الجامع في سكرة الملك فيمجل هذين البيتين
على الحائط (٢) .

سقى الله أيام التواصل غيثه	ورد الى الاوطان كل غريب
فلا خير في دنيا بغير تواصل	ولا خير في عيش بغير حبيب

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٠/٢٩

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٤

ويروي ابو الفرج عبد الله بن محمد الناقد عن عمه قصة خلاصتها ان " عمه " قد اجتاز بنينا بور ودخل جامعها وبعد صلاته تعرف على فتى حسن الشباب رث الثياب ، ولما علم انه من بغداد اخذ يستفسر منه عن احوالها ، ولما حاول ان يعرف من امر هذا الشاب شيئا لانه الاخير بالصمت ، فعرض عليه المساعدة فأبى ، ولما أنصرف الرجل الى بعض أموره ، وعاد ثانياه الى المسجد لم يجده ، ولكنه وجد مكتوبا في موضعه هذه الابيات :

لومات النفس من جوع ومن كمد	لما شكوت الذي ألقى الى أحد
ياليتني كنت أدرى مالذي صنعت	بمدي الحوادث بالاهلين والولد
وبالحبيب الذي ودعته فبكسي	وقال : ما دار هذا منك في خلدي
لو كنت اعلم أن الهين مقرب	ما كنت اصفي الى عذر ولا قند (١)

ويروي ان " الرشيد " حينما خرج الى الري أخذ معه أخته " عليّة " فلما وصلوا الى المسجد عثرت شعرا وصاغت فيه لحننا من الرمل ، وكتبت الابيات ليلا على بعض القساطيط في طريق الرشيد ، فلما دخل الى مضرب الحرم بصريه فقرأه وأذا هو :

ومغرب بالصبح يهكي لشجوه	وقد غاب عنه المسعدون على الحب
أذا ما اتاه الركب من نحو أرضه . .	تنشق يستشفي بهرائج الركب (٢)

أما عليّ بن الجهم فقد اصابته الجراح وهو في طريقه الى الشام بعيدا عن موطنه في بغداد ، وكانت جراحه خطيرة ، فأخذ يهذي في الليل :

أزهد في الليل ليـــــل	أم سال في الصبح صبح ؟
وتروى " أم سال بالصبح سيل " :	

يا أخزنى بد جيـــــل	وأين منى هـ جيـــــل
----------------------	----------------------

فما بك وجد هذا الشعر قد كتبه على الحائط :

(١) المصدر السابق نفسه ص ٦٢

(٢) " " " " " " " " ص ٥٢

يا رحمتنا للفریب فی البلاد النار فح ماذا بنفسه صنمنا
فارق احبابه فما انتقمنا بالعيش فی بعده وما انتقمنا (١)

والخليفة المتوكل حين يزور مدينة حمص في الشام يزور كنيسة وبينما هو
يطوف بها يلح كتابة على حائطها فلما اقترب منها وجد نصها مايلي :

حضر الفريب المشرد الحريب وهو يقول شئت شطى بعد الالفه

" وشقى جسى بعد الكلفة ومشيت الى المراق الى هذا المراق ،
وارتحلت عنه في ذى الحجة من سنة احدى ومائتين - وأنا أقول :

آل امرى الى أخس الامور	وتبدلت كرهة بسرور
واعترفتي من الزمان خطوب	تتهارى في هتكه المستور
نفسى صبرا لحادثات الليالى	كل شىء يذل للمقدور (٢)

فهذا الفريب يحس أن حاله قد تغيرت وتدهورت الى اسوأ صورة وأشنع حال
وقد تحول سروره الى كرب وشقاء بعد أن أعترته مصائب الزمان التي أخذت
تتنافس في أيدائه وتجريحه - ولكنه - مع ذلك - يصبر نفسه على مصائب
الليالى ، ويعزبها بأن هذا هو حظهم وقدره وعليه أن يرضى به ويخضع له
لان معارضته لن تجدى فتبلا كما لن تغير شيئا .

ومشخص أبو الفرج الاصفهاني الى بلدة " باجرا " لبعض أموره وطالت أقامته
فيها فلما أراد الخروج منها لم يتمكن من ذلك لانها حوصرت فن قهائل بنى شيبان
فلازم المسجد الجامع لانه كان مطلا على سامرا ، وشعر بالضيق محاصرا
مكروبا - وتمنى ان يخرج منها بأى وسيلة وأخذو يدعوا الله أن يخلصه
منها وأن يبدله دارا أخرى بعد أن فاضت دموعه وطفحت نفسه بالحسرة
وانذلم فقال (٣) :

(١) لكلمة ديوان على بن الجهم ص ١٥٤

(٢) ادب الفريب ص ٦٥/٦٦

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٧٤

أقول والنفس ألوف حمسرى
والعين من طول البكاء عسبرى
وقد أنارت في الظلام الشمسرى
وأحدرت هناك نعث الكسبرى
يارب خلصنى من باجسرى
وأبدل بها يارب دارا أخرى

ونحن بدورنا تهنأنا الأشعار التي تصور الغربة والحزن وتسجلها لنا ،
ومن المحتمل ان يكون الخيال قد لعب دورا في نسج لهذه القصة ، إلا أن
ما يعنيننا هو مدى ما تبرزه لنا من عاطفة إنسانية تهيجها الغربة ويحركها
الشوق والحزن ، وظالما بقى الشعر وضاع اسم قائله أو جهل ، وكسب
الادب واللغة حافله بالشواهد التي تؤيد قولنا .

ويرد " محمد عبدالمك الفمقى " بغداد وكان مقامه يطول بها فيجن السى
موطنه في الهدينه ، ويشعر بهمرارة الغربة ، فيشتاق الى " أحد " .
ويتمنى ان يبيت ليلة " بسلع " ويؤكد لنا أن شفاه من آلامه وأحزانه
في نظرة الى جهل " أحد " وإلى الحزين وحاله هذه تطرد الكسرى
عن عينيه وتحرمه النوم فبرعى النجوم ويراقبها ، أما البرق اليمانىسى
فيزداد شوقه اليه كما يتضاعف هذا الشوق كلما هبت جنوب فيقول (١) :

نوايب هم ما تمزال تنسوب	نفس النوم عنى فالقواد كسب
على " وأنها دلهن قسب	وأحراض أمراض بهفداد جمست
من الماء دروات لهن شعوب	وظلت دموع العين تمرى غروبها
دموى ولكن الغريب غريب	وأجزاء من خشية الموت أخضلت
بسلع ولم تغلق على " دروب . .	أليت شمسى هل ابستن ليلته

(١) الدكتور / عبدالحميد الشلقانى - الاعراب الرواقص ٢٢٦ / ٢٢٧

وهل أحد يادلنا وكأنسسه
يخب السراب الضحل بينى وبينه
فأن شفائى نظرة ان نظرتهمسا
وانسى لارعى النجم حتى كأنسنى
وأشفاق للبرق اليمانى أن بسدا
حصان أمام المقربات جنيب
قييد ولعيني تارة ويغيب
الى أحد والحرتان قريب
على كل نجم فى السماء رقيب
وازداد شوقا أن تهيب جنوب

أما أبو ملحم الشيبانى فيعد على عبد الله بن طاهر والى خراسان وقد
اعد نفسه للمسير الى الحج فراققه فلما اقتربا فى الرى أخذ عبد الله
يتمثل بشعر لابس كبير الهدلى ثم طلب من أبى ملحم أن يصور حاله
تلك فقال :

أنى كل عام غربة ونسـزوج
لقد طلح العين المشت ركاعى
وأرقنى بالرى نوح حمامـسه
على أنها ناحت ولم تدر دمعـه
وناخت وفرخاها بحيث تراهمسا
عسى جود عبد الله ان يمكس النوى
فأن الفن يدنى الفتى فى صديقه
أما للنوى من ونيسة فتريـح
فهل أرى من البين وهو طلـح
فتحت وذو الشجو والقديم ينـوح
ونمت وأسراب الدموع سفـوح
ومن دون أفراخى مهامه فيـح
فتضحى عسى الاسفار وهى طريـح
وعدم الفنى بالمقترين نسـزوج

ومن هنا نرى ان أبى ملحم كان يتخرب كل عام جريا وراء الكسب وطلبها
للعيش وكان يود الراحة فقد عذبه البين وشرده وهو يتمنى أن يرو هذا
البين مشردا مطرودا ولقد ذكره نوح الحمله فى الرى بغيرته فجاج مثلها لانهمسا
حركت اشجانسه وهزت عواطفه ، الا أنه يختلف عنها كثيرا فهى تنوح من دون دموع
بينما تسيب الدموع بفزاره من عينيه ، وهى تهكى ويقربها أفراخها على عكسه هو
الذى تشرب القفار الواسمه عن أولاده ، وهو يرجو ان يعينه المدوح بمطايا
حيث تغنيه وترجحه من الاسفار التى ترهقه ، ويوضح بأن الفقر هو الذى يفرق
الاسنان عن أهله ويبعده عن أخوانه ، فالنقى قرب ، والفقر تشرد ونسـزوج

وفي الوقت الذي نرى فيه - في كل النماذج التي عرضناها - الفريسة مشقة وألما وضياء مفاجأ بأن هذا المفهوم ينقلب عند جماعة من الناس عاشت في هذا العصر " العباسي " تعرف بالمكدين الذين كانوا يرون أن كل إقليم يدخلونه هو وطن لهم ، وأنه لا يروعهما ما يروع الآخرين من ركوب الاخطار وأتحام المسالك - بل أن الانتساب اليهم حتى حصين طالما انقذ الكثيرين من أيدي اللصوص وقطاع الطرق - وقد برز من هذه الجماعة شعراء عد يدون ، فسي تليمتهم الاحنف المبكرى الذي يفتخر بجماعته هو^١ فيقول (١) :

على أنسى بحمد المــــــــــــــــســــــــــــــــة	فسي بيت من المــــــــــــــــجــــــــــــــــد
بأخوانسى بنى مــــــــــــــــســــــــــــــــان	أهل المجد والمــــــــــــــــجــــــــــــــــد
لهم أرض خراســــــــــــــــان	فقاغان السى الهــــــــــــــــنــــــــــــــــد
الى الروم الى الزنج	الى الهلغار والســــــــــــــــنــــــــــــــــد
أذا ما أعسود الطرــــــــــــــــق	على الطران والجــــــــــــــــنــــــــــــــــد
حذار من أعاديهم	من الاعراب والكــــــــــــــــرــــــــــــــــد
قطمنا ذلك النهــــــــــــــــج	بلا سيف ولا غــــــــــــــــمــــــــــــــــد
ومن خاف أعاديــــــــــــــــة	بنا فى السروع يستمدى

وبن شعرائهم المبرزين أبو دلف الخزرجى مسمرا^٢ بن مهلهل يقول فيــــــــــــــــه الشمالي . .

" شاعر كثيرا لمج والظرف ، مشحون المدينة في الكدية ، خنق التسمين في الاطراب والافتراب ، وركوب الاسفار الصعاب ، وخراب صفحة المحراب بالجراب ، في خدمة الملوم والاداب ، وفي تدويخه البلاد يقول أبيات أنشد فيها أبو الفضل الهمدانى :

رقد سارت بلاد اللــــــــــــــــســــــــــــــــة	فى صمسنى وفى حلى
نا ر ينــــــــــــــــى و	تجاسدن على رحلى
فما انزلهمــــــــــــــــا الا	على أنس من الاهل (٢)

(١) أحمد الشعراوى - الادب فى ظلال القوميات ص ١٠٠/٩٩

(٢) أبو منصور الشمالى - نيتجه الدهر الجزء الثالث ص ٣٥٤ وما بعدها .

أما قصيدته الرائية التي عارض بها قصيدة الاحنف العكبرى الدالية
فظويله وهي مدونه في نعيمه الدهر للثمالي الجزء الثالث ونسجل فيها
بعض الابيات حيث يقول (١) :

جفون دمعها يجـرى	لطول الصد والهجر
وقلب ترك الوجد بهـ	جمرا على جمـر
لقد ذقت الهوى طعمـين	من حلو ومن مـر
ومن كان من الاحـرار	يسلو سلوة الحـر
كأشالي وفي الغريـة	أورى أكثر العمـر

ومنها :

فأن ضاق بنا قطر نسرعنه الى قطـر
لنا الدنيا بمن فيها من الاسلام والكـفر
ومنا شعراء الارض أهل البدر والحضـر
ومعنا سائر الانصار والاشراف قهـر

ومنها :

سقى الله بنى ساسان غيثا اثم القطـر
الا أنى حلبت الدهر من شطر الى شـطر
وجبت الارض حتى جرت في التطوان كالخضـر
وللغربة في الحرف فعال النار في التـبر
وما عيش الفتى الاحمال المد والجـرد
فبعض منه للخير - وبعض منه للشـر
فأن لمت على الغربة مثلى فما سمعنى عذرى
أطاب أسوة فى غربتى بالساده الطهـر
أن ربأمالى - شفيت غله الصدر
وقد تخفق فوقى - غرة الويه النصـر
وأما تكن الاخرى - فلا ايت مع السـفر
ولا عدت متى عدت بلا عز ولا وفـر

(١) المصدر السابق نفسه " ج ٣ " ص ٣٥٤/٣٧٢

وأذا تمننا في الإبيات المأهقه وجدنا كيف ينظر ايهود لطف واثالسه
من المكدين " الساسانيين " الى الاغتراب والتقل ، فهم يعترفونه مهارة
وعلا يمارسونه بجرأة ، وأن من حقهم الاقامه والمعيشه في أى مكان ،
وأن في مقدورهم أنتزاع مطعمهم ومشرهم في مختلف الظروف ، ولذلك
يحتبرون الفريسه عليه عقل للانسان الحر كما تصقل النار الذهب ،
ونأمل أن تكون قد قومتنا في هذا الباب ما يطمئن النفس وشفسى
القلسه .

شعر الغربة والحنين في العصر الحديث

عرفنا أن شعر الاغتراب - في أدبنا العربي - لون واضح القسمات بارز المعالم مثل شعر النزل وشعر الفخر وشعر الرثاء - بل لعله ملامحه أوضح من ملامح غيره من ألوان الشعر، فقد كان الاغتراب في حد ذاته ضرورة لجأ اليها الانسان العربي - منذ فجر حياته - للهروب من جذب الطبيعة وسحيا وراء الماء والكأ - فهو مرتحل أو يفكر في الرحيل وما من شك في أن هذا الرحيل له انعكاسات متعددة على نفسية هذا الانسان ومشاعره، فهو لابد أن يفارق مواطن عزيزة على قلبه، فظلت آثارها محفورة في وجدانه يبيكيها ويتشوق اليها بل يحث "اصحابه" على مشاركته الوقوف بها والتحدث اليها .

وتخلع القبيلة فردا من أبنائها أو أكثر، لأنه حين على نائمها وارتكب من الجرائر ما جلب لها المتاعب، وألحق بها الخسري والعار، فلم تجد بدا من طرده والتخلي عنه، ليبقى رحيدا في مواجهة الأعداء، ويشعر هذا المطرود بالوحشة، وكثيرا ما يركب رأسه فيظلم سادرا في غيبه لا يبرعوى ولا يتعقل، فتتراكم جرائمه، ويتضاعف متعقبوه، يترصدون به للثأر منه، فيوغل في الصحارى والقفار ويهجر الأماكن المأنوسة ويتحى عن الطرق المطروقة، لعله يجد في ذلك أمنا أو راحة، ولكن كل ذلك لمن يجديه شيئا، فنراه يعود ثانية وقد تآقت نفسه التي طبيعة

الإنسان مدني بالطبع .

شي الكون نور الاسلام وينشر العدل بين الناس ويقضي أسباب الصلابة ويطارد الجريمة والمجرمين باجتناك أسبابها واقتلاع جذور دوافعها وتتم له السيطرة على جزيرة العرب بعد صراع مرير وكفاح لا يلين، ومن ثم ينطلق الفاتحون لرفع راية الحق ونشر كلمة الله شرقا وغربا وشمالا حيث يصطدمون بدول كان لها جيوشها وتفوذها، ويطلقون

بلا داء تختلف عن بيئتهم ، ويمارسون حياة تقباهن عن الحياة التي عرفوها
ويفارقون أهلا لهم ، ويفادرون أحياء تعلق بهم قلوبهم فيثور في نفوسهم
الشوق ، ويحتلج بين ضلوعهم الحنين .

ويختلط هؤلاء الفاتحون ببساطتهم وسماحتهم بأسم أخرى لها حضارتها
وثراؤها ، فيتأثر الكثير منهم بما يرى ، فيتخلص عن بساطته ليقلد الآخرين في
الملبس والمشرب والسلوك ، وعندما تسيطر الدنيا على خلق المرء وتوجهه ، ويتعلق
بالترف ويمسح اليه ويصبح الوازع الديني لديه ضعيفا ، ويتحول الاتجاه الانساني
- على رعايته - الى أنانية مفرطة ، تسعى الى المصلحة الذاتية وهي تقفز
فوق كل المحاذير .

وعندما تتجمع الثروة بين أيدي هؤلاء سيكون ذلك على حساب حرمان
الآخرين الذين تضيق نفوسهم بذلك ، وتتمرد عليه فاما أن تحاربه بحسد
السيف واما أن تنكفئ على ذاتها لتفرض عليها زهدا في الحياة ورغبة عنها ، وتحسن
من جراء ذلك بالوحشة المريرة والظلم القاسي .

وإذا ما أحسن المرء باستحالة الحياة في المكان الذي شب فيه ، وعجز عن
البقاء ضمن المجتمع الذي ينتسب اليه ، ووجد نفسه مضطرا للتفقل أو السهروب
أو النفي ، فان الوطن العزيز على النفس دائما والاهل الذين لاغنى عنهم يبقيان
أبدا - في وجدان الانسان في حله وترحاله أثناء ليله ونهاره ولذلك فمشاعره
تجيش في صدره ليثور الشوق اللاهب في نفسه ويتطلع الى مراتع صباه ومواطن
ذكرياته ، ويتبنى أن تعود الايام الخالية لينجم ثانيا بما كان يسعده ، ويجعل
الحياة بأسدة الرؤى أمام ناظره .

عندئذ المدنية الحاضرة بقسوتها وتعقيداتها ، وقد فرضت نفسها علينا
ببرس المنتصرين ، وأخذ الكثير منا يطبق قسورها ، وينأى عن لباها
أن النفس أصبحت تعاني من صراع حاد ، فالواقع يشدها الى الخلف
والظروف تدفعها الى مسابرة الركب والجري وراء الجديد ، والانسان العربي
الذي كان قسوى الارتباط بقريته أو قبيلته أو أسرته تحت تأثير العديد من

المؤثرات في الاخلاق والقيم والتقاليد ، وجد نفسه بعد مجيء المدنية الغربية حائرا لا يدري ماذا يفعل أمام هذا التيار البارف الذي أرغمه على الشك في كل ما حوله ، وزين له أن يتعلق به ويدع ما كان فيه . ولانبالغ حين نقول أن المدنية الربية تهدف أول ما تهدف الى اخضاع الانسان العربي لمعتقداتها وأهدافها بعد القضاء على كل ما يملك من قيم ومعتقدات كانت سلاحه غير كل العصور . أما سلاح المدنية الغربية فقد كان الافراط في الانكباب على اللذات واستغلال الجنس والخمر لافساد الشباب وتحطيم أخلاقهم ، فضلا عن انسارة الحقد والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد عملا بالمبدأ القائل " فرق تسد " .

وقد نتج عن كل ذلك تمزق وجداني رهيب في نفس الانسان العربي وساعد على ذلك فشل الثورات العديده التي قامت في مصر سنة ١٩١٩ وفي العراق سنة ١٩٢٠ وفي الشام سنة ١٩٢٥ الذي سبب نزيفا داخليا استهلك الكثير من القدرات وأورث الكثير من النفوس الكآبه والالام مما حدا بالبعض من ذوى النفوس الحساسه والمشايع البياضه الى الانسحاب والهروب داخل أنفسهم ، بعد أن دفعتهم الحضارة الغربية قسرا في طريق زلقة دون استعداد للتهيؤ والتكيف النفسي الذي لا يمكن أن يتم دفعة واحدة وانما يسير جنبا الى جنب مع التطور الطبيعي .

شعر النريه

والاغتراب هنا ليس اغترابا مكانيا بل روحيا لانه يتمثل في عدم الانسجام مع اديته المحيطه والمقده ، ويرغب في الهروب الى البساطه في العوده الى الريف .
أما محمد بن محمود حسن اسماعيل والطفوله عند الشابي وناجي والتبني
أما عبد جبران خليل جبران ، أو الحنينين الى المجهول والرغبة العارسة في الانطلاق من قيود المجتمع الجديد عند " السياب " أو الالم احاد عند أبي شبكه أو تقديس ال ب عند بشارة الخوري وميخائيل نعيمة (١)

(١) الدكتور ماهر حسن فهمي - الحنين والنريه في الشعر العربي الحديث ص ١١٠

وإذا كان هذا الاغتراب ليس مكانيا في الواقع الا أنه يتوق الى المكان نفسى
مخيلة الشاعر الذى يريد أن يهرب من مكانه الذى يعيش فيه الى مكان يتسمم
بالبساطه حتى يستطيع أن ينسجم فيه مع نفسه ، ولذلك فهو يحيا فيه بروح نفسه
ويخلق بخياله فى اجوائه ليجد فى فسح رحابه متفلسا له ، وغرضا عن ذلك المكان
الذى ضاق به وهرب منه ، لانه لا يطيق احتماله .

ولعل فى عرض بعض النماذج الشعرية لمثل هؤلاء الشعراء ما يوضح لنا
الكثير مما قلناه أو نود قوله فى هذا المجال .

فالشاعر جبران خليل جبران الذى ارتحل الى امريكا الشماليه تصطدم نفسه
المرهفه بمدينة نيويورك الطاغية فتتفر منها وتود العوده الى الطبيعة الخيره السمحاء
ولعل اختيار الغاب راجح الى وجود الغابات فى موطنه الاصلى لبنان ، فالغاب نفسى
نظره يمثل الطبيعه على فطرتها التى لاتعرف الزيف أو المصانعه ولا تفرق بين قوى
وضعيف ولا بين انسان أو حيوان ، ولذلك فهى ملجأ النفوس التى ضاقت بالحياة
الداخيه فيقول :

هل اتخذت الغاب مثلى	منزلا دون القصور؟
فتقبعت السواقي	وتسلقت الصخور
هل تحمست بعطير	وتنشفت بنسور
وشريت الفجر خمرا	فنى كؤوس من أنيسر
هل جلست العصر مثلى	بين جفناك العنبر
والفضائيد تدلست	ككريات الذهب
فهى للصادى عيون	ولمن جاع الطعام
وهى شهيد وهى عطر	ولمن شاء المدام

يسير الشاعر القروى على هذا المنوال فهو يبحث حميمته لترافقه الى الغاب
ثم بنى لهما عشا من الرياحين ، فاذا ملا البقاء بين الاغصان وفيه
أعالي الشجر فانهما يستطيعان النزول الى الارض التى سترحب
بينهما وتغرش لهما أعشابها حصرا فيقول : (١)

(١) عيسى الناعورى - أدب المهجر ص ٩٨

هيا الى الغاب أنى قد بنيت لنا من الرياحين عشا لنا عطرا
اذا سئنا ذرى أنفسنا سررا مدت لنا الارض من اعشابها حصرا

أما الشاعر المصري محمود حسن اسماعيل فلا يتخذ الـاب رمزا للبساطة ومهريا من مضايقة الحياة المصرية المحقده كما فعل جبران والقروى لان الغاب ليعر معروفا في بيئته ، وانما يتخذ منانه الريف موطن نشأته بما فيه من الوسائل البدائية وما يتمتع به من هدوء أسر ومناظر خلابة ، وهو لم يعرف تعقد الحياة ، ولذلك فهو يمثل ذلك المكان المثالى الذى تتوق نفسه للحياة فيها هربا من واقسح لاترضاه وانما تأباه وتهرب منه ، ويمثل الكوخ فى خياله للبساطة ، ويقابل المقصر رمز التكلف والتعقد فى المدينه * وأغنية الكوخ * تمثل فى نفسه تلك الاحاسيس (٤) حين يقول :

ان رأيت النور مذعور الخطى نحو المنيب
ورأيت الطير ينحاه لاورد الكتيب
ورأيت العطر نعان على الايك السرطيب
ورأيت للنهر سرا ذاب فى الصمت الرهيب
ورأيت الشمس لا شمس سوى طيب الفسروب
ورأيت الليل قد يسا تهاوى للغيوب
فانظري تهويمه الوادى ونادى : يا حبيبى
تشرق الدنيا ويندى جوها من كل طيب
وتهمل الفرحة الكبرى على قلبى الكتيب
ويحود الامل الهارب لى عود الضريب

والشاعر بهود غنيم يتساءل أينما أنعم بالا أنحن أم أجدادنا ؟ ثم يقوم بالاجابة عبر تساؤل بانهم كانوا أسعد حالا منا حيث عاشوا فى هدوء بال وراحة نفس حيد عن هذه الحضارة التى تجعل من أبنائها أجساما بسدون أرواح

(١) محمود حسن اسماعيل - ديوان * قاب قوسين * ص ١٦٣

فكانهم تماثيل من الصخر الأصم ، ويؤكد أن الطبيعة هي أم الانسان وغيره تبسره
وتحنو عليه والسعادة كل السعادة في العودة الى أحضانها ، والعيش نفسى
ظلالها فيقول (١) :

يا طالما حدثتقى النفس قائلة	أنحن أنعم أم أجدادنا بالآ ؟
كانت حياتهم تضى بساطتهما	ع ييم من هدوء البال سربالا
ابن الحضارة جسم دون عاطفة	يئاد يحسب رائيه تمثالا
هي الطبيعة صابر الانعام بها	أما وبرت بهم من قبل انجالا
عودوا الى حجرها ان شئت وفدا	كما نشأتم بهذأ الحجر اطفالا

والعودة الى الطفولة - عند الشايبى - والتلقى بها واجترار لوكرهايتها ميسر
احلام اليقظة هو نوع من الفراغ من الواقع الاليم الذى يعيشه - فالطفولة فى براءتها
وفى نظرتها السطحية البسيطة تجاه الاشياء تجعل بين صاحبها وبين الحياة سياجا
يحيث تجعله يعيش بها ولها فيحس بها وردية الاحلام لم يعرف الالم طريقه اليها
استمع اليه يقول (٢) :

ان الطفولة وردة تهتز فى قلب الربيع
ريانة من ريق الاندا فى الفجر الوديع
لم تمش فى دنيا الكآبة والتعاسة والحذاب
فترى على أضوائها ما فى الحقيقة من كذاب

فالطفولة وردة جميلة يرويهما الندى فى الفجر الوديع فتتهتز فرحا وطربا ولم تعسرف
طريق الكآبة والأسى - ولذلك فهى لم تجرب الكذب والزيف والغداع ، والحسب
طلباً للفرح من الاغتراب الوديع أمثال ابراهيم ناجى وبشارة الخورى لأنه يعبّر عن

(١) محمود غنيم - ديوان صرخة فى واد ص ٧٢

(٢) أبو القاسم الشايبى - أفانى العياض ص ٥٧

النفور والهروب من الماديات وصخب الحياة وتعقيداتها ، ويكتسب الحب عند هؤلاء قداسة وصفويه بعيدا عن فكرة الجسد حتى لا يحطموا مثاليته ، وهم يجدون في ذلك راحة لأنفسهم المرهفة ، وحماية لها من منغصات الحياة المعاصرة وجفافها ، استمع الى بشارة الخورى حين يقول (١) :

نصّب الحسن عرشه فسألنا من تراها له فدلّ عليك
رفعوا منك للجمال مثالا وانتشوا خشعا على قدميك

أما الشاعر ابراهيم ناجي فيصور لنا أطلال حبه الفاضل ، وكيف فرقته الأقدار بينه وبين من يحب فلم يجد وراء هذا الحب الا سرايا خادعا غرس في قلبه خنجرا مسموما وهو يحاول جادا أن يتماسك ويحفظ توازنه فيقول (٢) : من قصيدة الاطلال :

اعطني حريتي أطلق يدينا أنفى أعطيت ما استبقيت شيئا
آه من قيدك أدمى معصمي لم أبقيه ؟ وما أبقى عليّنا
ما احتفاظى بجهود لم تصنها والام الأسر ؟ والدنيا لدينا

ثم يقول :

يا حبيبي كل شيء يقضاه ما بأيدينا خلقنا تحسنا
ربما تجمحننا أقدارنا ذات يوم بعد ما عز اللقاه
وإذا أنكسر خلّ خلّته وتلاقيننا لقاء الغرياه
ومضى كل الى غايته لا تقل شئنا فان الله شاء

فهو يبرز لنا معاناته من حبه الذي تحول الى قيد يدمى معصمه ، فلماذا يبقيه والدنيا واسعة من حوله ؟ ولماذا يحتفظ بجهود من جانب واحد ويبقى أسيرا مكبلا في القيد ؟ ثم يبرر ذلك بأن القضاء والقدر هو الذي يصرفنا فالتعاسة والحزن لم يكن من صنع أيديهما ، وقد يتعطف القدر فيجمعهما من جديد ، فإذا ركبنا أن يظلا مفترقين وكأنهما لا يعرفان بعضهما البعض فان ذلك ناتج عن إرادة الله وحكمته .

(١) بشارة الخورى - الهوى والشباب ص ١٢٨

(٢) الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - دراسات في الأدب المعاصر ص ٨٥

ومن أشهر القصائد التي تصور احساس ابراهيم ناجي وتنبؤ من شاعريته قصيدة العودة الفارقة في رومانيتها ، وفيها نرى فن ناجي الفخائي بوضوح ، والموسيقى الشعرية تتميز بالتنوع ، لا بالوحدة وتختلف صعودا ونزولا ، والصورة في القصيدة مؤثرة ، والفكرة محبرة ، والموسيقى جياشة حيه تكاد تمسك بيدك لتدلك على ملامحها ، وصورها ويكفي أن نقدم بعض الأبيات منها للتدليل على ما نقول

هذه الكعبة كما طائف فيها	والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها	كيف بالله رجعنا غرباء
دار احلامي وحبى لقيتني	في جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهي كانت ان رأتنا	بضحك النور الينا من بعيد
رفرف القلب بجنى كالذبيح	وأنا أهتف يا قلبي اتشد
فيجيب الدمع والماضى الجريح	لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد
لم عدنا ؟ أو لم نطو الضرام ؟	وفرغنا من حنين وألم
ورثينا بسكون وسلام	وانتهينا لفرغ كالخدم

ونفسا

وحلى بابك القى جمعيتي	كفريب آب من وادي المحن
فيك كف الله عنى غربيتي	ورسا رحلى على أرض الوطن
وطنى أنت ولكنى طريـد	أبدى النفس فى عالم بسوس
فأذا عدت فللنجوى أعـود	ثم أمضى بعد ما أفرغ كأسى (١)

وهكذا نرى أن الشاعر قد جعل من دار أحبائه كعبة في أكنار وتقدير وذلك من باب المبالغة والتجاوز ، وكان لقاؤهما فيها عبادة للحسن وتبتلا ويؤكد ذلك بأنه كان " بسجد " لذلك الجمال ويعبده ، ولكنه حينما عاد اليها عاد غربيا ، ولم يجيد : بها أحبائه . والدار قد تغيرت فلم تكن الدار التي عرفها من قبل ، حيث لا يوجد في داره وكان الدار لم تعرفه بعد أن كانت ترحب بمقدمه وتضحك طريا وسرورا رآه ، فماذا كان موقفه ياترى ، أن قلبه قد رفرق في جنبه كالذبيح ولكنه تماالك نفسه رغم أن دمه يخونه فيحاول جاهدا أن يعزى نفسه ويضبرها .

ثم يلتفت في آخر القصيدة الى رثته المحرووف، والذي ألقى جمبته على بابسه
كما يفعل الغريب الذي يرجع من وادي الخطوب الآلام . فوجد فيه الراححة
كالإنسان الغريب الذي يعود الى وطنه بعد سفر طويل ، ورغم أن هذا الركن هو
وطنه الا أنه مازال يعاني من الغربة الفكرية يعيش في عالم شقاءه وتشريده ، فماذا
ما عاد الى رثته فانما يريد أن يناجيه ، ثم ينطلق بعد أن يفرغ كأس همومه .

وأبو القاسم الشابي الذي اختلفت يد المنون في شبابه ، كان من أكثر
الشعراء احساسا بالالم واستشعارا بالغربة النفسية . يقول الدكتور شوقي ضيف
" ان ابا القاسم الشابي لم يحوله الالم الى فيلسوف أو مفكر كبير ، وأيضا لا تحولته
العله الى ضاحك في السياة أو مبتسم ، وانما يحوله الى لحن ضخم للحويل والبكاء
وندى نفسه وحياته ندبا حارا . وتصادف أن كان احساس أبي القاسم الشابي عادا
وجعلته حدة محبا للحياة صبا بها ، وشعر برؤوس أفاع تمتد اليه في طريقه فتمنعه
من السير بل ترده الى اذاره ان لم يكن فراش علة ، فرجع محزونا يجرأذ يالسه
والكتابة التي ملأت نفسه ، وملاها أيضا الاحساس الدقيق بالكارثة ، وما ينتظره
من موت عاجل محتوم (١) .

وحين ينفي البارودي من مصر الى سرنديب " سيلان " لاتنسى مخيلته مناظر
الوداع الحزينه ، ويلتاع قلبه لفراق الوطن الحبيب ، وتمزق نفسه أسى وحسرة
لانزاعه من بين أسرته ، فتسهر الدموع من عينيه ، ويتنازل قيثارته ليخفى على
أنفامه بصوته الشجي هذه الأبيات الحزينه (٢) :

ولما وقفنا للوداع وأسبلت	مدامعنا فوق الترائب كالحسزن
أهبت بصبري أن يحود فمزني	وناديت حلقى أن يثوب فلم يخفن
رما في الاخطوب ثم أقلعت	بنا عن شطوط الحى أجنحة السفن
فكم هجة من زفرة الوجد في لظي	وكم مقله من غزرة الدمع في وجن

(١) شوقي ضيف - دراسات في الأدب العربي المعاصر ص ١٤٤

(٢) شوقي ضيف - البارودي رائد الشعر الحديث ص ٨٢

وما كنت جريت النوى قبل هذه فلما دهنتى كدت أقضى من الحزن
ولكننى راجعت حلمى وردنى الى الحزن رأى لا يحتم على أنسى
ولولا بنيات وشيب عواطل لما قرعت نفسى على فائت سنسى

فهو يصور آلامه وبكاهه ساعة الفراق ، وكيف عجز عن الصبر والاحتمال ، لأن الموقف كان أقوى من طاقته خاصة أنه لم يكن قد جرب النوى والبعد " القسرى " قبيل ذلك ، غير أنه - بماله من حلم - قد استعاد رباطه جأشة واسترد زمام المبادرة فى يده ، وما يزيد أساه أنه ترك بنيات فى حاجة الى الرعايه وشيب فى أمسى الحاجة لمعونته .

ويطول به النفى وتشتد به الغربة ، وأخذ اليأس يتسرب الى نفسه بعد أن مرت السنوات دون أن يحقق أمله فى الهودة ، وتعمقه حزن شديد ولوعة محترقة ولما يجد منها متنفسا سوى أن يحمل فيثارة شعر ليخفى عليها عواطفه الكامنه ، مصورا جزعه لفراق هذا الوطن مجسما أساه وشوقه اللاتب الى زوجته وبناته وأصدقائه وبعد أن تحطمت آماله ، فأخذ يبكى ويتوجع وتتقطع نفسه حسرات ، وما أصعب أن يفقد الانسان الأمل فيسيطر اليأس على نفسه ليجعل حياته ظلما وبؤسا ومواتا ، وما همسى قصيدته التى تصور حزنه وأنينه حين يقول : (١)

هل من طبيب لداء الحب أوارقى يشفى عيلا أخوا حزن وايراق
قد كان أبقى الهوى من مهجتي رمقا حتى جرى البيح فاستولى على الباقي
حزن برانى وأشواق رعت كبىدى ياويح نفسى من حزن وأشواق
أكلف النفس صبيرا وهى جازية والصبر فى الحب أعيا كل مشتاق
لا فى " سرنديب " لى خيل ألوز به ولا أنيس سوى همى وأطراقسى
أبيرى أرى نجوم الليل مرتفقا فى قفة عزمرقاها على الراقسى
يا رى النيل " لامستك باثقة ولا عدتك سما ذات افداق
زبرحت من الاوراق فى حلال من سندس عبقرى الوشى برراق
ياحبذا نس من جوها عبق يسرى على جدول بالماء دفاق

بل حينذا دوحة تدعو الهديل بها
 مرعى جيانك وماوى جيرتى وحمى
 أصبوا اليها على بعد ويمجبنسى
 وكيف أنسى ديارا قد تركت بها
 اذا تذكرت اياما بهم سلفت
 فيا برى الصبا بطلع ذوى رخصى
 وان مررت على المقياس فاهد لسه
 وأنت يا طائرا يهكى على فمى
 اذ كرتى ما مضى والشمل مجتمى
 ايام اسحب اذ يال الصبا مرحبا
 فيالها ذكرة شب الضرام بهما
 عصر تولى وأبقى فى القواد سوى
 عند الصياح قمارى بأطواقى
 قومى ومنيت آدابى واعراقى
 أنى أعيش بها فى ثوب اطلاقى
 أهلا كراما لهم ودى واشفاقى
 تحدرت بنزوب الدمع أماقى
 أنى مقم على عهدى وميثاقى
 منى تحية نفسى ذات لعلاقى
 ففى فداؤك من ساق على ساق
 بمصر والحرب لم تنهض على ساق
 فى فتية لطريق الخير سباق
 نارا مرت بين اردانى وأطواقى
 يكاد يشمل أحشائى يا حراقى

ويمضى البارودى على هذه الوتيرة يحن الى وطنه ويشتاق الى أهله وأصدقائه وخلانته
 ويدعو لهذا الوطن الذى تمثل فى " روضة المنيل " فيدعو لها بدوام السقيا على
 عادة العرب القدماء ، ويتخنى بجمالها ونسيمها ويمين لنا سبب تعلقه بهمسده
 المرايح التى كانت موطن ذكرياته ، ومسرح جياته ، ومنازل أحبائه وخلانته ويسوكسد
 أنه مازال مقيما على العهد وفيا له ، ويتمنى من أعماقه - أن يعود للحياة فى ذلك
 المكان و من ثمراء الدنيا أن يقيم بين أهله وذويه ، ويتمنى على نسيم الصبا
 أن تبلغ تحياته أهله وذويه وروضة المقياس ، فهو عاشق متم يحرك أشجانته
 الطير المخرم فوق الأغصان ، ويتذكر أصدقاءه الشباب الذين كانوا يتسابقون السى
 النير ، وهذه الذكرى تشعل لهيبا فى روحه وعواطفه ، أنه زمن تولى ولكنه ترك بصماته
 التى تحرق أحشائه كلها شوقا ولوعة وحسرة .

وعلى محمود طه بصور " الطريد " وقد تخفى بالظلام ، وأرقه الشوف فسلبه
 وقاده وأمنه ، وأخذ الليل يقذفه من مكان الى آخر ، وهو لا يعرف الى أين
 يسير ، لا يعرف له وجهه ، ولا تستبين أمامه طريق فكأنه يسير الى الشاطىء

المجهول يخوض الظلم في زهول وشرود ، يحير النجم ، ويدفع الوحش الى الفرار
من دفع خطواته فيقول : (١)

شقى أجنته الدياجي السوداء	سليب رقاد أرقته المخاوف
ترامي به ليل كان سواده	به الأرض غرقى والنجم كواسف
الى أين تضي أيها التائه الخطى	يساريك برق أو يباريك عاصف
رأيتك في بحر الظلم كأنما	الى الشاطيء المجهول يدعوك هاتف
تخوض الدجى سهران والنجم حائر	يسائل من ذاك الشقى المجازف ؟
طويدا يفر الوحش من وقع خطوه	ويضرب عنه الصل والصل واجسف

وعبد الرحمن شكوى يكثر من وصف الليل وظلماته ، ويصور خميمة أمه ، وتشاؤمه تجاه
الحياة والناس ، ولا ينادى يرى في الكون شيئاً زاهاً يحمل الى النفوس السعادة
والبشرى ، فهو حين يرى ضوء القمر يراه فوق القبور ، ويتحدث عن غربته ووحشته
في هذه الدنيا لأنه يحس بالكآبة فيها ويعجز عن رؤية مباحبها ومسراتها ، ولذلك
تغيباته حياة امرئ مريض يذوى وينتظر الموت فحياته خير منها الموت ان يقول :

ان أكن عائشاً فميشى عليل النفس يذوى مثل الرجاء العقيم

وعلته هذه التي تشبه الأمل المستحيل أو اليأس الحقيق ليس لها من علاج فقد عزت
على الأطباء والأدواء ، ولذلك تتراهى الدنيا أمام ناظره كآبة رقنامة لتزج في نفسه
الرب والغنى ، يصور ذلك قائلاً :

ويصنح أحيانا فيحكى صراخه	صراخ العباب النصر في لبحج البحر
يئن أنيين الريح عند نفوتها	ويعوى عواء الذئب في الصهمة القفر

رأى الموت يطل عليه من كل مكان ، ويحاصره من جميع الجهات ، ويأخذ بتلابيبه فلا
يبر منه مفر ، ملاذا ، وهو يحاصر الناس جميعاً :

وما الدهر الا البحر والموت عاصف عليه وأعمار الأنعام سف (٢)

(١) على محمود طه - الملاح التائه ص ١٩١ / ١٩٢

(٢) شوقي ضيف - دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ١١٤

ولم يكن شكري وحده يخاف من الليل والمرض، فقد كان يشاركه هذا الخوف الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، الذي كان يرى الدنيا كلها من حوله أشباحا تطارده، براه في كل ما يشاهده فيأخذ في الاستغاثه والاستنجاد وقد هيا لهذا كله مرضه الذي نفس حياته، فاذا كان وجوده بين الناس نهارا يخفف عنه بعض الخوف فان الليل يجعله أمامه وجهها لوجه فيطير لبه وأغنيته " أيها الليل " تصور هذا الاحساس ان يقول: (١)

أيها الليل يا أبا البؤس والهول ويا هيكل الزمان الرهيب
أنت يا ليل ذرة صعدت للكون من موطئ الجحيم الغضوب
يا ظلام الحياة يا لوعة الحزن ويا معرف التعيس الغريب
فيك تنمو زنايق الحلم العزب وتدوى لدى لهيب الخطوب
وبغوديك في ضفائرك السود تدب الأيام أي ديبيب

ويحاصره الظلام بوحشته وهمومه، ويعارده البؤس والشقاء، ويأخذ بخناقه فيسرى أنه وحيد بائس في الحياة، ولا يجد فيها سعادة ولا اشراقا فيئن متألما: (٢)

يا صمم الحياة أنسى وحييد مدلج تائه فأين شروقك ؟
يا صمم الحياة قد وجم النسا و غام القضا فأين بروقك ؟

وبما أن الحزن في قمة المشاعر الانسانية، لأنه يجمع الكثير من العواطف النبيلة من حب ووفاء وتقدير، فلقد كان هذا الحزن ظاهرا بوضوح في شعر احمد زكي أبو شادي، وسبب ذلك يرجع الى فطرته السليمة وشدة تعلقه بالناس وبالقيم وممن هنا فقد كانت تمزج الفواجح وتخففه غصص الألم عند ضياع الأمل، مما دفعه الى تعجل منيته أكثر من مرة، وقد نظم قصيدة سنة ١٩٤٩ يصف فيها صعوده الى السماء حيث يقول فيها: (٣)

أسنا أعود الى السماء كما أتيت بنبح فنى
لم ألق في دنيا الأنام سوى المهازل والتجنى

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٤٨

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٤

(٣) كتاب مدرسة أبولو الشعرية ص ٦٦ من مقال للاستاذ وديح فلسطين

ولنا أن نعتقد أن أبا شادى يرى الحياة الدنيا نعمة من النعم ، وأن النفلح
المستمر هو السبيل الى جمال الحياة وكمالها ، ويرى أن الجمال الحقيقى هو ما
يطلأنفوسنا من جمال وما يعمرها من حب وعطف وتسامح . كما أنه يعتقد بأن الطريق
الى التخلص من الضعف هو الاقبال على النفلح ، وأن العزلة علاج شاف من الآم
الحياة . أما السبيل الى الأخوة الانسانية فهو التسامح الدينى ، وقد فسر أبو شادى
السرفى هجرته فى هذه الابيات : (١)

لم أجيبهم بسيرتى نصف قرن	سألونى لم ارتحلت كأنسى
أغنى لمجدهم ما أغنى	شادى يا كالظليق من شعري الباكى
ككفاح الشجاع فى وسط دجن	وحياتى لمزهم فى كفاح

شعر الحنين

حين نجعل للحنين شعرا وللغربة آخر فليس معنى ذلك أن كلا منهما مستقل
بذاته له خصائصه الذاتيه ، وسماته الخاصه كلا فان الغربة والحنين امران يرتبط
كل منهما بالآخر ، فالغربة تولد الحنين وتبعثه وكلما امتدت زمانا ومكانا ضاعفت
الحنين وأضرمته فكانها شجرة وأغصانها أو نبتة وثمارها .

ولقد تحدثنا عن الغربة بمظاهرها المختلفه وقد منا بعض النماذج التى تؤكد
ما تقول ، ومن ثم فانت بحاجة الى عرض نماذج من شعر الحنين والشوق الى الوطن
الى الديار . . الى الاهل والاحبه وليس الحنين عاطفة جديدة أو أنها مقصورة
على أمة بعينها ، ولكنها عاطفة تجيش فى صدور بنى الانسان منذ أقدم العصور وتشارك
فيها من أم الأرض فضلا عن أن المخلوقات الحيه تحن الى بعضها البعض بدرجات
تفاوت قوة وضعفا .

(١) المصدر السابق نفسه ص ٨٤ من مقال للاستاذ جمال الرمادى

وفي الشعر العربي الحديث يبرز أماننا العديد من الشعراء الذين عبروا
عن أشواقهم وحنينهم الى أوطانهم أو أهليهم وذويهم ومن هؤلاء شاعر الأقطار
العربية المجدد " خليل مطران " . وكان قد منح من العودة الى وطنه ومسقط
رأسه لبنان فذم قصيدة يقول فيها : (١)

لبنان ما زالت سماؤك مطلعا	للفرقد اللماح بعد الفرقد
يامنبت الارز القديم ومرضا	يوم الحفاظ لكل ليث أصيد
هذي اليك تحية من شقيق	قد بان طوعا عنك وهو كبيد
من هالك ظمأ وماءك قريبه	صرت به حجج ولم يتسود
لاشيء في الحمرمان أكبر غصة	من حبس مكرومة عن المتسود
يامسقطا للرأس في جنباتك	من حرس شوقي جمره لم تخمد
كم ضجعة فيها أراك ويقظة	لاحت ذراك بها نوح ونفتدى

ولقد قام الشاعر بعد ذلك برحله الى بلاد الشام " سوريا ولبنان وفلسطين " وعاد
في نهايتها الى مصر ، وقد نظم العديد من القصائد في هذه الرحلة ، والذي
يتتبع هذه القصائد يجدها طافحة بالحنين الى مسقط صباه في لبنان " ، فهو
لا يفتأ يذكر أيام صباه ومناجى حبه ، ويصور حبه لمدينة " زحلة " ومدى افتقانه بها
كما يصور لنا روعة واديها ومياهها الجارية وما فيها من متح للعين والاذن ، أما
أبناءها فهم الاسود أينما حلوا فيها أو في غيرها من المدن يقول من قصيدة بعنوان
" زحلة " (٢)

في زحلة مولدى بالروح لا ابعدن	وزحلة برضى من أهلها وطنى
ان يفتن بهاها من يلم بها	فاننى بهاها أى مفتتن
في زحلة لى عهد من صبا وهوى	في زحلة أسرتى فى زحلة سكنى

نبا

سلى من روعة واديها البديع ومسا	هناك من متح للعين والاذن
تروى من ماثها الجارى واصح السى	حديثه بأفانين من اللسن

(١) الدكتور جمال الدين الرمادى - خليل مطران شاعر الاقطار العربية ص ١١٤

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١١٥

يحلون ويملا صدر الحي عافية * وليس بالترنق الجافى ولا الأسن
أبناء زحلة آساد غطارفنة * فيها وفى كل ما حلوا من المدن

وقد كان لطبيعة لبنان أثر رأى أثر فى الهاب قريحته وتحريك حاسته الشصريسة
وتفجر موهبته الفنيه ، وقد دفعه ذلك الى التغنى بجمال الطبيعة فى جبال لبنان
وما فيه من حسن يخلب اللب ويريح الذهن ، فترابه ينبت الزهر الفواح بالشذى
وماؤه يبعث الحياة فى الأغصان والأوراق مما يثير اعجاب الشاعر ويضاعف من أسواقه
وحنينه فيقول : (١)

لله لبنان ما أبهاه من جبل * يمشى به الحسن تصويبا وتصليدا
فى كل موقع طرف آية عجب * تكفى المنى وتريح الذهن مكودا
ترابه يخرج الازهار موقسة * وماؤه ترقف ينشى الامالييدا

وأما الشاعر السوداني " سيد احمد الحردلو " فيعود الى بلدته ناوا تحمله اجنحة
الشوق والحنين ، يعود اليها وقد عبر البحر بعد البحر وبحث عن مأوى بديل يجسد
فيه الراحة والمطم ، غير أنه لم يحتر على ضالته المنشوده ولم يجد مكانا يعيش فيه حرا
فأضاع السمردون جدوى ، وعاد الى بلدته لايحمل الا نفسه للتي فقدت الحياة
يقول (٢) من قصيدة بعنوان " سفر العودة " :

عبرت البحر بعد البحر يــــانانا
نبشت الكون من أدنى الى أقصى
ومن أقصى الى أدنى
أفتش فيه عن مــــأوى
وعن صدر عليه أنــــام
مساء واحدا بــــلام
ابتش فيه عن جزر وراء الشمس مرمية
لعيش فيها بحريه

(١) المصدر السابق نفسه ص ١١٦

(٢) سيد احمد الحردلو - ديوان أغنية الى يافا ص ١٧٢

أضحت العمر لا جسدوى
وعدت اليك يا ناراوا
بلا شىء سوى نفسى
أعود بها على نصش

وأمر الشعراء أحمد شوقى ، ينفى الى الاندلس ، فتضطم نار الشوق فى نفسه
ويسيطر عليه حنين جارف الى وطنه مصر ، ويصور ألمه وفرغه لبعدها ويوضح لنا ما
يحانيه عندما تترن البواخر أول الليل ، ويتوجه الى السفينة محاثبا مذكرا اياها
بكرم أبيها . مستنكرا ابياده عن وطنه بينما يسبح فيه الدخلاء . ويؤكد أنه أولسى
من غيره بوطنه ، ويجعل من قلبه سراعا ومن نفسه مرجلا لهجملاه الى شاطئ الوطن
الحبيب ، ويقطع بما لا يدع مجالا للشك أن شيئا ما لن يشنله عن وطنه ، حتى ولو
كان الخلود فى الجنة ، وأن فؤاده ظامى الى مفاسيه فى عين شمس وأن ملامح
الوطن النالى لم تغب لحظة عن جفونه ، وأن مشاعره وأحاسيسه مرتبطة به
وأن قدره مقيد بمحالم الوطن كالمسلة والسرحة الذنيه فيقول : (١) من قصيدته **المسبنة**

وسلا مصر هل سلا القلب عنهما	أو أسا جرحه الزمان الدؤسى ؟
كلما مرت الليالى على عيديه	رقق : والعهد فى الليالى تقسى
مستطار اذا البواخر رنتت	أول الليل أو عوت بصد جرس
يا بنية الم ما أبوك بغيبيل	ماله مولعا بمنقى وحبسى
أحرام على بلايله السدوح	حلال للطير من كل جنس
كل دار أحق بالاهل الا	فى خبيث من المذاهب رجس
نفسى مرجل وتلمبى شراع	بهما فى الدموع سيرى وأرسى
واجهلى وجهك الفئار ومرسا	ك يد الثعربين رمل ومكس
وطنى لى شغلت بالخلد عنه	نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
ونفا بالفؤاد فى سلسبييل	ظما للسواد من عين شمس
شهد الله لم يغب عن جفونى	شخصه ساعة ولم يخل حسنى
يصبغ الفكر والمسلة ناديه	وبالسرحة الذكية يمسنى

(١) عبد الغنى اسماعيل - النصوص الأدبية لكلية الدراسات الجزء الاول ص ١٠٥

وهذا الشاعر العراقي " سعدى يوسف " يحن الى موطنه ويشتاق اليه ويتمنى
أن يحملة اليه شرع أو يتخفى كحضور حتى لا يسراه ذلك الحارس المرهيب
الذى يحول بينه وبين سمائه فيقول (١) :

موطنى لو نسمة من موطنى
لو شرع نحوه يحملىنى
لو تخفيت كحضور فما يعرفنى
حارس يخلق عن عينى سمائسى

أما الشاعر العراقي ، كاظم جواد فيشده الفرح حينما يسمح بهجر انتصار
ثورة العراق ويتمنى أن تكون له أجنحة لتحمله في الفجر الى وطنه " متلثا " مثل
السيول مصفقا كمياه دجله ، وقد أسرتة ضم الفرح ، فأحمر أن ربيع الحياة قد
آن يحدث انتصاره فيقول (٢) :

من أين ؟ من وطنى البعيد أيا عراق
لو أن لى فى الفجر أجنحة لجئتك بالعناق
مثلاً كما مثل السيول ، مصفقا كمياه دجله
مثلاً كظلال فخله

من ثورة الفرح العميق ، من الربيع ، من انتصارى

أما الشاعر بدر شاكر السياب فيرى أن شمس بلاده أجمل من سواها وحتى الظلم
في موطنه العراق أجمل من غيره ، وهو لذلك يتحسر على لحظات من النوم يرقدها
على وسادة قد ضمخت برائحة الرطبان الحبيب ، وهو مع ذلك على استعداد أن
يتخفى برزحهم فداء لوطنه ، وسينسى شعوره فى سبيله مهما كابد من
مشقة. فيقول (٣) :

-
- (١) سعدى يوسف - قصائد مرثية ص ١٩
(٢) كاظم جواد - من أغاني السرية ص ١٩٤
(٣) بدر شاكر السياب - أنشودة المطر ص ١١

الشمس أجمل في بلادى من سواها والظلام
حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق
واحسرتاه متى أنام
فأحس أن على الوسادة
من ليلتك الصيفى طلا فيه عطرك يا عراق ؟
بين القرى المتهيبات خطاى والمدن النخريه
غنيت تربتك الحبيبه
وحملتها فأنا المسيح يجرفنى المنفى صليبه

وعندما يطارد علبه المحسن الناظمى فيفر من العراق الى مصر ، تلذعه الخريه ويضنيه
الشوق والحنين ، ففؤاده يظل متعلقا ببغداد - رغم البعد - مهما رحل بعيدا
بجسده ومن أجل ذلك فهو يدعو لها بالسقيا ، ويناجيها دون أن يتلقى ردا ،
ويرحل من بلد لآخر فلا يجد الراحة أو الاستقرار ، فقلبه يصبو الى الحمسى ،
وهذا شأن كل غريب بعيد عن وطنه ، استمع اليه يقول : (١)

جوى أودى بقلبك أم وجيب غداة حدا بك الحادى الطروب
بحدت عن الديار وصرت تدعو على البعد الديار ولا مجيب
تشد الرحل من بلد لاخرى وما لمنياك من بسطد نصيب
وفسى مضر أراك وأنست لاه وقلبك فى العراق جوى يذوب
وأصبو للحمسى بجميع قلبى كذا فليصيب للوطن النخريه
سقى ! الأنبار " كل أجش هام وجاد " الكرخ " ماطره الصيب

وبدر شاكر السياب يحتره المرض الوطيل ، ويفترسه الداء العضال ، ويحس بدنى
أجله ، أن نهايته قد اقتربت ، فللا يؤلمه شئ " قدر بعده عن وطنه
حيث كان سألج فى " لندن " وخشى أن يموت بعيدا عن الوطن الدالى ، فدفعه
الديار الى ان يقول فى قصيدته " وصيه من محتضر " ويتمنى فيها أن

(١) عبد المحسن الكاظمى - الديوان ج ١ ص ٦٣

يخود اليه ، ويدفن في مقابره الكئيبة أن قضى ، فاذا ما سلم وقد رله أن يعيش
فان كوخا متواضعا يكفيه في هذه الحياة فيقول : (١)
أين الحراق وأين شمس ضحاها تحمله سفينه ؟
ان مت يا وطني فقيرا في مقابر الكئيبه
أقصى مناهي وأن سلمت فان كوخا في الحقول
هو ما أريد من الحياة فدى صحارك الرحيبه

الحنين والحنين في شعر المهجر

حينما ارتحل العديد من أبناء الشام الى الأمريكتين الشماليه والجنوبيه كان ذلك على الرغم منهم في الكثير من الحالات بسبب الاضطهاد الديني والمذابح الطائفية ، فضلا عن الضائقة الاقتصادية ، ومن هنا كان فرارهم لوطنهم مؤلما ومؤثرا فقد تركوا الارض التي نشأوا فوقها وفارقوا الاهل والاحبة الى عالم جديد يحتويه المجهول لينتقلوا الى حياة تختلف كل الاختلاف عما ألفوه في أوطانهم التي خلفوها وراءهم من دنيا تدهدها السداجة والقناعة والروحانية وان كان يلغها الذل والجوع والذخوف . وقد اصطدم هؤلاء المهاجرون بالمدينة الأمريكية الصاخبه والسياسة الاليسية المرعبة التي لم يألفوها ، وقد عبر عن ذلك ميخايل نعيمه بكلمه موجزه قال فيها :
* كنت واحد من الملايين التي كتب لها أن تفتش عن ابرة السعادة في جبال التبر والاسفلت والحجر والحديد المحروقه باسم نيويورك * يقول عيسى الناعوري * لسبل الحنين الى الوطن في شعر الحروب كله أبرز ما نجده بقوة وعنف وبرقة وعمق في شعر الشاعر الاميريشي بشقيه . الجنوبي ، والشمالى الجنوبي حيث تنطلق أغاريد الشعير العذري ، وترسم فوزى المعلوف والياس فرحات وشفيق معلوف ، ونعمه قازان ، وجورج ن ، والشمالى حيث تتسر أناشيد أبي ماضي ورشيد أيوب ، ونسيب عريضه تلك الاناشيد والاغاريد والترانيم التي ينفقها الحنينين الصادق اللاعج على أوتار جياشدة بالشعور العميق المتفرد فاقه بالعاطفة المضطرممة

المجنحة بالابداع والخلق والشاعرية المرفهة (١)

نعم لقد كان لهذه الغربة الموفلة في الصمق والاختلاف اثر كبير في احساسهم بالوحشة والالام ففجر في نفوسهم الحنين الجارف والشوق الطافي الى اوطانهم وأهليهم ، فأصبح حنينهم لا ينقطع وشوقهم لا ينطفئ - فكل شئ يقابلهم في عالمهم الجديد يذكرهم بوطنهم البعيد كما يضاعف أساهم ريزيد في لوعتهم .

حقا أنهم وجدوا الحياة السياسية أرحب مما عرفوا ، وتخلصوا من التعصب الديني والطائفي الذي حدد حياتهم وارزاقهم وتحسنت المسألة المادية عند الكثيرين منهم واستطاعوا بجد هم ودأبهم أن يشقوا طريق الحياة في البحث عن عمل يرتزقون منه ونجح الكثيرون منهم في تحقيق ذلك ، الا أن التعلق بالوطن والحنين اليه شسى ليس في استطاعتهم التغلص منه .

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (٢) - ما أشقى النازح المخترب وصدوره

نشتمل فيه نار الحنين ، ويمتلئ الشعر المهجري بمخاطبة المختربين نحو وطنهم وحنينهم الدائم للعودة اليه ، ففي نفس كل شاعر مهجري حنين لا ينقطع ، وشوق لا ينقذ وتطلع دائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات . وحتى اولئك الذين أقصتهم عن الوطن سيات الالم ، وقسوة الزمان ، ودفعت بهم ظلمة اليأس والبؤس الى أرض سخية العطاء حتى اولئك الذين استبدلوا عبودية بحرية ، وفقرا بغنى ، وشقاء بسعادة ، وضيقا بسعة ، عمرت الذكريات قلوبهم وافئدتهم وما أصدق ما يقول أحمد شوقي

وللهي لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الداد نفسي

ولكن ان نرى انه قازان يؤكد لنا أنه هاجر طمعا في العظ والمال ثم وجد أنهما لهما عقبات ، وأن النفس لا تريحها الماديات ، وانما حياتها وهنائها بالمواطنف
فما يراه الشاعر النبيل ولنلك فهو لا يجب الا أمته ولا يرضى بنير وطنه فيقول (٣)

(١) عيسى الناعوري - أدب المهجر ص ٨١

(٢) الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - قصة الادب المهجري ج ٢ ص ٢٥

(٣) عيسى الناعوري = أدب المهجر ص ٨٢

هجرت وللنفس أطعامها
فلا المال أشبع من جوعتي
هي النفس تحيا باحساسها
فلا لأحب سوى قرينتي

ومفها

وكتت مع الله في قرينتي
فصربلا الله في قرينتي

وفي البيت الأخير يريد الشاعر أن يقول بأنه كان مؤمنا ومرتبطا بالدين والروحانيات عندما كان في وطنه ، فلما أصبح بعيدا عنه في المهجر شعر بالجذب العاطفي وبعد المجتمع عن الدين والروحانيات مما ضاعف من عذابه وشغوره بالتمزق والضعف

وهكذا انضم الاغتراب حنين المهجريين فدفعهم الى الحنين الجارف الى الوطن ، الى الشرق عامة حيث لا يزال يمانى من الظلم والجور والظلماني وأخذوا يتمنون له الحرية الكاملة ليصيح قادرا على احتضانهم من جديد وتوفير الحرية والمهانة لهم ولاخوانهم وقد انتجوا من جراء هذا الحنين شعرا رائعا سيبتقى مثالدا على مر الأيام لما ينضح به من عذابة صادقة وخيال آسر ساحر واهرز ما نرى ذلك عند شعراء المهجر الجنوبي ، وعلى الاخص عند الشاعر القروي - رشيد سليم الغزوي - وعند الياس فرحات وعند أمين الفضل الوليد وغيرهم فهذا الشاعر القروي يهتف مخاطبا لبنان متمنيا أن يعود اليه - بعد أن شفه الوجد - ولو لمدة قصيرة وليأت بعدها الموت ويؤكد أن كل شئ من متاع الدنيا لا يساوى شيئا بالنسبة اليه فيقول (١)

ايه لبنان هل يراك
حبذا العيش في حماك
كز شئ لي الفننا
عند مرآك ساعتين حلوتين

نانج شفه هواك
حبذا العيش ليلتين ثم حين
ما نسرى الكد والمننا
عند مرآك ساعتين حلوتين

(١) المصدر السابق نفسه ص ٨٥

ثم يتراعى له خيال بلاده في جريان مياه النهر ، وفي لهيب النار ، وفي النسيم
الذي يدغدغ الشاطئ ، الوسنان فيهتف في لوعة وحرقة قائلا :
أحبابنا سكنت على الأغصان أصوات البباليل
وأنتى الرعاة من الجبال ولم يعد في الحقل عامل
قوموا نودوا إلى الحمى ، عاد الريح إلى المنازل
أما الشاعر أبو الفضل الوليد فيناجى بلاد الأرز في مرارة ويحبر عن أشواقه ولوعته
من البعد الذي أذاب قلبه ، ويتمنى أن تسنح له عودة إلى الديار ، وإلا فأنسه
سيظل يحن إلى الوطن حتى بعد الموت ، ويؤكد أن محبته للوطن ستظل أكيدة ،
قويه على القرب وعلى البعد فيقول : (٢)

يا شاطئ ، الشام الجميل سلام	فعلبك حام الشمروالالهام
واليك يصبونانج في صدره	نور وحوليه عدى وظلام
قد ذاب يالبنان قلبي في النسوى	فمتى يعود تسمح الايام
بالله يا وطني اخطى عودة	وسعادة ، أم غريبة وحماس ؟
ان مت في أرض الاجانب يائسا	حنت اليك من الغريب عظام
انت العزيز على التدانى والنسوى	وبنوك في كل الامور كرام

أما اليأس فرحات فيتحدث عن النانج الذي أقعده الوجد الذي يملأ الحشا حرقرة
وكلما ظهر له البدر عضة الحزن بأنياب حاده فيتذكر ريحه القديم ويتساءل عن جنات
النعيم مفضلا بلاده عنها حين يقول (٢)

نانج أقعده وجد مقسيم	في الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتقر له البدر الوسيم	عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر الريح القديم	فينادى
أين أنت النعيم	من بلادى ؟

الله من النسيم

(١) المصدر السابق نفسه ص ٨٨

(٢) محمد عبد المنعم خفاجي - قصة الادب المهجري ج ٢ ص ٢٩

صورا طواها البين بين ضلوعى	انى لألصح من خلال دموعى
لرؤية من أحب وجوعى	صورا يجسمها الخيال مضاعفا
عنا مركبة الزمان ربوعى	أربوع أحبابى لانت وان نسأت
الا شمرت برجعة لربيعى	أنا فى الخريف وان ذكرتك مرة

فهو يرى صورا بين ضلوعه يلحمها من خلال دموعه بعد أن أبعد ما الفراق ونهاها
الآه: أب، ولكن خياله يضاعفها ويجسمها مستعينا بعطشه وجوعه الى موطنه وربوعه
التي لن يستطيع الزمان ابعاده عنها، فستظل ربوعه التي يحلم بها ويتطلع اليها
حتى فى خريف حياته سيحس بربيع الحياة كلما تذكرها وعاد بخياله اليها .

أما " رياض مطوف " فيحن الى وطنه لبنان ، ويرى أن الذكرى أحسن شئ
للناجى الغريب حيث يرتعش نظره وتنبه عينه وراء الدمع ، ويتنقى - من أعماقه -
العودة الى لبنان ، ويقول أنه - على كثرة تنقلاته - لم ينره منظر ، ولم يشقه
مدان قدر لبنان اذى أسر له وسيطر على وجدانه . استمع اليه يقول (١)

ما أحسن الذكرى	فى مقلة الغريب
فهو اذا ذكرى	موطنه الحبيب
يرتشمش النظر	وعينيه تغيب
هل ياترى نعود	اليك يا لبنان ؟
كم سحت فى المعمور	ما غرنى منظر
فيلدى المهجور	وأررى الاخضر
أحلى من التصور	والذهب الاصفر
هل ياترى نعود	اليك يا لبنان ؟

١٤ " ميشال مغربى " فيزور بلدته حصن بعد غياب طويل وقد أضناه الشوق
ففيحياها بمحقة طويل اخترنا منها هذه الابيات :

باكرة أقرئك السلام	فلذت بالصمت العميق
ردى السلام وهللنى	لا ياب شاعرك المشوق
طارت جوانحه اليك	ولم يضل عن الطريق

والطير ليس يضل حين
 يدار ما أنا بالضرب * *
 أنسيت وجه فتى شهدت
 يخشاك ملتقيا من عند
 وتهيين له مذابح يا
 يادار ما ذا تخبرين * *
 هل ذلك الحب القديم
 مضت الثلاثون الطوال
 وكان أول نشوة
 هي نشوة الكأس الاخيره (١)

فترى الشاعر يطرح السلام على مد ينته فتقابله بالصمت ، وهو يحتمها علي أن -
 ترحب به فرحة مهلهل لعودته وقد طارت جوانحه اليها ولم يضل الطريق كالطير الذي
 لا ينسى عشه القديم ، ويرى أن أشياء كثيرة قد تغيرت في غيابه فيخيل اليه أنه ما
 تنذره فيسعى الي تذكيرها بأيام صباه وذكريات هواه مع " هند " ونحرف أن فراقه
 له قد مضى عليه ثلاثون عاما تركت بصماتها هنا وهناك .

وهكذا نرى أن طبيعة بلادهم " سوريا ولبنان " قد صبت في شعرهم ، فهم
 حين حنوا اليها أخذوا يصفون الامهم واشواقهم كما أخذوا يصفون تلك الاماكن
 التي خرجوا منها وروا فيها ويذكرون أهلهم وأحباءهم وليس ذلك بالامر الغريب
 " ان مجرد الخروج من دار الى دار أو من بلد ألقه الانسان مدة طويلة الى بلد
 جديد عليه ، مهما كان قريبا والمسافة اليه قصيرة لا بد أن يثير في النفس
 عواطف الحنين والتذكار ويبعث في القلب لواعج الحزن والاسى على تلك الديار التي
 كانت عامرة بأهلها فأصبحت غرابا أو ما يشبه الغراب ، فكيف اذا ترك الانسان ببلاده
 التي هي بيئته الفاعلة فملاعب حداته ومراتب صباه الي بلاد شاسعة البعد لامت السي
 التي هي بيئته ، وخاصة اذا خلف فيها أهلا عزا على نفسه وأحباء مقربين السي
 وهو الي جانب هذا مفادها مرفعا لا مختار ، مضطرا لا مريدا لا شك أن هذه

الظروف مجتمعه تشير من عواطف الحنين أعذبها وأرقها من لوائح الشوق أحمرها
وأشدّها (١) .

ولذلك فإن المتتبع لشعر الحنين عند هؤلاء المهجريين يجد شعرا وصفيا
يحنون فيه بوجد أوطانهم الجميله الفاتيه ، ولذلك فهم حين يحنون انسابا
يحنون الى مواطن الجمال المبتوثة في الجبال والوديان والانهار والغابات كما
أنهم يتذكرون أيامهم الماضيه التي حذرت في نفوسهم ، ومن هنا نرى شعرهم مزيجا
من الحنين والوصف والالام وما هو * رشيد أيوب * يذكر بجد شبابه بلبنان ويناديه
أن يتقدم لمساعدته وانقذه مما يحيط به من * كتاب المشيب الذي تضافر مع السهم
النزبه والبهد فيقول :

يا شبا يا كان لي نعم الرفيق	ايضا سرنا وفي أى مكان
نستمد الحب من بحر عميق	وغرام مطلق فيه العنان
في زمان كان لي نعم الصديق	آه وأشوقى لذباك الزمان
حيث كوب الحبيب فيه طفحا	وحميا الحب قلبي قد سقى
تقطف اللذات منه مرعا	عند روض بالصفاء مند فوق

وإذا حن رشيد أيوب الى لبنان بجباله وصخوره ورياضه وغدراناه ، فإنه يخاطب
خليليه اللذين جردهما من خياله على عادة الشعراء العرب فيقول

حنت نفسي اشتياقا للجبال	حيث أنسى وحشتي بين الصخور
حيثما أبعد عن قيل وقال	خلياني
أوخذاني نحوها تيك الرياض	ثم عوجا بي على ذاك الخديسر
وإذا ما الدمع من عيني فاض	خلياني (٢)

وقد ارتاح المهجريون للحديث غير المباشر عن الوطن ، ووجدوا في الرموز
والاشعار اوسع لخيالهم من مجال الحقيقه ، على أن الشعر الذي قالوه في الحنين
سنة ، اذا قام على الصدق والبساطه جاء شعرا مؤثرا جميلا غير أنهم لو وقفوا

(١) نادرة جميل سراج — شعراء الرابطة القلميه ص ١٩١

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٠

عنده واكتفوا به ، كان لهم هذا الشأن . وقد دللنا بالفصول السابقة على مدى تجسيم الغاب والطبيعة في شعرهم ، والمحا إلى شيء من القاعده الفلسفية فمسي هذا الشعر ، وكل ذلك قائم على نوع من الحنين المفلسف أو المثالي (١) وليس معنى ذلك أننا ننكر ما في شعر الحنين المادى البسيط من سمو ، وليس مسرود . ذلك انمسي بمباطته وصدقته فحسب وانما مرده الى طريقة التناول والعرض خاصة اذا تحول الشاعر من مرحلة الراعيه الى ضرب من الحلم كما يتضح ذلك في قصيدة " سلة الفواكه " لنسيب عريضه التي صور لنا فيها حلما من احلام اليقظة عاد به الى اوطن وهو واقف في احد شوارع " نيويورك " يرقب سله من الفاكهه ذكرته فواكه بلده ومنها يقول :

هذا غرام مضى في سالف الحقب ولم يزل ذكره في الناس والكتب
رأيته بخيال الروح عن كتب ثم استفتت فلم أبصر سوى غيب
وه على السل من تين ورومان

ولقد برع من الشعراء المهجريين في هذا المجال " الاستذكار الحلمى " رشيد أيوب حيث استطاع أن ينقل القارئ الى حالة من الحلم دون مقدمات والقارئ يحسب أنه محاط باليقظة من كل نواحيه ، لان الشاعر يتخيل نفسه في وطنه فعلا ، ويتحدث عن هذا الوطن وكأنه مقيم فيه يلعب ويمرح يقول من قصيدته بعنوان " الحنين الى حنين (٢) "

أفيق كفاك منام بدا الفجر كم تهجمين
وقامت لتنعى الظلام طيور ألا تسمعين ؟
فقومى نجد المسير الى الحقل قبل الضحى
ونشدو بشاطىء الغدير فيها جونا قد صحا

اذا فقدت قصيدة الحنين ، عناصر البساطة والصدق ولم تقم على طبيعة الحلم فقد تالى بجانب ذلك قوة الاندفاع ، فانها ستفشل في تحقيق الهدف منها حتى لو افقت الشاعر في طريقة التعبير مثل قصيدة أبي ماضي " الشاعر في السماء "

(١) الدكتوران احسان عباس ومحمد يوسف نجير - الشعر العربي في المهجر ص ١١٨ / ١١٩

(٢) رشيد أيوب - أغاني الدرويش ص ٤٥

التي بناها على حوار متوهم بين الله والشاعر حيث يحرض على الشاعر أن يبقيه نسي
السما فيكتب ويحزن ، ويحرض عليه عروضاً شتى ، فلا يختار الا أمنية واحدة هي
عودته الى وطنه يقول فيها (١)

فقلت يارب فصل صيف	في أرض لبنان أو شتاء
فاننى ها هنا غريب	وليس في غربة هناء
فاستضحك الله من كلامي	وقال هذا هو الغباء
لبنان أرضي ككل أرضي	وناسه والسوري سواء
وفيه بؤس وفيه نعمي	وأرد يا وأتقيا
فأى شيء تشتاق فيه	فقلت ما سرني وساء
تحن نفسي الى السواقي	الى الاقاصي الى الشذا
الى الروابي تعرى وتكسى	الى العصافير والحناء
الى العناقيد والدوالي	والماء والنور والمهواء
فاشرف الله من علاه	يشهد لبنان في السماء
فقال ما أنت ذو جنون	وانما أنت ذو وفاء
فان لبنان ليس طودا	ولا بلادا لكن سما

وبما أن قديرة كهذه ينبغي أن تقوم على عنصرين أساسيين هما الانفع - قال
القوى الذي يستر التمويه القصصى وعلى المفاجأة فان كليهما جاء فاترا ضعيفا .
فالاندفاع القوى يرى كل شيء في الوطن أفضل من غيره دون أن يعطيه منطقيا وانما
يعتمد على العاطفه وحدها يتضح ذلك في قصيدة أبي ماضي نفسه التي عنوانها
* تأملات * حيث يقول فيها (٢)

والناس أكرمهم على عشيرتها روحى الفداء لرمطها ولالها
والشهب اسطحها التي في اقمها ليس الجلال الحق غير جلالها
وأحب غيث ما هي في أرضها حتى الحيا الباكي على اطلالها
موج الصبا الجدلان في اسماها ومنى الصبا الولهان في أصلها

(١) أبو ماضي - النماثل ص ٦٧

(٢) المصدر السابق ص ٥٥

أنى لأعرف ريحها من غيرها
تلك المنازل كم غطرت بساحها
و شدوت مع أطيارها وسهرت مع
وسجدت للالهام مع صفافها
وملأت عقلى من حديث شيوخها
تشتاق عينى قبل يغمضها الكرى
مرت بى الايام تقفو بحضنها
وتعاقبت صور الجمال فلم يدم
بمواقع الأشداز فى أزيالها
فى ظل ضيغها وعطف غزالها
اقمارها ورقصت مع شلالها
وضحكت للآ حلام مع وزالها
وأخذت شصرى من لضى أطفالها
لو أنها اكتحلت ولو برمالها
وثب القطا تعدو الى آجالها
فى غاطرى منها سوى تماثلها

فلا شك أن قوة السبك قد اسبغت على الابيات روعه كانت مفقوده فى القصيدة السابقة كما أن التحليل قد اكسبها مبالغة مقبولة ، حيث كان الموضوع حب الوطن ، يضاف الى ذلك الانسجام مع الطبيعة فى الوطن الجميل المحبوب ، فاجتمع حب الوطن وحب الطبيعة فى صورة واحدة وقد كرر الشاعر هذا الاندفاع القوى وهذه الطريقة نفسها فى قصيدة أخرى له بعنوان " لبنان " يقول فيها (١)

ولربما جبل أشبهه بـه
فأقول يحكيه وأعلم أنه
يا لذة مكذوبة يلهو بها
أنى أذكره بذياك الحمى
وإذا الحقائق أخرجت صدر الفتى
وطنى ستبقى الأرض عندى كلها
مسترسلاً مع روعة التشبيه
مهما سما هيئات أن يحكيه
قلبي ويصرف أنها تؤذيه
وجماله وأخالنى أنسبه
ألقى مقالده الى التمويه
حتى أعود اليه - أرض التيه

وليست قوة السبك وحدها هى التى ميزت هاتين القصيدتين عن أختهما الأولى وإنما اضيفت الى قوة السبك الاندفاع القوى ، وتعاقب الصور فى مخيلة الشاعر
يط. فاذا ما انتهى لم يبق فى المخيلة الا صورة الوطن .

ولرشيد أيوب قصيده فى الخنى " بلادى " اعتمدت على قوة السبك فحسب
بقلت بالفخامه الكلاسيكيه ولكنها لم تخرج عن كونها قصيدة عاديه من الممكن أن تنصرف
الى أى موضوع آخر ما تنصرف الى الوطن . استمع اليه يقول (٢)

(١) ايليا أبو ماضى - الخمائل ص ٨٠

(٢) رشيد أيوب - الايوبيات ص ٣٩

خلقت ولكن كى أموت بها حبا
 وأنى مشوق كلما شاب رأسه
 اذا ملأت صدرى الخطوب فانها
 ولكن لى فى سفح صنين موطننا
 اذا ما ذكرت الاهل فيه فأنسى
 لذاك ترانى مستهلما بها صببا
 بحب التى يشتاقها كلما شبا
 لتلقى بصدري الريح مستودعا رحبا
 يحز على أن أفارقه غصبا
 لدى ذكرهم استمطر الدمع منصبا

وأسلوب الابيات خطايبى فى تصوير الحنين ، أما المعانى والصور فمبتذلة ولا جودة فيها ، الا أن الشاعر قد انصرف عن هذا اللون ، الى رفيف ناعم من العنائيه فحسب بأسلوب متقن عن حنينه فى قيدة أخرى به نوان " برها ، لبنان " ستجد بينها وبين سابقها بونا شاسعا فهو يقول (١)

ذكروه بالحمى فارتعشا
 مخرم فى الحب قدما قد نشا
 لا تلوموه فذا حب سقيم
 ليس يحييه سوى ذاك الذى يم
 يرقب الافلاك ان بين الظلام
 هو يحسوا الضمر مضى لا ينام
 أم تزده الكأس الا عطشا
 يتغنى عمره كيف مشى
 وهو كالمجنون
 قلبه المحزون
 نانج مسكين
 فى حمى صنين
 فى حشاه نار
 ينشد الاشعار
 أبدا ظمان
 برى لبنان

ويمزج رشيد أيوب أعيانا بين الحنين الى الوطن والحنين الى الطفولة مزجا بسيطا
 تمثله قسيدة " يا تلج " (٢)

يا تلج قد هيجت أشجانى
 بالله عنى قل لاخوانى
 يا تلج قد ذكرتى بالوادى
 أم قد جلست بحضنه الهادى
 يا تلج قد ذكرتى أمى
 مشخوفة تحار فى ضمى
 ذكرتى أهلى بلبنان
 مازال يرعى حرمة العمى
 مقنصتا لخد يره الشادى
 فكأننى فى جنة الشاد
 أيام تقضى الليل فى همى
 تحنو على مخافة السبرد

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) رشيد أيوب - ديوان أغاني ص ٧٠

يا تلج قد ذكرتنى المسوقد
لغنولديه كأنه المسجد
أيام كما حوله تشهد
وكاننا النساك في الزهد

والشاعر نسيب عريضة يحن الى حمص * ذات الحجارة السود * فيذكرها ويذكر كل
ما عرفه في مراتبها وحدائقها ، وحين يبدأ قصيدته تتوارد على خاطره صور مختلفة
لتلك الديار البعيدة وكأنها شريط سينمائي يعرض على شاشة أفقاره فيجبر عن ذلك
بقوله

صور تلوح لخاطر المحمود

ما بين أرياض المنى والبيد

خفاقة فيها بنود العيد

بسامة فيها ثغور العيد

تجلو رؤى ماضي المهوى المفقود

وما ان تتعاقب الصور أمام مخيلته حتى يخفق قلبه لها ويتشوق للوصول اليها

وقف الفؤاد أسير بارق نارها

يهفوا الى ملاح من اسرارها

لعم الديار تذوب من تذكاراتها

من بعد طول نوى وفرط جحود

ياموثقا في شوقه بقيود

ثم تمر به نشوة حاله وكأنه غاب عن وعيه ليستفيق بعد ذلك فيسائل قلبه

أعرفتها تلك الربوع العاليه

ما بين لبنان وبين البادية ؟

فيأتيه الرد من وراء الذكريات يا حمص ، يا بلدي وأرض جدودي

وحين يبذل به الحنين أوجه ، وتحمله الذكريات على أجنحة الشوق وتتوق نفسه الى

أر تعود الى الموطن الخالي ، يتمنى على الدهر أن يحيد به الى مدينته حيا

قيمه تائلا

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن

هل عودة ترجى وقد فات الظمن

عد بي الى حمص ولوحش الكفن

واهتف اتيت بعاشر مردود

واجعل ضريحى من حجار سود

وهكذا نرى شعراء المهجر قد ساروا فى تصويرهم لحنينهم فى ثلاثة خطوط

١ - التعبير الصريح المباشر عن حب الوطن وهو يتفاوت لديهم بمقدار البساطة فى التعبير والصدق فيه والقوة فى الحنين نفسه .

٢ - التعبير عن الحنين فى صورة حلم ، وهذا متفاوت أيضا بالنسبة لمقدار الامتزاج بين الوطن والطفولة ومدى التخيل العلمى .

٣ - التعبير غير المباشر عن الحنين وذلك بتصوير حالة نفسه قلقه فى موضعها ظامئه الى الغاب أو المجهول أو الطفولة أو تصوير نفسه حزينه عاجزه عن أن تتبين روافد حزنها وكل ما ذكر من قبل عن الشوق الى الغاب أو المجهول أو الطفولة إنما يكون أساسه العميق هو الحنين الى الوطن ، حتى وان اخرجته الشاعر فى ثوب فلسفى تأملى ، والحنين الذى نراه فى الشعر المهجرى إنما هو قوة مرتكزة على معنى الضربة التى انبثق عنها ليصبر عن عاطفة انسانية خالدة لاتزداد على مر الأيام واختلاف الظروف الا توهجا وضراما .



الباب الثالث

الفرة والحين في الشعر الفلسطيني بعد

المأساة

الفصل الاول

حسرة ولوعة على الوطن المفتص

أن فلسطين بلد عربي منذ فجر التاريخ سكنها الكنعانيون وعمالق
وغيرهم من العرب القدماء منذ آلاف السنين لاتصالها وأرتباطها الوثيق بجزيرة
العرب التي رقدتها بالهجرات البشرية المتعاقبة ، ثم تعرضت فيما بعد
الى غزوات عديدة كانت أحدها غزوة الاسرائيليين " بنى اسرائيل " بعد
فرارهم من مصر بقيادة " موسى " عليه السلام ، وأن كان تواجدهم قد شغل
جزءاً محدوداً من فلسطين الداخلية بعيداً عن الساحل ، الى أن تعرضوا
للاجتياح في القرن السادس قبل الميلاد ، وهجر معظمهم بعيداً عن فلسطين
على يد ~~بعض~~ ثم سقطت فلسطين في أيدي الرومان حتى جاء الفتح العربي
في القرن السابع الميلادي ومنذ ذلك الحين وحتى القرن العشرين بقيت فلسطين
بلداً عربياً إسلامياً ، وقد حاول الصليبيون فرض وجودهم في فلسطين
وفي غيرها من سواحل بلاد الشام ومصر ولكن هجومهم انحسر وتلاشى وتحول
الى هزيمة ساحقة مازالوا يذكرون مآزرها حتى اليوم .

وأما بنو اسرائيل فقد شردوا في القرن الاول الميلادي من فلسطين
ثانية وثالثة في كل البقاع ، وقضيوا مئات السنين يعيشون في بلاد مختلفة
أن ينجوا مع شعوبها او يتعاونوا معها ، مما زرع في نفوس تلك
الشعوب الكراهية لهم ، ويرجع عدم اندماجهم في الشعوب الاخرى التي
سالمهم الخاطئة التي تصور لهم بأنهم شعب الله المختار وأنهم
- وحدهم - الجديرون بالحياة والسلطة وحكم البشرية وقيادتها ،
وأن الآخرين ضالون منحرفون يحل لهم أن يأكلوا أموالهم بل ويهدروا دمهم

وظلت حال اليهود تتراوح بين مد وجزر حتى أواخر القرن التاسع عشر حين أجمع نفر من زعمائهم في " بال " سويسرا سنة ١٨٩٧ تحت قيادة صحفى نمساوى هو " تيودور هرتزل " الذى كون أول مؤتمر صهيونى دعا الى وحدة اليهود فى العالم وحثهم على إيجاد وطن قومى يلم شتاتهم ويقومون عليه دولتهم الخاصة بهم .

وقد طرحوا أمام مؤتمرهم ذاك اسما بلدان عدة ، الا أن فلسطين كانت أكثر اهتماما من غيرها لأسباب عديدة أهمها الزعم بأن ارتباطهم العاطفى سيقنع الكثيرين من اليهود بالتوجه اليها والاقامه فيها ، إلا أن فلسطين كانت فى ذلك الوقت جزءا من ولاية الشام التابعة للدولة العثمانية ، ومن هنا أنصرفوا للاتصال بالسلطان عبد الحميد عارضين عليه القيام بتسديد ديون الخزانة لقاء التنازل عن فلسطين وقد رد السلطان عبد الحميد هذا العرض قائلا :
" فليحتفظ اليهود بملايينهم ، فلو قدر لامبراطوريتى أن تتمزق ، فقد يحصلون على فلسطين بلا مقابل ، ولن يتم ذلك الا اذا مزقت أوصالنا ، ولن أوافق على أن تمزق وأنا حي " (١)

وبعد هزيمة الأتراك فى الحرب العالمية الاولى وحصولهم على وعد بلفور المشئوم . ووقوع فلسطين بين براثن الاستعمار البريطانى ، استطاع اليهود أن يحققوا وجودهم فى ظل ظروف سياسية واقتصادية تحدثنا عنها بأسهاب فى الباب الاول ، كما خدمتهم هذه الظروف حتى أقاموا دولتهم المشئومة فى " ١٥ مايو ١٩٤٨ " وقد نتج عن قيامها تشرد مئات الآلاف من العرب الفلسطينيين حيث خلفوا وراءهم قراهم ومدنهم وقولمهم ومناجرهم وديارهم ، فضلا عما لحق بهم من تفتيل وأذى واعتداء يقيقه الكذب والصحف والمجلات ، ومن ثم فقد عانى الشعب الفلسطينى الكثير ، وأحتل من المصائب والكوارث ما تضيق عنه الأحاطة ، ويقصر دونه الوصف ، وقد عبر الكتاب والشعراء والادباء العرب عامة والفلسطينيون خاصة فى كتاباتهم وأدبهم وشعرهم عن كل ذلك مما نحس فيه عمق الجرح وفداحة

(١) مصطفى الشهاوى - القومية العربية والشعر المعاصر ج ١ القاهرة ص ٧٢
سنة ١٩٥٩

الخطب ودراسة المأساة ، لكن الذى يعنيننا من كل ذلك فى بحثنا هنا هو التعرض لشعر الفريسة والحين عند الشعراء الفلسطينيين فحسب ، بحيث نعرض بعض النماذج التى تصور لنا الحسرة واللوعة على ذلك الوطن المفتصب من قبل أعداء العروبة والاسلام ، فقد فجرت المأساة ينابيع الشعر لتقطر حشرات وأسى لما كابدته شعبنا العربى فى فلسطين ، وقد تتابع الشعراء منذ حدثت المأساة سنة ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا يصورون حينئذ الطاغى الى وطنهم الحبيب تلذعهم اللوعة لفراقه ، وأذا كانت فلسطين - قبل الكارثة - خلوا من الشعراء النابهين الا ما ندر ، فان المأساة أهاجت العواطف ، فالنكبات والحروب كانت وما تزال مهتت الشعر عند الأمم عامة وهى كذلك عند العرب ، ولقد دارت أشعارهم على حروبهم فى الجاهلية يثيرونها بينهم ، وبعد الاسلام على حروبهم مع الفرس والبروم ثم دارت حول نكبتهم فى الاندلس ، أما فى العصر الحديث فأنا نرى شعراء فلسطين قد أجادوا وأكثروا عما قالوه فى عصور عديدة سابقة .

ونستطيع أن نتهين ذلك فى النماذج التى سنتناولها بالعرض للعديد من شعراء وشواعر فلسطين فى عصرنا الحاضر .

فى قصة " برتقالة " للشاعر كمال ناصر يرمز الى فلسطين بالبرتقالة وحينما يحاول تذوقها أرتعد وكأنه يأكل لحما بشريا ، وفى النهاية تتكشف له الحقيقة المرة فهى عرضه الفقيد وأمه السلبيبة ، ولذا فهى تتحداه أن يأكل منها بعد أن ذلّ فى فؤاده معنى الوجود أنظر اليه يقول (١) :

وذاقتها فارتعدت جههتى	كأن فى ثفرى دم الوريد
فضضتها فانشق عن صدرها	جرح على درب الأمانى وحيد
عرقه فذاك جرح الصببا	وملحى الدانى وعرضى الفقيد
رت بى سمى عويل الصدى	فى صدرى بلحن وثيد
أنسى تحديتك فى نشوتى	فأشرب أن أسطعت وكل ما تريد

(١) كمال ناصر - جراح تفتى ط بيروت سنة ٦٠ ص ٤٨ وما بعدها

ثم يحسن الشاعر أنه قد أبتعد عن الوطن ، ورغم شوقه الجارف إليه لا يستطيع أن يعود ، فقد أصبحت بينهما هوة عميقة ، وقد عانى كلاهما من الاغتراب ، وهو حين يبكي نفسه فأنا يبكي أرضه لأن جرحهما واحد ، فما يصيبه يصيب وطنه حيث سيتقاسمان سراء الحياة وضراءها فهو يقول (١) :

أيهما الشاطىء الجريح بصدرى	لا ترفرف بالعجز فى مقلتيها
لست أقوى على المجىء هوانا	أو تقوى على المجىء أليها ؟
بيننا اليوم هوة من عذاب	فخرت شدقها ضلالا وفيها
عمق الشوق جرحها فى خيالى	وأراها تميد شيئا فشيئا
كيف تجتازها وأنت جناح	سرقته الأقدار من جانحيها
وعلى أصفريك من ذل عمري	خفقات تحيا على أصفريها
لست أقوى على المسير فقلبي	شدنى رهبة الى قديميها
فكأنسى وقد بكيت عليه	فى سفير الحرمان أبكى عليها

والشاعر " أبو سلى " يتحدث عن " النازحين " من أبناء شعب فلسطين الذين قذفت بهم الأحداث العاتية بعيدا عن وطنهم الحبيب فأغتربوا عن أرضهم الطاهرة التى تخصبت بدماء الشهداء الأبرار ، ويشير الى أن اشتراك الدول العربية فى الحرب ، مع تفرق كلمتها - وخيانة العدييد من زعمائها - كل ذلك كان من أسباب المأساة كما يصور لنا آلام هؤلاء - النازحين الذين تحولوا الى متشردين بعد أن حملوا راية الثورة والكفاح طويلا بفضل مناصرة الزعماء العرب ، الذين أجادوا القول وتخاذلوا عن الفعل أستمع اليه يقول (٢) :

(١) كما ناصر - جراح تفتى - ط بيروت سنة ١٩٦٠ ص ٤٨ وما بعدها
(٢) عهد الكريم الكرى - أبو سلى - المشرد ط المكتبة الكبرى للتأليف والنشر " دمشق " ص ٣٧ وما بعدها .

لغة الدمع أم بيان الجراح
يا فلسطين أين ترتك المذراء
حرق قلبى على التراب خضيبا
أيها النازحون كيف تهاويتم
ليتكم فى ملاعب الحرب كنتم
لو حملتم عبء القضية أنتم
لجلوتهم عرائس المجد فوق الأفق
أو دفنتهم هناك طى تراب
أيها النازحون ماذا لقيتم
وحملتم ذل السؤال ثقيلا

وهيدى اليتيم أم أنين الأضاحى ؟
تفتضها يد المجتاج
بشظايا الأعراض والأرواح ..
نجومها على غريب البطاح
فى فلسطين وحدكم فى الساج
وكفرتهم بعصبة الأشهباح
بين السنى وخفق الوشاح
طهرته الدماء قهل البراج
غير دنيا الآلام والأتراج
بعد تاريخ ثورة وكفاح

والشاعر فى عصرنا الحديث لا يستطيع أن يتخلص من أسر الشاعر القديم حين يتناول الحنين . فالشاعر " يوسف الخطيب " وهو لاجئ فى دمشق يصور حنينه الى وطنه فى قصيدة " العندليب المهاجر " فيدير حوارا بينه وبين العندليب القادم من الجنوب مهاجرا مثله من بلده فلسطين ، فيسأله عن أخبار أحبائه وعن الحقول فى أعراس آذار ، ويماتبه لأنه جاء دون تذكار وهذا التناول فى حد ذاته يذكرنا بصورة الحمامة التى تنوح فتذكر الشاعر المرعى بفرته ، الا أن الاحساس بمأساة الأرض يلون قصيدة الشاعر بصورة جديدة ترمز الى الحنين الذى يلدغ الشاعر اللاجئ (١) :

أتراك مثلى يارفيق تصرفى الزمــــن
عبر المهالك والليالى السود والمحن
لكان فى عينيك بعض اللوح من وطنى

* * *

كيف الحقول تركتها فى عرس آذار ؟
ومتى لويت جناحك الزاهى عن السدار
عجبا تراك أتيتنا من غير تذكــــار ؟

* * *

لوقشة مما يرفّ ببيدر البلاد
خبأتها بين الجناح وذفقة الكبد
لوعشة ببدر ومزقة سوسن ببدر

* * *

ماذا رحيلك أيها المتشرد الشاكى
عن أرض غابت الخيال وفوحها الزاكى
أم أن صبح الزهرا أصبح قسر أشواك؟

والشاعرة " فدوى طوقان " تصور لنا حين امرأة لاجئة تقبح نفسى
كهف من كهوف جبل النار فى ليلة باردة وطفلها الرضيع على صدرها
يرتجف من البرد ، وقد حلقت بها الذكريات لتعود بها الى الورا حين
كانت هائئة فى ديارها ، ثم أجتاحتها قوى الهنى والمدوان ، وكيف
سقط زوجها شهيداً فى سهيل الوطن المفدى ، أستمع اليها فى قصيدة
" رقيّة " تقول (١) :

وفى مثل تهويمه الحالمين	وفى عمقها لهفة ظاميه
اطلت على أفق الذكريات	وتلثم تربتها الزاكيه
تعانق بالروح طيف الديار	ملاعها الرحمة الحانيه
وتبصر من سهحات الخيال	الدهاليز فى الروضة الحاليه
وأفياها الدافئات وتلك	ومن ههنا ظلّة الداليه
ومن ههنا ظلّة الياسمين	بأجواء جنتها الهانيه
والفانحياة يشيع الحياه	بأشياءك الحلوة الفاليه؟
فيا دار ما فعلته الليالسى	يد الهنى والقوة الجانيه؟
وربك كيف تهارت به	

(١) فدوى طوقان - وحدى مع الايام ط دار العودة بيروت ط ٤ سنة ١٩٧٤

أما الشاعر " هارون هاشم رشيد " فيشير الى بلاده "هناك بلادي " التي اغتصبت وأصبحت بميدة عنه ، لأنه لا يستطيع العودة اليها بعد أن اغتصبتها الممعدى الأثيم - فأخذت تصرخ وتئن تحت المار ، ثم يشير الى ذكرياته التي خلفها هناك وحقله وزروعه وأناشيدته مما يجعل حينه الى كل ذلك جارفا ملحا يشق عنان الخيال فيقول (١) :

هناك هناك وراء الحدود	هناك هناك وراء الحدود
وتصرخ أقداسها بالوجود	تئن من المار عار اليهود
ونجوى شهابى ، وذكري هواى	هناك ، هناك ، أغاني صباى
وعودا ، تركت ، حزينا ونساي	وحقلى ، وما زرعتهم بسداى
تقول : حبيبى ، حبيبى ، تمال	هناك ، تنادى على التلال
يشق الى ، عنان الخيال	وألف حنين وألف سوال

والشاعر " محى الدين الحاج عيسى " يتساءل : أن كان أخوه اللاجى ، ما زال يذكر الديار التي نأت عنه - وهو لا شك يذكرها إذ كيف ينساها وكل شىء في حياته : " قلقة ، بوسه ، تشرده وغرته يذكره بها ، ثم لا يقف عند حد التذكير بل يتعداه الى اللوم والتقريع ويتمنى لو قدر لكل فلسطينى أن يموت مدافعا عن الوطن قبل أن ينزح ، ففى الموت فخار وأى فخار على عكس الهجرة والنزوح التي أورثتهم النذل والمهانة فهو يقول من قصيدة بمنسوان " هل تذكرت حتى الديار ؟ " (٢) :

وقد نأت عنك الديار	هل تذكر " حمى الديار
تبكى وقد شط المزار	ونأيت عنها ضارعا
لم يستقر له قرار	وتحش عيشا بائعا
كالحبات والصفار	تلقيا تحف بك المكاره

(١) هارون هاشم رشيد - مع الغرباء - رابطة الادب الحديث بالقاهرة سنة ١٩٥٤

ص ٣٦

(٢) محى الدين الحاج عيسى - من فلسطين واليهما - الطبعة الاولى حلب سنة ١٩٧٥

ص ٨٣

تمنى على الأيام عثرتها
فالدنوب ذنبك أنت لا يجدى
أسلمت أمرك للهوى
فنزحت رسوم الفؤاد
لو كنت مت مدا فما عنها
فالموت خير من نـزوح
وما منها العشار
عن الذنوب اعتذار
فأصاب جهتك أنهيار
عليك ذل شـار
لسكان لك الفخـار
فيه أذلال وعـار

والشاعر " محمد المدنانى " يصور حاله وقد ضاقت به الحياة بمد أن أصبح مشردا بلا وطن ، تلاشت آماله فى المستقبل وسيطر عليه اليأس والملل بمد أن فقد وطنه ويتمنى لو أن الموت أنقذه من هذا المصير التمس الذى أصبح فيه غمريها رغم أنه بين أبناء أمته وقومه يقول فى قصيدة بعنوان " لهفة " (١) :

لهفى على القلب لا وجد ولا أمل
نزفتها يوم أصبحنا بلا وطن
كانت منى فلسطين وقد ذهبت
أسير بين بنى قومي يلفمنى
قضت على زعامات ملفقة
ولا دموع على الخدين تنهمل
مشرد بين غدا اليأس والملل
فكيف لم يطو فى رمسى الأجل
ثوب هو الكفن المحبوب والأمل
وأخفت قلبها فى قتلى العليل

والشاعر " على هاشم رشيد " يتساءل قائلا " من أكون " وقد أصبح شريدا بعيدا عن وطنه يسير من خطوب الحياة على الشوك ويعانى من الذل والعيش المهين ، فهو ميت حى ، ولذلك فهو - كلاجى - لا يكاد يتعرف على ذاته بمد أن تفسرت به الحال وأصبح فى وضع لم يكن يخطر له على بال ، ولذلك فإن فى تساوله الدهشة والاستفراب وقد أمتزج بهمـا الأسمى واهـ اسم حين يقول (٢) :

(١) محمد المدنانى - اللهب - المطبعة المصرية - صيدا ص ١٢٩
(٢) على هاشم رشيد - أغاني العودة - دار مفيض للطباعة بالقاهرة ص ١٢٣ / ١٢٤

أنا من أكون وقد غدوت بلا وطن
أسمى على شوك الخطوب بلا وهن
وأباع في سوق الطفاة بلا ثمن
وأعيش في ذل وعيش ممتهم
أنا ميت ماش وأثوابي كفن
رباه قل لي : من أكون ؟ ومن ؟ ومن ؟

* * *

رباه كيف وقد غدوت بلا رفيق
أحيا بدنيا لا أرى فيها الصديق
كيف السبيل إلى الهدى كيف الطريق
أنى أكاد بنفسى الحرى أضيق
وأكاد ألمح فى دمي لمح الحريق
وسوء المم : من أنت ؟ انى لا أطيق

والشاعر * محمود الحوت * يصور لنا آلام الانسان اللاجئ * تهزقه الأهات وقد
جفت نفسه من البهجة والحسرة ، وأصححت الحياة كابوسا ثقيلًا يجثم فوق
صدره ، فيصرخ من نقمة الدهر وعنت الزمان ، ويعجب كيف استطاع
الزمن الفادر أن يقهر هذا الشعب الذى ثبت أمام الصواب والتحديات
فيقول (١) :

هذا الفراغ وما عاناه من الألم	قلب تمزقه الأهات فى الظلم
أمران قد حطما فى النفس بهجتها	وأطباقها على شر من العدم
كأننى بعض آمالى يروح بها	وهم ثقيل الحيا بين الأنام عـم
استلهم الخيب أهلا من جنحة	أن مسها الواقع المصدوم تنصدم
بشم الحياة التى هان الزمان بها	فلم تمد غير خفق صامت بـدم
لله ما فعل الظلم الفشوم وما	أنزلت يادهر من حقد ومن نـقم
كيف أنتصرت على شعب وما وهنت	منه القوى فى الضروس الحمام والضرم
لولم يقولوا احتضنا لما وقـمتم	ولا تنافر عنها الأسد كالفـنم

(١) محمود الحوت - المهزلة العربية - مطبعة دار المعارف ببغداد النشيد الاول

أما الشاعر " معين بسمو " فقد أشتهر به الألم الممض حينما رأى وطنه
سجيناً مكبلاً ثم شنقوه وألقوا به في " ظلمات الحفر " ويخاطب أخاه المرهبي
أن يتحرر من قيوده وأن يتخلص من سجنه كي يساهم في تحرير وطنه
المفتصب ، والخيام التي تكس فيها المهاجرون الهوساء ستكون بلا ربيب
منطلق التحرير والصودة فمن قصيدة بعنوان " أخى " يقول (١) :

أخى من خالل حبال السياط ومن حلقات القيود الثقال
تطلع الى وطن الكادحين وقد شنقوه بسود الحبال
ولفوه بالخرق الباليات وألقوه في ظلمات الحفر
وهالوا عليه التراب الكثيف كأن لم يكن في ربيع العمر

* * *

أخى من خلال الجدار الكتيب ومن فجوات الدجى والحطام
تطلع الى الأعمى الفائرات وقد علقت بسقوف الخيام
هنا يعض الجائعون التراب ، هنا يعض الظالمون الحجر
هنا تكسى بالظلام المرأة ، أخى من هنا سوف يمشى الشرر

أما " رجا سمرين " فيصور لنا ما تركته النكبة من بصمات على
نفسه وعلى العرب الفلسطينيين الذين يتجرعون لغموس الأسى مترعة ،
بعد أن أصبحت ديارهم نهجا للظالمين . فتعاقبت السنين هجافاً
لا تحمل ثناياها الا ضاعفة الهم وزرع اليأس في النفوس ، وكيف
تصفو الحياة لنازح فقد وطنه - أرض آباءه وأجداده - فأصبح مسرحاً
لجيوش الأعداء وعصابتهم ! - يقول قصيدة له بعنوان " يسا
فلسطين " (٢) :

(١) معين بسمو - المعركة - دار الفن الحديث / القاهرة سنة ١٩٥٢ -
قصيدة " أخى " .

(٢) رجا سمرين - الضائمون - ص ١٤ .

يا فلسطين يا أبنة الأمجاد
يا محط الآمال يا مهبط النور
كيف تصفو الحياة للنازح الصب
ورباك الخضراء أمست مبراحا
والسنين الجفاف تضي تباعا
في الكهوف السوداء في المهمة
هم يذوقون كل يوم صنوفنا
يا عربين الآباء والأجداد
ومأوى الأبناء والأحفاد
وبهنا المنكوب بالانشاد
لجيوش الأندال والأوغاد
وبنوك الأبطال في الاصفاد
الجذب ووسط الخيام في كل واد
من عذاب الأرواح والأجساد

وأما الشاعر " حسن خليل حسين " فتحرقه الغربة وولدغه الحنين ويتألم لحاله وقد أصبح غريبا بين قومه يعاملونه في قسوة ويطاردونه دونما هوادة فحرق عمره شريدا بائسا لا تعرف البسمة طريقها الى شفثيه وكيف يتأتى له ذلك والاشواك تملأ طريقه والليالي السود تفرزه ؟ ومع هذا فهو يحاول أن يعلق جراحه ويجفف دموعه ليصنع من كل ذلك لحنا شجيلا يشير في القلب حنيننا وبهمت في النفس أملا يتجاوز كل التحديات أستمع اليه يقول (١) :

يا حبيبي ، لا تلمني أبدا أن لم تر البسمة تملو شفثيا
لا تلمني أن رأيت الدمع يملأ مقلتي
كل آمالي وأحلامي تلاشت . لم أعد أملك منها اليوم شيئا
أنا لا أذكر أنسى كنت يوما آدميا

* * *

لم يعاملني بنو قومي ولا الأعراب بالحسنى كأنسان
ولكن عاملوني مثل جرثوم صباحا وعشيا
وسرقت العمر محروما وخذلوا ، شريدا بائس الحال شقيا

* * *

(١) حسن خليل حسين - خطوات على الشوك - دار مكتبة الاندلس / بنغازي

فاسأل الهيداء والصحراء والأشواك عني
والليالى السود سلها يا حبيبي .. وأسأل الأهوال عني
كلها تعرفني ... تعرف أنسى
هشت أحزاني وأيام حياتي بينها خلاً وفيها
العمق الأحزان والآمال والأدمع
كى أصنع من أوتارها لحناً شجيلاً
يا حبيبي .. لا تلمني أبداً لو قتلت آمالك المذبة فيما

وفى " كلمات فلسطينية " يحاور الشاعر " حسن النجى " الشمس التى
يمر بها وطنه ، وتستألفها حيفاً عن حاله ومدى ظمأه الى الكرمل المعطار ،
فالوطن ما زال يتذكره طفلاً مدلاً ، ولكنه اليوم يتوق الى مراتع صباه وليس
فى أمكانه أن يهرب من ماضيه وبالتالى من المستحيل عليه أن ينسى وطنه
أذ يقول (٢) :

وجهى للشمس يحاورها	لا بد يمر بها وطنى
حيفاً لا بد ستسألها	عنى عن حالى عن سكنى
وتقول : " أيقنته ظمأ	للكرمل .. هل يتذكرنى ؟
طفلاً قد كان أه للسه	شرس الخطوات يروى
شفتاه سؤال مضطرب	عيناه مهوب ترقبى
الشمس وأمس ملكتى	وروى - لو أهرب - تتبمنى
يوى فى التيه أطاوده	اليوم سراب يرهقنى
الذئب براء من سلسبى	ودمى ، فرقيقى ضيمنى

والشاعر " محمود نديم الأفغانى " يصور أخاه اللاجى " وقد غرق فى بحر
من التهم واكتنفته البؤس ولكنه يشجعه على طرد اليأس لأنه لا بد من فجر
عقب هذا الظلام ، كما يؤكد أنه لم ينسى أوطانه رغم كل الظروف ، لأن ذكرى
وصه أصبحت ، ما يجرى فى عروقه ، ومن ثم لا بد من الصبر حتى يتحقق الأمل المنشود
يقول من قصيدة بعنوان " أخى أيها اللاجى " مثل " (٢) :

-
- (١) حسن النجى - كلمات فلسطينية - ط دار الآداب بيروت ص ١٤ / ١٥
(٢) محمود نديم الأفغانى - قصائد شعرية - من قصيدة عنوانها " أخى أيها
اللاجى " مثل " ص ٤٧٣ من كتاب الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين
للدكتور / كامل السوافيرى .

أخى يأيها السابح فسى
أخى فى الهوس والالام ..
أخى لانياس اليوم
أخى لاهد من فجر
أخى يأيها الضارب
أخى لم أنسى أوطانسى
وهل أنسى هوى خليل
أخى صبراه أخى صبرا
بحر من الهيم
يا بن الخال والعيم
ولا تركن الى الفيم
أخى لاهد من يوم
فى سهل وفى قفر
برغم الجوع والفقر
هواه فى دمسى يجرى
أخى لاهد من فجر

بكاء المروءة والمزة :

أن مأساة فلسطين قد أحدثت شرخا رهيبا فى نفسية الانسان العربى
عامة ، والفلسطينى خاصة إذ أنها كانت أمرا شادا عن المؤلف وغير متوقع .
فأكثر الناس أغراقا فى التشاؤم لم يكن خياله ليتصور أن شعبا بأسره سيقذف
به بعيدا عن وطنه ، ليحل محله شراند من شعوب مختلفة وأمم متباينة لا يربط
بينها الا سوء النية وشراسة الطبع . من هنا فقد صدم الانسان العادى بلسه
الفنان والشاعر ، وأخذت هذه الصدمة القاسية تفجر بنا ببحر الأنسى
والسخط فى نفوس العرب أجمعين ، وعز على كل عربى أن تصل الحال به الى
هذا الوضع فأخذ يتساءل : أين شجاعة العرب ؟ أين كبرياءهم ؟
أين عزهم ؟ أين .. أين .. هل ذهبت كل تلك القيم أدراج الرياح ؟
سرى فسى عليها الزمن ؟

وهكذا أخذ شعراؤنا يكون المرورة المفقودة والشجاعة الغائبة والعزة
الماضية ، وحاولون بشتى الوسائل ان يثيروا نخوة المرب من جديد
وان ينفخوا فيهم روحا قويا ، يعيد اليهم ما فقدوه ويقلبهم من عشرتهم
التي تردوا فيها ، شعارهم في ذلك قول الشاعر :

لا تياصبوا ان تستردوا مجدكم قلب مغلوب هوى ثم ارتقى
مدت له الأفلاك من عليائها خيط الرجاء الى العلا متسقا

وبهنا الآن ان نقدم بعض النماذج لشعرائنا الفلسطينيين تصور حينئذ السدى
لا يفتروا الى وطنهم ممزوجا ببكاء المرورة والعزة ناعيا على أمة المرب
وخاصة زعمائها والمسؤولين من أبنائها تقصيرهم وتفرق كلمتهم وخشيتهم
للاستعمار وأرتمادهم أمام تهديداته .

ومن الشعراء الذين كانت أرهاصاتهم صادقة وأستطاعوا بصدق أحساسهم ان
يتوقعوا ما سيحدث الشاعر " إبراهيم طوقان " ولذلك فقد أخذ ينبيه
شعبه ويحشه على اليقظة والاهتمام ، والا فان مصيره سيكون أسود قائما
بعد ان يزول وطنه ولا يجد كوخا يقيم فيه أستمع اليه يقول (١) :

أما لك أيها المرمى يوم تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك لا تبالى بغير مظاهر المعث الرخاى
مصيرك بات يلمسه الأوانى وسار حديثه بين الأفاصي
فلا رجب القصور غدا بهسق لما كتبها ولا ضيق الخصال

* * *

(١) إبراهيم طوقان - الديوان -

والشاعرة " فدوى طوقان " تصور لنا حسرتها على الوطن السليب
الذى تعرض للغزو والاعتصاب وتخلى عنه مناصروه الذين كان يتوقع
منهم الدعم والحماية ، ولذلك فهى تطلب من الاقدار أن تعاقب
هؤلاء الضعفاء المتخاذلين ، وأن تكون معولا يحطمهم ونارا تحرقهم
لتظهر امتنا من أمثالهم ، فقد كانوا حجر عثرة فى سبيل
تقدمها وأنطلاقتها تقول من قصيدة بعنوان " بعد الكارثة " (١) :

يا هذه الاقدار لا ترحمينى
فرائس الضمف ، بقايا الرمم
بالمعول المحصوم اهوى على
تلك الجذوع الناخرات الحطم
كونى أتيا عارما وأجرى
كل ضعيف الروح ، وأهى القسدم
كونى كما شئت لظن يفتلنى
أوعاصفا يقذف حمم الحمم
وأكسحى انقاض هذا الحمم
فى كل ركن خائر منهدم
اكسحها وانفضى امضى
مما علاها من رماد القسدم

و " محمد المدنانى " يشاهد ما عليه قومه العرب من تفكك وتخاذل وضمف
جملهم سبة بين الناس فى الصحف والكتب ، وأنتشرت بينهم الاحقاد فكأنهم
أعداء وليسوا أخوة فى الدين والجنس والتاريخ ، وكان من نتيجة خلافهم أن ضيعوا
فلسطين وأضاعوا مكانتهم ، وتنافس الزعماء - لا فى شريف الأعمال وتحقيق الغايات
التهيلة - ولكن فى المهاترات والسباب والتظاهر بالمعظمة والكبرياء الأجوف فى
قصيدة له بعنوان " أنى كفرت بالعرب " يقول (١) :

أنى كفرت - وجق العرب - بالمعرب
قوى الذين بأسمى أفتدى وأبسى
كانوا أهانج ثغر الدهر أنشدها
فأصبحوا سبة الاقلام والكتب
أغصوا عن المجد فى تاريخهم عبثا
وعن مديح الورى فى سالف الحقب
ثم أنتصوا قضب الأحقاد بينهم
وكشروا عن نيموب الشر والمطرب
وأغيدوا الود والقربى .. كأنهم
لم يعرفوا بينهم ما قام من نسب
وأرهنوا السنا حمرا ، قد أنثنت
منها السموم بلا ذوق ولا أدب ...
والشعب فى سكرة من ظلم قادتهم
ما قر من كرهة الا الى كعرب
قد خدروه بأقوال منمقة
ورائح من فضون الهف والكذب
ليس الزعيم هو المختال فى سرد
من الدمقس ، وفى تاج من الذهب
أن اسم هو الفادى ، وعينهم
بالروح ، لا بالبيان الغد والخطب

(١) محمد المدنانى - الوثوب - ص ١٤٥ المطبعة المصرية بصيدا - لبنان

أما الشاعر * على هاشم رشيد * فيبحث الحكام العرب على الاستفادة مسن التاريخ وليكن لهم من المأساة عظة وعبرة - فقد عاث الغريب المقتصب فسادا فى فلسطين والمنطقه المربيه ، دون أن يلقى من يقف فى طريقه ، بينما توضع المراقيل فى وجه الشعب الفلسطينى لتشل حركته وتحول بينه وبين تحرير وطنه ، ولذلك فإن تصريحات زعمائنا تجاه قضية فلسطين ليست إلا زورا وهبتانا ومسا أشبهها بدموع التماسيح - فى قصيدة له بعنوان " عتاب " يقول (١) :

أن حكامنا الأفاضل هــــــــــــــ	تنفع المبرة الأليمة فينا
شعبنا خفاق بالأحابيل تـتـرى	وقيود بثقلها قد يليننا
أرضكم مرتع لكل غريب	أجنى يحل فينا سنيننا
ونلقى فى وجهنا كل سد	أن أردنا أختراقه لن يليننا
فالتباكى على فلسطين زورا ..	قد شعبنا فى مضغه ورويننا

أما الشاعر المبدع " أبو سلى " فيصور حزنه وألمه لما وصلت اليه حال المواصم المربيه من تمزق وضمف فليس لها من هم الا رفع الشعارات دون أن تحمل على تطبيقها وأنصرفت الى التخاصم فيما بينها ، وتركت العدو يصول ويجول فى المنطقه دون رقيب أو حسيب ، ويصرخ الشاعر فى وجه أمته كى تتسجد وتنهذ خالفاتها ، لإيانه العميو بأنها لن تتمكن من طرد العدو الدخيل الا بوحدتها استمع اليه يقول (٢) فى قصيدة بعنوان " أين المواصم " :

أين المواصم كدت أنكرها	أخنى الذى أخنى على لهد
أنى لألج خلف أدمعها	عار الزمان وسبة الأهد
تلك الشعارات التى رفعت	يا تعسها فى الساج فى مدد
حبلت لنا الاوزار ثقلمة	من يبتنى بيتنا بلاعمد
زعم .. ساوى الذل بينهم	لا فرق بين العير و الوتد
باسم العموية يفتكون بها	ويقطعون وشائج العضد

* * *

(١) على هاشم رشيد - شموع على الدرب - دار الكاتب للطباعة والنشر ص ٤٣

القاهرة .

(٢) أبو سلى - من فلسطين ريشقى - ط دار الآداب / بيروت ط أولى

سنة ١٩٧١ ص ٨٢ .

دول وأجناد والويسنة
يا أمتى طال الزمان بنا
يا هذا لقياء على وهج
فى قلبها وطنى يشع سنى
لا تلتقى الا على جسر
والمر والاشواق فاتحسى
فى وحدة عربية السند
يهدى الشعوب الى حياة غد

والشاعر " هارون هاشم رشيد " يصور خيانة بعض الزعماء العرب ومناجرتهم
بالسلاح الفاسد الذى أودى بحياة العديدين من الجنود والضباط العرب،
ويشير الى تعاون أولئك الزعماء مع المستعمر الصهيونية فباعوا دماء
مواطنيهم فضلا عن أرض العرب فلسطين مقابل المال الحرام ، وذيل لهم
أن حياتهم تنظر لذة ومتعة ، خمر ونساء وقمار ، أما الشعب وأهدافه والوطن
وأحتياجاته ، فلم يخطر من ذلك كلمة شىء على بالهم ، ولكن الأقدار تربصت
بهم وردت كيدهم الى نحورهم فى قصيدة له بعنوان " عائد من المسيدان "
يقول (١) :

ثاجروا بالدم ياويلهم
خادعونا حقبة مظلمة
لم تكن ندرى بأننا لعبيدة
يتهاوون على أقدامهم
حللوا كل حرام وبفساد
وضوا فى غيرهم وأنطلقوا
حسبها لذة خالصة
زوروا شتى أقاصيص غدت
وتحدوا وثبات النجب
وضوا فى غيرهم والسلب
لعبيد السنم المتجرب
سجدا للنفيد أو للذهب
وأستباحوا حرمت العرب
كالعطاشى فوق تيمه السبب
رغم أحداث الزمان القلب
ملء أفواه الخنا والكذب

والشاعر " حسن خليل حسين " تحرقه اللوعة على ضياع القدس ويمزق نفسه
لرؤية الكراسى وخضوعهم الذليل للاجنى الدخيل ، حيث
فسون بأطلاق التصريحات الفارغة الجوفاء ، التى لا مضمون فيها ولا صلة لها بالفعل
أو التنفيذ ويعيب عليهم تضحيتهم بأوطانهم ومواطنيهم فى سبيل الاحتفاظ بالحكم
والتربح فوق رقاب الناس وكانهم أصنام تعبد ، يقول من قصيدة له بعنوان " معبد
الأمجاد (٢) :

(١) هارون هاشم رشيد - مع الغرباء - رابطة الادب الحديث / القاهرة سنة ١٩٥٤

ص ٩٣/٩٢

(٢) حسن خليل حسين - خطوات على الشوك - دار مكتبة الاندلس / بنغازى ص ٤٤/٤٣

ماذا لديكم ؟

أمعنوا ياسادتي .. هل من جديد ؟

هل من شعارات تميد لشعبنا القدس العتيد ؟

لا تخجلوا .. -

مهما تخدرت العقول فأنتمو نعم الأسود

ألقاكم .. سنظل نمنحها لكم ..

فلتشمخوا بروءوسكم ..

من فوق أجساد المبيد ..

أربابكم يتدمرون .. تحركوا .. لتقدموا القران

بأيها المتخاذلون تحركوا .. ولتخدعوا القطمان

ليسوقها الجزار .. حيث ينحرها في معبد الامجاد

فلتذبح القطمان ..

والمجد والألقاب ..

للمتريعين على الرقاب ..

وليكتب المجد أن الشعب مات ..

وأن يمار النصر أصبح من نصيب " اللات " ..

والعزى والثهم مناة ..

وأما " محمود الحوت " فيصعب جام غضبه على أمة صربية نامت مستكينة للذل

فلا تذكر شيئاً من أمجادها ولا تحاول أن تستعيد شيئاً منه ، وقادتها يقودنها كما

تقاد الاغنام ، ويحث هذه الشعوب على أن تستفيق من غفوتها وتطالب بحقوقها

وتختار لها قيادة كفوءة تقودها نحو القوة والوحدة والقدرة على مجابهة التحديات

التي تخطر مسيرتها ، أستمع اليه يقول (١) :

وبلى أمة نامت على ضمة

وما تنفس من أمجادها رقيق

من ما سر في تاريخ صولتها

فهل تمرد من قطعانها عنق

والموت من حولها يدنو وينطبق

* * *

(١) محمود الحوت - المهزلة الصربية - النشيد ٢٢ .

شبهتها بهلوك راج يفتك فى
ولم تزل فى صراخ الموت عارضة
الى مقى أنت يا شعبا يروح به
تخشى الألى حفروا الاجداث وانتظروا ..
عروقها اوها المستفحل الطلق
معطاء يصرخ فيها الفجر والشبق
زور ، ويفد وبه فى شرقه طسق
على المقابر أن يودى بك الفسرق

والشاعر " معين بسيسو " يخاطب شعبه " الميت الحى " ويلومه على
أستكانته وأستسلامه للأقدار الماتيه ، ويحثه على التجمع والانطلاق ليثور عملاقا
يحطم السلاسل والقيود ، ويتخلص من جلاديه والمتاجرين به ، وليأخذ من
شعب الصين العظيم عبرة ، فقد أنطلق بينى نفسه من جديد ويستعيد أمجاد
الفاخرة بأرادة من حديد وعزم لا يعرف التردد او التخاذل ، فمن قصيدة له بعنوان
" وقت الساعة " يقول (١) :

أيها الشعب أيها الميت الحى بأرض منها القبور تفر ..
هكذا تصنع النعوش لكى ترقد فيها وأنت يا شعب زهر
خالد المطر مقل بندى الفجر ، ولكن لا يطرد الجوع عطر
هكذا قدروك ميتا على الارض ، وأيامهم لشمسك قسبر
يضعفون السنين من عمرك النضر ويلقونها ، ومالك عمر
أنظر الصين ، كيف ثارت على الموت ، وفى الصين للملايين نصر
كيف هدت جدران معبدها الرحب ، وفيها الاصنام بيض وصفر
صرخات الصبيد فى أذنيها ، جمعت فالصبيد بحث ونشسر
وريباح تسوقها مثلما ساق الدهور البطاء فى الارض دهر

والشاعر " رجا ممرين " ينص على شعبه وأبناء أمته " الضائعين " سباتهم
وخطاتهم ، أستسلامهم لمخططات القادة والزعماء والمتحكمين ، فهم يرضون بالذلة
والهوان ، ويصدقون بأن معنى الصبر هو الامتسلام للذلة والهوان ، وأن الله
قد جعل نصيبهم الفقر والذلة ، وجعل العزة والملك والحكم

نصيب فئة خاصة ، والشاعر يطلب منهم الا يصدقوا ذلك وعليهم أن يستردوا
كرامتهم وأن يثبتوا وجودهم في هذه الحياة فمن قصيدة له بعنوان
" الضائعون " يقول (١) :

أفبقوا أفبقوا كفاكم سبات	الا أيها الضائعون العفانة
لنيل الحقوق وسحق الطفانة	أرى الأفق قد غمر بالنائرين
يسير أنى تريد الرعاية	وأنتم تخطون مثل القطيع
وأنتم صنعتم نعيم الحياة	أراكم رضيتم بعيش الكفاف
وأنتم أقمتم قصور السراة	أراكم تنامون فوق الستراب
وأنتم نسجتكم حرير البفانة	تواربكم بالبيات الثيباب
وأنتم عصرتكم خمور السقانة	تعلون ماء الشقاء المرير
بأن لكم ذاك بعد المبات	لقد ظللوكم وقالوا لكم
وأن الجنان لجمع العفانة	وأن الاله مع الصابرين
فريق ذليلا وأخرعات	وأن القضاء قصى أن يكسون

- ويقول من قصيدة أخرى بعنوان " عودة " (٢) :

قد صرت يا وطنى ملاذا للشريد وللطريد
وبنوك فى جوف الخيام بلا شعور كالعبيد
وكنوا لظلم الغاشمين وقد رضوا ذل القيود
وجنانك الفيحاء قد أمست مراحا لليمود

* * *

وطنى الجريح لقد رجعت اليك يحدوى الأمل
رؤيت فيك مأسيا تدمى لمرأها المقل
و العروبة خائفون وليس يعرفهم جليل
لا يخضون لما أصاب رباك من خطب جليل

(١) ربنا صبرين - الضائعون -

(٢) المصدر السابق نفسه .

أما الشاعر " مصطفى زيد الكيلاني " فيثور على العرب لضعفهم أمام العدو وعدم
صلاحتهم في القتال ، ويمجّب كيف يرضى العرب بالمجودية والاصفاد إذ أنهم
مرغوا كرامتهم في الوهل ، ولذلك " فيعرب " براً من أبوتهم ، و " محمد " عليه
الصلاة والسلام - برى منهم فقد " كان رابط الجأش أغلباً " ولا يعقل أن -
يكون هو لاء العرب المتخاذلون من نسل الاشواوس الابهة الذين عرضوا المالسم
وفتحوا البلدان شرقاً وغرباً أستمع اليه في قصيدة له بعنوان " من وحى النكبة " يقول (١) :

بنى العرب بالسيف في كلكم نيا ؟	فما أضيع الآمال فيكم وأخيها ؟
رضيتم بأصفاد العبيد فيالها	عبودية يرضى بها العرب مذها !
أيعرب يدري أن غدوتم أدلة ؟	لمعري لقد سودتم وجه يعربا
فلاتدعوا مينا أبوة يعرب	أعود برى أن يكون لكم أبا
بنى العرب قد برأت منكم محمدا	فما كان الاثابت الجأش أغلبا
فما أنتم نسل الابهة الالى بنوا	صروح المعالي الشم شرقا ومغربا
وما أنتم من طينة الامة التي	تري داعي الجلى بشيرا محبها

والشاعر " عيسى الناعوري " يصور ألمه الدفين وحسرتة اللادعة على " أرض
الابهة وموطن الشهداء " التي أصبحت طعينة الاحشاء وقد أذل أبناءها الاحرار
غدر الاخوة وقسوة الغرباء ، ويتحسر على السهول والربا والجبال بعد أن تغيرت
أحوالها ولبست ثوبا قاتما من الاسى والحزن والضياع وينعى على الزعماء والقادة
تخاذلهم وخيانتهم وتخليهم عن أرض القدا سات فريسة سهلة للمستعمر الفاشم
والصهيونية الشوها ، ويتساءل اين ذهبت جيوشنا العربية ؟ - ولم لم
تقاتل كما يكون القتال ؟ - ولم خرست المدافع وأنقط دوى الطائرات
بما يركب حقيقة الخيانه التي جلبت لنا كل هذه التماسة يقول
سيدة له بعنوان " نعمة " (٢) :

(١) مصطفى زيد الكيلاني - مجلة القلم الجديد - العدد الخامس يناير ١٩٥٣

(٢) عيسى الناعوري - ديوان أناشيدى ص ٦٠ .

أرض الابهة وموطن الشهداء
لهفى على الاحرار كيف اذ لهم
لهفى على البلد الحبيب وقد غدا
تلك السهول النائحات على السنى
وجباله الشام ذل جبينها
سلبتك حسنك يا شهيدة عصبية
خانوك أشنع ما تخون اذ لفة
كذ هو فكم جاهدت قبل وحيدة
شهدت لك الايام وأعترف المدا
أن الخيانة يا شهيدة قد نمت
أين الجيوش الزاحفات الى الوغى
أين المدافع لا يكل دويها
خرس الجميع فلا سلاح وأنما

أنى كفرت بأمتى فى يومها
أنى كفرت بشيبيها وشبابها
بروء وسها ورعاعها وسكل من
وبأمسها ذاك البعيد النائى
بنمائهلورجالها الجبناء
فيها من المعظما والدهماء

والشاعر " محمود نديم الأفغانى " يحس بالنيران تحرق أحشاه ، وكأن بركاننا
على وشك الانفجار فى أعماقه - فهو يعانى من الألم والضياح والغربة ، وطعنات
القدر وجهت اليه من أخوانه الذين كانوا يرجو عندهم العون والنصرة وأذا بهم
حرب عليه مع العدو فى قصيدة له بعنوان " أخى يا أيها اللاجئ " مثلنى "

(١) :

أخى فى القلب والاحشاء آلام ونيران
وفى جنى طعنات ٠٠ وفى الاعماق بركان
لمن أشكو لظى همى ٠٠ ومن أرجوهم خانوا

(١) محمود نديم الأفغانى - قصائد شعرية من كتاب الشعر العربى " الحديث " فى مأساة فلسطين - ص ٤٧٢ - للدكتور / كامل السوافيرى .

وأذا ما عدنا ثانية الى شاعرنا المهديع " أبي سلى " رأينا كيف يمثلج قلبه بالشوق واللهفة ، وكيف يستصرخ العرب لآخذ الثأر وأسترداد الوطن السليب ، وينعى على أبناء أمته أهتامهم بالشكليات وطرح اللباب ، ويولمه ما صارت اليه الحال من تحكم فئة طاغية باغية تهمل حقوق اوطانهم ومطالبات شعوبها ، وتلمب دورا ذليلا بحسب ما يخطط لها من الخارج وكأنها دى فى يد المستعمر يحركها أى شاء استمع اليه يقول (١) :

يا فلسطين ! كيف أهتف والقلب	ينادى ولا يلقى مجيبا
من يلى النداء يطلب ثأرا	ودما ضائعا وحقا سليبا
أملوا ! ! وهم إذا نسب العار	اليهم أى انتسابا معيبا
أرجل ! ! أين الرجولة لما	زحفوا يلثمون تلك الدروبا
أيها الناسجون آلام شبيب	كيف تجلونها رداء قشيبا
قل لمن يرفعون فى كل قطر	علما خافق الجناح عجيبا
عرب السيام يهدو ولكن	وراء السيام وجهها غريبا
حكوا بأسمه الشعوب وسادوا	فأضلوا بأسم الشعوب شعربا
ذهبوا النير والقيود وتاهوا	من تراه يحولنا التذهيبا
ثم عابوا على الشعوب سراهبا	وأستحوا الخطى فكانوا الميوبا
ودعوا بأسمنا فكنا الضحايا	وأرونا التشريد والتعذيبا
دول كالدى تشمل دورا	رسومه لها وفصلا مريبيا

والشاعر " محمد أحمد أبو غريبة " يصرخ مطالبا بالثأر ، حاشا الاحرار من أبناء أمته أن ينقدوا كرامة فلسطين وكرامة العرب التى ديمت من الذل والمهانة وينعى على أمته تواكلها فى الوقت الذى تسبقهم فيه الاعساد . علما بأن أمتنا هى التى أنجبت الفاتحين والمقاتلين الشجمان كيف تنام على الذل ونرضى الخسف ، فالموت خير من حياة مهينة
وليلة يقول من قصيدة له بعنوان " الثأر " (٢) :

(١) أبو سلى - المشرود - ص ١٣ من قصيدة التراب الخضب

(٢) محمد أحمد أبو غريبة - مراكب النضال - مطبعة الاعتصام / القاهرة ط أولى
ص ٢٧ سنة ١٩٦٨

من نبع عزم يمد النفس بالأمل
هذي فلسطين قد ضاعت سيادتها
هذي فلسطين قد تهرست كرامتها
قيم التواكل والاحداث تأخذكم
نحن الالى أنجبتنا أمه عرفنت
هالا نشدتم رفيع المجد في عمل
أهدى قصيدى الى الأحرار من دولى
فى وعد بلفور بالاجرام والخبيل
بالظلم والمكر عن نوم وعن خطيل
فى كل أمر عظيم الشأن كالأجل
بالضرب والطعن يوم الحادث انجلل
فالموت أكرم من عيش بلا أمل

أما الشاعر " محى الدين الحاج عيسى " فيملاً الأسى نفسه لان العدو يصول
ويجول بينما نقف خائفين مذعورين ، قصت أجنحتنا وترك جناحه ممدودا
لان السياسة التمساء ارادت لنا ذلك فكلت ارادتنا ، وأصبحت مصيبتنا فى
فلسطين أدهى وأمر من مصيبتنا فى الاندلس ، فقد مزقت فلسطين ، وأصبح
حظها عاثرا بعد أن تهاون الابناء فى الدفاع عن أرض الجدود والآباء
أستمع اليه يقول من قصيدة له بعنوان " النكبة الكبرى " (١) :

حسى أسى سيف العدو ومجرد
وجناحنا قد قص من أطرافه
شر أرادته السياسة فهو فى
أن لم تحبذ من الاصول غراسه
ماخطب أندلس ولا ويلاتها
هذي فلسطين الشهيدة مزقت
يا تربة الأجداد حظك عاثر
سلف كرام قد تداول ارشهم
فوق الروموس وسيفنا مغمود
مقاصرا وجناحه ممدود
أهوائها نار لها ووقود
ورث الشقاء عن الحفيد حفيد
أوهى فشر الحادثات تمود
من بعدها حزر الوريد حد يد
لم تغن عنك من الهلاء جود
خلف أضاعوه غداة ابيسود

والشاعر " عصام حماد " يجيب على تساؤل حبيبة التى تقول له عالم هجرت
اد بنب وسلوت الغزل ؟ وهل ذهل زهر الصباية فيك ؟ فيجيبها بأن حرقه فى
كده ، والدمع حائر فى مقلتيه ، وأنه قد فطم فواده عن الحب ، أن كيف
يد تسيع ذلك وأصحابه وأخوانه يتجرعون كوهوس الألم ، وكيف يفرح وهم محزونون ؟

(١) محى الدين الحاج عيسى - من فلسطين واليهما - الطبعة الاولى حاسب

وأنى له الفناء والنواج والنحيب يتردد من حوله ! وكيف يتسنى له أن يرقص
ويضحك وقومه في ماتم ؟ ولا بد له أن يشاركهم بمشاعره ووجدانه ، لنستمع إليه
يقول من قصيدة له بعنوان " غزل في الاغلال " :

تقوم غلام هجرت النسـيب	وفيما سلوت حديث الفـزل ؟
أجف معين الهوى الثرى في قلبك	البكر ؟ أم غاض نبع الأمل ؟
أصوح روضك قبل الاوان	وزهر الصباية فيه ذهل ؟
أجبت وفي كبدن حرقـة	وفي مقلتي دمة حائـرة
أحبك لكن فطميت الفـواد	حياء عن الفتنة الآسـرة
وكيف ترانى أهفو غرامنا	وأشرب من كأسك العاطـرة
وما في صحابى سوى ساغـيب	يلوك مصائبه القاهـرة
وآخر ظمان والماء عنـه	قضى وأطرافه قاصـرة
وكيف أطيق الغطاء الثقـيل	وأختى عن صدرها حاسـرة
أصدح بالأغبيات وأمـسى	تولول نائحـه هـادـرة
أرقص في ماتم الثاكتـلات	وأضحك في النكبة الغامـرة

و " فدوى طوقان " تستوحى " أمنية جارحة " من أحداث تاريخه حدثت
في حرب البسوس ، حيث وقعت الفتيات " النساء " في وجه فرسان بكر المتراجعين
يعفرنهم بالتراب ويصوخن في وجوههم وأجبرنهم على العودة الى القتال وتحقيق
النصر ، وكن يرددن هذه الالهزوجة . . أن تنهبوا نعائق ، ونفرش النمساوق
أو تدبروا نفاوق ، فراق غير دامت . . ويروى أن هند بنت عتبة كانت توددها
في حرب قريش مع الرسول الكريم . تقول فدوى طوقان في " أمنية جارحة (١) :

ما زلت في غـرف التخذ يـر
على سرر التخذ يـر نـيام
والمسام يـمر وراء المسام
وراء المسام . . . وراء المسام

(١) فدوى طوقان - على قمة الدنيا وحيدا - ص ٩٢ وما بعدها - ط دار الآداب

والارض بيد بنا والسقف
يهيل ركاما فوق ركام
والكذب يغطينا من قمة هامتنا
٠٠ حتى الاقصاد
يا اخوتنا قولوا حننا
أواه ٠٠ وآه ٠٠ يا فيتننا
آه ٠٠ لومليون محارب
٠٠ من أبطالك
فدقتهم ربح شرقية
فوق الصحراء العربية
لفرشت ٠٠ نمارق
ووهبتم مليون ولود قحطانية
عفوا يا أهل البيوت
جارحة هذ الأمانة
لكننا لم يبق لدينا
منكم ٠٠ الأمانة الصوت
ضمنا الاشياء الأصلية
ولقد أعيننا يا أهابنا
رش السكر فوق الصوت

نعى العدالة في المنظمة الدولية :

حين تكونت هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ كانت معظم بلدان العالم تعيش مكبلية بقيود الاستعمار والتبعية لاسيما اقطار آسيا و أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وكانت الدول التي أشرفت على أنشائها هي دول الاستعمارية في معظمها ، وهي التي خرجت منتصرة على دول المحور في الحرب الكونية الثانية ، وتترجم تلك الدول " أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) ومعه بريطانيا ذات التاريخ الاسود في استعمار الشعوب في كل مكان وفرنسا التي بسطت نفوذها وفرضت استعمارها وأستبدادها على كثير من شعوب العالم ، وقد عانينا في عالمنا المرسى خلال القرن الماضي والقرن الحالي من ظلم هاتين الدولتين الكثير " .

أما الصين فكانت تسير في ركاب دول الغرب الثلاث المذكورة ، وأما الاتحاد السوفيتي فقد خرج من الحرب العالمية الثانية مخننا بالجراح فقد فقد عشرين مليوناً من أبنائه وأصيب بدمار مروع ، ورأى لزاماً عليه أن يبدأ في بناء نفسه من جديد .

تلك هي الدول الخمس التي أشرفت على انشاء الامم المتحدة ، وأصبحت تدعى بالدول المظلمى التي لها حق " الفيتو " النقض في مجلس الامن ، أما أغلبية الدول الاعضاء في الامم المتحدة فقد كانت دولاً تابعة للدول الغربية الثلاثة في معظمها . فأذا علمنا أن بريطانيا هي التي أصدرت وعد بلفور في الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وأن فرنسا شريكها في الحربين العالميتين " الاولى والثانية " وأنهما قد وقعتا اتفاقية " سايكس - بيكو " التي حددت كيفية اقتسام المنطقه العربية في الشرق الاوسط أثر هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى . وأن الولايات المتحدة هي التي نتج من ورائهما في الحربين العالميتين " الاولى والثانية " وأن ذلك قد تم بحفظ من الصهيونية العالمية التي تملك فيها رصيدها هائل من النفوذ السياسى والاقتصادى ، تبين لنا كيف يمكن أن يكون موقف هيئة الامم في ذلك الوقت .

ونقول في ذلك الوقت لان موقفها في هذه الايام جد مختلف بعد ان دخلتها الشعوب التي كانت مضطهدة في " آسيا وأفريقيا " . فالمغرب وحدهم يملكون فيها ما يزيد عن عشرين صوتا . ومن هنا كان قرار التقسيم الجائر بضغط من هذه القوى كلها ليحمل لليهود حقا في فلسطين زورا وبهتانا ، لانه استأجر من العرب حقهم في أرضهم ووطنهم - ومن هنا كان رفض العرب له واصرارهم العنيد في مقاومته والتصدي له بكل السبل والوسائل ، وقد تحدثنا طويلا عن كفاحهم فيما سبق " في الباب الاول " واذنا رجعتنا الى الورا رأينا كيف وعد " بلفور " اليهود بأقامة وطن قومي في فلسطين سنة ١٩١٧ وقبل ان يستولى عليها الانجليز من العثمانيين ، فأباحوا لانفسهم ان يمسوا وطننا لا يملكونه لاناس لا يستحقونه " لقد اعطى من لا يملك وطننا لمن لا يستحق " وقد تحدثنا عن ذلك أيضا بأسباب في الباب التاريخي " الباب الاول " وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الدول الاستعمارية كانت وما زالت تكيد للعرب وللمسلمين وتعمل جاهدة على اضعافهم وتفتيت قوتهم طمعا في بسط نفوذها على بلادهم واستثمار مواردها والهيمنة على مقدراتها . وأن - المنظمة العالمية - هيئة الامم وما أنبثق عنها من " مجلس الامن / مجلس الوصاية / وكالة الاغاثة و . . .

أما تسير حسب ما تراه تلك الدول وما تخطط له بما يخدم أهدافها المرسومة ولقد فطن أكثر العرب الى هذه الحقائق ، وأشاروا اليها في أحاديثهم وخطبهم كما تناولها الشعراء في قصائدهم ، كي تفتح شعوبهم الاعين على ما يراد لهم ، وليأخذوا الحيطة والحذر ، كما قام هؤلاء الشعراء والادباء والكتاب بالمهجوم على موقف هذه المؤسسات المناهية لأمانينا الوطنية ، ومما لثمة للصهيونية الخبيثة ، وشجبوا قراراتها ، وطالبوا باهمالها وتجاوزها ، والاعتماد على النفس ، والاستعداد للبذل والتضحية فبالدماة تحرر الاوطان ، وبالتضحيات نكتسب ادم صلابتها ، وتحقق كرامتها ، وتفرض هيبتها ، والتاريخ يوكد هذه القاعدة في كل زمان ومكان ، ولم ولن تتمكن هيئة الامم من تحرير وطننا - او إعادة شعب طرد من أرضه - فان قراراتها - حتى في أحسن الاحوال -

ليمت الا ذات تأشير أدبى ، وليس لها صفة الالزام ، ومجلس الامن الذى يزعمون عنه انه قادر على كذا ، وكذا ، اثبت أكثر من مرة عجزه عن تنفيذ قراراته ، والدليل على ذلك ان اسرائيل قد ضرت بالمشرك من قراراته وبالمئات من قرارات الامم المتحدة عرض الحائط .

فهل أن للمرب - كل المرب - ان يعوا هذه الحقيقة ؟ ليصرفوا على ضئها ويمسروا فى خط واضح مستقيم - بعيدا عن المتهاتك والدروب المتوية القى سريحا ما يقمون فى حبالها ولا يستطيعون الفكك منها .

وها نحن الآن نقدم بعض النماذج التى تصور لنا مواقف هيئة الامم تجاة قضيتنا حيث تجاهلت حقوقنا المشروعة ، وقد سبقها لذلك اللورد آرثر بلפור فى وعده المشئوم فأضاء لها الضوء الاخضر - كما يقولون - لتنتلق بقراراتها تثبت وضع اليهود فى فلسطين وتخلق لهم كيانا مصطنعا " بفضل " جهود أمريكا وبريطانيا وفرنسا ومن ملك طريقها فى الظلم والحقد والاستعمار .

وهكذا نرى أن هيئة الامم كانت دمية فى يد دول الاستعمار الثالث " أمريكا وبريطانيا وفرنسا " ولا عجب اذا حين نسمع شاعرا من أبناء فلسطين يحذر زعماء العرب من الانقياد لهذه الدول التى اثبتت بما لا يدع مجالا للشك أنها تبذل المستحيل فى سبيل وجود " إسرائيل " وتقويتها ومدتها بكل أسباب القوة والبقاء ، وهو يذكرهم بأن هذه الدول قدرتنا بكيدها الذى عم أنحاء الكرة الارضية ، فان جرائمها قد عمت معظم شعوب الارض ، من قصيدة له بعنوان " الى زعماء العرب " يقول محمد المدنانى (١) :

يذرى الطوا اصفرها طهرينا
كلا الشعبين داء المسلمينا
كوالدة قد احتضنت بنينا
الى السكسون تأبى أن تهوننا
الى وصف يزيد العارفيننا

رمانا الانكليز بنا بئسك
وليس الامركان اقل شرا
قد احتضنا بنى صهيون حبا
وكل مصيبة فى الارض تنمى
ولن تحتاج ثلاثة الاثافسى

(١) محمد المدنانى - اللهيبي - ص ١٣٩ .

ففى الطغيان قد باتت فرنسا
فلا تلقوا الزمام الى اكف
وحسبكم من الماضى غفلات
كناها ضج منه القارئوننا
ملوثة بما لا تجهلوننا
تحذركم من المتأمريننا

أما الشاعر " على هاشم رشيد " فيتساءل فى دهشة عن موقف المستمرين من دول أوروبا وأمريكا تجاه شرقنا العربى ، وهل تريد الخير له كما تزعم ، وكيف يتأتى ذلك وقد وقت بكل ثقلها ضد قضيتنا فى فلسطين ، وزرعت جسما غريبا شادا فى قلب الوطن العربى يورق حياته ويفتت قواه ، ويحول دون وحدته وتقدمه ، فضلا عن تشريد مئات الالوف من ابناء العرب كى تفسح المجال أمام هجرة شرادم اليهود الى فلسطين ، كما أثبت التاريخ أن هذه الدول قد ركبت سفينة الاستعمار قرصانا يجوب البحار ويفزوا الشواطىء والتخوم ومن ثم فليس هناك من عاقل يلقى بوعدهم أو يصدق معهم كلامهم يقول فى قصيدة له بعنوان " شعوب تنتحر " (١) :

أصبح يهفون للشرق خيرا
أبطلوا عادة الرقيق وكل
أنسينا أحلافهم حين قامت
أنسينا منح السلاح وخذلا
من ترى شردها الالوف وضحى
جون هول " للفناء " توارى
أى عذر لما قل حين يرمى
أى عذر للمصر حين يسمى

أى خير وكلهم تجار ؟
عندما بيع شعبنا سمسار
فى ربوع الاسلام للكفر دار
إذا عانوا رهط اليهود وجاروا
بفلسطين والحروب تدار ؟
أفيحيمه سيفنا البتار ؟
نفسه للفناء والارض نار
لفناء ؟ فأن ذاك دمبار

أما " هارون هاشم رشيد " فيحث أخاه المرهسى على النهوض والعمل الجاد
 المشمر والتكاتف ضد الطغاة المستبدين ، وهذا الأسلوب وحده هو الكفيل
 بحل قضيتنا التي نامت في أرفف هيئة الامم المتحدة التي لم تعمل على حلها
 نتيجة للدسائس والمراوغات التي يتقنها لليهود وأنصارهم ، ومن ثم فإن الطريق
 الوحيد هو أن يتعاون الجميع جنبها الى جنب حتى يحققوا ما تصبروا اليه نفوسهم
 المتعطشة للحق والعمل الذي يفرض عودتهم الى وطنهم السليب يقول من
 قصيدة بعنوان " يا صاحبي " (١) :

فأحمل أخى عبء المعالا	وأنهض الى عمل وكعد
فأنا وأنت على الطفافة	على القوى المستبعد
سنحل نحن قضية	بليت على أخذ ورد
ندع السياسة وأنطلق	نحو التجند وأستعد
وأترك خرافة مجلس	لأمن في حل وعقد
أوهيئة الامم السنتى	أجتمعت على أثم وحقد
من كل دجال يراوغ ظالما	أو كل وغعد
أنا على عهد وعدا	فلنستعد لخير وععد
فإذا تعبت أشد زعدك	أو تعبت تشد زعدى
وأصون عهدك فى دمى	يا صاحبي وتصون عهدى

و " محى الدين الحاج عيسى " يؤكد أن مجلس الامن ومحاضره وقرارات
 الامم المتحدة لم تفعل شيئا طوال السنين العديدة سوى أنها زادت مآسينا ،
 وبلغت عصابة اليهود " إسرائيل " أوج استهتارها حين أحرقت المسجد
 الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين دون أن تعبا بأحتجاج
 العرب أو بأستنكار المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وينادى الشاعر قومه
 راء ستعدان للكفاح حتى تحرق الارض تحت أقدام هؤلاء الخزاة ، أما
 الاستسلام للبكاء والنحيب وذرف الدموع فهذا امر لا يجدى فتيلا ، أستمع اليه
 يقول من قصيدة بعنوان " الدموع لا تجدى " (٢) :

(١) هارون هاشم رشيد - مع الغرباء - ص ٧٩

(٢) محى الدين الحاج عيسى - من فلسطين واليهما - ص ١٢٨

يا باكيا في ربوع القدس يبكيننا
لا يرجع الدمع شيئا ضاع من وطن
أنسال الحق ممن بات يهضمه
أم نأمل الخير من عادين قد شحنا
لذبحنا من وريد العنق سكيننا ؟
لا مجلس الأمن تجدنا محاضره
عشرون عاما قرارات وليس لها
حتى تمدت على الأقصى تدمره
ما نفعل الآن هل نبقى على كمد
أم نلهب الأرض تحت الخصم تحرقه
حرقا فيحصبها شارت براكيننا

والشاعر " أبو سلى " يعترز بمرورته وما سجلته عبر التاريخ من قيم ومثل كانت
نبراسا أضاء للامم الأخرى طريق الخلاص ، ويؤكد أن الشعوب لابد من
أن تحطم قيودها رغم كيد المستعمرين والمراوغين ، ويشير إلى أزد واجيية
هولاء المستعمرين الذين يجعلون للحريية والظلم أكثر من تفسير ومعنى بحسب
هواهم وجريسا وراء مصالحهم ، ثم يهاجم موقف دول الاستعمار التي تتلاعب
بحقوق الشعوب من خلال اللجان المتعاقبة والنشرات التي تعمل على تمييز الأمور ،
فيقول من قصيدة له بعنوان " وطني " (١) :

يتهادنى التاريخ أثر خطانا
قم تأمل تر الشعوب يجرون
بينهم عصبة الأرقام تسمى
حربوا الظلم بينهم وأستراحوا
ثم قالوا بيع العبيد حرام
كل يومين لجنة فكتساب
أن فوق الشفاه جمرا فدعها
غدنا عالم الشعوب وأنا

والمروءات حولنا تترنم
قيودا من الحديد الشأم
كلما غاب أرقم لاح أرقم
ولدينا يحلمون المحييم
أن بيع الاحرار أنكى وأظلم
لا نرى فيه غير ظلم منظم
اليوم وأسمع قلوبنا تتكلم
في طريق التحرير جيش عرمرم

أما الشاعر * حسن خليل حسين * فهو جده * ويصحب جام نخسه على بلفور *
* اللثيم الماكر * الذي كان سبها في كل هذا الهلاك الذي ينزل بشعبه * حيث
قدم وعده المشثوم في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين الحبيبة * وهو أكد
الشاعر له أن شعبه سيبقى صادقا صمود الجبال في عزم لا يلين * حتى يحقق الشار
لشهادته الأبرار ويحقق الحياة الحرة الكريمة على أرض وطنه المفدى يتزل من قصيدة
له بعنوان * في ذكرى الضياع * وعد بلفور المشثوم * (١) :

قولوا له .. قولوا لبلفور .. اللثيم الماكر
قولوا له .. يا صاحب الاعد الحقير الجائر
يا من أقمت عصاة الهنسى الحقود .. ألقا جسر
يا منسى الطقيان في البلد الجميل الطاهر
أنا منبقي صامدين صمود شعب قبادر
لاهد نجيا في ثبات في كفاح ظافر
لاهد نثار للشهيد الحر .. عبد القبادر
منثور من أجل الحياة مع الصباح الساحر
سنعود يا بلفور كالسيل العظيم الهادر
لنعيد حقا بعته ظلما .. لخصم غسادر

والشاعر * محمود الحوت * يدرك خطورة الحربه التي يتبارى فيها
الشرق والغرب وقد أهملنا مصير أمثنا * فيلمن * السلام * الذي يعني
الاستسلام في عرفهم ويحث شعبه على الموت * بل يرحب بهذا الموت
لأن فيه أنقاذنا لنا من الذلة والهوان * ويقرر أن لا قيمة للسلام ولا معنى
للأمن مادام العدو في أرضه وهو مهد عنها * والحرب هي أشرف
سرى للأمن والسلام الحقيقيين * فهو يقول (٢) في قصيدته
المهزلة الشريفة * :

(١) حسن خليل حسين - شجرة الزيتون والمتسلقون - ص ٢٥

(٢) محمود الحوت - ملاحم عربية - دار الكتب بيروت سنة ١٩٥٨ - النشيد
الاخير من * المهزلة الصربية *

لا كان غرب ولا شرق ونحن على
ولا أمتب سلام لا ، ولا نجحمت
هي رباح الردى فالموت أفضل من
والحرب أشرف من سلم لمن قلموا
ما السلم ما الامن والاعداء في وطني ؟
كف الردى وهو يلهو بعض لعبته
له مساع نجارى سير خجلته
حياة شحب أدلوه برمتيه
وأستأصلوا جذره من مسك ترتبه
أنا طريد وهم سكان جنته

وفي النشيدين " الخامس عشر والسادس عشر " من (المهزلة العربية) يصور لنا الشاعر ما حدث للوسيط الدولي " الكونت برنادوت " الذي اعتقد في بادئ الامر أنه سينجح في وساطته ويقر سلاما في فلسطين ، لكن اليهود أزاحوه من طريقهم وتخلصوا منه بجرمة مكشوفة فكرا ، ولم تستطع الامم المتحدة ولا مجلس الامن أن يفدلا شيئا أو يفرضوا عقابا ما على القتل المجرمين ، وقد خيل للمغرب السذج أنهما لن يقفا مكوفي الايدي ، وأنهما سيفرضان العقاب الصارم على عصابات اليهود ، ولكنهم عرفوا في آخر المطاف أنهم كانوا جد واهيين ، وأنهم بعد لم يتقنوا أساليب الخداع والمكر ، والشاعر بحث أمته كي تستفيق لتستطيع أن تميز بين الصديق والعدو ، ويمرر موقف بريطانيا المجوز التي أسهمت بقسط وانفر في خلق إسرائيل ودعمها سياسيا وماديا وعسكريا يقبول محمود الحوت (١) :

وهل سمعت برنادوت متشيبا
شيخ وأن قيل قد طابت ظواهـره
رمت به في فعم الجلسى منظمة
ومجلس الامن في باريس قد رقصت
ما سزق المجرمون الكونت بل نحروا
المضادات الثكالى أنها هـدن
الكترام بنو قوى فقد عبـدوا
قفوا : وقفنا في ولو لم الخمس ما هجمت
له ضواير ولا نامت كواسـره
بخمرة السلم والدنيا تناصـره ؟
فحن لا ندري ما ضمت سرائـره
رعنا ، فاستلم القربان ناصـره
على جريمته الكبرى دوائـره
ومزقوا أما كانت تظاهـره
ما راقبت خرقها الا عساكـره
ما قال في المجلس الممسوخ أمره

(١) محمود الحوت - المصدر السابق - النشيدان ١٦٤١٥ من المهزلة العربية

والسذج الهسطاء القلب قد حسبوا
وأن باريس والدنيا بأجمعها
العال ! أم حنته الاصوات يكسبها
أم فضلة من بقايا قوة هرمست
أم لفتة ويحهم حمرا ، قد صهروا
ولست أدري أنبقى أمة فنصت
ثوبوا الى رشدكم يا عرب واحتكموا
أن القيامة قامت عندما صرعا
ستضرب الضربة الكبرى ، فما منعا ؟
من حارب الحق محموم الهوى جشعا ؟
ولم تنزل تتقن التكتيك والخدعا ؟
فيها الذي ضمروا والكبت والطمعا ؟
بالقول سلما ، ويبقى الشرق منخدعا
الى الحديد ، وخوضوا الموت والمهلما

والشاعر " رجا سميرين " يصور الظروف التي ضاعت فيها فلسطين تلك الظروف التي خلقها الظلم وتحكمت فيها الالهواء ، فأنتصرم القوى فيها الضعيف فكان دستورهم هو قانون القاب الذي يعتمد على السلب والنهب ، ويضيق فيه الحق أمام وحشية القوة وأستبدادها ، ومع ذلك يصرخ ذلك القوى المستبد بأعلى صوته معلنا أنه يستهدف العدل والانصاف في كل تصرفاته ، أستمع اليه يقول في قصيدة بعنوان " الى ولدى نزار " (١) :

ولدى أتيت وصل عالمنا مظالم لا تعد
تتحكم الالهواء في أبنائه ويسود حقد
وتقودهم نحو الدمار مطامع ليست تحدد
متورهم سلب وأرهاب وتقتيل وقيد
يطغى القوى على الضعيف ويدهي الاخلاص وغد
ويظل يصرخ بالعدالة وهو وحش مستبد

أما سميح القاسم - وهو من شعراء الارض المحتلة فيصرخ معلنا أن كل الاقنعة التي كان ارتدتها تتحمار يتخفي وراءها سقطت بعد نكبة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأن مجلس الامم الذي أصبح لعبة في أيدي الدول الكبرى قد أصبح مشلولاً عاجزاً عن كل شيء اللهم مهارة خطوات إسرائيل في التوسع والتخريب والتدمير ، ومن هنا فهو يعرض قضية وطنه التي مضى عليها عشرون عاماً دون أن تحل على هذا المجلس ،

(١) رجا سميرين - الضائعون .

وهو واثق أنه أعجز من أن يجد لها حلا ، وينمى على هذا المجلس تخاذل
وموقفه الذي يتسم باللامبالاة أمام ما يجري من أحداث هامة ضد المشرق
في فلسطين والأرض العربية المجاورة . يقول الشاعر من قصيدة (١) له عنوانها
" سقطت جميع الأقمعة " :

سقطت جميع الأقمعة
سقطت فأما رايتي تهقسي
وكأسى المترعة
أوجنتي والنزوعنة
وروايتي يا مجلس الأمن الموقر
أصبحت عشرين فصلا
يا مجلس الأمن الموقر
أصبحت عشرين ليلا
عشرين زهرة برتقال
ذهبت على دوار قرنتنا المهينة
عشرين زهرة برتقال
جاءت طوال الليل أرصفة المدينة
عشرين قافلة حزينة
خرجت مطأطأة الجبهات
للشرق - أذكر - للجنوب وللشمال
خرجت تفتش عن الله
عشرين زهرة برتقال
ذهبت هناك بلا قتال

(١) سميح القاسم - سقوط الأقمعة - دار الآداب بيروت ص ١٨ / ١٩

والشاعر " محمد المدنانى " ينمى على أمته أن تلجأ للشكوى وتحتكم
الى هيئة الامم التى عطمت وباركت روع " دولة اسرائيل " فى قلب الوطن
المرىء ، وبموجب كيف نشكو الى خصمنا ٠٠٤ وكيف ننتظر المدل من
أمثال هذه المؤسسات يقول من قصيدة له بعنوان " خليل السكاكيني " (١) :

ألفنا إذ أجتاح اليهود حدودنا	ليوث شرى ، أن لا ننام على الألم
ونرسل برقياتنا ووفودنا	لتجار بالشكوى الى هيئة الامم
الى هيئة لولا صفاقة وجههم	لكان اليهود اليوم لحما على وضم
أيشكو الى الام الوحيد أخونهمسى	بلا من شرور الام سيلا من النقم
وأعظم ما يستدرج الهيم صاعقنا	شكاية عصفور اساه الى الرخيم
فما المجد الا للقوى مجندلا	أعاديه فى معرك يورر العدم

ويبلغ السخط بالشاعر مداه ويفقد ثقته فى عدالة هذه الهيئة التى أثبتت
فى كل قراراتها تحيزا الى جانب الاستعمار والصهيونية ، فيحث الدول
المرية على الانسحاب من هذه المؤسسة تعبيرا عن احتجاجهم وحفظا لكرامتهم
ويصف هذه الدول بالجبن والتخاذل فيقول (٢) :

يا رعاديذ يا غغغغغ	غادروا هيئة الامم
كيف تخشون ويحككم	زمرة باغت لظم
وغدا الحق عندهم	باطلا جد مهتم
أن من أضرم الوغى	نازل الموت وأقحم
ورأى الجسد والملا	فى ظلال الردى الاصم

وفى ذكرى وعد بلفور يتذكر الشاعر " محمد احمد أبو غريبه " ما جره هذا
الوعد من مأساة على شعب فلسطين ، فقد كان بابا للشر جلب لذلك الشعب
الذي قد اعتبرته الدول الاستعمارية سندا قانونيا يحق لها ان تعتمد عليه ،
كما أجبرت الامم المتحدة ان تنزله هذه المنزلة ، وهكذا نستطيع القول : أن -
وعد بلفور قد مهد الطريق لكل المصائب التى تعاقبت على فلسطين وشعبها

(١) محمد المدنانى - فجر المرورية - المكتبة المصرية - صيدا ص ٤٦/٤٧

(٢) " " - اللهب - المكتبة المصرية - صيدا ص ١٠٢

لنستمع الى الشاعر يقول (١) :

ذكرى الجريمة فى الديار على المــــدى
طعنا تهاوى الشهب أضحت موقدا
بلغور بشمس الاسم أنك ظالمــــم
وظليمة الأشرار من وكر المــــدا
فأذا الجريمة فى حمانا أظلمــــت
بكوارث عمت ومن غدر بــــدا
فيها المكيدة والخيانة واللظــــى
والارض ضجت من شياطين الردى
بالجرم والتدمير شرد شعبنا
وجراح شمعى للربوع لها ندى
فأذا المظالم قدست وتعاظمــــت
ومهادى الانسان قد أضحت سدى
وأذا الكرام تشتتوا فوق الســــرى
فى الارض فى البطحاء قد ضلوا الهدى
مليون زلزل أنهم وديارهم
والغرب للصهيون قد أعلى الصدى

والشاعرة " فدوى طوقان " تضرع الى الله فى عيد الميلاد أن ينقذ
القدس من بلاء الاحتلال ، فلبست أثواب الحداد ولم تدق الاجراس فيها
منذ ألفى عام ، والعالم المسيحى " دول الغرب " الذى يناصـر
أسرائيل ويدعمها يقف موقف المتفرج تجاه محنة المدينة المقدسة
فلم يرفح فى محتنها شمعة ولم يذرف من أجل مأساتها دمعة ،
فأنطلق العدو الصهيونى يدنس طهر مدينة السلام ، من قصيدة
لها بعنوان " الى السيد المسيح فى عيدهِ " تقول (٢) :

(١) محمد أحمد أبوغربية - مواكب النضال - مطبعة الاعتصام ص ٢٤
(٢) فدوى طوقان - الليل والفرسان - دار الآداب ص ٣٢ وما بعدها .

يا سيد ء يا مجد الأكيوان
في عيدك تطلب هذا الممام
أفراج القسسندس
صمت في عيدك ياسيد كل الأجراس
من الفى عام لم تصممت
في عيدك الا هذا الممام
فقباب الأجراس حداد
وسواد ملتف بسواد

* *

القدس على درب الآلام
تجلد تحت صليب المحننة
تنزف تحت يد الجلاله
والمالم قلب منفلسق
دون الأساساة
هذا اللا مكترث الجامد يا سيد
أنفأت فيه عين الشمس فضل
لم يرفع فى المحننه شمسة
لم يذرف حتى دمهسة
تفسل فى القدم من الاحزان
قتل الكرامون الوارث يا سيد - وأغصبوا الكرم

وخطاة المالم ريش فيهم طير
الاشمم
وأنطلق يدنس ظهر القسسندس
بطانيا طموا بمقتسه حتى الشيطان

* *

يا سيد مجد القسسندس
من بئر الاحزان ء من الهوة ء
من قاع الليل

يرتفع اليك انين القسسندس
رحماك أجز يا سيد عنها هذى الكأس

الفصل الثاني

تشوق للديار وأمل في المستقبل

الحنين للوطن بوجه عام

سبق أن ذكرنا أن الانسان قد فطر على التعلق بوطنه لاسباب عديدة ولذلك فهو حين يفترب عنه يشعر بحنين جارف اليه ، وتشوق نفسه الى العودة الى الأماكن التي نشأ فيها وتعرض فوق ربهها ، فإن كان أعتابه قسريا ونزوحه قد فرضته ظروف قهرية كما هي الحال لدى أبناء الشعب الفلسطيني ، فإن شوقه للعودة وحنينه للوطن يتضاعف ، حيث يستجيب الحب بالاحساس بالخطر " خطر ضياع الوطن " وما يترتب على ذلك من ضياع الفرد والأسرة والمجتمع ، وفقد الاستقرار والأمن والكرامة ، وهذا ما حدث لأبناء الشعب الفلسطيني إذ شردوا في آفاق مختلفة وظروف صعبة جعلت حياتهم بعيدة عن الأمن والاستقرار والكرامة فمانوا من ذل الفرية ومهانة التمزق ، وشعروا بأنهم حين أتمدوا عن وطنهم إنما فارقوا حياتهم ، وأصبح وجودهم مهتزا في كل مجالات الحياة ولولا تراثهم الديني والقوي لا ندرت كل القيم لديهم ، الا أن الله قد رآف بهم فأعانهم بالصبر على هذا الهلاك ومنحهم القدرة على التماسك أمام تحديات رهبة .

لهذا نجد هؤلاء المشردين يتوجهون بمشاعرهم وأحاسيسهم وبكل عواطفهم وتفكيرهم الى وطنهم السليب - يتذكرون أيامهم الحلوة فيه وديارهم العزيزة التي عاشوا فيها سعداء ويتخيلون سهولهم وحدائقهم التي خلفوها وراءهم فتضطرم نار الشرر بين جوانحهم ، ويتسمر الحنين الجارف الى الوطن الحبيب وكل ذرة تراب فيه ، ومهما حاول الشعراء وغير الشعراء أن يصوروا ما في نفوسهم من شوق وحنين فأنهم لن يتمكنوا من الاحاطة بتلك المشاعر الجياشة التي كثيرا ما تمجز الكلمات عن أحوالها ، وعرضها الا أنها في الوقت نفسه قادرة على التعبير عنها ولو بصورة جزئية .

وبما أن الشعر الذي قيل في الحنين كان شاملا ومتممدا للجوانب فأتينا
نحسب أن نقله حسب أماكنه وأغراضه فهناك الحنين الى المقدسات والاماكن
التاريخية * كالمسجد الأقصى والمخرة المشرفة وكنيسة القيامة وبيت لحم *
وحطين وعين جالوت * * وغيرها * وهناك الحنين الى المدن التي تعلقت بها
القلوب والاشدة مثل * يافا وحيفا والقدس وغزة ونابلس والرملة * * وغيرها *
وهناك الحنين الجارف الى القرى وسهولها الخصبة وكرومها وبياراتها وحقولها
ومراعيها ، ولذلك نرى من الأفضل ان ننظم ذلك كلا على حدة للوضوح
والبيان رغم ما بين الجميع من ترابط لا ينفصم *

(-)

- الحنين الى المقدسات والاماكن التاريخية :

ها هو الشاعر * أبو سلى * يصور حال شعبه على ضفتى الازدن الذي
تخضب بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأصبح الشعب العربي هناك عاجزا
عن حماية حدود العرب لعدم وجود الدعم والمساندة ، وكان سيوف * أجنادين
قد أعمدت ويهيب بهفداد التي حررت * عمورية * بقيادة الخليفة
* المعتصم * أن تهب لنجدة بيت المقدس الذي يستصرخ العرب
والمسلمين ويوضح أن ضياع القدس يعني ضياع المدن العربية الاخرى ،
وتهديدا لامنها ووجودها ، من قصيدة له بعنوان * مأساة شمسى *
يقول (١) :

لما ترد القدس دامية الخطا	تمشى على التاريخ بالأصفاد
ألفيت - أنى سرت - كل مدينة	عربية حطت على الاعواد
والشعب فى واد يهيم مشردا	والحاكمون وحكمهم فى وادى

(١) أبو سلى - من فلسطين ريشتى - دار الآداب ص ٧٧ وما بعدها .

لم ألق في الساج المهادى خصرة
مأساة شعبي جئت أحطمها وما
بالليل مفضحا رأية جبهة
مالي مسحت الدمع قبل الملتقى
بغداد يأأم المدائن هل أرى ..
أو لست من أطلقت كل سحابة
أو لست من حررت " عمورية "
أو ما سمعت من " البراز " نشيجه
ورأيت في الاسواق بيع مهادى
في الركب يا بغداد غير فوادى .
عربية لم تتشح بسواد
فرايت في عينيك دمعى مهادى
من أفقك الداجى ، الشماع المهادى
عادت لنا ، عربية الايـراد ؟
لما تعالت صرخة أستنجاد ؟
والمسجد الاقصى " الحزين ينادى ؟

- وللشاعر أيضا من قصيدة بعنوان " من فلسطين ريشتى " (١) :

ريشتى فى يدى . ومن " جبل النار "
لظاها فالخرف أحمر قانى
ريشتى فى مدادها الدم والدمع
وراء السطور ، يمتزجان
ريشتى فى حفيفها جهشة " الاقصى "
على أهله ونسوح الأذان
" دير ياسين " فى الشبابة مع " القطل "
خلف السواد يمتنقان

فالشاعر يصور لنا أن مداد ريشته من لظى " جبل النار " الذى أكتسب
هذه التسمية لكثرة المعارك التى جرت فوق قمته وعلى سفوحه ، كما أن ريشته
تسكب الدمع والدم مما حدث على أرض فلسطين الطاهرة ، وفى ريشته
حزن الاقصى الذى يبكى لفراق أهله العرب المسلمين ، و " دير ياسين "
ابنة التى نهج اليهود أهلها ، و " القطل " التى أستشهد فيها
بشهداء راسينى - يمتنقان خلف الاسى وسواد الحداد والحزن .

(١) المصدر السابق نفسه - ص ٣٦ وما بعدها .

والشعر الفلسطيني يندب المساجد والكنائس التي عطلت بعد أن دنسها اليهود وأبعدوا العرب من مسلمين ومسيحين عنها فالرحاب خالية ، والآذان سكوت وأنقطع وأصحت الدار غير الدار ، وهذه مصيبة أنزلها القوى الخاشع في ضعيف ليس له من ذنب الاضعفه ، أما المسجد الاقصى " وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فقد لفه الحزن القاتم ينتظر يوم الخلاص على أيدي العرب الذين يضحون في سبيل أسترجاع مجد العروبة ، ونور الشاعر يحث الانسان العربي كي يخلع ثوب الضعف والمذلة ويقف أمام عدوه متحديا في عزم وثبات ، كي يمكنه من أن يسترد أمجاده ، ويزيل وصمة العار التي لحقت به .

فهذا الشاعر " محي الدين الحاج عيسى " يقول من قصيده له بعنوان " بعد خمس سنوات " (١) :

أين المساجد والكنائس ؟ عطلت	رحباتها من مؤمن ومصداق
سكت الآذان فدر بعينك باكيها	تلك الرباع وخل نومك وأشهبق
لدارنا الممدود وأرف ظلمها	دار ولا أن جئت بابك ينطق
رزق دهاك به القوي وغدوره	أن الضعيف غنيمه للاسهبق
يا بن العروبة والعروبة لطخت	أمجادها بمزيف ولفسق
أن الحياة كما رأيت نعيمها	أبدا لمن يمسي الحمام ويستقي
فالمسجد الاقصى على أحزانها	متطلع يرئولصبح مشرق
مفلت يصفى لرنه هاتسقف	مجد العروبة في عجاج الفيلق

وينتهز " هارون هاشم رشيد " حلول ذكرى المولد النبوي الشريف فيصعد زفات حزين لان بلاده " فلسطين " قد أصبحت مسرحا للهلاك ، ومات فيها البشر من غير وخيم عليها الشقاء ، والتماسة ، وأي شقاء أنكى من وقوعها في براثن القتل والغاشم الذي لا يعرف الا ولادمة ؟ فجنى على أهلها وشرد شعبها ؟ نعيم أصبحوا فريسة للمصائب والارزاء ، فاستقبلوا العيد بالدموع والاسى لما هم فيه ؟ أما القدس فترسف في المذلة والهوان ، وتفضى في ذلة وحيا . - يقول هارون هاشم رشيد من قصيدة له بعنوان " المولد النبوي " (٢) :

-
- (١) محي الدين الحاج عيسى - من فلسطين واليهما - ع ٦٣ وما بعدها .
(٢) هارون هاشم رشيد - مع الغرباء - ع ١٣١ وما بعدها .

يا نبي السلام هذى يـلادى
مات فيها الصداح ، والبشر لى
وأستبد القوى يـوجل فى الاثـم
واليتاى قوى وصحبى وأهلـى
والحيارى المشردون على الارض ..
يتلقون يوم ميلادك الحلو
بدموع الحنين والوجد والشوق
أين غابت وكيف لم تشرق اليوم
كيف والقدر مسح الذيل بكما
ترسل الطرف نحو يافا وحيفا
ترسل الطرف نحو تلك الروابى

مسرح للهلا أثر الهلا
تحت أهداف شقوة لا كـاء
ويهبوى بمهبط الاسـراء
مزقوا فى العواصف المهوجاء
ألوف فى قبضة الارزاء ..
بفيض من الأسى والبكاء
لصوت المآذن البيضاء
بهنج مهلل للسماء
وتفضى فى ذلة وحياء
وبقايا المدائن الفيحاء
لا أذان ولا بصيص رجاء

أما " محمد المدناني " فيوجه نداءه الى العرب جميعا فى مختلف اقطارهم
قائل لهم :

" أن فلسطين هى قلب الوطن العربى وهى بيت القصيد ، ولهذا فقد
حظيت بأهتمام العرب كافة ، وهم جميعا على أستعداد لافتدائها بالمهج والأرواح ،
وفلسطين هذه حباها الله فضلا عظيما حين شرفها بجعلها معراج الرسول الاعظم
صلى الله عليه وسلم الى السماء ، كما جعلها أولى القبلتين وبارك ارضها فجعلها
أرض القداسة والديانات ، ولهذا فإن الله لن يتخلى عنها وسيهبى لها من
ينصرها ويخلصها من محتتها بعد أن طال بلاؤها ، والفجر لا يأتى الا من خلال
الظلام ، أستمع اليه يقول (١) :

أيها العرب ما الشام ومصـر
والحـاز الشقيق واليمن الخضراء
تاهـ البـنان غير قصيد
هى لو لم تكن لهن فيـوادا
أما الجسم بالجنان خفوقا

وسواد العراق خلف البيد
فى مطمئنها والنجمود
وفلسطين بيت ذاك القصيد
ما أفتدوها بطارف وتليد
لا بشريانه ، ولا بالوريد

* * *

عرف الله قدرها فجاهها
ورأينا المعراج معجز طه
قلبة المسلمين ماكت أولى
فأصبرى للخطوب فالنصرأت
لتقرى بجيش يعرب عينها
لهم تحلو الاصحاح فى العين مالم

بالرسول العظيم يوم الصمود
من حماها الى حصى المعبود
قلبيهم ألا أمر شيد
بجيوش تدججت بالحد يد
بعد أن رقوق بالتسميد
يرزأ الكون بالدياجى السود

وللشاعر صيحة من الاعماق يستهلهم بها تاريخ المسلمين الحافل بالبطولات
والمعارك المجيدة التى حققت لهم النصر وبرهنت على شجاعتهم ورباطة
جاشهم أستمع اليه يقول (١) :

ملو التاريخ عما قد فعلنا
سحقنا الشرك فيها دون لسين
اذ اشتدت كفاة العرب مادت
وحسبهم الرسول أخوا جلاله
فيممن فى جفاحيه أقتامنا
ويوفل أروما فى القلب حتى
فان محمدا يسقى العناينا

وقد دارت رحي " بدر " طحونا
ومزقنا صفوف الكافريننا
جحافل خصمهم هلمأ وهوننا
يفض الجحفل اللجب الحروننا
ومن لم يقض خلفه طعيننا
يفر كاته مضمعننا
فيشرها الاعادى مرغيننا

بنى قوس أعهدوا عهد بسدر
فوجدتكم تقوس كل بنى
وكونوا - أن تفوهتم - لساننا
وقلبنا واحدا أن نأب شر

وكونوا كالصفا مما سكيننا
وتجلى عنكم الداء الديننا
يقول الحق وضاحا مييننا
نهدم به مستبيليننا

الشاعر " يوسف الخطيب " يتحسر على الزمن الذى مضى حيث سطر
عروب أروع صفحات البطولية تحدى بهم هم شماء لا تعرف الكلل ولا تقف دون
لهم الصواب ، وفى طليعة هؤلاء الأبطال الميامين عقبه بن نافع الذى أندفع
كالاعصار من مكة فى جزيرة العرب حتى بلغ بجواده ميا ، المحيط الاطلسى ،

(١) المصدر نفسه ص ٧٠ وما بعدها

فقاد الجيوش وخاض المارك وفتح البلدان بأيمان لا يقهر وعزيمة أشد
مضاء من السيف ، فأنى لنا بقائد من هذا الطراز ؟ ليرفع عنا ما نعانیه من
مذلة وهوان في عصرنا الحديث أستمع اليه يقول (١) :

يا حامل الشعلة عن مكة	هل أطفأتها بحور الظلام ؟
جوادك الصاهل لا ينثنى	يشتل في البحر غصن السلام
وخلفك التاريخ قد أمحط	أيامه وأعتراه القسام
لوعدت أرض الله أنكرتها	أنكرت حتى وجوه الأنعام
اللات في مكة مستوحش	والقدس هاجر عنها اليمام
أيامنا " عقبة " مقرورة	خليتها في الدجى ألف عام
يا غازيا في الأفق بحر الدجى	هل أثلثت إلينا اللجام

وأما الشاعر " محمود الحوت " فيعتبر أن تهويد فلسطين وتشريد شعبها
مؤامرة على المسجد الأقصى ، وتشويه لكل القيم الانسانية في هذا البلد ، ويوضح
أن توجيه دفعة المارك والتلاعب فيها إنما كان مؤامرة دبرها الاستعمار وأستخدم
للأسف - أدوات عربية " الزعماء العرب " نفذت أهدافه وغدرت بأمانى أمتهما
القومية ، وتآمرت على الجندي العربي وتاجرت في كرامته وسمعته ؟ - حيث أصبح
الجيش العربي مكبلا بأوامر قادته ، وفريسة للسلاح الفاسد الذي سلحوه
به ، كما أتاح لليهود أن يستولوا على معظم أرض فلسطين ، لقد تم لهم احتلالها
الآن ، فضلا عن أجزاء شاسعة من البلاد العربية المجاورة بعد نكبة يونيو سنة ١٩٦٧
وهكذا تهون أرض الجدود وموطن القداسات في سبيل أطماع فردية تافهة ،
يقول (٢) محمود الحوت في النشيد ١٤ من " المهزلة العربية " :

دا كنت الأعلى الاقصى مؤامرة	حقيرة حاكها تفكير رعد يمد
ودار فيما صنمها غاية لوءمت	موحى اليه وموح بعد تمهيد
فسيرا من شباب العرب خيرتهم	الى وغي واعتراك غير محمود
وكلما أقتحم الميدان بأسهم	وأوغلوا أوقفاهم في المواعيد

* * *

(١) يوسف الخطيب - واحة الجحيم - دار الطليعة بيروت ص ١٠٩ وما بعدها .
(٢) محمود الحوت - المهزلة العربية - النشيد ١٤

فكيف بالجيش والخيالات ترهقه
مكبلا بين مرتسوين رائدهم
خلوا النفوس أما يكفي استلابهم
أرض الجدود الالى هانت مراقدهم
نرى به فى لظى شعواء مقصود ؟
سفك الدماء وتمزيق الصناديد
أرض الفطارنة الغلابة الصيد ؟
فى موطن قدسى الترب معبود

و " على هاشم رشيد " يصرخ فى أمته حاشا أياها على تقدير الموقف
الخطير الذى نحن فيه ، ويذكرنا إ بأنه عيب وعار أن نقف مكتوفى الأيدى
أمام الكوارث والمصائب التى يلحقها به وبمقدساتنا المدو والذخيل ، ويظهر
الشاعر سخطه ويعلن أساه لما حل بالمسجد الأقصى ويتساءل : أين أين الاسلام
وأين قومه ؟ .. ما بالهم لا يحركون ساكنا ؟ .. ما بالهم يلزمون السميت ؟ ..
فى تخاذل أزاء ما يحدث ؟ .. فلقد غابت الصلاة عن الأقصى وقاب الصيام
عن ربي القدس ، وليس أمام العرب والمسلمين الا الجهاد فى سبيل الله
والوطن إ ليكون الرسول الكريم قدوة لنا بالفعل ، والا نكتفى بالقول الذى
لا يجدى إ فلا يردع عدوا ولا يعيد حقا اغتصب إ .. أستمع اليه
يقول (١) من قصيدة بعنوان " صيحة الاسلام " :

أنه الخطب يا صحابى جسيم
أنه سبة الزمان وهيب
حين نرضى الحياة والخصم باق
ويداس الاقصى فترتجف الجدران
أين . أين الاسلام ؟ هل أين قوى ؟
يا رجال الاسلام غابت صلاة
غاب عن مسجد الاله سجود
نجهل ا كما تشاء الممالى
نقتدى بالرسول فعلا وعزما
هذه شرعة الاله جهاد
ليس تجدى فى رده الأعدار
ماروت مثل شوءه الاخبار
فى ربانا وتحتويه الديار
نحسبى وترعد الاحجار
فلقد دنس الحى الفجار
عن ربي القدس ثم غاب الصيام
وجفاء يا قوم ذاك القيام
وأنطلاقا يزول منه الظلام
ليس يجدى يا قوم فى ذاك الكلام
يرتضيه لدى المعالى الكرام

(١) على هاشم رشيد - انطوفان - المطبعة الفنية الحديثة / القاهرة من ٦٨
وما بعدها .

وله أيضا من قصيدة بعنوان " رسالة الى فدائى " يقول (١) :

يا عيد كيف تمر عن ساحاتنا ؟	في القدس صباحا قائما وأصيلا
كيف المآذن هل تضاء كشأنها ؟	وهل المساجد تشهد الترتيلا
والماكبون تعبدا وتهجدا	هل رددوا التكبير والتهليللا ؟
الصمت ران على المآ بعد ما	كانت بنورك تلبس الاكليلا
لا تأسى يا وطنى فصحة شعبنا	قهرت حقوق أحاسد وغذولا
ولسوف نضى للوفى بجموعنا	تترى فنشقى فى الكفاح غليلا
فيعود من فوق المنائر معلنا	صوت المؤذن للعدو وحيلا
ويرتل القرآن فى جنباتنا	ويعود بيت ألهمنا مأهولا
ونعود نزرع أرضنا ونحوطها	بسلحنا من بعد جيل جيلا
طابت رياضك بهجة لقلوبنا	طابت جناتك ملجأ ومقيلا
طابت جبالك روضة فواحة	طابت سهولك مرتعا وحقيلا
سنسير يا وطنى بجيش قاهر	ضم الرجال شبيبة وكهولا
ويكون رهط المائدين مظفرا	ويعود رهط المعتدين فلولا
اذ ذاك يا وطنى ستلقى ليلنا	صباحا وترضى زحفنا المقبولا

وهكذا لرى الشاعر يتساءل عن مرور العيد على ساحاتنا التى يلفها الاسى
يفمرها القتام ، ويتساءل عن حال المآذن والمساجد التى أهد عنها أهلوها
ويقدم العزاء لهذا الوطن الجريح مؤملا ان يصحر هذا الشعب فيحقق
المودة الى أرضه عن طريق الوفى والكفاح ، فيرتل القرآن الكريم وتعمير
المساجد بالمصلين وتزجج الارض التى تتلظى شوقا الى أصحابها الحقيقيين ،
ويدعّر لوطنه بالسقيا وطيب رياضه وجنانه ، ويستكشف بحدس الشاعر
أن وطنه سينصر فى النهاية ليعود أبناء شعب ظافرين ، ويجرر العدو أذينا
السلة والزم زمامة ، وبذلك يتحول ظلام حياته صباحا يشرق فيه نور الامـ
الدرية .

(١) على هاشم رشيد - المصدر السابق نفسه ص ١٣٧ وما بعدها .

والشاعر " محمد ابو غريبة " يصور الحال التي آلت اليها القدس وكل الأماكن المقدسة في فلسطين من مساجد وكنائس ، ومقام سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فقد دنسها العدو المحتل ، وأمتن قداستها وعجز أصحابها والمؤمنون بها عن زيارتها والتبرك بها ، ومن هنا فهو يحث العرب الاماجد ان يهبوا لاستعادة امجادهم ومقدساتهم ، وأن يسترجعوا مكائنتهم حين كانوا سادة العالم ، ويذكرهم بقادتهم الاماجد مثل " خالد بن الوليد ، طارق بن زياد " وصلاح الدين الايوبي ، كما يستعرض سيرة المعمار الخالدة في حطين واليرموك وفتح الاندلس وغير ذلك ، أستمع اليه يقول (١) من قصيدة له بعنوان " عيد التضحية والفداء " :

تشكو الهوان ونكسة الحرمان
يشكو ويجأر من لظى العدو وان
بجرائم الاشرار والشيطان
أضحت كأعمدة بدون لسان
صمت الوجوه لقسوة السجان
بيد العدو وشعلة الاضفان
بقنايل النابالم والنيران
نسل الاسود ومصنع الفرسان
في ساحة اليرموك في الكهبان
دك المعازل في ذرى الاركان
في الحرب في حطين بالبرهان
من غزوة الاطماع والصلبان
والدين يبرأ من شرور الجانى

واليوم أضحت قد سنا وربوعنا
ومقام ابراهيم فخر خليلنا
ومساجد وكنائس قد دنسنا
وأذا المآذن كمت أفواهنا
وغدت نواقيس الكنائس تنكسنا
فقد السلام نشيده في صوتنا
طعنوا السلام بخسة ونسنا
هبوا بنى العرب الاشاوس أننا
سل خالد يعطيك كل مفاخر
سل طارقا في زحفه وحروبنا
وكذا صلاح الدين زغرد نصننا
سحق الاعادي ثم طهر أرضنا
ونذرعوا بالدين يخفى جرحنا

* * *

(١) محمد أبو غريبة - مواكب النضال - ص ١٠٢ وما بعدها .

و " حسن خليل حسين " يقارن بين ضياع الاندلس في القرون الوسطى
بضياع فلسطين في العصر الحديث ، ويلاحظ اننا قد اكتفينا - في الحالين -
بالمويل والهكاه ، وظللنا نضع الاحزان ونجتر التمنيكات ، ونحن الآن نهكس
الاقصى والطور والجولان ، ونتعلق بأذيال الوهم ، نركن الى الاتكالية
وتمتعنا على حدود معجزة في عصر أنتهت فيه المعجزات ، وحين نفشل
- ولا بد أن نفشل - مادنا تسلك هذا النهج - فأنا نفتش عن كبش
فداء نحمله مسئولية تقصيرنا وتهاوننا ، وهو يدق ناقوس الخطر محذرا
أمتة من الانجراف وراء الوهم ، والاستسلام للكسل والخصول . أستمع
اليه يقول من قصيدة بعنوان " غرناطة " والاقصى ، والكبش الآخر " (١) :

بالأمس بكينا غرناطة والحمراء . . .
وظللنا نضع تلك الأحزان . . .
حتى ضاعت ارض فلسطين وسينا مع الجولان
فمسينا غرناطة والاندلس الخضراء . . .
وأخذنا نهكي الاقصى مسرى الرسل الاطهار
والطور الراهض فسي سينا . . .
وتالل جولان الشمام . . .
ومسينا نتفنى بهساط الريح . . .
حيث سيحطننا عند الفجر الى الارض المسلوقة
حتى نشبع مجدا وعروبة . . .
فأذا بهساط الريح . . .
يصبح العروبة . . .
وأذا بالأمم الباسم . . .
يصبح أكذوبة . . .
ويضييع الاقصى . . .
وتضييع الجولان . . .

* * *

ويضيع الطور الرابع في سينا ..
ونظلم طوال العمر نوح الدمع المندرار
ونسب الأعداء الأشرار ..
حتى يأتي يوم آخر ..
نبكى فيه كبشا آخر ..
ولمنا ندري ..
... من هو ذاك الكبش الآخر ؟
* * *

(٢)

- بكاء المدن والحنين اليها :

أن السنح عن فلسطين ومدنها قد حفر أخاديد من الاسى في نفس
الانسان الفلسطيني ، ولم تكن المأساة مأساة الانسان بقدر ما هي مأساة الارض
والوطن حيث تفسير كل شىء فيهما : " المعالم والسكان " فأصبحت
الطبيعة مكهجرة بعد أن كانت مرحة ، وخيم عليها الخوف والقلق والاضطراب
والتصارع المرير بعد أن كانت أرض المحبة وسعد السلام .

ولهذا فإن المدن والقرى في أشعار الشعراء ليست مجرد أسماء أو بقاع ، وليست
مواطن للذكريات انما هي شخص حية تشعر بفرقتها بعد الفراق الطويل ، وكأنها
أم تنته عن أولادها فهي تحن اليهم وتنتظر أوتهم بفارغ الصبر ، ولا غرابة
في أن يستجيب هؤلاء الابناء لهذه العاطفة الصادقة النبيلة فيكون هذه الاماكن
ويحنون الى العودة اليها ، ولكن بكاءهم لم يكن بكاء العطف والاستجداء وإنما
بكاء الشوق واللهفة والاصرار على العودة مهما عظمت التضحيات .

هذا هو الشاعر " معين بسيسو " من قصيدة له بعنوان " المدينة المحاصرة " يقول (١) :

البحر يحكى للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالشحاذ يطرق بالدموع وبالأنين
أبواب غزة وهي مفلقة على الشعب الحزين
فيحرك الاحياء ناموا فوق أنقاض السنين
وكانهم قبر تدق عليه أيدى النابشين

* * *

ويخاطب الفجر المدينة وهي حيرى لا تجيب
قدامها البحر الاجاج وطورها الرمل الجديب
وعلى جوانبها تدب خطى العدو والمستريب
ماذا يقول الفجر : هل فتحت للى الوطن الدروب ؟
فسودع الصحراء حين نعود للوادي الخصيب
هذى هي الحساء غزة في ماتمها تسدور
ما بين جوعى في الخيام وبين عطشى في القبور
ومعذب يقتات من دمه ويمتصر الجذور
صور من الازلال فاعضنبا أيها الشعب الاسير
فسياطهم كتبت مصائرنا على تلك الظهور

وللشاعر " محمود الحوت " حين جارف ولوعة لاذعة على مدينته العزيزة
يافا ، يتحسر على أيامه الماضية التي قضاهها بين ربوعها ، وينعى على
الحرب تخليهم عنها وتسليمهم أياها للعدويدا بيد ، ويصور أساة
لبيعد عنها ويشكو آلامه المبرحة لفقدتها يقول في النشيد - ٢٦ - من المهزلة
المرربة (٢) :

(١) معين بسيسو - المعركة - دار الفن الحديث سنة ١٩٥٢

(٢) محمود الحوت - المهزلة المرربة - النشيد ٢٦ .

يافا لقد جف دمي فانتحيت دما
أمسى وأصبح والذكرى مجددة
كيف الشقيقات؟ وأشوقى لخاص مدنا
ما حالها اليوم يا يافا وهل نعمت
وكيف من قد تبقى في مراهبها
ما بال قلبى اذا ما سرت من بلد
مهما استقام له من عيشة رغد
تعبت لكنى ما زلت في تعبي

مقى أراك؟ وهل فى العمر من أمى؟
محمولة فى طوايا النفس للابد
كأنها قطع من جنة الخلد
من بعد أن سلمت أمسايدا بيدي
وقد تركناه فيها ترك ملتحد؟
يصيح من وجده فى الصدر والبدى
وجدته هازئا بالعيشة الرغد
أشكو الى الله لا أشكو الى أحد

وشاعرنا " أبو سلى " يزور مدينة " غزة " ويسير فى دروبها ، ويهيب عليه
النسيم من ربانا المختلة حاملا الاريج من الرملة ، وعكا وغيرها من مدن
فلسطين السليبة التى تتوق الى التحرير وعودة اصحابها اليها ظافريسن ،
وتنظر تلك المودة بفارغ الصبر يقول من قصيدة له بعنوان " الاحرف الحمر " (١)

كلما سرت فى دروبك يا غزة
فالنسيم الذى يهيب علينا
حاملا من مروج عكا والرمل
وحدثنا دما ونا فى الميادين
داميات الحدود من خلل الـ
ومتى يهزج التراب على وقع
ومتى تهبط النجوم على السفح
ومتى تنشد الجبال اغانيها

غنى شمعى معى والطيبور
من ربانا هفت اليه المطور
ة طيبها تفار منه الخمور
وماضى دام لنا ومصير
دمع تنادى متى يكون الصبور ؟
خطى أهلنا ومعلو النفسور
وتأوى الى درانا البـدور
فتصفى الى الاغاني الدهور ؟

ولا يكاد شوقه الى مدن فلسطين وراها يفتر فأليها يتوجه بأمله وذواطره
ومر فلسطين يغمس ريشته - وبيانه ينبثق من هواها ، من شذا البرتقال
فى يافا ومن قطاع غزة والشاطى تصطبغ الاحرف وارداها ، وحين
تنسب " نابلس " وتخضل عينها بالدمع لا يعرف النوم ومن ماء الاردن الحبيب

(١) أبو سلى - من فلسطين ريشتى - ص ٢٩ وما بعدها .

بروبها - أستمع اليه يقول (١) :

من فلسطين ريشتي وبياني
من فلسطين ريشتي ومن الرمل
من شذ ابرتقال يافا قوافيها
أحرفي من قطاع غزة والشاطي
يوم غابت نابلس مخضلة العينين
من فلسطين ريشتي وجناحها
ومن الاردن الحبيب أروبيها
ومن الضفة الحزينة، لا أنشر
فعلى الخلد والهوى يدرجان
ة واللد صفت حمر الافاني
ومن سهل طولكرم المعاني
تمشى مصبرغمة الاردان
لم تخفض لنا عينان
الى عالم الجوى الضفتان
لتدى شجيرة الاحمان
الافوق الدنى أشجاني

و " هارون هاشم رشيد " الذي بكى مدينته " غزة " كثيرا والذي يحس
بالضياع حين يغيب عن مفناها ، لم ينس مدن فلسطين الاخرى التي لها فسى
القلب مكانة وأية مكانة (ومن هذه المدن التي لا يمكن أن تغيب عن
الخاطر والتي ستبقى في قلوب العرب جميعا درة متوهجة تتطلع اليها
النفوس مدينة " حيفا " التي تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط
حيث يقبل أقدامها صباح مساء ، وجوارها الكرمل المعطار ، فجمعت بذلك
بين روعة البحر والجميل ، يتذكرها الشعراء فيتذكرونها على أيدي
اليهود الطفافة حين زحفوا عليها جيوشا جرارة ، ووقف أبناءها يداغمسون
عنها عزلا الا من سلاح الحق والايمان ، ولحكمة - يعلمها الله -
ينتصر الباطل بهطش وسلاحه - ولوالى حين - مما يثير لواعج الاسى
في نفس الشاعر المرهف - فيقول من (٢) قصيدة له بعنوان " حيفا " :

حيفا الحبيبة هل لامسك رجمة
أين المبالس فيك يجمع شملها
حيفا عروس خواطرى ومشاعرى
وهل الشباب يعود وهو شباب ؟
حلو الحديث ومرقم وكتاب ؟
مألى عليك من الزمان عتاب

* * *

(١) المصدر السابق نفسه - ص ٣٦/٣٧

(٢) هارون هاشم رشيد - مع الخرباء - ص ١١٠/١١١ .

أنا لست بالهاكي ولكن من أسى
صهوا عليك من اللهب قد انفا
زحفوا عليك جحافل جـرارة
قد نعت للميدان كل محارب
وصرخت في طلب السلاح لفتية
يتدافعون الى المنون بلهفة
والطائرات على ذراك مفيرة
جالت دموع وأشتك أهـداب
من أفكهم وخذاعهم تنساب
تمشى اليها وكلها اعجاب
بل كل من شهوا لديك وشاهوا
لهوا بخير سلاح وأجابهوا
والموت ظنير فأنتك أو نساب
والاثم والتدبير والارهاب

وبعد أن يصور خداع الانجليز وغدرهم ، ويوجه حقه على الغرب المستعمر
الذى تأمر على فلسطين ووقف بجانب الصهيونية يشد أزرها ويتعاون
مع أذنايه الرجعيين الذين انتشروا في بلاد العرب ، وابعوا ضمايرهم
للسيطان بثمن بخس "دراهم معدودة" يعود ثانية الى "حيفا"
مدينة الاحرار يثير في جوانبها الحسرة على أهلها الذين غابوا عنها
تناديهم فلا تجد جوابا ومضيغ صوتها سدى ، ثم يسألها في أسى دام :
هل بعد هذا الغياب من أيا ب ؟ فيقول :

أمدينة الاحرار نوحى وأندبني
فالأهل عنك وعن رحابك غابوا
تعالىين وفي ذراك تحسـر
وعلى ربك تأثر وعذاب
أين اللى أتخذوا الجبال معاقلا
في ثورة ذلت لها الاحقـاب
أين اللى ومضيغ صوتك دون ما
يهنذى على ثغر الزمان جـواب
باللـ يا حيفا .. وقد فارقتنا
بالله هل بعد الغياب أيا ب ؟

وأما شاعرنا " محمد المدناني " فتلذعه الذكرى الممزوجة بالألم وقد مضى على هجرته عشر سنوات بعد يدا عن فلسطين ، فيحس أن مهجته تنزف بالدم على ذكرى المدن العزيزة الغالية " كالفد من ويافا وحيفا وعكنا وما حوته من مقدسات عزيزة طاهرة " كالمسجد الأقصى ومهد السيد المسيح ومساجده وكنائس هنا وهناك " ، ويضاعف من الحنين الممضى ما يحيط بها من مساتين ونزوح وشمس وأصبح الشاعر وشعبه يحسدا عنها محروما منها فيقول (١) :

تخطبها مهجتي مضمومة بدمي	ذكرى فلسطين أسفار من الألم
على الثرى نافعاً طيباً على الحرم	ذكرى ، تمنقها الأكباد معولة
بكل ذي رحم أو غير ذي رحم	على مراتعنا في " القدس " عامرة
الله أكبر في عز وقي شمم	على المآذن في الأقصى مرددة
الى مواشاة الياس لممتصم	على النواقيس في مهد المسيح دعت
بالنور يشتهره نيسانها بقمم	على مساتين " يافا " وهي حالبة
ظلاله فوقها بهسوطه النشم	على شواطئها والخلد قد نشرت
مثل الحنائم فوق اليمم ، لا اليمم	على قواربها عند الفروب جبرت
والبحر من حولها يخضو على القدم	على الأبية " حيفا " وهي رابضة
زهو الكواكباني يسم من الظلم	على خليج " لمكا " فيه كم سبحت

و " يوسف الخطيب " يناجي مدينة الحبيبة " يافا " عروس المتوسط
ويؤكد لها أنه لم يخب عنها ، فهي في خاطره رؤيا ويتمنى أن يلقاها حتى فسى
الجنة ويمبر عن حسرتة لفراقها وأنتظاره اللانع كي يعود إليها ، وأن كان
الذين عقد عليهم العزم من الأدلاء لم يحققوا له أمله ، ومع ذلك فهو مرتبط
بها ارتباط الأهن بأمه ، ثم يسألها عن كيفية لقاءه بها والعودة إليها
فيقول (٢) :

(١) محمد المدناني - فجر العروبة - المكتبة المصرية - صيدا - ص ٥٢ وما بعدها .
(٢) يوسف الخطيب - واحة الحجيم - دار الطليعة ص ١٧ / ١٨ .

هل يشق البئال عن قرميدك السوردي
يا ياقا ، وفي آية دنيا ٠٠٤
أن تغيب عنك فكى تلفاك - حستى
فى رسى الجنة - أيدانا وروءيا ٠٠
نحن يا ياقا ارتقاب الصبح ، لا أجفاننا
تسهو ، ولا نلمح شيئا ٠٠
وقذفنا فى يد الدرب الألاء ٠٠
فلم ترجع لنا الآفاق أيتنا
أم ترانا شهمت أقدامنا العرجاء
عن قنديلك الراصد نأيتنا
لم نزل ، يا أم ، نستهدى لك الأبواب
أدمننا بهوت الناس سميئنا
كيف نأيتك ، ومن أين ؟ ٠٠
تمهبط فى دجى الفريسة وحيئنا ٠٠

والشاعر " معين بسيسو " الذى يستخدم الرمز فى قصيدته " ياقا فى بطن الحوت " تومى كلماتها الى أن الانسان الغربى المعاصر قد أنطلق وعظم قيوده وأغلاله " فالنسر من تاهوته العجبرى بالمصباح طار " والتهاكى على فلسطين وحررتها من قبل الزعامات العربية اصبح لعبة مكشوفة " كقصان عثمان السنى بليت على الايدى " مما جعل قضية فلسطين لغزا محيرا وعقدة متشابكة " ياقا بطن الحوت - مازالت يجوب بها البحار - الحوت تاه " ومع هذا فإن الزعامات العربية المهترئة لم تجد الشموب انواعية الشجاعة التى تردها وتعمى ضعفها وتخادلها " من ذا يعلق فى رقاب هذى الذئاب أجراسا " يلاحظ أنه أكثر من التلميحات والاقتراس ، وأن كان قد سلك فى ذلك الرمز الذى يساعد على كشف الطريق - لنستمع اليه وهو يقول فى قصيدته - ياقا فى بطن الحوت - (١) :

(١) ...

النسر من تاهوته العجبرى
بالمصباح طار ..
بجناحه شق الجدار
سمّ ولوله لوهة بكأسك
أيها الأعمى حذار ..
ودم ومجززة بلا قمر
تسير بلا حجاب ..
قصان عثمان التي بليت على الأيدي
ومصحفه المخبب بالدماء
في كل مسارية قميى خافق
وفم على هوق سمار
يافا ببطن الحوت مازالت
يجوب بها البحار ..
الحوت تاه ..
من ذا يدل الحوت ياطفلى
ويطويه المهباب ؟ ..
من ذا يعلق في رقاب
هذى الذئاب السود ..
أجراسا ،
يطمخ فى الايباب

و " محى الدين الحاج عيسى " لا ينسى ما ألم بمدن بلاده العزيزة وكيف
أرو عمها الحد والفاسم وصب عليها حممه فشرذ أهلها ودك معالمها
وسرى شورها ومانيها ، وألبسها ثوب البؤس والدمار ، ولم ينسى الشاعر
.. فى الوقت نفسه - أن يتحدث عن بطولة هذه المدن ، وكيف قاومت المحنة
قدمت التضحيات تلو التضحيات التى سجلت فى صفحات التاريخ بمسداه
من دم سيظل شاهدا على عظمتها و بطولتها ، يقول من قصيدته " النكبة الكبرى (١)

(١) محى الدين الحاج عيسى - من فلسطين واليهما ص ٥٣ وما بعدها .

" عيفا " ولا أدري يروعك يومهم
أم يوم " غنا " الأسود المنكود ؟
" يافا " والعدو يدكهم
أم يوم " سلمة " والمنايا سود ؟
أم " رمة " السيد الكرام أمينة
هتكت ولم يحفظ عمامهم صيد
" بلد المسيح " تدنست حرمانه
والسلم في أرجائه مفقود
" صغد " وقد عانيت هول مصابهم
صرعت وفارقها الحماسة السيد
ذادواوكم ذاق الصدور
مرا وجهسك بالليوث تـذود

والشاعرة المهذبة " فدوى طوقان " تصور حال مدينتها " ناهلس " يوم وقوعها في قبضة الاحتلال الصهيوني في يونيو سنة ١٩٦٧ ، حيث نهبت الخيانة وأختنقت المدينة ، وأختفى الأطفال " رمز الفرح والطمأنينة " وضيم البهيم الكتيب ، وسيطر الحزن الأسود الرهيب بعد أن شعرت المدينة وأهلها بهوطة الهزيمة المريرة وقد تم ذلك في موعد الحصاد وبنى الفلال وانثمار فيالهما من ثمار تلك التي جناها المهزومون (تقول في قصيدتهم
" مدينتي الحزينة " (١) :

يوم رأينا الموت والخيانة
تراجع المسد ..
وأغلقت نوافذ السماء
وأمسكت أفئاسها المدينة
يوم أندحار الحج ، يوم أسلمت

* * *

(١) فدوى طوقان - الليل والفرسان في دار الاداب ص ٥ وما بعدها .

بشاعة القيمان للضياء وجهها
ترقىد الرجيا ..
وأختقت بفصحة الهـيـلا
مدينتي الحزينة ..

* * *

أختفت الأطفال والأغانى
لا ظل لا صدى ..
والحزن فى مدينتي يدب عارىها
فخصب الخطى ..
والصمت فى مدينتي ..
الصمت كالجهال راها
كالليل غامض - الصمت قابع - محمل
هوطأة الموت والمهزيمة
أواه يا مدينتي الصامته الحزينة
أهكذا فى موسم القطاف
تعتري الفلال والثمار
أواه يا نهاية المطاف)

والشاعر " على هاشم رشيد " يتمنى العودة الى الديار السليبية
مع شعب المشرق ويحس أن بعض الزعماء العرب قد أعطوا قضية
بلاده اهتماما عظيما وعلى رأس هؤلاء الرئيس الراحل / جمال عبدالناصر
ويتوقع الشاعر أن خطة مدرسة ستتخذ لاعادة الحق الى نصابه
تتمد على القوة العسكرية والسياسية معا ، وبذلك يستطيع العودة
الى مدينته الجميلة " كالمطلة واللد ويافا وحيفا " ليلتقى من جديد
مع أبناء شعبه الذين شردتهم المأساة ونشرتهم فى آفاق الارض -
المختلفة ويناجى بلاده فى شوق يصل دربة القداسة ، ولا غرابية
فى ذلك فإن حب الوطن من الايمان يقول (١) على هاشم رشيد :

(١) على هاشم رشيد - اغاني العودة - ص ١٩٨ / ١٩٩ .

مرحى جمال لقد خططت اليوم درب العمودة
مرحى جمال لقد ضمت اليوم زعرورىتى
مرحى ففى العمود الكريم سنا يهون كرامتى
أذ نلتقى فى موطنى فى اللد أو فى الرملة
ويشيط يافا يسمد الاحباب بعد الضرسية
والكرمل الميطار يسموان يقبل رايتى
وترف آمالى الكبار على هزيم الوثنية
فأقولها ويقولها فى كل قعر أخوتسى

؛ * ؛

" أنا عائد أنا عائد أنا سيد فى موطنى "

؛ * ؛

حيفا فديتك يوم لقيانا لقد أضغى قريها
فجمال شق لعمدة النزاج أحرارا أدروبا
أو ما سمعت نداءه اذ نارها كنا غصوبا
ونسوف تلقينا نقبل فى ذرات ثرى عبيها
ونحميد فى أرض المروسة موطننا أمسى سلبها
وتتم وعدتنا فلا نهق بموطننا غريبها
أنا عزنا فالقلوب تصانح اليوم القلوبها
حيفا نداءات القداء سرى شمالا وجنوبا

؛ * ؛

" أنا عائد ، أنا عائد .. أنا سيد فى موطنى "

؛ * ؛

أما فى قصيدته " درب الاياب " فنراه يناجى وطنه فى ألم وحسرة لما سفتح
من دون - وما كابد من شوق أحرق ضلوعه ، وعيونته تتطلع الى ذلك
السد المهبوح الذى تشرق فيه شمسه العمودة ، ويصور لنا السدرب
الطويل الذى يسير عليه النازعون فى غيوم ملل ولا سام ، ورغيم كل

المقبكات والمنهطات فأن أصرارهم على الصودة لا يفتر أو يضعف فهم سائرون
على طريق الجهاد ، وعلى استعداد دوما لدفع الثمن وبذل الفداء كسى
يأروا لما لحق بهم ، ويمودوا الى وطن الآباء والأجداد وتمر بخاطرهم
مدنهم الجميلة ، يافا وحيفا والقدس وكيف يمرح فيها الاعداء بيناهم
اصحابها معدون عنها لنستمع اليه وهو يقول (١) :

حتام يا وطني تسيل على الدروب لنا دموع
والام يشقى الشعب مشتاقا الى تلك الربوع
متحرقا والشوق وقد " لافح بين الضلوع
وعيوننا متطلعات
لغد صبح جدات
فيه تمز المكرمات

وطني على الدرب الطويل اليك يسمى النازحون
لا يسأمون من التطلع لا ولا هم يياسون
كم فرق الامل الحبيب وجهدهم تلك السنون
لكنا الشعب الصمود
باق على تلك الحدود
متوثبا حتى يمسود

لن يهزم الآمال يا وطني دعي " اوجهمان
سنشق في تلك الصخور دروب نصر لا يهمان
وتنجز الفد بانطلاق سوف يذكره الزمان
فهو انطلاق النازحين
العاطلين السامدين
حتى يكونوا العائدين

عنى ينوك على الجهاد وكما عهدت هم الفداء
وهم صمود وانطلاق نائروهم الآباء
يهنون للفد ما تريد وفي عيونهم الرجاء

* * *

(١) على هاشم رشيد - شعوع على الدرب - ص ١٤٩ وما بعدها .

حقى تكون لنا الحياة"
والثأر يقطع الطفاه"
ومسود في الوطن الأباه"
أتري على " يافا " تمر نسائم الصباح البليبل ؟
وترن " بحيفا " ينعم الأعداء بالظل الظليل ؟
وهل الهلال لا تزال بذلك السروض الجميبل ؟
تزجى التحية للصباح ؟
وترى على متن الريحاح
طاب الخدود أو السرواح ؟

ولربما القدس وجنائن " يافا " أرتباط بالقلوب وأى أرتباط ، ولمفانسى
" حيفا " سحر لا يقاوم يتخلل في أعماق النفس فلا تستطيع منه فكاكسا
أما شواطئ " عكا " فأنها أخذت بهجامع الأفتدة وأستهدت بالعواطف
فلا ينافسها في تأثيرها هذا وسطوتها تلك الا نسيم " الخليل " العليبل
الذى يحيى موت النفس فيرد لها المافية ، مما يجعلنا لا نستخرب
العين الى كل تلك الفراديس المسلية في نفس شاعرنا " محمد المدنانى "
حين يترنم في لهفة فيقول (١) :

ياربى " القدس " يا جنائن " يافا "
ومفانسى " حيفا " وباب الوادى
ورمالا على شواطئ " عكا "
وينابيع فتنسة السواد
ونسيم من " الخليل " عليلا
ودغالا ملتقى الأبراد
لن تيقى بالهد عني ذرعا
وأذكرى انما على مهماد
لا تظنى حيننا من الثأر جمر
نفضى الجمر عنه ثوب الرماد

وأما " محمود درويش " الذي لم يفادر مدينته " مكابيا " إلا أنه شعر
بفترته الروحية حين دخل مدينته فوجد لها غارقة في لهوها و...
وسكرها وأذابه غريب وهو مقيم ويعيد عن الوطن رغم وجوده فيه يقول (١) :
في خواطر في شارع " :

يا شارع الأضواء ما لون السماء ؟

وعالم يرقص هو لاه ؟

من أين أعبر ؟ والصدور على الصدور ؟

والساق فوق الساق ، ما جدوى البكاء

لئى عاصفة يفتتها البكاء

فيتمى يا مقلتي حتى يصير المساء ماء

وتحجرى يا خطوطى هذا المساء

قدر أسلّمه شمير الكبرياء

نعم أن المدن الجميلة في فلسطين التي بناها أبناء فلسطين بحرقهم
وسواعدهم وأغلسوا مآذنها ، وشقوا شوارعها ، ونسقوا حدائقها ومتنزهاتها ،
وكانت تضيء بالحياة ، وتسبح في الأضواء ، قد تغيرت معالمها ، فشرد
عنها أهلها ، ودكت عمائرها ، ونهبت متاجرها ، وخيم عليها الظلام
وكانت تلبس ثوب حداد ، فحين يزور شاعر عربي مدينة من هذه المدن
كيف يكون أحلامه ياترى ؟ لا شك في أنه يزورها وهو حزين القلب
موزع الخاطر ؟

فهذا " راشد حسين " وهو شاعر من شعراء المقاومة يقيم في فلسطين المحتلة
يزور مدينة " بافا " عروس البحر المتوسط وزهرة المدن فقد كان لها
... وأرعد في موقع تتيه بها على كل الموانى ، وطقت جميع
عن مدار السنة وحدائق البرتقال تحيط بها كما يحيط السوار بالمعصم ،
بينها أريج البرتقال ليعانق مع نسيم البحر فيضمخ الجوع عطرا
وهذا ، يمر راشد حسين بالمدينة بعد أن احتلها الأعداء وداستها أقدامهم

(١) هارون هاشم رشيد - الشعر المقاتل في الأرض المحتلة - ص ٨٣

فيقول (١) :

" يافا " التي وضعت من ائدائها حليب البرتقال
تمطش .. وهي من سقت أمواجها الى سطر
" يافا " التي كسرت الايام فوق هذه الرمال
ذراعها شلّيت - .. وظهرها أنكسر
" يافا " التي كانت حديقة أشجارها الرجال
قد مسخت محشّسة توزع الخسدر

و " محمد أبوغريبة " تولمه حال مدينته الغالية " القدس " بمد أن
نزلت بها الدواهي والمصائب ، ويحس بأن دماء الشهداء الذين سقطوا
عولها وعلى رباها تهتف بالعرب الأماجد أن يثاروا لها وأن يستردوا كرامتهم
بتحريرها ، وليست القدس وحدها في هذه المحنة وإنما تشاركها أخوات
لها عانين طويلا مرارة الاحتلال كالخليل ويافا وحيفا .. وغيرها .
وكلها تنتظر الرجال الشجعان الذين يبذلون الدم رخيصا في سبيل
عودتها وتحريرها يقول (٢) الشاعر من قصيدة له بعنوان " ماذا دهسى
قدسى " :

ماذا دهسى أراها في صلاة للمساء
ودم الشهيد على الروابي في دغاف في دعاء
وشعلتها القدس تحجبه فقلعت المسدء
فقدت دروعا للسلام وكل أنواع البهساء
* * *
يافا وحيفا والخليل وقد سنا فجر الرجال
ودم الرجال لها فداء بالمزائم والعطاء
في المساجد والكنائس فجر مجد الانبياء
فما سنحيمها ونحمى كل شير بالفسداء

(١) المصدر السابق نفسه ص ٨١/٨٢

(٢) محمد أبوغريبة - مواكب النضال - ص ٧٦ .

- الحنين الى القرى والمزارع والسهول :

كان ارتباط الانسان - وما زال - بالأرض ارتباطا لا ينفصم ، فهو يشعر بأنه جزء من الطبيعة " الأرض " عليها دج ، ومن خيراتها يعيش وينمو ، ومن ثم فلا غرابة حين يشتاق أحدها الى العودة الى الأرض ومعالمها التي تشمل في " الأشجار والسهول والربا والجبال والأنهار والجداول " حيث يجد راحته النفسية والجسمية ، وهو حين يطول به المقام في المدينه يشعر بمثل يتعاضم يوما بعد يوم دون ان يدري كنهه في كثير من الاحيان وما درى هذا المخلوق أنه جزء من الطبيعة التي خلقها الله ، فاليها يحن ، ونحوها يتوجه ، وهو حين أرغته الظروف ليعيش في عالم مصطنع " صنعته بنفسه " نراه سريعا ما ينبذه وتتوق نفسه للهروب منه ، فما أعظم حكمة الهاري جل شأنه !

كل هذا يحدث للانسان اذا ما أبتعد طوعا عن الأرض ومعالمها " الطبيعية " فما بالناس حين يكون مرغما على النزوح ، تجبره الظروف القسرية القاهرة التي يهجر أرضه وقريته ويتخلى عن مزرعته أو كرمه التي عاش فيها وبذل فسي العناية بها جهده وعرقه ، وعاش فيها آباؤه وأجداده ، أنه يحس بأنه قد أقتلع من عالمه وأقتلعت جذوره ليقذف به بعيدا عن التربة التي تملح لحياته .

هكذا هي حياة الانسان الفلسطيني النازح او الذي أرغم على ترك أرضه فصادرها الأعداء ، وأعتبروها أرضا مهاجرة لهم يتصرفون بها أي شاءوا ، مما أثار مشاعر الانسان الفلسطيني وشوقه الجارف الى العودة الى أرضه التي تتألم لفراق أبنائها الذين لم يفقدوا الأمل في رجوعهم اليها فقد تخلصت من قيودها وتحيرت من أصفادها . يقول (١) محمود درويش :
مهسرا هذه المماناه في نفوس اهله من الأجيئين :

(١) الدكتور / عبدالرحمن ياني - دراسات في شعر الأرض المحتلة ص ٧٠/٧١ .

الريخ الخضراء في صوتكم
وحقول اللوز في أعماقكم
والذرى السماء في أعينكم
نحن لولا نشقة من طيهمها
لطرخنا في الدجى آمالنا
بحة قد جرح الليل صداها
شهقة يختصر البوم أساها
دمعة عذراء تبكى من سلاها
نحن لولا قطرات من غناها
ونفثنا عمرنا آها .. وآها

وهذه بذور تنم عن تعلقه بالأرض ، ثم يسمع هنا هاتفا يهيب به أن يتقدم
ويتقدم فيقول :

لا تلمنى أنها أرضى تيكى
أنها أى ولا أعرفها
أنا جيل لست وحدى ثائرا
كل من فينا صمود ثائرا
أطيق الممت والأم تالم ؟
أيها الأفق الذى حولى تضرم
قد تعاهدنا على أن نتقدم
ونداء أننا للجرح بلسم

وحيثما يصور حنين الاطفال وحاجتهم الى الارض فى قسيده له بعنوان
" أطفالنا والريخ " يقول (١) :

أطفالنا حطوا السلال
ليعبثوها بالفضلال
هذا الريح مبرعم فوق التلال
لا فرق عند الشمس
كل الناس ترضعهم هيما
ومنى وأفراخا وضما
ويخاطبون زهر الريح ويسألون
يا أنت يا زهر الريح
صد يفتنا زهر الريح
أنسيتنا .. أنسيت لون عيوننا
أنسيت عمر حنيننا ..
ولنا حكايات على درب الصباح
* * *

(١) المصدر السابق نفسه ص ٧٣ وما بعدها .

مشكوكة بقلوبنا

مزوجة بوجيبتنا

بشتائل السورد الذي صرته أقدام الرياح
ويستمر الاطفال في محاورة الربوبية له قائلين :

جئناك من ليل الخيام

عساك تحمل من ربيع بلادنا بعض السلام

لاشي يزرع في جوانحنا السلام

كحبة من أرضنا يهبو على فمها كلام

حكاية كانت ولفلقها الظلام

كانت لنا أرض ودار ..

ومضى الزمان بنا ودار ..

وأنهار وأنطمس النهار ..

في جو خيمتنا المشمس بالدموع

بتهدات من فم صلي وصام عليه

حرمان الرجوع

وما سي حكاية الاطفال ؟

أطفالنا عادوا وفي أيديهم تبيك السلال

ليس الربيع يبيعهم ، ليست لهم تلك الفلال

بستانهم مهجورة أعشاشه .. دنيا سعال

يسطو عليك الشوك ، والدم ، والويل

عادوا وفي أحد قلوبهم حرمان أعوام طوال

أقدامهم في الطين خافية ، وأعينهم سواد

من موعد في ليل غربتهم فلن الليل طلال

وعلى الرغم من أن شمراء الأرض المحتلة لم يفترسوا - مكانوما - عن فلسطين إلا أنهم شمروا بفترتهم رغم أقامتهم في وطنهم بل كان شعورهم بالخرقة مضاعفا مما دفعهم الى الاحساس الجارف بالحنين الى وطنهم كما ينهضون أن يكون ، حرا مستقلا يجد فيه أبنائه اللؤلؤ الوارف والنسيم المقيم ويقصف محمود درويش * على رأس القائمة بالنسبة لشمراء المقاومة حيث كانت الأرض الهاما لقريحتة ، ومنها يستوحى مواطنه وأماله .

وقد كانت الأرض هي رمز كفاحه ووحى شعره ، يتحدى من أجلها جنس - سود الاختلال وقسوتهم وجبروت قوانينهم أستمع اليه يقول (1) :

سجّل ..

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي .

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي .

ولم تترك لنا

ولكل أحفادي

سوى هذه الصفحور

فهل ستأخذها

حكومتكم .. كما قيل

أذن ..

سجّل برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني ..

أذا ما جمعت ..

أكل لحم مفتصبي

حذار .. حذار .. من جوي .. ومن قضبي ..

أما شاعرنا " توفيق زياد " وهو أحد ثلاثة طورووا الشعر في الأرض المحتلة
والآخرون هما " محمود درويش وسميح القاسم " فقد صور لنا مدى التصاقه
بالأرض وحبها وحنينها إليها ، وقد رمز إلى الأرض بجذع الزيتون
يقول (١) من قصيدته " على جذع الزيتون :

لأنى لا أحيك السوف
لأنى كل يوم عرضة لأوامر التوقيف
وبيتى عرضة لزيارة " الهوليس " *
للتفتيش و " التنظيم " *
لأنى عاجز أن اشتري ورقا
سأحفر كل ما ألقى
وأحفر كل أسرارى
على زيتونه .. فى ساحة السدار

ويعنى فى أسلوبه الفنى الرائع يقص علينا قصة هذه الزيتون التى يمضى
بها الأرض كلها فيصور لنا وظيفة هذه الزيتون فيقول :

سأحفر قصتى وفصول ما سأتلى
وأهاتى
على بيارتى وقبور أمواتى
وأحفر كل مرد قسى ..
يمحوه عشر حلاوة الآتى

ويعنى فى زخرفة لوحاته ليجمعل من هذه الزيتون مبرضا فيها يستوي
صور أساة حبه ومصير أمته فى الماضى والحاضر والمستقبل :

سأحفر رقم كل قسيمة
من أرضنا سلبت
وموقع قريتى وجدودها
وبيوت أهلها التى نسفت
وأشجارى التى اقتلعت
(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٢١ وما بعدها .

وكل زهيرة بهيمة سحقست
وأسماء الذين تفننوا
في لوك أعصابى وأنفسهم
وأسماء السجون ونوع كل كلبشة

شدت على كفى ..

ودوسيهات حرام ..

وكل شتيمة صبت على رأسى

وأحفر : " كفر قاسم لست أنساها "

وأحفر : " دير ياسين تشرش فوي ذراها "

وأحفر : " تد وصلنا قمة المأساة "

لا كنا .. ولكناها

ولكنا .. وصلناها

سأحفر كل ما تحكى لى الشمس

ويهمسه لى القمر

وما ترويه قـبـره

على البئر التى عشا قهبا هجرنا

لكى أذكر ..

سأبقى دائما أحقر ..

جميع فصول مأساتى

وكل مراحل النكبة :

من العبيدة

الى القبلة

على زيتونة ..

فى ساحة السدار

وثالث الثلاثة من شعراء الأرض المحتلة ، ألا وهو " سميح القاسم " الذي يلحن الجراح ويطرد البكاء ، ويسمى جهده الى تفتيح الواقع ، ويؤمن أيمانا مطلقا بأن فجر الحرية لا بد أن يشرق من ثنايا هذا الظلام ، وهو لذلك يتشبه بأرضه ويقبها " بعظام آبائه وأجداده " .
يقول (1) :

أرضى التي بعظام أجدادي
قلبتها .. وجلب أولادي ..
أرضى التي ذلت ترتبها
ورعيت طول العمر حنطتها
أرضى التي ..
أبصير من تهوى ..
وأصير ذكري .. ثم لا أذكر

ثم يتساءل في أنكار ورفض قاطع أن تهوى أرضه فارسا غيره ولقد وضع القضية في صورة سؤال ليثير الانتباه والتمن ويبلغ بذلك أبعاد الاحتمالات فيقول :

من عود السهلة
أن تكثر الفلحة ؟
من عايش الأعشاش في زيتوننا الخالد ؟
من جزأ أسماء الأقارب .. واحدا واحدا
في كل جذع من جذوع كرومنا . ماردا ؟
من غير هذا الماشق المابد ..

(1) سميح القاسم - نبي على كفى

أذا في قصيدته " الحاصد الأول " فيصور مدى تعلقته بالأرض وما فيها ممن
نبات أو صخور أو قمام ، ويؤكد أنه قد التحم مع هبته الأرض وما عليها
ولن يستطيع أحد ما أن يسلبه أيها فقد أصبحت جامدا له لا اله
عنها وقد عرض كل ذلك في صور تعمق الانتماء للأرض ويجذرها برؤسها
الاستسلام للانس والحزن وتوهم بالتفاوت وأنتصار الحق يقول (١) :

ولدت على يدي كرمه
فخذ من ضرعها قطره
أذا أفلحت .. خذ قطره
فقد علمت عنقودي متى يكره
ويمطى الممترى سمه

* *

حفرت أسى على القمصة
حفرت أسى وتاريخى
فقبل نعل شمروخى
ورود أخقى النجمه

* *

بنيت لمنزتى صخرة
فحولها اذا أفلحت
حولها الى حفرة

* *

دع الضجلى ..
فبين سنايلى أقمى
لشير الحاصد الأول ..
تلمم ناهها اللممى

* *

(١) المصدر المأبق نفسه

بجلدى أيها المخدوع لن تدفأ
أعد جلدى)
أنا والشمس والمرفأ
على وعد ..
وصوتى .. قاهر الايقاع .. لا يطقأ

* *

نفخت الحزن عن وجهى
نفخت الليل من قلبى
وسكىنى معد .. ولا أخشى
عواء الذئب فى دريى
فهل تشفى ؟
سهيل الموت .. هل تشفى ؟
أنا شفى ..
يد للسلم أبسطها
وأهض فى يد نمشا))

فهذه صور من صور التحدى للخاصب الدخيل " الذئب " وأدراك سليم لحقيقه
السلم والفيداء ، والتحام بالشعب ، وأصرار على الثورة وتحقيق النصر حيث
هو والشمس والمرفأ على موعد .

وبالاضافه الى الشعراء الثلاثة " محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد "
يوجد شعراء آخرون فى الارض المحتلة لم يملأوا شأوهم ولكنهم أيضا
استداعوا أن يصوروا مشاعرهم ويمسجروا عن احساسهم وعواطفهم فى صور
مختلفة ونظم غلات مجنعه تنم عن تجربة شعورية حية ، كما أن التعلق بالارض
والتعلق الى عودة الاهل والاخوة كان قلب الرعى فى أشعارهم وقائدتهم وها هو
أنت سم " محمود دسوقى " يتغنى بالصودة الى الديار وفرحة اللقيا مع الاهل والاحباب
فيقول (١) :

(١) محمود دسوقى - جريدة الاتعاد - تصدر فى الارض المحتلة
المادة بتاريخ ٨/٣/١٩٦٨ .

أذا غبت يوماً عن الموعد
فمهما تأخرت عن موعد
رويداً رفاقي فلا تعزبنوا
غدا نلتقي فوق خضرة الروابي
على رهوة كم كساها الربيع
غدا نلتقي في ظلال النخيل
غدا نلتقي لن تحول النوائب
سيصدح في الشرق لمن اللقاء
غدا نلتقي .. يلتقي أهلنا

فلا تخضي يا فتاة الغد
فلا بد ألقاك كي تسمدي
فأني وسلي على موعد
بنيت على سعرتنا معيدي
يساطنا من الزهر كالمعبد
على واحة كم رعتمها يدي
يهني وبين لقاءها الندي
وترقص أوتاره في يدي
فأنا جميعاً على موعد

أما الشاعر "عنا أبو عنا" وهو من رواد الشعر النضالي، ومن الذين أدوا واجبه في تثقيف الشعب وتمريفه بقصائده وأهملها في حثه ابنه شعراً عن الأرض والقرية والكفاح في سبيلها، وشراسة الأعداء وأساليبهم في المكر والخداع، وتمططهم لسفك الدماء والمطعم بالفضول واللامنين فيقول (١) :

سأروي لك اليوم يا أبنى حكاية
حكاية قرية () ...
فأرض بلادك يا أبنى رواية
كفاح ضعيه ...
شوك الصذاب ..
وتبصقه في عيون الطفلة
وتضمد بالسبر كيد الجراح وويل العتاه
وتصمد حبه ...
تدوس المنيبه ..
وتحيا أبيضه ..
* *

(١) عنا أبو عنا - ملحق جريدة الانوار ببيروت المادرة في ١٥/٩/١٩٦٨

ببلادك كانت عليها كبرير
وأكليل شوك
وكأسا مريـر
وقد زرعوا أرضها بالحراب
طوال دهور ٠٠
وتسقى الحراب دما ودموع
وتنبت شوك الأسي في الضلوع
قسيمي سحر ٠٠
ونفس تشور ٠٠
طوال الدهور ٠٠

* *

وفي الأفق كان الصباح حزينا
يطل فيمسخ شجوا الأنين
فتحى الفناء ٠٠ أوف طويلة
طويلة !
تلوى على الحقل ٠٠ أوف ثقيله
تجسد فيها المآسى الويله
فكان شهيد بلادى أبنين
أوف طويلة ٠٠٠ طويلة
وباليل ٠٠ باليل ٠٠

ويستمر على هذه الصورة يروى قصة بلاده التي أهليت بالاحتلال
والاغتصاب وتشريد شعبها بعيدا عن أرضه وقراه ومدنه ، فمانسى
ويلاك الفرية والهمد ، وأن كان قد بقى جزء منه على أرضه ، فأخذ
العدو يكيل لهم المذاب ويسومهم الخسف ، وكل " جريمتهم " .
أنهم ظلموا وصدوا فوق أرض آبائهم وأجدادهم . " تغرم أقدامها
فى ان راب " وتتطلع فى شوق ولهفة لتلمح " خيط ضياء يشق

غيوم المذاب * وقد قاست في سهيل هذا البقاء كثيرا من سجن وتوقيف وضرب
وقتل وتنكيل *

أما " فتحى قاسم " من الناصرة فيصور حين شمه الى الوطن وشوقه
الى لقاء أهله وأحبابه في صور تمس شفاف القلب ، ويطلب من بقايا
شمه في الأرض المحتلة أن يصعدوا من أجل اخوانهم المهمدين الذين
يستفسرون أحوالهم * وما عانوا من ذل وهوان وتمذيب هو أكد أن راياته
الحررة هي التي ستعلو في النهاية حيث يقول (١) :

أخي ليل الأسي في الهمد يضيئنا
ودمع السهد والاشواق يشجينا
يمر الدهر والاقمار منفيه
تردد في بلاد التيه مرثيه
وتروى قصة التشريد والمحزن
ومأساة تقد القلب من زمن
نحن اليك يا وطني ..
ولأطيار والزيتون والدم
نحن لبيتنا العالي ..
وكرم التين والعناب ..
لأحباب لنا كانوا ..
رفاق الأنبي والطرب ..
أخي .. بالله أخبرني
أما زلت كما كنتم ؟
أم الأيام ساءتكم ..
بنوف الذل والتعذيب والقهر
صمودا يا بني شبي ..
لأجل عيون من نزحوا ..

* *

(١) الدكتور / عبد الرحمن ياغي - دراسات في شعر الأرض المحتلة
ص ٦٤٨ وما بعدها

لأجل جراح من غابوا
عن الانظار والتعجبوا
خيام البؤس والفقير
ولحن المودة الثائر
صودا أيها الاخوة
غدا في عالم الاحرار لن تملو
سوى راياتنا الحرة

وحين أراد هذا الشاعر أن يصور صموده في أرضه وتعلقه بها جعل نفسه
جذرا متددا في أعماق الأرض لا يمكن اقتلاعه ، لأنه صمم على البقاء ولن
يرحل مهما حاول المدو أجلاءه عن أرضه وانتزاعه منها لأنها حصن أجداده ،
فيها جذوره وتاريخه " وتمه حبه الاول " فيقول (1) :

أذيت القار في دمي
وفي أعصابي الكبرى
وصحت بوجه أعدائي
وليل الظلم والطاغوت
حذار حذار .. من نساري
ومن أعصابي المكبوت

* *

سأبقى رغم أنذالتي
وجرحي والاسى المقبوت
هنا في حصن أجدادي ..
وأرضي والسنى الموروث
سأبقى رغم أنذالتي
ولن أرحل ..

(1) فتحى القاسم - مجلة الطريق (العدد ١٠ - ١١ سنة ١٩٦٨) .

هنا جذرى وتاريخى
وقصة حى الاول ..
همزى والدم الغالى
بأصرارى ..
سأسقط حكيم الصارى
من الايمان والمدل
وأهتف رغم الامسى
ورغم البفض والذل ..
هنا وطنى ..
قمت فى حقدك المضموس بالمار
ولن أرحل ..
هنا جذرى وتاريخى ..
وقصة حى الاول ..

وقد كان للجيل الناشئ نصيب كبير فى شعر الارض المحتلة ، ومن هنا كان لشعرهم
نغم انبراعم ... وتفتح الحياة البكر ... ونهض السنوات الاتيه ... يوهج
النشد المشرق ... وترانيم الاحقاد ... ولهوا الاطفال وأمل الجيل
الجديد ... كل ذلك فى جوانج الحاضر ... وفى نهضه ودمه (

فحين يكتب الشاعر " جورج جريس فرح " من حيفا عن صحارى التيسه
يختم قصيدته متطلما الى المستقبل (1) :

يا رفاقى ..
كيف نمضى تاركين الرمل رملا ؟
نمضى تاركين الارض للاحقاد محلا ؟
كيف لا نرفع رايات الهداياه ؟

* *

(1) الدكتور / عبد الرحمن ياقى - دراسات فى شعر الارض المحتلة ص ٦٦٣

كيف لا نروى لهم كل الروايات ؟
كيف لا نروى لهم ٥٥ كي لا يضيعوا ؟
مثلما من قبل في الصحراء ضمننا

وهكذا نرى تعلق الانسان بوطنه فطرة فطر عليها تتنامى على مر الايام
ما يدفعه الى الشوق الجارف اليه كلما ابتعد عنه ، فحب الانسان وطنه
يجعله يضحى بروحه في سبيله وهو في كامل وعيه ، بينما نرى أن المدنيين
المسيح لا يقذف بنفسه الى هاوية الانتحار الا في لحظة يأس مجنون ، ومن
الذين صوروا حنينهم الى الوطن فأبدعوا وعزفوا على أوتار الشوق أعذب
الالحان وأكثرها تفلنا في أعماق النفس الشاعر " أبو سلى " الذي
يرى قداسة التراب في بلاده وقد خفقت فيها قلوب حسرة فيتجوق الى أن تكون
وسادة طول الدهر ، وهو لا يرى في الوطن ترابا جمادا وإنما هو حياة في
الماضي والحاضر والمستقبل ، ودعاء للأجيال المتماقبة ، أستمع اليه
من قصيدة " أرض الجهاد " يقول (١) :

فالثم التراب وقل : هذى بلادى
قدست تلك الحبيبات السوداء
كيف لا أجعله الدهر وسادى (١)
موكب التاريخ ميمون القياد
وعلى السفح انثنت خيل الطراد
وأناشيد الهوى في كل وادى
وترى حطين من خلف السواد
خلجته عبرات من فؤادى
كيد أبنائك أم كيد الاعبادى
أنما الاحياء في هذا الجماد
فالد م الحربن التراب ينسدى

دج المجد على أرض الجهاد
تربة حياتها شايبة
خفقت فيه قلوب حسرة
قف على اليرموك وأنظر هل ترى
ومثار النقع فوق المنحني
وأغاني النصر تسرى في الدنى
أم ترى اليرموك في أدمعه
وطنو ! أنت بقايا أمم
الذبح جرح جنبيك ٥٥ أجب
تقل هذا تراب جامد
وأحفظ الاجيال في ذاك الثرى

(١) أبو سلى - المشرد - ع ٩٢ وما بعدها .

وتلتهب حرارة الشوق عند الشاعر فتحول بينه وبين النوم ويعتريه القلق بعيدا عن
أرض فلسطين الطاهرة ويتحسر على ذكرياته الخالدة ويحن الى السهول
والسفوح والروابي والشواطىء ، وهى بدورها تحن اليه وتشتاق لرويته
وتنتظر عودته اليها بفارغ الصبر ، ويملن فى أصرار وتجد أنه لا بد عائد
مهما كانت التضحيات ، ويؤمن فى قرارة نفسه بأن الحق لا يهد من أن
ينتصر فى النهاية فيقول (١) من قصيدته " غدا سنعود " :

فلسطين العبيبة كيف أحيانا	بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات	وفى الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطىء باكيات	وفى سمع الزمان صدى انتحابى
تناديني الجداول شارادات	تسير غريبة دون أغتراب
تناديني مدائنك اليتامى	تناديني قراك مع القباب
ويسألنى الرفاق الالقاء	وهل من هودة بعد المخيباب ؟
أجل سنقبل التراب المفدى	وفوق شفاهنا حمر الرغاب
غدا سنعود والاجيال تصفى	الى وقع الخطأ عند الايباب
نعود مع العواصف داويبات	مع البرق المقدس والشهاب
مع الأمل المجنح والافاننى	مع النسر المطلق والعقاب
مع الفجر الضحوك على الصحارى	نعود مع الصباح على الفباب
مع الرايباك دامية الحواشى	على وهج الاسنة والحمراب
ونحن ، الثائرين ، بكل أرض ..	سنصهر باللظى نير الرقاب
أجل سنعود آلاف الضحايا	ضحايا الظلم تفتح كل باب

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٠٩ وما بعدها .

أما الشاعرة " فدوى طوقان " فتلقت بأخوانها شعراء الأرض المحتلة في مدينة حيفا بعد نكبة سنة ١٩٦٧ هـ وتشعر بأنه مهتم عليها أن تواكبهم وأن تعزف الألحان التي يعزفونها ، فقد تبعت لها أشياء وحقايق جديدة وهي بمد هذا اللقاء تمير عن اتجاهها الجديد في قصيدتها المهداة إليهم " لن أبكى " التي تقول فيها (١) :

أحبائي

مسحت عن الجفون ضبابة الدمع
الرمادية

لأفلكم وفي عيني نور الحب والايمن
بكم ، بالأرض ، بالانسان
فوا خجلي لو أنسى جئت الفاكس
وجفني راعش مهلول

وتلبي يا عرس مخذول

وها أنا يا أحبائي هنا معكم
لاقيس منكم موجم
لأخذ يا مصابيح الدجى من
زيتكم قطرة

لعباحي

وها أنا يا أحبائي

إلى يدكم أمد يدي
وعند رؤوسكم ألقى هنا رأسي
وأرفع جبهتي معكم إلى الشمس
وها أنتم كصخر جهالنا قوة
كزهر بلادنا الحلوة
فكيف الجرح يحقني ؟

* *

(١) فدوى طوقان - الليل والفرسان - ص ٤٨ وما بعدها

وكيف أمامكم أهكى ؟
يمينا ، بعد هذا اليوم لن أهكى)
أحباي مصايح الدجى ، يا أخوتي
في الجرح
وياسر الخميرة يا بنذار القمح
يموت هنا ليمطينا
ويمطينا ..
ويمطينا ..
على طرقاتكم أمضى
وأزرع مثلكم قدمي في وطني
وفي أرضي ..
وأزرع مثلكم عمي في
في درب السنى والشمس

وهي عليها " محسود درويش " فيهددها رابعاً " يوميات جرح
فلسطين " التي يقول فيها (١) :

نحن في حل من التذكار فالكرمل نخينا
وعلى أهدابنا عشب الجليل
لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر اليها
لا تقولي ..
نحن في لحم بالدي - وهي فينا

* *

لم تكن قبل حزيران كاهواخ الحمام
ولذا لم يفتت هنا بين السلاسل
نحن يا أختاه من عشرين عام
نحن لا نكتب أسمارا ولكننا نقاتل

* *

(١) المصدر السابق نفسه ص ٥٧ وما بعدها

وعرفنا ما الذي يجعل صوت القبره
خنجرًا يلمع في وجه الفـكـزاه
وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبرة
مهرجانًا وساتين حـيـسـاه

* *

عندما كنت تفننين رأيت الشرفات
تهجر الجدران والساحة ترتد السي
خضر الجبيل
لم تكن نسمع موسيقى ولا نهصر لون الكلمات
كان في الغرفة طيبون بطـل

* *

هذه الارض التي تمص جلد الشهداء
تمد الصيف يقمح وكواكب
فاعبد بها نحن في احشائها ملح وماء
وعلى احشائها جرح ... يحارب

* *

منزل الاحباب مهجور ، وبافـسا
ترجمت حتى النخاع ..
والتي تبحث عنى لم تجد منى سوى جهنمها
أتركى لى كل هذا الموت يا أخت أتركى
هذا الضياع
فأنا أنفسرة نجما على نكتهمسا

* *

آه يا جرحى المكابى
وطنى ليس حبيبى
وأنا لست مسافى
أنى العاشق والارض حبيبى

* *

وأذا استرسلت فى الذكرى نما
فى جهتي عشب الندم
وتحسرت على شىء بعيد
وأذا امتلعت للشوق
تبنيت أساطير الصبيد
وأنا أثرت أن أجعل من صوتى حصاه
ومن الصخر نفيهم

* *

كان لا يد من الاعداء كى نعرف أنا -
توأمان
كان لا يد من الريح لكى نسكن -
جذع السنديان
ولو أن السيد المصلوب لم يكبر على
عرش الصليب
ظل طفلاً ففاح الجرح .. جبان

* *

لك عندي كلمة
لم أقلها بعد ، فالظل على الشرفه يحتل
القمر
وبلادى ملحمة
كنت فيها عازفا ، صرت وتسر

* *

غيمة الصيف التي يعطها ظهر النهيمة
علقت نسل السلاطين على هبل السراب
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمة
ها أنا أزدوت التصاقا بالتراب

* *

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل وأن ..
لي أن أثبت حقي للنرى والقـبـره
فالمصا تفتن القيثارة في هذا -
الزمنان
وأنا أصفر في المرآة مذلاحت -
لعيني شجره

وهكذا ظل الانسان الفلسطيني مقيما أو مهجدا ، في أرضه المحتلة أو على
الأرض المربية المجاورة يحس بتسمر الحين الى أرضه العسة مطهومة
من الاحتلال البغيض لتظل أرضه هو لانه أبنها البار وقد عاش فيها
آبائهم وأجداده الذين رووها بالدماء الطاهرة الذكية . ولذلك فهو
يمشق ترابها وزهر يرتالها وزيتونها وخصبها حتى ليمشقها ولو كانت
قفرا يبابا ، فهو منها واليهما في كل الظروف والاعوال دون تهريج
أو تلهب ومناجزة كما يفعل الكثير من ماستنا للمحترفين لنستمع السس
الشاعر الفلسطيني وهو يقول (١) :

يتراقصون ويخطبون على المناهر أن وجهك

قد تفسر ..

وأنا عشقت تراب وجهك لو تشوه لـ

تجسس ..

* *

(١) عز الدين المناصرة - الخروج من البحر الميت - دار العودة بيروت ص ١٠٥ وطبعها

لومات " زهر البرتقال " ومات " زيتوني "
على خضر الهضاب ..
لوانبتت انهارك الزرقاء أشجار المذاب
نامت على ربواتك الخضراء أسراب الجراد ..
فأصبحت قفرا يهباب ..
لوجفت الانهار في عينيك لــــو ..
عاد الصبا طفلا عجوزا لوتمذب لوتمرمر
لومحالك السجن الكبير وأنكرتــــك ..
مدائن البترول والامراء والفارون يسوم ..
الزحف يا أرض البكاء ..
فأنا أخوك أنا أبوك أنا أبنتك الوليد ..
الذي ..

عشق التراب ، تراب وجهك لوتشوه لوتحجر

* * *

كنا نجر جر خطونا والارض تندهننا
فلا نلقى لها ..
كنا نموت على الطريق نفوس في أوحالها
كنا نمود مع الصباح المر أطفــــالا
أصاهبهم النعاس ..
وتكسرت نظراتهم حتى إذا
ذكروك يا أرض البكاء
حتى إذا ذكروك ..
هنوا للقصاص

* * *

والشاعر " هارون هاشم رشيد " يؤكد في أصرار شوق أنه سيمود
الى سهوله الخضراء ، والى الكروم والشط لانها فى أنتظاره ، حتى
ملاهب الاحلام تهفولة ، وستعود تلك الاكباد الملهمة بحرارة الشوق
لتقيم عرسا على ارض الوطن تزفرد فيه الفرحة ، ويمزق الناي لعذب
الحانه يقول (١) من قصيدته " سنعود " :

وكرومنا والشط والشجر	أن السهور الخضرتتنظـر
والحب والآصال والبكر	والذكريات الهانيات بهـر
تهفولنا والناى والوتر	وملاهب الاحلام تائقـة
* * *	* * *
والزهر والحسون والقمرى	سنعود ياليلى مع الفجر
فى مركب التحرير والنصر	سنعود بالآمان باسـمة
تواقة للموطن الحـر	سنعود أكبادا موججـة
ونعيدها تزهو على الدهر	وهناك نرفع راية طويـة

أما الشاعر " محى الدين الحاج عيسى " فتلدعه الفرية ويلتهب الشوق
بين جوانحه وهو فى دمشق فيرسل عبر الاثير - مع النسيم - أشواقه
وتحياته الى جبل الجرمق القريب من مدينته " صغد " بعد أن مضت
على هجرته خمس سنوات لم يحرف فيها طعم النوم ، فطيف بالأده
وقد دهمها العدو وشرد اهلها - لا يفارق خياله ، وأخوانه - أبناء -
وطنه - قد شرذوا فى كل اتجاه ، فتمزقوا " أيدي سها " وهى مصيبه
جسيمة لسن توجوها الايام ، يقول (٢) من قصيدة له بعنوان
" بعد خمس سنوات " :

(١) هارون هاشم رشيد - مع الغرباء - ص ٧٢
(٢) محى الدين الحاج عيسى - من فلسطين واليهما - ص ٦٠/٦١

حياك عنى يا رباع الجرمــــــــــــــــــــى
من قاسيون على بلبل جناحــــــــــــــــــــه
خمس من السنوات مرت لم تذق
طيف يجدد كل يوم لوعــــــــــــــــــــة
يا حمرتا مافى الديار سوى القذى
شطت بأهليها النوى فترحــــــــــــــــــــوا
وتزقوا (أيدي سبا) فمشــــــــــــــــــــرق
ومغرب طارت به ريح النــــــــــــــــــــوى
خطب بأعماق القلوب جراحــــــــــــــــــــه

أزكى نسيم من مشارف جلــــــــــــــــــــق
أمل المشوق وعبرة المتحرق
عيني الكرى الا لطيف موــــــــــــــــــــرق
ويثير فرط صباهتى وشوقــــــــــــــــــــى
وسوى ختالات البريدة تلتقــــــــــــــــــــى
وتفرقوا فى الارض اى تفرق
منهم بغير دموعه لم يشــــــــــــــــــــرق
يشكو أساه لمشتم او مــــــــــــــــــــرق
تهقى على مر الليالى ما بقــــــــــــــــــــى

ويناجى " يوسف الخطيب " وطنه الحبيب فى رقة بالفة ، ويسأل
عنه الطيور ، ويتمنى أن يلقاه ولو ميتا ، ويود أن يعود الى هــــــــــــــــــــذا
الوطن حتى لو تحول الى خاطرة أو حقة من الثرى ، أو يصبح ذرــــــــــــــــــــيا
فى تاج وردة - أو عبر برتقالة ، يمعنى أن يكون عنصرا مرتبطا بطبيعة
الوطن لا تنفصم عنه ، يقول (١) من قصيدة له بعنوان " لوميتا القاك "

أسأل عنك فى الطيور يا حبيبــــــــــــــــى
فى هجرة العطر على صبا الجنوب
فى أمد أنتظارنا ، وفى وجــــــــــــــــــــــــى
أسأل .. يا معذبي .. ويا حبيبــــــــــــــــى
* * *
لوميتا يا وطنى ألقاك .. لو أمشى
لك الدنيا على رمشين .. لــــــــــــــــو
آتيتك فى خاطرة .. لو هاجــــــــــــــــا
أعبرنى بال الرسى .. لــــــــــــــــو
* * *

(١) يوسف الخطيب - واحة الجحوم - ص ٣٣ وما بعدها

حفنة من الثرى هائمة على
جنون الريح عمرها ، وتنتهي
الى ثراك .. لا أناشد الوجود
غير ذاك ..
أن أشيع فيك ..
أن أراك ..
لوميثا يا حلم الاحلام .. لودما
يفيض في تويج وردة ..
لو برعما يطلع في الجليل ..
لوعبير برتقالة يشرد فسي
السفوح .. لوموجة تخضها
البحار في تعاقب .. الظلم
والنهار ثم تنتهي اليك ..
تنتهي ..

ونذكرى أفتصاب فلسطين الاليمة تنكأ الجراح وتضاعف الاسى
لا سيما عند الشاعر الذي أرهف حسه وتوثبت عواطفه ومشاعره فيفارقسه
النوم وينبومضجعه ، وأما شوقه ففي أزد ياد لا يفتر ولا يهدأ ،
ويخيل اليه أن كل شئ في وطنه يناديه وينتظر عودته بفارغ الصبر ،
وهو يدوره يؤكد أنه سيلبي النداء وسيعود رافعا راية الجهاد ،
والكفاح ليسترجع الوطن الفاني ويسقى ترابه بالدم والدموع ،
" دموع الفرح " ها هو " محمد المدنانى " يقول (١) ممن
قيمتهم " يا فلسطين "

(١) محمد المدنانى - فجر الصرورية ص ١١٦ وما بعدها

يا فلسطين ، في صميم القواد
من لظى الشوق صدره في أتقاد
يحضن الجنب غير شوك القناد
بالذي اتتبه ليالى البهاد
يا فلسطين ! دائما في أزد ياد
والرواىى منثورة ، والنجداد
والأزاهير فوق خد الوهاد
والخورى انتظار الحصاد
واهن صدرى ، في كل حين تنادى
للقاء الحبيب والله صاد
بهم آسى حكرها بالجداد

أى ذكرى خلفتها يا بهــــلادى
لج بالمدنف الحنين فأسى
ونها المضجع الوثير كان لــــم
يفتر الشوق كلما البين شطــــت
غير شوقى اليك فهو نــــمــــرى
كل نهر وكل نبع ودرب ٠٠
والاقانين فوقها الطير غنــــت
ومياه البحيرتين وما فى المسهل (م)
كلها كلها لروحى وطرفــــى
يا فلسطين ! ألف لبيك أنسى
سأبل العراب بالدمع مــــلا

وشاعر آخر ما زال يذكر أيام الطفولة الجميلة ، وما زالت صورة دارهم
البيضاء محفورة في مخيلته ، ويتمجب في ألم وحسرة : كيف حــــاز
الخصم هذه البلاد الجميلة ؟ ٠٠ وتعود به الذاكرة الى الورا حــــين
كان السمرعذبا ، وحقول القمح تسطح في ضوء القمر ، والشباب يمسير
عن فرحتهم بالرقصات الشعبية مثل " الدبكة " ثم يتلاحق شريط
التذكريات ليصطبغ بالندم البرى ، وقد أرىق في " قبيلة " وفى ٠٠
" كقر قاسم " وفى " دير ياسين " وفى غيرها من القرى والمدن
والرواىى والسهول ولكن الفجر قد أقبل بعد أن هب الأبطال
المفاويز قد صموا على تطهير ارض الوطن الغالى من رجس
الاحتلال البغيض يقول (١) " حسن خليل حسين " :

(١) حسن خليل حسين - شجرة الزيتون والمتسلقون - ص ٦١ وما بعدها

لم أزل أذكر يا أحباب أيام الطفولة
وارنا البهائم .. والاطيار من فوق الخيله
والربا الخضراء حوالى .. رائعات وجميلة
كيف بالله اتخذها الخصم يا قوم حليته

* * *

والليالى .. كم سهرناها .. وما أحلى السهر
وحقول القمح والبيدر فى ضوء القمر
والشباب الخضر والدبكة أيام السمير
كيف ننساها ونرضى بجهنم فى الحفر؟
كيف والقدس ! أتبقى لحضرات البشر؟
والدم المسفوح فى " قببة " أرفى " كقراسم"
والصربعات بنسل المطر صونا .. للمحارم
وثكالى .. " دير ياسين " والاف الجرائم
كيف نحيا بينما .. فى أرضنا الطفيان قائم؟
لا ورسى .. بل سنمضى فى صمود ابن نسالم

* * *

ها هو الفجر لقد أقبل بمقام المحيا
فالمغاريس من الشبان .. قد هبوا سويا
حيث لبوا صيحة التحرير يا " أبطال هيا "
فا بشرى يا أرضنا .. ولتلفظ الخصم الزريرا
شمبك العملاق قد ثار ولن يبقى شقيا
ثار كالطوفان .. لا يخشى من الاحوال شيا

* * *

وهذا شاعر من شعراء فلسطين يصور تملق لاجئ من أبناء فلسطين
بوطنه وكيف احتفظ بقهضة تراب من أرض وطنه لا تفارقه أنى توجهه
وعندما قضى دفن في قبر غائر متواضع ، ويتوقع الشاعر مصيرا كمصير
جماره ذلك ، ولذلك يشعر بأن حب الوطن هو الحب الحقيقي
وكل مكان غيره غربة وضيق يقول (١) "حسن النجوى" في قصيدته
" موت الرجل الآخر " :

كان لى وعدى يقول :
" أنا من حيفا
أتدري ؟

لست من هذى الرمال
كنت طفلا عندما غادرتها
ـ يصرخ ـ طفلا ما أزال ..
كان أن عنفته يوما يرمى
من تراب الوطن الضائع حبه
وقضى بالأسى نحوه ..
قبره دون القبور
غائرا كان ، حقيرا
أرضه لم تكن مثل الأرض صلبة

* * *

مثله أضرب في انتيه برأس ألف قصه
ويحلق ألف غصه
وحكايات عن الزيتون
وكوم البرتقال ..
مثله جرداء تضى كلمتى عبر الجبال

* *

(١) حسن النجوى - كلمات فلسطينيه - ص ٩٨ وما بعدها

كل حب غير ذاك الحب موت
كل صدر غير ذاك الصدر غيره
موسم الروعة ما مـــــر
حصاد العمر نكبته ..
أننى الآخر يحيى ..
أننى أحمل فى صدرى قلبه ...

ورغم العقبات والمصاعب التى وقعت فى طريق العودة الى فلسطين
فقد ظل الأمل يداعب أفئدة المبعدين ، ولم تنهزم النكبات الا الاصرار
على العودة ليلتقوا ثانية بأرض الوطن الحبيب ، وها هو شاعر من
أبناء فلسطين يناجى وطنه " الذى يحلم بلقائه " رغم أن جواد العودة
قد كبا به بنكسة حزيران سنة ١٩٦٧ فيقول (١) فى حسرة وألم
أمزجتنا بالشوق والحنين :

علمت أنى أبكى على يديك
أن أذرف النفس على السراب
علمت أن أخاصر الهواء والسراب
وأدفع اليه ..
علمت أن أضى ، ضفتيك
ماذا لو أنتظرتنى ؟
يا وطننا مودعة أمانتى لديك
كبا الجواد .. لا تنس
سينمض الجواد يا حبيب لا تنس
معى هدية اليك يا روى يا عينى لا تنس
مضى .. بمدت .. آه -
فى دى رسائل للشوق لا أذكرها

(١) أحمد دحهور - حكاية الولد الفلسطينى - ص ٦٩ وما بعدها

لولا الرقيب كنت آه .. لا تنسبه
أمانتي لديــك

وسميح القاسم - يتلظى الشوق بين جوانحه وينشد وطنه أن ينتظـره
وإلا يتخلى عنه ، فهو لم يتغفل عن هذا الوطن الذي عانى الكثير من الويلات ،
وتعرض لكل أصناف الأذى والمساومات ، رغم أنه أرض الديانات السماوية ،
وسيطر الإنسان الفلسطيني يهتف بأسم وطنه ويتوق إلى لقاءه مهما
كابد من مصاب يقول (١) في قصيدة له بعنوان " أنتظرنى " :

عنقى على السكين يا وطنى
ولكنى أقول لك : أنتظرنى !
ويداى خلف الظهر يا وطنى
هـيدتان ،
ولكنى أتمنى ..
لك . آه . يا جرحى . أغنى !
" أنا لم أخنك .. فلا تخنى
أنا لم أهنك .. فلا تهمنى "
وطن الزايمر انتميسة والوجوه الضائعة
وطن الجذور الحاقدة ..
وطن المواصف والصواعق والليالى الباردة
وطن البساتين السبيه والاكف الضارعة
وطن القرى الاطلال والدم والبهكاء
أشد أزك ،
أم تراك تشد يا معذور أزرى ؟
وطن الاكاذيب القديمة والروى والانبياء
أكون سرك ،
أم تراك تكون يا معذور سرى ...

(١) سميح القاسم - سقوط الاقنعة - دار الاداب ص ٧٦ وما بعدها

وطن التمزق في المنافي والمذابح والملاجئ *
وطن الحقائق والمطارات الغربية والموانئ *
وطن الفضب * *
وطن اللهب * *
يا من يهوس يدك عبر دموعهم طيون لاجئ *
وطن المذلة والاسى والكبرياء
آمنت بالحب الذي يعطى *
وفنى في المطر *
ولذا - أقول لك : أنتظرنى !
عنقى على السكين ، لكنى أقول لك
أنتظرنى !!

وله أيضا في مناجاة ملاح وطنه ومفانيه مما يطفح بالشمسوق
والحنين قوله (١) :

يا حمام الدوح لا تمتب أسى	حسنا ما أجهش الدوح عتابا
نحن لم نزعرك عن بستاننا	لم نحكم في مفانيك الفرابا
نحن أشباه رقد أوسمنا	غاصب الاعشاب ذلا وأغترابا
فايك في الغربة عمرا ضائما	وارث عيشا كان حلوا مستطابا
يا قري أطلالها شاخصة	تتحرى غائبا أبكى الفياها
يا قرانا نحن لم نسل ولسم	نعذر الارض التي صارت يبابا
خصبها يهدر في أعراقنا	أملا حرا ووحيا وطرابا
والذرى تشمخ في أنفسنا	عزة تحتطب البقى احتطابا
يا زدا بلك كل صدى	وصداها لم يرد الاسرابا
يا بزدى نحن ما زلنا على	قسم القدية شوقا وأرتقابا
يا بلادى قبل ايماد الضحى	موعد ينضو عن النور حجابا

وشاعر آخر يصور حسرتة على فراق الوطن الحبيب ، ومدى حرقته
للإتماد عنه ويعلن أصراره على العودة عزيزا كريما ، فليس بجسد
سعادته إلا بين ربيع هذا الوطن ومفانيه حيث دج على تراهه ونشأ
فوق أدبمه وتحمت سائمه . يقول (١) " محمد أبوغربية " :

يا حسرة الوطن الذبيح وقد غسدا	يهي جراح الشعب والاجساد
قد قسموه ومزقوا أوصالهم	وشفورنا تاهت عن الانجاد
وطبق سارجع للربوع مقبلا	وتدغدغ الانصام حسن فوهدي
ومكلا رأسي بهزهرك والثسرى	يزهو على الفردوس فهو عصادي
ماكل فردوس يماوي جنسني	فيها مواتع عزتي ورشادي
ونشأت فيها ناهضا ومجسدا	وعرائس الايام بعرض عصادي
وطبق بساحك قدر عيت طفولتي	وزهور أحلامي وضوء مصادي
وطبق بأرضك قد زرعت رجولتي	وغسنت في عزم الشباب عصادي
وطبق بأرضك قد فهلت هدايتي	وعقيدة الاجداد نبع مصادي

والشاعر " علي هاشم رشيد " يدعو قومه للثأر من العدو الفاصب
الدخيل ، ويحثهم على التضحية والفداء في سبيل استرجاع الوطن
السليب " فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة " وقد يما قالوا
أن العربة تؤخذ ولا تعطى " . ولذلك فهو يطلب من شعبه أن يهيب
من رقدته وأن يعتمد على نفسه أولا في تحرير أرضه التي يتوق إليها وتطمس
- بدورها - على عودته ، ويناجس جبال فلسطين ووادها مستفسرا عن
أحوالها بحد أن تركبها الأهل ، وأغصمها قوم آخرون ونسلا
فيقول (٢) :

(١) محمد احمد أبوغربية - مواكب النضال ص ٥٨/٥٩

(٢) علي هاشم رشيد - شموع على الحرب ص ٦٩/٧٠

جلجل الثأر في الرسى والههاد
أيها السادرون هلا أفقتم
أنه الموطن الحبيب فهيا
أيها التائهون في كل درب
حق للعين أن تسيل دماء
ذاك كنعان " شامخا يتحدى
ناظر اللغضاء ينتظر الزحف
ايه (كمان) كيف أخوتك الشم؟
كيف كيف (الزبور) والالجرمق)
كيف (طاهور) و (المروس) و (الكرمل)
أيهب النسيم فيها رضيها
أتراها بكت فراق بنيتها

وسمعت الهتاف في كل وادي
لتلبوا نداء ذاك المنادي
أيها الهائمون فوق النجاد
في الجبال الجرداء فوق الوهاد
اذ تراءت لها مفاني بلادي
نوب الدهر رغم ثوب الحداد
بهأس الليوث والآساد
أفيها يجوس رهط الفساد؟
اذ ألبسا لباس السواد
هلا تحن للسواد
وعلى الأيد هل تتوح الشواد
مزقوا في الشما ب أو في البواد

والشاعر " رجا سمرين " يعود الى (وطنه) بعد غيبة طويلة كان دائم
العنين فيها الى السهول والجبال ، تتوق نفسه الى الظل الظليل فيه ،
وكان يتمنى أن يعود اليه وقد تحرر وأنتصر على أعدائه ، لكن امينته لم
تحقق - للأسف - فقد تضافرت كل قوى البنى والعدوان والعمالقة
على اشعبه الصغير ، وأنتزعت من أرضه ليعيش في جوف الخيام الباليه
التي لا تدفع حرا ولا زمهيرا أما الوطن الفالسي فقد أستباحته شرانم
المشردين والافاقين الذبح هجروا اليه من كل حدب وصوب ليكونوا قاعدة
استعمارية سرطانية في جسم وطننا المرسي ، ها هو يقول ممن
قصيدة له بعنوان " عودة " : (١) :

وطنى الحبيب لقد رجعت اليك بعد نوى طويل
فلكم ذكرتكم فى الشروق وفى الغروب وفى الاصيل
ولكم حننت الى الجبال وكم صبوت الى السهول
كم حن روجى للشذى المعطار ، للظلّ الظليل

* * *

كم كنت يا وطنى أود بأن أعود الى ربك
فأراك موفور الكرامة قد نصرت على عدوك
لكننى قد عدت والاعداء تنعم فى ثراك
وبنوك قد هاموا حيارى فى المفاوز للهلاك

* * *

قد عدت يا وطنى اليك وأنت متكى الكسوم
نضوا كهيها بائسا يملو محياك الوجوم
بضراوة قد مزقتك مخالبا الهنى الغشوم
لما تألب من أتى يحميك ضدك والخصوم

* * *

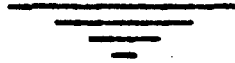
قد صرت يا وطنى ملاذا للشريد وللطريد
وبنوك فى جوف الخيام بلا شمور كالمبيد
ركنوا لظلم الفاشمين وقد رضوا ذل القيود
وجنانك الفيحاء قد أمست مراحا لليهود



هذه نماذج من الشعر الفلسطيني المعاصر الذي أستهلّم المأساة فأوجت اليه
بصور دامية حزينة للواقع الاليم الذي فرضته ، من تشريد شعب عن أرض -
أبائه وأجداده - وتفرقه في شتى الانحاء ، يحاول أن يجد له مكاناً يمارس قيّمه
أدميته فلا يجد .

ولذلك فإن هذه النماذج الشعرية التي قدمناها لم تلبس ثوب الخيال ، ولم تعد
الحقيقه المرة التي نلمسها ، ولكن ليس معنى ذلك أنها تصور الواقع تصويراً
(فوتوغرافياً) جامداً ، بل انها مزجت هذا الواقع المرير بالآثر السذّي
تركه في نفوس الشعراء وعواطفهم ومشاعرهم من حزن وألم وأمل فسي
الصودة واصرار عليها ، ونعى على الزعامات العربية والمخاضلين ، وتحذير
من الاعداء والطامعين .

نعم أن كل هذه المشاعر قد تجسدت في النماذج الشعرية التي عرضناها
لتبرهن على أن الشعر يظل اهم الوسائل في التعبير عن خلجات النفوس
وتصوير مشاعرهما وانفعالاتهما متى كان صادقاً لا زيف فيه ولا افتعال



دراسة تحليلية لشعر الغربة والحنين للوطن فسي

الشعر الفلسطيني

- ١ -

الموضوعات وما فيها من جدة :

لقد حمل شاعر المقاومة في النفس رسالته للمتضلع في التحامه مسرع شعبيه ، والتصاقه بآماله ، وتمبيره عن وجدانه دافعا عاليا شمسار " النار " و " العودة " و " الحنين " و " التحدى " و " التفنى " بالوطن " و " الارض " والبيارات و " الامل " معبرا عن كل ذلك تمبيرا صادقا ، متجاوزا مع كل احساسات ومشاعر شعبيه معمقا مفاهيمه النضالية تحت نبض كلماته ، جاعلا منها رصاصا مقاتلا من اجل معركة المسير التي قرر ان يخوضها الى اخر مدى .

وأخذ فيض الشعر المقاوم الغاصب يتدفق مفرقا الصحف ، والاذاعات في أي مكان وجد فيه شاعر من فلسطين . . ثم بدأ المجموعات الشعرية تصدر تباعا لشعراء فلسطين (١) .

لم يكن شعر الغربة والحنين الى الوطن جديدا في الشعر العربي فلقد ذكرنا أن الحديث عن الاطلال في العصر الجاهلي كان يلون شعر الشعراء العرب في ذلك الوقت ، بل كان مسمعا بارزه في ذلك الشعر ومطلما تقليديا في كل قصائده ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ارتجال الشعراء العرب - الصريح بوجه خاص - من مكان الى آخر طلبا للماء والكساء او طلبا لغيره او اقتصاديه او اجتماعية ، ما عمق الاغتراب في نفسه ، فغصه الى الحنين للديار ومرايح الذكريات ومواطن الصبا والنشأة .

(١) هارون هاشم رشيد - الشعر المقاتل في الارض المحتلة - ص ٢٨

وتسمر الفريسة وما يرتبط به من حين تتسحب على الشعر العربي
في عصوره المتعاقبة تختلف فيها العوامل وتتمدد أنواعها بحسب
الظروف والاحوال .

فأذا ما جاء دور الشعر العربي الفلسطيني بعد النكبة " المأساة " .
وجدناه يستمد جذوره - في الاصل - من شعر الاغتراب قديما ،
الا أنه يوافقنا ويفارقه احيانا ، يوافقنا في تمبيره عن الألم
الفريسة وتصوير القلق الذي يعتري الفريب ، وما يمتلج في نفسه
من شوق جارف الى وطنه وتعلق بأرضه وأهله وذويه ، ويخالفه في
أن الشاعر العربي قديما كانت غريته طواعية في غالبها ، كما أن مفهوم
الوطن المحدد في عصرنا الحاضر لم يكن معروفا ، وفي أن المفترق
قديما كان باستطاعته العودة الى موطنه القديم بيكي دمه ، ويسائل
أطلاله ونوئه ، وفي ذلك ما يخفف أشجانه ويذهب اساه ، أما شاعرنا
العربي المنفى - حديثا - فمحروم من ذلك كله ، ومشكلاته المعاصرة
تعمق فيه الشعور بالمهانة والمذلة لان كثيرا من حقوقه - أن لم تكن
كلها - قد تهددت حين فارق وطنه وأصبح مجرد لاجئ لا يلقى
من الناس الا الاستهانة والازهراء ، وكأنه يذكرهم بجريمتهم وتقصيرهم التي
تزداد بشاعتها يوما بعد يوم . ومن هنا كان شعره معبرا عن تفجر السخط
في أعماقه التي هزتها المأساة فصم على أن يكون متمردا نائرا يسمي
الى تفسير هذا الواقع مهما كلفه ذلك من تضحيات ومهما فقد
فلن يفقد غير قيوده .

وإن حين تتسبح شعر الشاعر الفلسطيني الذي عبر عن وجدان شعبي
سجد قد طرق موضوعات تقليدية كصوير الفريسة والحزن وتعلق
نسان بالوطن وحاجته الى الأهل والصحة ، والحث على الثأر الا أنه
بي الوقت نفسه قد جدد فيها بما يتلاءم وروح العصر والفريسة اليوم غير

الغربة بالامس ، والحنين في أيامنا هذه تختلف عن الحنين في المصر
الجاهلي ، والتنقل والترحال هما اليوم غيرهما بالامس .

فالغربة قدما كانت غربة فردية في الغالب لكنها اليوم غربة شعوب
والحنين الى الارض والاهل اليوم يختلف عنه في الماضي من جوانب عديدة
ولا نبالغ حين نقول ان غربة شعب فلسطين كانت أمرا فريدا وشاذا
في التاريخ ، وأن الظروف التي أحاطت بمأساته كانت من التشابك والتعقيد
بحيث جعلتها تبدو وكأنها لغز محير ليس له من حل ، كما أظهرت
هذه الظروف دور بعض النزاعات المتخاذة الذي أسهم في أضعاف الموقف
المصري وأثر على الميزان العسكري بشكل سلبي ، كما أظهرت دور -
الاستعمار والصهيونية العالمية وتأييدهما المطلق لإنشاء الدولة
المعتدية ومدى ما بذلاه من مؤامرات وحيل لتنفيذ أهدافهما ، أما
الامم المتحدة فقد شلها نفوذ الدول الكبرى الاستعمارية ، وهكذا خيل
للإنسان الفلسطيني انه يقف وحيدا في معركة المصير مما دفعه الى
الاستماتة في سبيل حقوقه ، وأن يقف بحذر وترقب ينتظر الفرص المواتية
لاسترداد حقه الضائع وكرامته المهدورة ، وقد سلك في سبيل ذلك
كل السبل ، باذلا كل التضحيات مناضلا في جلد وشراسة مكافحا في
صبر لا يمرف الحدود ، لان ذلك يشكل نقطة اساسية بالنسبة له
فأما أن يكون أو لا يكون ، وقد عبر الكاتب الفلسطيني " غسان كنفاني "
في قصة " ما تبقى لكم " عن احساس الفلسطيني بالوحدة والمزلة
في معركة المصير فقال :

أورثوني . يتيني بوحدتي المطلقة مزيدا من رغبتى في الدفاع عن حياتى دفاعا
يا . لا غرابة حين نرى الشعر الفلسطيني حادا قويا يضح بالنسوة
والسخط لا يكاد يعرف الالفاظ الرقيقة الا في الاقل القليل .
الفضل فان من النادر أن يعنى الشاعر الفلسطيني به ، ولو أهتم به
لشعر بأنه غريب عن المجتمع الذي يعيش فيه ، ولئنه في واد وقومهم
في واد آخر .

من هنا يتبين لنا أن الشعر الفلسطيني يكاد يكون كله من وحي المأساة
وما جرت به من مصائب ونكبات ، ولو ألقينا نظرة عجلية على أسماء الدواوين
التي أصدرها الشعراء الفلسطينيون لتأكد لنا صحة ما نقول فهى :
المشرد ، المهزلة العربية ، مع الفرياء ، عودة الفرياء ، عائدون ،
الضاحمون ، أغاني العودة ، الطوفان ، صوت الجياع ، المعركة ، وهكذا .

فهذه المناوون تعطينا فكرة صادقة عما تحتوية من تصوير للفريسة
والتشريد والحاح على العودة ، ومدى مفاواة العرب الفلسطينيين وما عانوا
من جوع وضياح وتمزق ، ولقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يجسدوا
فى موضوعاتهم ، فالشاعر " كمال ناصر " فى قصة " برتقالة " التى يرمز
بها الى وطنه فلسطين ، ويحاول أن يتذوقها فلا يستطيع ، حتى لقد
خيل اليه أنه يأكل لحمها يشربا فارتعدت فرائصه لان البرتقالة تصدر
من فلسطين الارض العربية ، الا أن اليهود يعتبرونها ملكا لهم ،
وهو حين ينظر الى تلك البرتقالة يرى فيها فلسطين السليبة ، وكرامته
المناجحة وعرضه المستباح فيقول :

وذاقتها فارتعدت جهتها	كان فى ثغرى دم الوريد
فضضتها فأنشقت عن صدرها	جرح على درب الامانى وحيد
عرفته فذاك جرح الصبي	ومسلمى الداى وعرض الفقيد
وسرت فى سمى عويل الصدى	يضج فى صدرى بلحن وثيد
انى تحديتك فى نثرى	فأشرب أن اشبعت وكل ما تريد

وصورة الحمامة تمر على خواطرائنا وهى تتسوح مشاركة الانسلان المرسى
خبرته ونينه ولا أول على ذلك من قول الشاعر :

ناحت مطوقة بهاب الطواق فجرت سوابق دمعى المهراق

والشاعر الفلسطيني " يوسف الخطيب " يبحث هذه الصورة أمام أعيننا حين يدبر حواراً بينه وبين " المندليب المهاجر " لكنه يختلف عن الصورة القديمة في أن الاحساس بالارض هو الذى يفرض وجوده ويلسون القصيدة بصور جديدة ترمز الى الحنين الجارف الذى يسيطر على الشاعر فليذعة مشوقا الى أرضه التى طرد منها حيث يقول :

x
أترك مثلى يارفيق تمر فى الزمــــن
عبر المهالك واللىالى السود والمحن
لكأن فى عينيك همض الملح من وطنى
كيف الحقول تركتها فى عــــرس آذار
ومتى لويت جناحك الزاهى عن السدار ؟
عجبا تراك أتيتنا من غير تذكار
لوقشة ما يرف بهبدر البلاد
خبأتها بين الجناح وذفقة الكهد
لوعشبة بهد ومزقة سومن بهيد
ماذا رحيلك أيها المشرد الباكى
عن أرض غايات الخيال وفوحها الزاكى
أم أن مج الزهر اصبح ققرا شواك ؟

و " محمد المدنانى " يرسم صورة قاتمه لحياة اللاجئين الفلسطينيين حيث يجتبرها قد أنتهت بهمد أن طرد من الوطن وأحتواه اليأس فلا أمل له ولا رجاء ، فكانه يمشى بين الناس وقد لهن كفته ، وهو يمزو حاله تلك الى الزمامات المتخاذلة التى لعبت دورها المتواطى مع الصهيونية واه استعمار ، فطمنته من الخلف وكان يحسبها نصيرة جوارزة له فيقول :

لهفى على قلبه لا وجد ولا أمل
نزفتها يوم أصبحنا بلا وطن
كانت ضاى فلسطين وقد ذهبست
أسير بين بنى قومي يلفمــــنى
قضت على زعامات مطلقــــة
ولا دموع على الخدين تنهمل
مشردين غدا انا اليأس والمطلل
فكيف لم يطونى نو، رمى الاجل؟
ثوب هو الكفن المحبوب والامل
وأخفت قلبها فى قلى الملل

والشاعر فى أحياته السابقة يشكو من قلة الدمع ومعنى ذلك أن حزنه كان شديدا بحيث عجز عن البكاء ، وكثيرا ما يرمح البكاء صاحبه ويخفف أحزانه أما إذا جمد الدمع فقد أشدت الحزن وتضاعف ، وقد بما قالست الخنساء وهى ترثى أخاها " صخر " :

أعنى "جودا ولا تجمــــدا الا تبكيان لصخر الندى؟

ونحن نعلم مدى حزن الخنساء على أخيها " صخر " الذى طهقت شهرته الافاق بفضل رثائها له وحزنها الشديد عليه لانه كان بارا بهما جدا عليها .

ويصور شاعر فلسطينى آخر هو " محين بسيسو " الوطن بألمان يحيىها ويحس يفرح ويتألم ، يسمد ويشقى ، فالوطن يسجن ويشنق ثم يوارى فى التراب ويفيب فى ظلمات القبر ، وفى الموضوع جده لم تطرق على هذا النحو ، ومرجع ذلك الى الاحساس العميق بأساة الوطن التى انسحبت على كل أبنائه فأمسوا انهم يكلمون هذا الوطن ، وأنه يكلمهم وأنه ليس لاحدهما غنى عن الآخر ، وذلك لن يكون مقصدا الا اذا بحثت الدنيا مهتمخمة فى هذا الوطن فأصبح انسلنا يحس ويتألم ويسجن ويموت ويدفن]

يقول الشاعر :

أخى من خلال جهال السياط ومن حلقات القيود الثقيل
تطلع الى وطن الكادحين وقد شنقوه بسود الجهال
ولغوه بالخرق للماليات والقوه فى ظلمات الحفـر
وهالوا عليه التراب الكثيف كأن لم يكن فى ربيع العمر
تطلع الى الاعين الفائرات وقد علق بسقوف الخيام
هنا يضغ الجائعون التراب هنا يعصر الظالمون الحجر
هنا تكسى بالظلام المرأة، أخى من هنا سوف يمسى الشرر

وعين يثير " هارون هاشم رشيد " حوارا حيا مع مدينته " حيفا " ويحثها
على النوح والندب لان اهلها قد فارقتها ، وأن عودتهم اليها أصبحت أمرا
شاقا ، ويتخيلها وقد ضاع صوتها وهى تنادى اهلها دونما صدى أو جواب ،
وسائلها ان كان هناك اياها اليها بعد تلك الهجرة القسرية فان ذلك
يصبح موضوعا جديدا فى الادب العربى والشعر العربى فى عرضه وفسى
المسورة التى تم بها يقول الشاعر :

أمدينة الاعرار نوحى وأندىسى	فالاهل عنك وعن رحابك غابوا
تساءلين وفى ذراك تحسسى	وعلى رباك تأثر عذاب
أين الالى تخذوا الجبال معاقلا	فى ثورة ذلك بها الاحقاب
أين الالى وضيع صوتك دون ما	يهذى على ثغر الزمان جواب
بالله يا حيفا وقد فارقتسى	بالله هل بعد الغياب ايباب ؟

وأستعمل الرمزي فى الشعر العربى القديم كان محدودا كما كان واضحا
الآن فيه فى الشعر الحديث قد تأثر بالمذهب الرمزي الذى شاع فى القرن
التاسع عشر ايما تأثر ، وأن يكن لم يلقى النظوة والنجاح ، فظل يرف

في نطاق معين دون أن يحقق تقدما يذكر لافى الغرب ولا في الشرق
وذلك راجع الى أن الادب ينهض ان يخاطب الناس جميعا ^{ويؤثر} ومن
ثم نعتهم عليه أن يكون مفهوما من قبلهم ، والا أصبح طلاسما والفازا
لا تستطيع ان تؤدي الدور المطلوب منه ، وقد سلك بعض شعرائنا
طريق الرمز وأسلوبه ، الا أنه كان في الغالب رمزا خاليا من الشهايدة
ما ساعد على تقبله في بعض المواقف يقول الشاعر " معين بسيسو "

النسر من تاهوته الحجمى
بالمصباح طيار ..
بجناحه شق الجدار
سم ولولهوة بكاسك
أيها الاعمى حذار ..
ودم ومعجزة بلا قمر
تسير بلا عذاب
قمان عثمان التي بليت على الأيدي
ومصحفه المخضب بالدماء
في كل سارية قميص غافق
ونسم على سوق مزار ..
يانا يهطن الحوت مازالت
يجوب بها البحر
للحوت تسماء ..
من ذ ايدل الحوت ياطلسى
ويلويسه القميصاب ؟
من ذ اتملق نى رقماب
هذى الذئباب السمود
أجراسنا ..
ويطمع فى الأبياب ..

وشاعر آخر هو * عبد الكريم الكومى * (أبو سلمى) يجعل مداد ريشته
من ملامح وطنه التي ترمف هذه الريشة بمدادها سواء اكانت هذه الملامح
مدنا او برتقالا او هذا ، فكلما تذكر كل ذلك أو تخيله أنسابت ريشته
ترسم وتصور وتدون فهي حياتها - فريشته منها ولها - يقول شاعرنا فسي
ذلك :

من فلسطين ريشتي وبياتنى	فعلى الخلد والمهوى يدرجان
من فلسطين ريشتي ومن الرملة واللد	صفت حمر الاغانى
من شذا برتقال يافا قوافيمها	ومن سهل طولكرم المعانى
أحرفى من قطاع غزة والشاطىء	تمشى مصبوغة الاردان ..
يوم غابت الشمس مختلصة	المينين لم تفتقم لنا عينان
من فلسطين ريشتي وجناحها	الى عالم الجوى الغفان
ومن الاردن الحبيب أرويهما	لتندر شجوة الاحسان
ومن الضفة الحزينة لا أنسى	الا فوق الدنى أشجانى

وعين تكون المدينة خالية قد غادرها اهلها اثر احتلالها من قبل العدو
فأنهما تبدو حزينه تلبس ثوب الحداد ، فلا أغانى تتردد فى أنحائها
ولا اطفال يلعبون فى سوارعها ، ولكن الحزن هو الذى يغيم عليهم ،
ويفرض سلطانه فى جنباتها مما يقلب الاوضاع رأسا على عقب فالحياة يحمل
معلمها الموت ، والفرح يحمل محله الحزن والاسى والضياء يرثه الظلام
والشمس تقول " فدوى طوقان " فى " مدينتى الحزينة " :

يوم رأينا الموت والخيانة

تراجع المسد ..

وأغلقت نوافذ السماء

وأمسكت انفاسها المدينة

* * *

يوم اندحار الموج ، يوم أسلمت
بشاعة القيمان للضياء وجههم
ترمد الرجاء ..
واختلقت بنفسه الهيب
مدينتى الحزينة ..

* * *

أختفت الاطفال والافانيسى
لا ظل لا صدى ..
والحزن فى مدينتى يسدب غارها
مخضب الخطى .
والصمت فى مدينتى ..
الصمت كالجهال راينى ..
كالليل غامق ، الصمت فاجع - محمى
هوطأة الصوت وبالمزمنة
أواه يا مدينتى الحزينة
أهكذا فى موسم القطراف
تحترق الفلال والثلج ..
أواه يا نهاية المطراف

والحمد عن الوطن الذى تم نتيجة تأمر وعدوان ، كما تقف فيه كل قوى
البنى والحمد وان يحتاج الى صمود وتكبل وتضحيات فى سبيل الشار من
ابنيل الصودة وهذا بدوره قد دفع الكثيرين من الشعراء الى تبنى -
الدعوة الى الشار والحث على الاستعداد وبذل التضحيات ، حتى يستطيع
هذا الشعب الصمد أن يعود الى دياره فيحررها من مفتحيها ، وهبنى
ياتيه من جديد وقد تخلى عن ضميره ودموعه وتسلح بالصبر وقوة التحمل ،

غير مهمل بما يصادف من معن ، وما يصتريه من عهات ، فالأمال
المرتبطة في التعرر والعودة تستحق التبرعات البسيطة والبهجة
التي لا يعرف التردد أو التمس يقولوا لنا " على ما هم يريد " :

حتام يا وطني تميز على الدروب لنا دموع
والأم يشقى الشعب مشتاقا الى تلك الروع؟
متعرقا والشوق وقد لافح بين النملوع
وهيوننا متطلعات ..
لقد عهس جد آت ..
فيه تمز المتطلعات ..
وطنى على الدروب العاويل البت يسمى النازحون
لايسأمون من التطلع لا ولا هم يباشرون
كم من الأمل العجيب وهم في تلك السهون
لكنما الشعب الأسود ..
باق على تلك العبود ..
متوشها متى بمسود ..
لن يهزم الأمل يا وطني ~~مسي~~ أو جهسان
سندشق في تلك الصفور دروب نصره ~~يهمسان~~
ونفجر الند بانطلاق سوف يذتره الزمان
فم وانطلاق النازعين ..
العاملين العما مدين ..
عنى يتونوا العاقدين ..
وطنى بنوك على الجهاد كما عهدتهم الفداء
وهم صمود وانطلاق ثائروهم الأهباء
ينسون للند ما تريد وفي هيونهم الربباء

وللريبع في النفوس بهجة : حيث يلبس الارض ثوبا قشيبا من البهاء
والرونق ، ويهيمت الحياة مشرقه وضاءة في الارض وما فوقها ولا غرابة حين
يقول المحترى :

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه الفيروز في غسق الدجى

أوائل ورد كن بالامس نوما

غير أن الربيع في شعرنا الفلسطيني المعاصر لم يقف عند ذلك الدور الذى
ذكره شاعرنا المحترى ، وإنما يدخل في دور آخر جديد يتمثل في خلق الأمل
في نفوس أطفالنا المذهبين ، الذين تتوق نفوسهم الى العودة الى ديارهم
وأرضهم يحطون ساللهم ويريدون لها أن تعود ملى إلا أن الربيع الذى وقف
الظلم عقبة في وجهه لا يستطيع ان يلبى رغبة هؤلاء الأطفال الأبرياء ..
فيعودون بساللهم فارغة يندبون حظهم السيئ ، ويلمنون ذلك الشوك
الذى حلال بينهم وبين ما يبتغون ، فلا يحمل لهم أملا ولا يحقق سلاما
أو راحة رغم أن لهم حكايات مشكوكه بقلوبهم ، مزوجة بوجعهم ، يقسول
معمود درويش :

يا أنت يا زهر الربيع

صديقنا زهر الربيع

أنسيتنا ؟ أنسيت لون عيوننا ؟

أنسيت عمر حنيننا ؟

ولنا حكايات على درب الصباح

مشكوكه بقلوبنا

مزوجة بوجعنا

جفتاك من ليل الخيام
عسك تحمل من ربيع بلادنا بعض السلام
لا شيء يزرع من جوانحنا السلام
كحبة من أرضنا يهبو على فمها كلام
حكاية كانت ولذاتنا الظلام
كانت لنا أرض ودار ..

ومضى الزمان بنا ودار ..

وأبهار وانطمس النهار ..

في جو خيمتنا المغمس باللهموج
بتنهيدات من قم صلي وصام عليه
حرمان الرجوع

وما هي حكاية الاطفال ؟

أطفالنا عادوا وفي ايديهم تبكي السلال
ليس الربيع ربيعهم ، ليس لهم تلك الفلال
بستانهم مهجورة اعشاشه .. دينا سما
يسطو عليه الشوك ، والدم ، والوسال
عادوا وفي احد اقمهم حرمان اعوام طلال
اقدامهم في الطين حافية ، واعينهم سعال
عن موعد في ليل غربتهم ، فان الليل طلال

وهكذا نرى أن موضوع الضربة والحنين في الشعر العربي هو موضوع قد يسم ،
الا أنه قد أنشقت عنه موضوعات جديدة ترتبط به ارتباطا وثيقا مثل الحنين
الى المقدسات والمبارك البطولية ، والحنين الى الكروم والبساتين والشواطىء
والسفر ، والاسرار على الصودة ، وتصوير حياة اللاجئين وما يكابدون
من مشاق ، وما يلقونه في طريقهم من مصاعب وعقبات مادية كانت أو معنوية .

كذلك نجد أن اغتراب شعب فلسطين قسرا عن وطنه دفعه الى الشعور بأن قوى كثيرة قد تالفت ضده سواء كان ذلك اعداء التقليديين * الاستعمار واليهودية العالمية واليهود * أم كان بعض الزعامات العربية من طسوك وحكام ، وهذا بدوره قد ضاعف الحنين في حنايا النفس الى الوطن السليب، لانه وحده الذى يمكن لهم أن يجدوا فيه الدواء مما يعانون ويكابدون .

ولسنا نستطيع أن نصف شعر الحنين عند شعرائنا ، بحيث نجعل لكل شاعر نوعا معيناً من الحنين ، الا أننا فى الوقت نفسه نلمح عند الكثيرين فهم الميل والالحاح على نوع معين دون أن يهمل النواحي الاخرى ، * فابوسلى * مثلاً يلح على تمرية الزعامات العربية وكشف دورها وتواطئها على تشريد شعب فلسطين نزلاً الى الاستعمار واليهودية ولكنه لا ينسى المدن والقرى والسفوح والجهال .

و * محمد المدنانى * يعلن بأسه من هيئة الامم المتحدة ويقرر عجزها عن القيام بأ دور ايجاهى فيما يتعلق بمشكلة فلسطين ، لانها واقعه تحت تأثير اعداء الصهيونية والاسلام ، الذين لا يمكن ان يكونوا خصما وحكما فى الوقت نفسه ، الا أنه مع ذلك تلذعه الغربة ويلتهب فى نفسه الحنين الى صفا والى الجرمر ، ويحترق اسى على ما اصاب القدس والمسجد الاقصى ، ولا ينسى ان يحث أمته وشعبه على التسليح والتضامن والاتحاد كى يستطيعوا انقاذ الوطن السليب ورفع راية العروبة عالية خفاقة وقد استترت أمجادها واستحادت تاريخها المشرق الرضاء ، و * هارون هاشم رشيد * يودع غزوه على أمل أن يمسود اليها قريباً ويشده الحنين الى الرسوع والديار ويعترف لحن العودة على كل وتر فى عزم لا يلين وصبر لا يمصرف الكلل .

و " معين بسيسو " يفتح ثغرة في جدار السجن الاصم ليتوهج منها اشراق الفجر الذي يحمل للبائسين الامل في انحرية والانطلاق والتقدم ويهت في نفوسهم الشجاعة والمزم حاثا اياهم على الصبر والجلد والكفاح حتى آخر رجل غاربا الاملية الحية للشعب التي قاتلت حتى النصر ، ليكون لنا في ذلك عبره ننتفع بها عبر امسيرتنا الطويلة الدامية .

و " محمود درويش " يتشبهت بالارض ويخلع عليها ثوبا قد سياتي سبب مكانتها ، ويجعل من نفسه وشعبه " جذوعا " راسخه في اعماق الارض لا تزعجها العواصف ولا تقلعها الاعداء ، ولا تلين امام التحديتات ، وانما هي باقية لا ترحل ، وحتى آخر رمق ستقاوم ، ومع هذا فهو يمسير المدينة فيجدها قد تغيرت بمد الاحتلال ، وقد عاث فيها الاوغساد فسادا الا ان ذلك يزيد اصراره على البقاء والتحدى من اجل ان يكون في لقاء الاهل والاخوه حينما يعودون .

و " سميح القاسم " يستلهم التاريخ ويحن الى بطولاتنا وامجادنا التي تعدت بها الاجيال ، ولكنه يحث وطنه على انتظاره " انتظار عودة شعبه " ويؤكد له انه لن يتخلى عنه رغم ان " عنقه على السكين " وليس ذلك شعوره وحده ولكنه احساس كل اللاجئيين الذي يمشون في المنافي يمانون من التمزق والضيق .

و " على هاشم رشيد " يلح على طالب الثار الذي يهتف في كل واد ، ويحث السادرين ليفيقوا ويستتموا لذلك النداء ، اذا ما اريد لهم ان يكونوا شعبا له ارضه وبلاده ، ينعمون بحريتهم ويفخرون بكرامتهم ومجدهم ، ولكنه لا يقصر على هذا الموضوع شعوره ، بل يتمداه الى الشوق الى المدن والقرى والاسواق ، الامل ومميشتهم واحوالهم ، كما انه يصرح على حال اللاجئين الفلسطينيين في تقاذفته البلدان والمطارات غربا ضميفا " اجنبيا " ولا ينسى ان يعث امة الصرب على الوحدة والتضامن والسير وراءه قادتها المخلصين .

ولسنا نريد أن نستقصى الموضوعات التي تطرق لها كل شاعر من شعرائنا
وأما أردنا أن نشير إلى ذلك بإيجاز دون استطراد أو أسهاب

- ب -

الاساليب وما فيها من قوة وفخامة :

تختلف الاساليب باختلاف موضوعها كما تختلف باختلاف صاحبها ، فأسلوب المدح
يختلف عن أسلوب الفخر ، كما يختلف أسلوب الرثاء عن أسلوب الفزل أو الهجاء ،
كما يختلف الأسلوب تبعاً لقائله لأنه يخلع عليه عواطفه ويمزجه بمشاعره ورواياته
لجوانب الحياة وخبرته بها ، وما يشترك في ذلك من ثقافة وعلم وخلق ،
وتفاني وتشاؤم أو غير ذلك من نوازع وصفات .

ومن هنا نعلم أن الأسلوب هو الطريقة التي يستخدمها الأديب في التعبير
عن الأشياء وعرضها بالصورة التي تنقلها إلى الآخرين مؤثرة وفعالة ، وإذا ما
أريد لهذا الأسلوب أن يكون مؤثراً فلا بد أن يعتمد أولاً على إتقان اللفظ
مع المعنى ، ثم يجب أن يشتمل على صفات أساسية ثلاث هي :

• " الوضوح ، والقوة ، والجمال " .

ولا تتحقق صفة من هذه الصفات إلا بشروط :

• فالوضوح مثلاً يتطلب أمرين هامين هما :

الدقة " وضوح الفكرة " والجلال " وضوح التراكيب " .

- والدقة بدورها تعتمد على ما يلي :

- ١ - اختيار الكلمات المعينة غير المشتركة بين معان ، والتي تدل على الفكرة كاملة .
 - ٢ - يحسن الاديب الاستعانة بالعناصر الشارحة أو المقيّدة أو المخيلة ، كالنعت والمضاف اليه ، والتمييز ، والحال والاستثناء .
 - ٣ - وما يساعد على وضوح المعنى ودقة الفكرة أستعمال الكلمات المتقابلة المتضادة المعانى ، ويشترط في ذلك عدم الفلو والهمد عن التكلف والاعتساف .
 - ٤ - الهمد عن الغريب الوحشى ، والحمد الى لغة الناس وما يستطيعون أدراكة ، وذلك يختلف باختلاف المصور وطبقات الناس فلكل الفاظ ومستوى اليق به .
- أما الجلاء " وضوح التراكيب " فيحتاج الى القواعد التالية :

- ١ - لابد للبلّغ من ذوق نحوي شديد يحسن التآليف بين الكلمات لتدل على معنى دقيق معين .
- ٢ - الوشوق من أن العناصر التركيبية التي يرتبط بعضها ببعض في المعنى - كأصل وتابع أو معنى وضده - قد ركبت بنظام دقيق - وتآليف منسقة .
- ٣ - بعد ذلك تأتي مراعاة الجميل معاً ، وما يكون بينهما من فصل أو وصل ، وما يربطها من حروف العلة ، أو الحال أو الاستثناء بحيث لا يترك فواصل بدون داع .
- ٤ - وما يتصل بذلك الاطناب والمساواة والايجاز ، ولسنا نريد هنا فرض احد هذه الاوصاف على المهارة لان كل عهه فيها تكون أوفى بالعرض في مقام دون سواها (١) :

(١) احمد الشايب - الاسلوب - ص ١٨٧ وما بعدها .

أما قوة الأسلوب والتي تحتاج إليها في مواقف كثيرة كالحماسة وأشارة السواطف والوعى ، وإيقاظ العقول ومثث الشعور فتعتمد على أمرين أساسيين هما :

أولا : قوة الصورة التي تتجاوز الى معان أخرى غير معناها المباشر ، وذلك يتم بالتمثيل ، والكناية ، والاستعارة مما يفتح امام القارئ آفاقا من التفكير والتخيل ، وذلك يتطلب استعمال الكلمات الليفية والالفاظ القوية المحددة غير المشتركة او الفاضلة .

كما يتطلب استعمال الكلمات الوصفية التي تصور مشاهد تلفت النظر وتروع الفؤاد وتهز النفس .

وتحتاج قوة الصورة الى الاستعمال المجازي للالفاظ سواء كان ذلك مجازا لغويا أو عقليا او مرسلًا ، كط تكون حاجتها ماسة الى الكناية ، والتمثيل لان ذلك يملأ الصورة ابعادا قوية ومومثرة تهز القارئ وتوتر فيه ومن نافلة القول ان تذكر ان الالفاظ الضعيفه والحشو الفسارغ لا مكان لهما في الصورة القوية لانهما يعملان على اضعافها وتشويهها .

ثانيا : قوة التركيب :

أن قوة التركيب تتم بواسطة الوسائل التالية :

١ - تقديم الكلمة أو تأخيرها بالنسبة الى موضعها سعيا وراء التمجيم والتفخيم

أو القصر ، او حسن الليفقه والذوق .

٢ - ان الطباق والمقابلة يعينان على قوة التركيب كما يساعدان على الوضوح ؟

لان ذكر الشيء وضده يحقق الوضوح والجلال والقوة شريطة أن يأتي

عفوا دون تكلف أو تصنع .

٣ - لتبياز دورهام في قوة التركيب التي تتطلب السرعة في الكسر

الاعيان لذلك كان الأيجاز ضروريا في قوة تركيب العبارة ، بينما

يسلمها الاطناب والحشو الى التراخي والضعف والركاكة فسي

الغالب .

أما الجمال فهو صفة نفسية تصدر عن خيال الأديب وذوقه: السذني صقله الأدب وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهمه الفسول بين الرديء والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبح " ١ " .

فالجمال يحتاج من الأديب إلى قدرته على اختيار الكلمات المختاسقة والالفاظ الموحية التي تتلاءم مع المعنى ، وأن يكون وقعها في السمع متناغما نتيجة لقدرة الأديب على اختيارها وحسن تنظيمها لتكون أقدر ما يكون على إيصال الفكرة ممزوجة بمخاطفه الأديب إلى أذن القارئ ، وقلبه .

هذا فيما يتعلق بالأسلوب بوجه عام . أما الأساليب الشعرية فهي تختلف قوة وضعفاً ، وتتفاوت في درجات الأداء الفني في الأعمال ، والتقليد والحافظنة والتجديد والجزالة والرفعة نتيجة لتفاوت الشعراء في المواهب الفنية والطاقت الشعرية واختلاف مناهج الثقافة وتعدد الاتجاهات والاتجاهات (٢) .

ولعل أبرز هذه الاتجاهات ثلاثة اتجاهات هي :

أولاً : الاتجاه الاتباعي أو المذهب " الكلاسيكي " وعليه سار كثير من الشعراء لا سيما الذين تقدمت بهم السن فجاء أشعرهم تقليدياً من أمثال : " محمد المدناني ، محمود الحوت ، أبو سلى " عبد الكريم الكرمي " وبرهان الدين الصبوح " .

ثانياً : الاتجاه الإبداعي أو المذهب " الرومانسي " وهو يمثل في التجديد في الأفكار والمعاني والصور والصيغة ، بما يتلاءم مع عواطف الشاعر ونزجاته ، دون أن يعرض على جودة السبك أو قوة الصياغة أو جزالة اللفظ الإيمينية أن يولد المعاني ويبتكر الصور ويلون المواطف ويهبر عن جدانه الذاتي وأنفعالاته الخاصة أولاً وقبل كل شيء ، ومن هؤلاء الشعراء

(١) القاسم الجرجاني - الوساطة بين المتبني وخصومه ص ٣٠

(٢) الدكتور / كامل السوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٦١٧

" فدوى طوقان ، معين بعميسو ، محمود درويش ، كما ناصر ، وغيرهم " .

ثالثا : الاتجاه الرمزي ، وهو الشعر الذي لا يفسر ولكنه يوحي ، ولا يشرح ولكنه
يكفى بالرمز والايحاء ، ومن شعراء الرمزية " عزالدین انصاری ، حسن
النجمي ، احمد دحبور ، وغيرهم " .

وليس معنى قولنا هذا ان هؤلاء الشعراء قد اختلف كل واحد منهم بمذهب معين ، وإنما راينا ان هذا المذهب الذي نسب اليه قد كان أبرز الاساليب وأكثرها في شعره الذي درمناه ووصل الى ايدينا والان ينهض لنا أن نستكشف الصلة بين شعراء الاتجاه الاول " الاتباعي " والشعر العربي للتقديم الكلاسيكي " فنجد أن الصلة تأخذ اشكالا شتى منها :

التضمين كان يضمن الشاعر قصيدته بهيئت لشاعر قديم بهيقه كما هو
أو يحوره ويحافظ على معناه كما فعل محمود الحوت في قوله :

توبوا الى رشدكم يا عرب واحتكموا الى الحديد وخوضوا الموت والهلمما

المتضمن معنى بيت لقيط ^{بن} يمر الايادي في حث قومه على الاستمعداد
للقاء الفرس الذين بيتوا الصدر والهجوم على قومه وهو قوله :

قوموا قياما على أمشاط ارجلكم ثم أفزعوا قد ينال الامن من فزعنا

والبيتان من بحر واحد هو البسيط ، كما أنهما من قافية واحدة وممن
المحاكاة والتقليد ان يأخذ الشاعر المحدث بعض صيغ وجمل وتراكيب
شاعر قديم كقول ابي سلى :

ومثار النقع نوق المنحسني وعلى السفح انثنت خيل الطراد

ودعه ان يبيضة مأخوذه من بيت بشار بن برد الذي يقول فيه :

س سار اسبح نوق روه وسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبنا

ومن استخدام المهارات القرآنية قول يوسف الخطيب .

أوهل أذاك حديث تمزج - فالمعنى أفقا معى متهما خربا - ومنها
نقل السمور والاخلية المستمدة من البيضة المريرة القديمة كالتشبهات والاستعارات
والكنايات ومن هذه الصور :

لج بالمدنف الحنين ، نهب المضجع الوشير ، هجعت له ضوار ، نامت
كواسره ، أستلم القران ناجرته ، رمت به في فم الجلى ، جلوتهم عرائس المجد ،
تنسى على الايام عثرتها ، أفتصوا قصب الاحقاد ، كثرروا عن نيوب الشر ،
أغنى الذى اغنى على لبد ، لافرق بين المسير والتد ، شط المزار .

ومنها التراكيب مثل : المهمة الجذب ، عرين الآباء ، محط الآمال ،
شوك القتاد ، حمى الديار ، رداء قشيب ، الحادث الجلل ، حظ عاشر ،
كف الردى .

ومنها اللفاظ مثل : الخطل ، الخبل ، النقع ، الهلع ، الجلى ،
الضروس ، ضم ، الوغى ، رعادي ، الشرى ، الرخم ، وهضم ، الارزاء .

أما الاتجاه الابداعى " الرومانسى " فيتجلى في تجديد الصياغة
وأبراز الافكار ، والتأثر بأحداث العصر وأستلها ملها ، وطرافة المصور
وأبتكارها ومنج كل ذلك بمطافه الشاعر ومشاعره التى تتضح وتبرز في العمس
الشمرى ، حيث يمبر عن وجدانه وأنفمالاته .

فأوسلى يشاق الى نابلس ويصورها فتاه باكية حزينة فيقول :

يوم غابت " نابلس " مخضلة العينين لم تفتضى لنا عينان

وباروزها شم رشيد يتالم لما أصاب بدنته الحبيبة " عيفا " على أيسدى

البحر المسمى فيقول :

سبوا عليك من اللهب قذائفنا
من أفكمم وخذاعهم تمنى باب

وعمود درويش يجعل من الارض امالد لا يطبق الصمت وهي تتألم فيقول :
لا تلمني انها ارض تهكسي اطيعك للممت والام تالم ؟

ولقد استخدم الشعر الابداعي صور او تراكيب والفاظا مستحدثة كانت
نتاج ثقافة جديدة واستلهاما من روح العصر وواقع الحياة ، فمن الصور :

رضعت من أئدائها حليب البرتقال ذراعها شلت وظهرها انكسر
تعجري ياخطوتني هذا المساء قد رأسلمه سعيالكبرياء

حشكته توزع الحذر ، هذا الريح مبرعم فوق التل ، دمة عذراء تبتكي من سلاها
يسطو عليه الشوك والدم والوبال ، وأنهار وانطمس النهار ، آكل لحم مفتصني ،
نفست الحزن عن وجهي ، يحضر الظالمون الحجر ، تكسي بالظلام المرأة ،
الحزن في مدينتي يدب عاريا ، سلمت يد ايدي .

- ومن التراكيب :

هوق معمار ، يخضب الخطي ، أنطلاق النازحين ، ليل الخيام ، هنيا سعال
هيئة ام ، مجلس الامن ، فرميدك الوردى ، دجى القرية ، يشت البسال ،
بساط الريح ، الجدار الكيب .

- ومن الالفاظ :

الطائرات ، التدمير ، الارهاب ، يهذى ، زورق ، الشعان ، انقراض ،
يشتل ، مزيف ، مطلق ، الاحابيل ، آدمى ، جرثوم ، المنكوب ، شقوه ،

الكادحين .

أما الاتجاه الرمزي فقد كان محدودا لمجزئه عن الإبانة والوضوح ، والشعر الفلسطيني الذي يدور حول الوطن والحنين إليه ، إنما يخاطب الناس جميعا وليس تعبيرا عن حالة خاصة ، وأن تفاوتت المواطن والمشاعر ، ومن ثم كان في حاجة الى الوضوح والفهم ، ومن هنا فإن الذين استخدموا الرمز جاء استخدامهم له محدودا ويعيدا على الضبابية والابهام بقدر المستطاع ، وهم في غالبيتهم شعراء جدد تأثروا بالثقافات الغربية ، كما تأثروا بالشعراء الرمزيين في العالم العربي وسلكوا طريق الشعر الحر والاعتماد على موسيقى التفعيلة الواحدة متخلين عن الوزن والقافية .

وعلى الرغم من وجود نجاحات لبعض نماذج هذا الشعر هنا وهناك لانها كانت وليدة شاعرية حقة وحفلت بالصور الخالصة ما أكسبها تأثيرا وقوة ، إلا أن بعدها عن عمود الشعر لم يوفر لها الخلود والبقاء فالشعر الذي يفتقد له من قيود تنظيمه وتحدد له أطواره وهيكله الملمح بحيث يثير في النفس النشوة والارتياح ، ويساعد ^{على} حفظه وترديده ، وليس كالموسيقى " الوزن والقافية " خارجية وداخلية كاستعمال الالفاظ الموحية التي تحمل ظلالا وتنسجم مع بعضها البعض دون تنافر أو احتكاك وكونها قادرة بذلك على خلق الصور الشعرية الجديدة ، شئ يكسب الشعر ايقاعه وتأثيره .

وقد يرد اصحاب هذا المذهب بأن الشعر عليه أن يوحي أو يوحي ، ويترك التفسير للقارئ بحسب قدراته وثقافته وذكاؤه ، لان الشرح والتفسير ليس مهمة الشعر ، وأن التخلي عن الوزن والقافية يمطس الشعر آفاقا رحبة ويخلصه من القيود ، ويطلق للشاعر العنان في التوليد والخلق والابتكار ، بحيث يستطيع ان يهيم بالضمائم من ادراكه الكبر من للمنايا والاهداع .

ألا أن الصير الذي لقيه المذهب الرمزي حيث فشل فشلا ذريعا
وتخلى عنه الكثير من مثليه في الغرب والشرق يكفى للدلالة على أن
المذهب كان أقرب ما يكون إلى السخوة الطائفة في وقت ممسوم ومصر ممسوم
فاندثرت بذهايه .

وأما الشعر الحر فقد عجز بدوره عن البقاء في عالم الأدب والفن ،
لان الفن لا يعيش بغير قيود ، وما أنه لا يتحلى بالوزن ولا بالقافية ،
فقد أصبح مشاعا يدعيه كل مدع ، مما أساء إليه كثيرا ، وشوه مكانته
وقيمة التي يستطيع أن يحققها بعض الشعراء المبدعين مثل :

" بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وعبد الوهاب البياتي ، وممسوم
بمسوم ، ومحمود درويش ، وصالح عبد الصبور ، وأحمد عبد المصطفى حجازي ،
فهؤلاء الشعراء مبدعون اختاروا طريق الشعر الحر عن قناعة ، وقدرة
على الشعر العمودي والابتهاع فيه ، لكن الكثيرين من أمثالهم أنما
يهربون إليه لعجزهم عن الشعر للعمودي " وقيوده " .

كما أن الرمزية الغربية قد اختلفت حولها الدارسون فجعل بعضهم
اتجاهاتها خمسة وبعضهم يجعلها اتجاهين ، وبعضهم أخرج الاسطورة عن
الاتجاه الرمزي لاستخدامها في الاتجاهين " الابداعي والواقعي " .

ولقد تأثرت الرمزية في الشعر العربي عامة والشعر الفلسطيني خاصة
بالرمزية الاسطورية التي تعتمد على امتثلها التاريخ والاحداث والاساطير
يقول يوسف الخطيب :

أن نخب عنك فكى نلقاك حتى
فى ربي الجنة - أيدانا وروؤيسا
نحن يا يافا ارتقاب الصبح - لا أجفاننا
تسهر ، ولا تلمح شيبا ..
وقد فناء يد الدرب الاله ..
فلم ترجع لنا الافاق أيضا

والشاعر معين بميسو يقول :

قصان عثمان التي هلمت على الايىدى
ومصحفه المخصب بالدمماء ..
في كل سارية قميص شاقق ..
وفم على فوق مــــــــــــــــار ..
يافا بهطن الحوت زاللت
يجوب بها الهــــــــــــــــار

والشاعر " محمود درويش " يقول في " خواطر في الشارع " :

يا شارع الاضواء مالون السماء
وعلام يرقس هــــــــــــــــلا
من أين أعبر ؟ والصدور على الصدور ؟
والساق فوق الساق ، ما جدوى البكاء ؟
أى عاصفة يفتتها البكــــــــــــــــاء

والشاعر " راشد حسين " يزور مدينة يافا بمد وقوعها في هرائسن

... ..

المد والخاصب فيقول :

يافا " التي رضعت من أئدائها حليب البرتقال
تمطش وهي من سقت أمواجهها المطر
يافا " التي كسرت الايام فوق هذه الرمال
ذراعها شلت .. وظهرها انكــــــــــــــــسر
يافا " التي كانت حديقة اشجارها الرجبال
قد مسخت محشمت ترزغ الخــــــــــــــــدر

والشاعر " فتحى قاسم " من الناصرة يصور حنينه وأشواقه فيقول :

أخى ليل الاسى فى البعد يـضـنـينا
ودمع السهد والاشواق يشجـنـينا
يمر الدهر والاقمار منفيـة
تردد فى بلاد التيه مرثية

و " فدوى طوقان " تلتقى بشمراء الارض المحتلة وتوجه اليهم

تحيتها قائلا :

أحائى صاهيـح الدجى - يا أخوتى
ويا سر الخـميرة يا بذار القمح .. فى الجرح
يموت هنا ليمطينسنا
ويمطينسنا ..
ويمطينسنا ..
على طرفاتكم أمضى
وأزرع مثلكم قدى فى وطنى
وفى أرضى ..
وأزرع مثلكم عيـنى ..
فى درب السنى والشمس

ويرد عليها " محمود درويش " قائلا :

وعرفنا ما الذى يجعل صوت القبره
خنجرا يلمح فى وجه الفسزة
وعرفنا ما الذى يجعل صمت المقبره
مهرجانا ومسالتين حيا

ويقول سميح القاسم :

بجلدى أيها المخدوع لن تدفناً
أعد جلدى)
أنا والشمس والمرفأ
على وعند
وصوت قاهر الايقاع ٠٠ لا يطفأ

ويقول حسن النجمى :

كان ان عنفته يوما يريـنى
من تراب الوطن الضائح حـمـه
وقضى بالامس نحـمـه
قبره دون القبرــــــــــــــــور
فائرا كان ، حقمير
أرضه لم تكن مثل الأرض صلبه

هذه نماذج قدمناها كأثلة للشعر الذى استخدم الرمز كأسلوب فى التمهير مع حرصنا على أن يكون هذا الرمز بعيدا عن الابهام والغموض ، ولذلك فأننا لم نقدم لذلك النوع أمثلة ونماذج ، ايماننا بأن عرضها لن يكون مفيدا أو مجددا لانها الفاز وطلاسم ما يجعلها عصية على الدراسة والتحليل .

فضلا عن منافاتها للكثير من الخصائص التى يعتبر وجودها ضروريا فى الشعر ، ولانها تتجه لتجعلنا غريبا جدا وراء التقليد ، بغض النظر عما يهيمه الفوق المرمى أو يرفضه .

كذا نجد أن شعر الحنين فى الشعر الفلمطينى قد سلك عدة اتجاهات أتباعى وأبداعى ورمزى ، ولكنه فى معظمه كان فنا من أجل الحياة ، ولم يكن من أجل الفن وحده ، كما كان الشاعر موضوعيا و " ملتزما " بقضية

شعبه وأرضه ، وهو يميز عن حينه إنما يميز في الواقع عن غربة الشعب كله وحينه الجارف الى وطنه المفتصب وأرضه للسلبية .

أما طرق التعبير والصياغة في هذا الشعر فقد جاءت تقليدية - في معظمها - تسير على عمود الشعر العربي اى الحرص على الوزن والقافية كما تعددت القافية أحيانا مع البحر الواحد ، وأستخدم هذا الشعر أسلوب الشعر الحر واعتماده على التفعيلة والموسيقى الداخلية ، كما فعل شعراء الارض المحتلة ، وقد جاءت الاساليب قوية لانها تحث على الوعى والصدور والحذر ، وتهاجم الضعفاء والجهلاء والخونة ، وتكرس الصدود والبقاء في الارض - رغم كل التحديات - حتى تتحرر ويعود اليها أصحابها الشرعيون ، وقد ظهر في بعض هذه الاساليب ضعف الحزن والامسى والرشاء خاصة القصائد التي قيلت عقب المأساة وقبل اشتعال الثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ . ولذلك نرى فرقا واضحا بين الشعر هنا وهناك من حيث القوة والضعف ارتباطا بالاحداث التي وقعت ، والثورات العربية التي تعاقبت على المنطقة ، والتغيرات التي أحدثتها في البيئة السياسية والاجتماعية والنفسية للامة العربية على صعيد الوطن العربي كله .

أما المآخذ الاسلوبية واللفظية فقد كانت محدودة نتيجة للحرص على الاجادة أولا ، ولان النشر يتطلب حدا معيناً من المستوى الشعري "ثانياً" ، وذلك يدفع بالشعر الى ميزان الصقل ، والتهذيب والتنقيح قبل عرضه ونشره .

١ - مآخذ الاسلوب :

١ - تكرار الكلمة في بيت الشعر يجعله ركيكا متنافرا كقول " معى الدين

الحاج عيسى " :

فالذنب ذنبك أنت لا يجدن عن الذنب أعتذار

فقد كرر كلمة الذنب ثلاث مرات مما أضعف من صياغة البيت

٢ - ما يوحى بالتناقض في بيت " محمد المدنانى " الذى يقول فيه :

أسير بين بنى قوصى يلفمنى ثوب هو الكفن المحبوب والامل

اذ كيف يكون الكفن محبوبا ؟ وما ارتباط الكفن المحبوب بالامل ؟

٣ - النثرية والتقريرية في الاسلوب الشعرى تضحفه وتحلبه تأثيره وذلك كقول " حسن خليل حسين " :

أنا لا أذكر انى كنت يوما آدميا

لم يعاملنى بنو قوصى ولا الاغراب بالحسنى
ولكن عاطونى مثل جرثوم صباحا وعشيا - كأنسان

فقد خلت الابيات الثلاثة من الصور الشعرية رغم وجود التشبيهة في البيت الثانى والبيت الثالث ، وهكذا فقدت هذه الابيات طاقها للشعرية كليا .

٤ - استعمال الالفاظ في غير موضعها كقول " محمد أبى غريسة " :

من قصيدة بعنوان " عيد التضحية والفداء " :

فقد السلام نشيده في صوتهم

بيد الصدو وشعلة الاضفاف

ظمنوا السلام بهيمة ونذالسة

يقنابل النابالم والنيران

اذ كيف يكون الطعن بالقنابل والنيران ؟ فهل نستطيع القول :

طفنته النار ؟ -

ومن ذلك أيضا قول " محين بسيمو " في قصيدة " المدينة المحاصرة "

فيحرك الاحياء ناموا فوق أنقاض السنين

وكانهم قبر تدق عليه ايدى النابشيين

وكان الاجدر ان يكون التعبير : تحت أنقاض السنين لانهم يعانسون

منها وهى عبء عليهم ، فكانهم تحتها أنسب للمعنى وأقدر على

ابرازه وبيان مغلده .

٥ - استعمال الالفاظ العامية والمبتذلة يسهم في اضعاف أسلوب الشعر
ويهبسه ثوبا ركيكا ومن ذلك قول "توفيق زياد" في قصيدته
" على جذع الزيتونه " :

وأسماء السجون ونوع كل كلبشة

شدت على كفى ..

ودوسيهات حراس ..

وكل شتيمة صبت على رأسى

أما الاغلاط اللغوية فكانت محدودة أيضا ومنها :

(١) قول الشاعر " محمد أبو غريبة " :

وقلها واحدا أن نأب شعر

نهد منه به مستبسلينا

فقد كرر ضمير الغائب الذى يعود على أقرب مذكور وهو

شر مما يتنافى مع المعنى المراد من البيت ، فوقع

اللبس .

(٢) قول الشاعر " محمد المدنانى " :

أما الجسم بالجنان خفوقا

لا بشر يانه ، ولا بالوريسد

فقد نصب خفوقا على الحال وجعل الجار والمجرور بالجسم خبرا

للجسم ، مع العلم بأن الجنان لا يكون الا خفوقا مادامت فيه حياة

كما أن حاجة المبتدأ للخبر أولى من وجود الحال التى جاءت للمجرور

(٣) قول الشاعر على هاشم رشيد " :

كم فرق الامل الحبيب وجهدهم تلك السنون

فقد عطف مفعولا به على آخر قبل ذكر الفاعل مما جعل البيت متنافرا

تصطك كلماته وجاء في صورة متسرة متكلفة ، ولو استعمل لفظ

" ضيق " مكان " فرق " لكان أولى .

(٤) ويقول " محمود دسوقي " :

فمهما تأخرت عن موعد
فلا بد ألكي تسمى

ولا بد هذه تحتاج الى من بحيث يقال : لا بد من كذا ..

(٥) ويستخدم بعض الشعراء الكلمات العامية كقول " عزالدين المناصرة "

وكنا نخرج رخطونا والارض تندهننا

فلا نضفى لها ..

فالصحيح أن يقول : تنادينا ولا ضرورة لاستخدام كلمة

تندهننا العامية .

وكقول حنا أبو حنا :

فتحى الفناء أوف طويلة

طويلة ..

تلى على الحقل أوف ثقيلة

وكقول " توفيق زياد " :

وأحضر : " دير ياسين " تشرش فى ذكراها

(٦) عدم مطابقة الصفة للموصوف كقول " محمد أبو غريبة " :

من نبع عزم يمد النفس بالامل

أهدى قسدى الى الاحرار من دولى

فالدول توصف بأنها حرة لا أحرار ، كما لا يصح أن يضيف الدول

الى ياء المتكلم ، فلو قال بلادى أو أوطانى لجاز ذلك

من الناحية القومية والشعورية ، أما مادام قد أعترف بتمدد

دولا فقد كرم استقلالية كل دولة عن الأخرى وقيامها منفردة

بذاتها .

* بنية القصيدة *

لقد حرص معظم الشعراء على بنية القصيدة فأهتموا بالوحدة العضوية لاسيما الشعراء الابداعيين والرمزيين ، وجاءت القصائد متلاحمة كل بيت مرتبط مع سابقه ولا حقه بأكثر من سبب ، ومن هنا أصبحت وكأنها بنسأة حتى متطاسك ، لا نستطيع تقديم بيت منها أو تأخيرها أو حذفه حتى لا يحدث فيها اضطرابا ، فكل بيت يمثل جزءا من المعنى ويتم معنى البيت السابق ، ويقدم ويهيئ للبيت اللاحق .

" وتعنى هذه الوحدة وحدة الاطار الذى يضم عناصر التجربة ، ووحدة اتجاه الصور ، ووحدة الخط الذى تنظم فيه الافكار ، والوحدة العضوية تستلزم الوحدة الموضوعية او الفكرية ، وتبدو الوحدة العضوية واضحة نفسى قصائد شعراء الاتجاه الابداعى " ١ " .

كما حرص معظم الشعراء على التزام الوحدة الموضوعية ، على خلاف الشعر العربي القديم الذى كان يسلك طريق التعدد فى الموضوعات التى تحتويها القصيدة ، وأن كان ذلك الشاعر يلتزم الوحدة الشعرية التى تربط بين الموضوعات المتعددة ، لكنه فى الوقت نفسه كان ينادى باستقلالية البيت التى تجعله مستقلا بمنزلة عما سبقه ، وعالقه ، ولذلك كان هناك ما يصرّف " ببيت القصيدة " والاستشهاد بهذا البيت أو ذلك على أنه أحسن بيت قيل فى الكرم ، أو الحكمة ، أو الفزل ، أو الهجاء ، أو غير ذلك .

ولا غرو أن يكون موضوع الغربة والعين محور النماذج التى عرضناها فى الفصول السابقة سواء كانت الغربة كانية أو نفسية أو روحية ، وسواء كان الغريب من الأهل أم الى المدن أم الى القرى والسهول والديار ، فإنه يعبر عن معيشة ولدتها ظروف معينة ومحدودة ، حقا أن هناك أنفعالا نفسيا لكثير من المذكورة ، وقد شحنت بالعاطفة الجياشة الصادقة التى تنبع عن تجربة شعورية أكيدة ، لكن هذا الانفصال يتفاوت من شاعر الى آخر بحسب

(١) الدكتور / كامل السوافيرى - الشعر العربى الحديث فى أساسة فلسفية .

ظروف كل منهم وقدرته على الابتكار والخلق والتصوير ، وبمعنى آخر لقد
تفاوت الانفعال في تلك القصائد بحسب تفاوت شاعرية الشعراء وتباين
قوة العاطفه ، ومدى تأثير الظروف الخارجية والظروف النفسية لدى كل
واحد منهم ، وذلك أمر طبيعي لا غبار عليه .

الاوزان والقوافي

لقد جاءت تلك الأشعار وعرضت أماميها في قوالي ثلاثة :

الأول : هو وحدة الوزن والقافية ، والتزام هذه الوحدة في كل القصيدة تبعا
لنظام القصيدة المرهبة القديمة وتمسكا بعمود الشعر العربي
المعروف وقد سار على ذلك النهج الشعراء الاتباعيون ، ومعنى
الشعراء الأبداعيين وبذلك فقد جاء معظم الشعر على هذا النمط ،
ومن هؤلاء الشعراء :

" محمد المدناني ، وأبو سلى ، ومحي الدين الحاج عيسى ، ومحمد
أبو غريبة " .

الثاني : القافية المنوعة فقد قسم بعض الشعراء القصيدة الى مقطوعات تتناول
كل واحدة منها فكرة ، وجعلوا لكل مقطوعة قافية مستقلة مستعم
المحافظة على وحدة الوزن الشعري في القصيدة ، وقد جاءت قصائد
عديدة على هذا النمط ولكنها كانت دون الأسلوب الأول .

ومن الشعراء الذين سلكوا هذا الطريق :

" يحيى بن عيسى ، محمود الحوت " في المهزلة المرهبة " ، هارون هاشم
رشيد " في بعض قصائده ، وقدوى طوقان " .

الثالث : الشعر الحر " شعر التفعيلة " ولقد فرض الشعر الحر نفسه في كثير من القصائد لاسيما شعر الارض المحتلة على لسان :

" محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، راشد حسين ، وغيرهم والشعر الحر كما هو معروف لا يلتزم الوزن الشعري المعروف ، ولا يلتزم قافية وأما يعتمد على الموسيقى الداخلية المكسبة من موسيقى التفعيلة مع استخدام الكلمات الموحية والصور الطريفة المبتكرة ومن الذين عالجوا الشعر الحر عبدا شعراء الارض المحتلة المذكورين :

" معين بسيسو " في بعض قصائده وحسن النجدي وأحمد دحبور ويوسف الخطيب " كما أن كثيرا من هؤلاء قد لجأ الى الرمزية في شعره وأن كان رمزا أسطوريا ، ولقد عرضنا بعض النماذج التي كان الرمزية فيها بعيدا عن الغموض والابهام .

ولقد لاحظنا أن الازان الشعرية التي كان لها نصيب الاسد في موضوعنا " الفريسة والحنين " هي أوزان البحور الطويلة مثل الطويل والكامل وللمهبط والواقر ، وذلك راجع الى ان موسيقاها تنجم مع الشعر المحدث يدعوا الى الثأر وطرد الأعداء وايقاظ الهمم ، كما أنها تتسع الى أنسياب العاطفة الحزينة المتمثلة في بكاء الديار والتشويق الى الأهل والوطن والرياسموع ، والتي يرثا الشهداء وتصوير المآسي التي نزلت بالوطن وأهله .

زخرفة الاساليب *

لقد زخرت الاساليب الشعرية في الشعر الفلسطيني بالكثير من فنون البديع
المعروفة مثل الطباق والمقابلة والجناس وحسن التقسيم *

فمن الطباق قول الشاعر " محمود الحوت " :

لا كان غرب ولا شرق ونحن على كف الردى وهو يلهمو بماني لمبتله

ما السلم ؟ ما الامن ؟ والاعداء في وطني ؟ أنا طريد وهم سكان جنته

وقول الشاعر " علي هاشم رشيد " :

ان ذلك يا وطني ستلقى ليلنا صباحا وترضى زحفنا المقبسولا

ومن المقابلة قوله في القصيدة نفسها :

ويكون رهط المائدين مالفرا ويعود رهط المتعدين فلرا

ومنها قول الشاعر " رجا سميرين " :

أراكم رضيتم بعيش الكفاف وأنتم صنعتم نعيم الحياة

أراكم تنامون فوق السراب وأنتم أقمتهم قصور السراة

ومن حسن التقسيم قول الشاعر " حسن النجوى " :

شفتاه سؤال مضطرب عيناه سهوب ترقبني

وقول الشاعر " هارون هاشم رشيد " :

هناك ، هناك ، أغاني صباي ونجوى شهابي وذكري هوان

وحقلي وما زرعتني بيداي وعودا تركت حزينا ، ونساي

رمتني قرا " محين بيسو " :

هنا بقايا رغيف عالق بهمس هنا موت ، هنا غرق

ومن الجناس التام قول " فدوى طوقان " :
وألف الحياة يشيع الحياة بأجواء جنتها الحانية
ومن الجناس الناقص قول " أبي سلمى " :
سيروا على وضح النهار قالحق من نور ونسار
ومنه قول " توفيق زياد " :

وأحفر : " قد وصلنا قمة المأساة

لاكننا .. ولكنها

ولكننا .. وصلناها

" الصور وما توحي به "

يتفوق الشعر على غيره من الفنون بالخيال والصور التي تنبثق عنه ، فالكل يعلم أن الخيال عنصر أساسي في الشعر قديما وحديثا ، عند العرب أو عند غيرهم من الأمم كالأغريق مثلا الذين كان اهتمامهم به قليلا ، فإن سقراط كان يعتقد أن خيال الشاعر نوع من " الجنون المبرر " وتأثير أفلاطون بذلك ، حيث كان يرى ان الشعراء " مبهوعون " وأن الأرواح السكتي تتهمهم قد تكون خيرة وقد تكون شريرة ، ولكنه لم يستطع أن يميز بين بعض الشعراء وأصحاب الحرف في قوة الخيال ، الى أن جاء أرسطو فأعترف لصاحب الملكة المتخيلة بالمكانة اللائقة به ، وقدر تلك الملكة التي تستدعي التأليف بين الصور ، وأثنى على القدر في المجاز .

فإن قيل بي ، غريق يصدق الى حد كبير على نظرة العرب الى الخيال ، فإن المهم بهذه القوة موجود ، ولكن اهتمامهم بالتحدث عن طبيعتها قليل ، وقد ترنوها منذ القديم بالشیطان ، وتصورها نوعا من الألهام ، ونسبوا

أهتماماتهم للنبي " عليه الصلاة والسلام " بأنه شاعر ، ما يصور مسدى فهمهم لطبيعة الوعي ، وطبيعة الشعر ، وتحدث بعضهم عن آثار هذه القوة في نفسه ، وكيف أنها تغييب وترجع " ١ " .

ونعرف من ذلك أن الخيال كان يحتاج الى كد ومعاينة ، ولم يكن وليسد التلقائية ، فكل واحد من شعرائنا العرب يحدثنا عن تنشيط خياله وحفزته أما بالاستثارة العاطفية او المناظر العظيمة أو نحو ذلك .

وأبسوناس وحده الذي كان أقربهم الى طبيعة الحلم وترك السيطرة ، للمقلد الانواعى ، حيث ينصرف الى شرب الخمر حتى يكاد يفقد وعيه ، وأصبح بين الصاحي والسكران استطاع ان يبدع ويتفوق .

ولم يكن الكلاسيكيون يسيرون الخيال اهتماما يذكر ، وإنما انحصر اهتمامهم في المجاز والسور البصرية ، وأهم ما يعنيه الصدق في تصوير المواطنسف ، يقول " بوالو " :

أن الخيال موهبة عظيمة ، لا يستغنى عنها شاعر حقيقى ، ولكنه إذا استمر اللعب بها فإنه لن يصل الى الكمال ولا يند أن يكبح عقله خياله . وعلى الشاعر حتى عين ينحرف عما هو طبيعى ، أن يحترم قوانين العقل التى تحدده بحسود ما هو محتمل ممكن " ٢ " .

وعند الرومانسيين وجد الايمان المطلق بالخيال ، ولقى الخيال الشعرى ونظريته التقدير والاهتمام عند كل شعراء الرومانسية ونقادها .

ولم يكن الخيال فى نظريهم وسيلة لبناء العالم الفنى بحسب بل أصبح لديهم هو المنفذ الوحيد للحقيقة ، وذهب أحدهم " شلينج " الى التسوية بأن الفن هو الذى يدخلنا الى معبد تعوم حوله بقية فروع المعرفة ، الفلسفة فأنها تقف بنا فى ساحة ذلك

(١) الدكتور / احسان عباس - فن الشعر ع ١٤٣ " دار الثقافة بيروت ط خاصة "

(٢) المصدر السابق نفسه ع ١٤٦ .

وأستمر الشعراء الرومانسيون على هذا الضوال في تجسيد الخيال والاهتمام به حتى أن " بليك " كان يرى انه قوة الهية ، وأن كل شيء حقيقى يصدر عنها .

أما الطبيعيون فكانوا أنفذ بصرا من الرومانسيين حين أتجهوا الى الطبيعة وأنكروا الاشكال المثالية للفن الخالص ، وركزوا اهتمامهم بالمظاهر المادية للشياء وتوصلوا الى أن طبيعة العمل الفنى لا تعتمد على كبر الموضوع او صفوه ، وإنما أعترفوا بأن قوة الخيال هى التى تضع هذا الموضوع مهما كان فتطبعه بطايعها عظيما كان أو تافها وقد أثبت " أنوريه دى بلزاك " فى تصويره الامور التافهه فى مكانها الطبيعي ، و " فلوير " - فى تحليله للشخصيات الضعيفة - حسنه الفطرية بما لا يدع مجالاً للشك .

والخيال عند " كولردج " يتحدد ويتصرف بالشكل الذى لم يزد عليه أحد شيئاً يذكر انه يقول :

" ان تلك القوة السحرية التركيبية التى نطلق عليها اسم الخيال تظهر فى التوزيع بين العناصر المتناقضة أو المتناقضة وأظهار الجدة فيما هو مألوف ، ومن أروع ما يحققه الخيال معنى المتممة الموسيقية وهو ما يمكن أن يعبر عنه اليوم بخلق الملاممة فى الدوافع التى تمدد وغير مترابطة وسكبها فى نظام واحد ، اى فى خلق التوازن والاعتدال " (١) .

وقد أستطاع " كولردج " أن يحقق التمييز بين الخيال والوهم ، والفرق بين الطاقعين أنه لو أزيلت حواجز الحس لكان الوهم هذياناً والخيال جنوناً والعقل هو الذى يستعمل القوتين فى الحال الطبيعية ، وهما قد تسملان معاً لانهما غير متعاكستين ، فالخيال هو القوة الموحدة المركبة أما الوهم فى سر القسوة على الحسد والجمع ، ورغم هذا فقد ظلت القوتان :

" الخيال والوهم " ملتبستين عند كثير من النقاد والشعراء .

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٥٠ .

يقول الدكتور / محمد مندور * والواقع أن الخيال عند كبار الأدباء والشعراء قد كان دائما وسيلة لادراك الحقائق التي يعجز عن أدراكها الحس المباشر أو منطق العقل ، بينما التوهم هروب من الواقع وللحقائق وتلفيق لصور مخومة نضج عن الحقائق بدلا من أن تهدي إليها " ١ " .

ويتصدى عبدالرحمن شكرى لتوضيح الفرق بينهما فيقول :

" أن التخيل هو أن يظهر الشاعر الصلات التي بين الأشياء والحقائق ، ويشترط في هذا النوع ان يمبر عن حق ، والتوهم هو أن يتوهم الشاعر بين شيئين علبة ليس لها وجود وهذا النوع الثاني يفرض به الشعراء الصغار ، ولم يعلم منه الشعراء الكبار ، ومثله قول أبي العلاء المعري :

وأهجم على جنح الدجى ولو أنه أسد يصول من الهلاك بمخلب " ٢ "

والصورة تعتمد أساسا على الخيال ، وهي ليست شيئا جديدا ، فإن الشعر قائم عليها منذ أن وجد حتى اليوم ، وأن يكن استخدام الصورة يختلف من شاعر إلى آخر ، والمتأمل لها يجد فيها أكبر عون على تقدير الوحدة الشعرية ، أو على كشف للمعاني المميقة التي ترمز إليها القصيدة ، ومن البديهي أن الشعر الحديث يختلف في جملته عن الشعر القديم في استخدام الصورة ،

والصورة الشعرية إما جزئية تتحقق في كلمة ، وأما كلية تتألف من مجموعة صور متناسقة ترسم مشهدا عاما ، وهي في الأصل تعبير خيالي ، ولكنها ربما وجدت في تعبير حقيقي - كقول الخارث بن هارثة في معلقته

أجمعوا امرهم بليس فلما
أصبغوا أصبغت لهم غوضا
بين مفاد ومن مجيب وممن
تصهال خيل ، خيل داك رغاء

(١) الدكتور / محمد مندور - النقد والنقاد المعاصرون - نهضة مصر ٦٤/٦٥

(٢) المصدر السابق نفسه - ص ٦٥

وقد حفل الشعر الذي استوحى محنة فلسطين ، وما ساتها بالصور وهذه
الصور أما قديمة قلد فيها الشعراء سابقينهم ، وأما جديدة أبتكرها خيالهم^(١)
وأبداع خلقها .

وقد تميزت تلك الصور بالروعة والجمال ، لان المحنة هزت النفوس
وأضربت انفعالها وأججت القرائح ، ولعبت الشربة وما نتج عنها من
شوق جارف وحنين لاذع دورا فعلا في رسم الصور الشعرية المبتكرة
في شتى انواع الحنين سواء كان هذا الحنين الى الديار او المقدسات
او القرى والسهول والمدن ، أو كان الحنين حسرة ولوعة وهكاه على مسأ
الم بالشعب العربي الفلسطيني ، او كان نعييا للمدانة في المجتمع
الدولي والامم المتحدة ، وسنعرض لكن نوع من هذه الموضوعات صوراً
شعرية ، تألق اصحابها في توليدها وأبتكارها ، فجاءت موفقة في مكانتها
الفنية وقدرتها على الاقناع والتأثير وكشف الحقيقة أو الممانى المبيقة
التي ترمز اليها القصيدة ولا جرم أن توليد الصور وأبتكارها يختلف من
شاعر الى آخر بفصل ظروف عديدة ، منها ما يتعلق بالشاعر نفسه
ومنها ما يعود الى البيئة التي يعيش فيها والمجتمع الذي يخاطبه
ويتوجه اليه .

(١) الدتور / كامل اسوافيري - الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

- الحسرة واللوعة على الوطن المفتصب :

كانت البرتقالة ولا تزال رمزا لخصوصية أرض فلسطين وتعلق شعبها بهما
الذين بذلوا كل جهودهم في زراعة هذه الفاكهة اللذيذة والعناية بأشجارها
ولكن حين يرى شاعر من فلسطين برتقالة من هذا البرتقال الذي صدر للخارج
بعد وقوع فلسطين في براثن العدو المفتصب - لا يجد الجرأة على أكلها
او التصنع بها ، لانها تذكره بوطنه الذي اغتصبه ، وكرامته التي اهدرت ، يقول
الشاعر " كما ناصر " في رسم هذه الصورة :

وذاقتها فارتعدت جهتها	كان في ثغرى دم الوريد
ففتتها فأنشق عن صدرها	جرح على درب الاماني وحيده
عزفته فذاك جرح الصب	وطسبى الداي وعرضى النقيب

والارض حين تغتصب ، والوطن حين يضيع يعاني الشعب مأساة
ليست لها حدود ويصبح الوطن كفتاة فقدت عذريتها بعد أن داهمها
نائب لا يرمى الله ولا ذمته ويصطبغ تراب الوطن بدم العوض المسفوح
هذه الصورة التي تبرز مدى العناية التي يحسها الانسان الفلسطيني وترسم
لوحة كئيبة يلونها الاسى حتى النخل يعرضها شاعر فلسطين المبدع
" أبو سلى " حين يقول :

يا فلسطين أين ترتسك	العدراء تنفضها يد المحتاج ؟
حر قلبي على التراب خضيبها	بشظايا الاعراض والارواح ..

والطائفه دور معروف في شعرنا العربي لقدرتة على الانتقال والترحال
وشيرا ما رآه الشعراء المصونه ، وطالما الحوافي طلب مساعدته ،
لأن أسماهم حفلت بذكره حرا طليقا كان ، أم أسيرا وقع في الشراك ،
والشباك ، وشاعر آخر من أبناء فلسطين يدبر حوارا مع طائر هاجر ممن

الأرض المحتلة فالتتيا في النفس ماذا يقول ؟:

عجبا تراك أتيتنا من غير تذكّار ؟
لوقشة مما يرف بهيدر البلاد
خبأتها بين الجناح وخفقة الكبد
لوعشبة بيد ومزقة سوسن بيد

أنه يجب لهذا الطائر لأنه لم يحمل إليه تذكّار من الوطن العليسيب !
عنى ولو كان هذا التذكّار قشة ترف في الهيدر يخبثها تحت جناحه ، أو عشبة
أوزهرة سوسن ، وكم رسمت هذه الصورة من ظلال ! ونجحت في رسم مشاعر
الأسى والحزن على نواحي الوطن العجيب واللهفة التي يعانيها أهلوه ، وشوقهم
للأهب من أجل العودة إليه .

- بنا • الصرورة والعززة :

ولم يتم ضياع فلسطين وتشرد شعبها والا في ظل التمزق والضعف على
صعيد الوطن العربي ، ووقوف معظم الدول العربية من هذه الكارثة الفورية
موقفا سلبيا ان دل على شيء ، فأنا يدل على عدم التبصر والمجز عن تحمل
المسئولية ، والتهرب من مواجهة التحديات المفروضة عليها ، ولذلك فإن أمة
هذا شأنها في حاجة الى تضيير جذري يهز أعناقها ويهشمها من جديد ،
لأنها راقصها المزرى غير جديرة بأجداد الصرورة السالفة ، ولكن فدوى طوقان
تروى حروفها ناخرات لاهد من اقتلعها ، وأن الاقدار يجب أن تقتلع كل الضعفاء ،
وبقاي الموسم دون رحمة أو هوادة فتقول :

يا هذه الاقدار لا ترحمــــى
فرائس الضعف بقايا الرسم
بالمعول المحموم اهوى علــــى
تلك الجذوع الناخرات الحطم
كوني اتيا عارما وأجرنــــى
كر ضعيف الروح واهى القدم

فالضعفاء والجهلاء جذوع نخره ، وبقايا رحم ، والقدر معول لا يرحم مهمته
أن يزيح هذه الحثالة من طريق الحياة ، والاقدار سيول عاتية عارسة
تجرف أمامها الذين يفتقدون الصلابة والثبات .

أما شاورنا " أهو سلى " فيرى ما فعله زعمائنا ، يتناحرون ويكيد بعضهم
لبعض ، ويتفانون في خطب ود المستعمر بينما المدوقوة متماسكة يستفصل
كل ظرف ويتقدم كل دقيقة فيدهش الشاعر ويعجب من زعامتنا هذه السنتي
ليس لها من صفات الزعامة الا اسم فيصرخ قائلا :

زعماء ! ماوى الذى بينهمــــم لا فرق بين العير والوتد

وهي صورة ترسم لنا المكانة التي وعمر اليها " زعمائنا " في ذلك الوقت
المتعيب ، وشاعر آخر يرى ان ما فعله " القادة " بالشعب هو عمل
جزار يسوق قطيعا للذبح ، ولا يهمه منه الا ما يكسبه من مال ، ولا علاقة
بينهما أنسانية كانت أو اجتماعية ، فالقادة يحسبون انفسهم من عنصر يختلف
عن عنصر الشعب ، وانهم غير مكلفين بخدمته وتوجيهه وحسن الاشراف عليه ،
يقول الشاعر " محمود الحوت " :

والقادة الصيد جزارون ما شهبوا فهل ترمد من قطعانها عنسق

وصورة كهذه ترسم عنف القسوة والظلم اللذين يمارسها هؤلاء القادة كما تجسم
لنا جموع هؤلاء القادة ، وتنمى على الشعب ضعفها وتخادعها ، وتحثها على الثورة
واسرد على هذه الزعامة الهشة المتهالكة .

٣

- نصي العدالة في المنظمة الدولية :

حينما أنشئت هيئة الأمم المتحدة بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ وأعلنت من ضمن مبادئها الدفاع عن حقوق الانسان وحق كل شعب في تقرير مصيره بنفسه أستبشرت وهلك لهذا الانجاز الانساني الرائع كل شعوب الارض المظلومة - وخيل اليها أن عصر الاستعمار والاستعباد قد ولى - وأن عصر جديد بدأ مشرقا قد أنبثق فجره ! ولكنها كانت جد واهمة ، فقد أثبتت الاحداث أن ذلك لم يكن الا هريقا دعاويا استغلته الدول القوية المنتصرة ، وظلت الحرية الموعودة سرايا خادعا امام أنظار الشعوب الضعيفة والمظلومة على أمرها ، وتأكد لها أنه يحتم عليها أن تخوض حروبا تحريرية طويلة الامد اذا ما أرادت أن تستعيد حريتها وتنعم باستقلالها .

وقد أثبت موقف الأمم المتحدة حول قضية فلسطين بما لا يدع مجالا للشك خيبة أمل الشعوب الصغيرة والمظلومة في هذه الهيئة ومؤسساتها ، ولذلك لن يكون غريبا حين نرى شعراء فلسطين وقد خذلتهم الأمم المتحدة ومؤسساتها يصبون جام غضبهم عليها ويصرون موقفها المتحيز مع الصهيونية العالمية ، ويكشفون خضعها الذليل أمام ضغط الدول الاستعمارية الكبرى ولذلك يستهمد شاعر " كملى هاشم رشيد " أن يفكر الغرب او يسمى ممن أجل خير الشرق والمغرب بل يرسم لنا صورة تمثلهم أصدق تمثيل ، فهم تجار ساسرة فلا دين ولا خلق همهم الاول والاخير أن يجنوا طائفل الارواح بكرا وسيلة ممكنة في أيديهم فيقول :

أصبح يهفون للشرق خيرا ؟
أن خير وكلهم تجار
هبطوا سادة الرقيق وكل
عندما بيع شعبنا مسار

و " أبو سلى " تؤكد له تجارته فيهمه التاريخ والاحدك يقبل أن دول
الغرب الاستعماري تتبارى في الكيد لنا ، وأن كل مسئول منهم يتفوق على
سابقه في القسوة والظلم والايذاء ويصورهم بالاراقم التي هي رمز للشرب والتهلاك
كما أنهم يحللون لانفسهم كل ما لدينا يستيجونه دون رادع أو مانع فيقول :

بينهم عصبة الارقم تسمى كلما غاب أرقم لاخ أرقم
حرموا الظلم بينهم واستراحوا ولدنا يحللون المحرم

والشاعر " محمود الحوت " يصور المنظمة وقد قذفت بوسيطها " برنادوت " الى الموت دون أن توفر له الحماية الضرورية او الدعم اللازم ، فضلا عن أنها
غضت الطرف عن جريمة قتلته على أيدي العصابات اليهودية فلم تحرك ساكنا ،
ويصور مجلس الامن فرحا مسرورا لهذه الجريمة ، فإن دوائره التي تحركها
الدول الاستعمارية الكبرى والمستسلمة للضغط الصهيوني مر عليها الحداث
مرور الكرام ، وكأنها متواطئة مع العصابات الصهيونية فيقول :

رمت به في فم الجلى منظمة رعنا فاستلم القران ناحره
ومجلس الامن في باريس قد رقصت على جريمته الكبرى دوائره

والشاعر " فدوى طوقان " تصور مدينتها الحبيبة " القدس " تسير
على درب الآلام تجلد تحسث الصليب ، ورغم الشرف الا أن العالم كلسه
قلب جامد كالصخر قد أغلق بابه عند سماع صوتها أو الوقوف معها فسي
مأساتها إذ تقول :

القدس على درب الآلام
تجلد تحت صليب المحنة
تنزف تحت يد الجالاد
والعالم قلب منفلق
دون المأساة ..

وهذه الصورة عمقت احساس المدينة بالاليم والمعاناة حين شخصتها
وأستوحى الرمز الديني لمعاناة السيد المسيح ، وجعلت من العالم شخصا
قاسيا " قلبا مغلقا " لم يتأثر بهذه المعاناة العظيمة .



للحين الى الابد والى الاماكن المقدسة والتاريخية :

لقد حفل الشهر الفلسطيني المعاصر بالحنين الى الديار والاماكن
التاريخية التي تذكر الانسان العربي بأجداده وبطولاته ، أما تشوقه الى
الاماكن المقدسة فمردده الى رغبته في اشارة النخوة وايضا الحمية
والغيرة الدينية عند المرب خاصة والمسلمين عامة ، وجاء الشهر ليبدع
في صنع الصور الملائمة لهذا الموضوع وللقضية على شحن العاطفة
وتوجيهها لتحقيق الهدف العام الذي يرمى اليه هؤلاء الشمر من جعل
الوطن - بكل ملامحه - حيا في النفوس ، وحث الناس على التضحية
والفداء من أجل تحريرهم وأستعادته وسبرز لنا الشاعر " محي للدين والمملج
عيسى " هذه الصورة مجلوة مؤثرة في قوله :

وحياتها من مؤمن ومصداق	أين الساجد والكنائس عطلت
تلب الرباع واخل نومك وأشهبق	مكت الاذان فدر يمينك باكبسا
داره ولا إن جئت بايك ينطيق	لا أدركك إلا بعدد وأرف ظلمها
مطلع يزول مسبح مشرق	فالسجد الاقصى على أحواضها

والشاعر " أبو سلى " يصور المسجد الاقصى بجهش بالهكاء على أهله ويجعل
من الاذان نائحا أما " دير ياسين " و " القسطل " فيلفهما ثوب حداد
حزين ، وقد وحدت بينهما النكبة وتقاسما مرارة المأساة فيقول :

ريشتى من حفيفها جهشة الاقصى على أهله ونوح الاذان ..
" دير ياسين " فى الشبابة مع " القدس ظل " خلف السواد يعتنقان

والشاعر " هارون هاشم رشيد " يرى بلاده وقد صارت مسرحا للبلاء يتعاقب
عليها ، فقد مات فيها الصداح ، والسرور ذهب وولى ، وخيم عليها سـتار
ثقيل من الهم والشقاء ونجح فى الجمع بين الاسداف ، والشقوة ، والدكـاء
ليجعل منها صورة تخلع ابطاءها القاتم على النفوس التى تعانى من التمزق
والياس ويجعل من القوى وحشا يستمرى الجريمة ويوغل فيها ليحطم كل
ما يصادفه من قيم الخير والجمال " يهوى بمهبط الاسراء " اذ يقول :

يا بنى السلام هفوى بهـلادى مسرح للبلاء اثر البلاء
مات فيها الصداح والبشرولى تحت أسداف شقوة وكـاء
وأستبد القوى يوغل فى الاثـم ويهوى بمهبط الاسراء

- الحنين الى المدن :

أن نزوح المواطن الفلسطيني عن وطنه وأغترابه في المنفى ابعيدا عنه
قد أوجع نوار الشوق بين جوانحه ، وقد حظيت مدن فلسطين بأهتمام
بالخ ، وترددت أسماؤها وشوارعها والذكريات التي حدثت فيها على
أسنة الشعراء يذكرونها وفي قلوبهم الحزن الدفين وفي مآقيهم الدموع وبين
جوانحهم جمر الشوق الذي لا ينطفى ، وغزة التي تغازلها أواج البحر
وترتمى على أقدامها كلبان الرمل الناعم ، وتستقبل تسميم البحر طليقا لا يحسه
شيء ، تصبح سجانا مفلق الأبواب على أبنائها الذين ناموا على أنقاض السنين
المتهالكة ، ووقعهم أسرى سجانا لا يقدررون على شيء ، جعل منهم قبرا تدقسه
عليه أيدي النابشين فهو يقول الشاعر " معين بيسو " :

البحر يحكي للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالشحاذ يطرق بالدموع وبالانسين
أبواب غزة وهي مفلقة على الشعب الحزين
فيحرك الأحياء ناموا فوق أنقاض السنين
وكانهم قبر تدق عليه أيدي للنابشين

أما الشاعر " محمود الحوت " فهو حين يذكر مدينته " يافا " وأن كان لا ينساها
يبكى دما بعد أن جفت دموعه ، يتلمس على رؤيتها ، وهل سيتم له ذلك
قبل الموت ؟

ويدفعه أحاسسه وأشفاقه الى القول بأن الذين تركهم وراءهم في " يافا "
وشقيقاتهم هم والاموات سواء ، يقول :

يافا لقد جف دمي فانتحيت دما متى أراك ؟ وهل في العمر من أمد ؟
كيف الشقيقان ؟ وأشوقني لها مدنا كأنها قطع من جنة الخلد
وكيف من قد تبقي في مرابعها ؟ وقد تركناه فيها ترك ملتحد

ومحمد المدنانى يصورا بساتين " يافا " وقد حليت بالزهر والتمر ،
وأقبل عليها نيسان " الربيع " يقطف من ثمارها ويمتنع رحيق نورها فيقول :

على بساتين يافا وهى حاليمة بالنور يشتاره نيسانها بقم

والشاعر " محمود درويش " يصور مصير يافا وقد أصبح مصيرها معلقا بيد
الاقدار ، فلا يعرف احد متى تستقر أوضاعها ، وكأنها أصبحت فى بطن حوت
يجوب البحار ، وقد ضل فيها ، فلم يعرف مكانه ولا يرضى أحد بالمجازفة ،
لانقاذها حين يقول :

يافا بهطن الحوت ما زالست

يجوب بها البحار ..

الحوت تاه

من ذا يدل الحوت يا طفلى

ويطويه الفهاب ؟

والشاعر " هارون هاشم رشيد " تلذعه الذكرى فتشير اشجانه واساه على مدينته
الجميلية " حيفا " وببيرة الكرمل الممطار وعروس البحر الابيض المتوسط ،
القاتنه ، فلقد أستطاعت هذه المدينة الجميلة ان تستحوذ بفتنتها الخالصة
على خواطم الشاعر وحواسه ، ويناجيها اذا كان فى الامكان أن تمسود
أيام الشباب التى قضاها هناك وما أجملها ؟ فيقول :

حيثما الحبيبة هل لامسك رجمة
أين المجالس فيك يجمع شملها
حيثما عروس خواتمى ومشاعرى
وهل الشباب يعود وهو شباب ؟
حلو الحديث ومرقم وكتاب
مالى عليك من الزمان عتاب

أما " فدوى طوقان " فتصور مدينتها بعد الهزيمة وقد جلتها الفجار
وسلبها كل معانى الشرف والحياة فجعلت الحزن عاريا لانه وليد هزيمة
منكرة ، وهو مخضب الخطى حيث أرتكب العدو مذاهج مروعة وسفك ككثيرا
من الدماء ، ولجأ الناس الى الصمت الثقيل الوطأة " كالجبال رابض " ولا يصرف
أحد ما وراءه ، كالليل غامض " ، لا يجلب ان الفجيرة والمأساة العبيثة
والصدمة القاتلة التي تحمل الموت والهزيمة حين تقول فى قصيدتها " مدينتى
الجزينة " :

والحزن فى مدينتى يدب عاريا
مخضب الخطى ..
والصمت فى مدينتى ..
انصمت كالجبال رابض ..
كالليل غامض ، الصمت فاجع
بوطأة الموت والهزيمة ،
محمىل

- الحنين الى الارض والقرى والسهول :

يشعر كل انسان في أعماقه بقوة ارتباطه بالارض ، اذ يحس أنه جـزء
منها عليها دج وفوقها نشأ ، أغتذى من خيراتها ، فحياته مرتبطة بها
وبما عليها من مظاهر الطبيعة ، وكلما ابتعد عنها شعر بضعفه وقلقه وحيرته
وهكذا حين أهدم العربي الفلسطيني عن أرضه التي نشأ فوقها شعر بأنسه
قد أصبح ريشة في مهب الرياح التي أخذت تتقاذفه ، دون أن يعرف
وجهته أو مصيره ، وقارن بين " حياته " هذه وحياته على أرضه فوجد الهون
شاسما والفرق بعيدا ، فأخذ الحنين يسرى في كيانه الى الارض والقرية والسهل
والجبل والى كل مكان منحہ الشمور بالراحة والطمأنينة ، وتأكد له أن بقاءه منفيًا
هكذا فيه أهدار لوجوده وكرامته الانسانية ، فتعلقت نفسه بالصوده وتشبثت
روحه بصورة الوطن وملاحمه فحرص على حفرها وختومها في سويداء القلب .

ولعب الشعر دورا في ترجمة هذه العواطف وتكريسها لتبقى حية في
القلوب متجددة على مر الايام ، وأستطاع ان يرسم صورا مشعة تنبض بالحياة
وتشد النفس والمقلن معا يقول " سميح القاسم " في قصيدته " أنتظرنى ":

وطن الجذور الحاقدة
وطن العواصف والصواعق والليالي الباردة
وطن البساتين السبية والاكف الضارعة
وطن القرى الاطلال والدم والبكاء

فقد حشد اجزاء الصورة من الجذور ، والحقن والعواصف والصواعق
الليالي الباردة لتعطينا صورة الصمود الذي يكره العدو والمحتل ، ويحمل
كل اسن والشدائد وقسوة الظروف ، ويلتقط الشاعر صورا متابعنة

للبناتين السبيقتوالاكف الضارعة تدعير الله وتبهتل ليخلصها ما هسى
فيه ، كما يحشد صور الاطال والدم والبنه وهى من نتائج الحرب الطاخنه
الدمرة السقى تهدم القرى والمنازل وتريق الدماء ، وتثير الحزن والبكاء .

والشاعر * عزالدين المناصرة * يصور وطنه وتعلقه به ، ويؤكد أن حبسه
لوطنه وأرتباطه به يزداد يوماً بعد يوم ومهما كانت الظروف ، وهو يأتسى
بصور جديدة مبتكرة حين يجعل للوطن وجهاً وأن الزعماء يتحدثون عن تفسير
هذا الوجه ، فقد يموت زهر البرتقال ، وقد يموت الزيتون ، وقد تنبتت
أشجار العذاب ، ونام أسراب الجراد على الربوات الخضراء ، وهذه الصور
تتركب من الجزئيات التالية :

* قد يضيح الامل وينفذ الصير والسمود ، وتنتشر عصيات العدو والمفتصب
لتفسير ملامح الوطن المحتل ، وقد يعلم بعض الزعماء بهذا الواقع أما
أنا فساظل مرتبطاً بك أعمل جاهداً للعودة اليك فهو يقول :

يتراقصون ويخطبون على المنابر أن وجهك

قد تفسير ..

وأنا عشقت تراب وجهك لو تشوه لـ

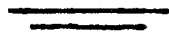
تحجـر ..

لو مات " زهر البرتقال " ومات " زيتونى "

على خضر الهضاب ..

لو أنبتت أنهارك الزرقاء اشجار العذاب

نامت على ربواتك الخضراء اسراب الجراد



هذه بعض الصور الجديدة المبتكرة التي أستطاع الشاعر المعاصر
فى فلسطين أن يستوحىها من المأساة وما أعقبته من نتائج
وآثار مادية وسياسية وأجتماعية وأخلاقية ، وكانت هذه الصور
فى معظمها توحى بالشوق الملتهب والحنين الجارف ، كما أوحى
بالصمود والاصرار على العودة الى أرض الوطن وطرد الدخيل
المحتل ، وحذرت من الزغامة المنحرفة التي تتاجر بقضية الشعب
وتساوم على مصيره ، وأستطاعت هذه الصور أن تعمري
الحقيقة المؤلمة ، وأن تكشف أبعاد هذه المأساة وما
خلفته من جراح فى نفوس أبناء الشعب العربى عامة
والشعب الفلسطينى خاصة ، ولم يكن فى مقدورنا أن نتبصع
كل الصور التي حفل بها شعرنا العربى فى فلسطين
فأكتفينا بالنماذج التي عرضت لعلها تفى بالشرح
المنشود .



مكانة شعر الثروة والخصمين

فى

الشعر الفلسطيني بعد الأساة

فى

الأردن ~~العربي الحديث~~

—

د - مكانة هذا الشعر ومنزلته في الشعر العربي الحديث :

لقد عاش الانسان العربي في فلسطين أكثر من ثلاثين عاما تحت نير الاحتلال البريطاني يناضل في قوة ورباطة جأش أذهلتا العالم أجمع وأستحوذت على أعجابه وتقديره ولقد عمد هذا الشعب مسيرته بالدماء والتضحيات فتساقط الشهداء بمشرات الالوف دون أن تلين قناته أو تفتر عزيمته .

ولم يكن الشعر غائبا عن هذه الصورة ، وإنما كان منها في الصميم ؟ فقد ركب هذا الجهاد يوهن الشهداء ، ويشير الهمم ، ويدعو الى اليقظة ، ومعارضة الخونة والسامرة وكل أعداء الوطن ، ولم يكف الشعر بالكلمة المدوية فحمل السلاح ، وأنخرط في الجهاد والقتال ، ومن أشهر الشعراء الذين أتبعوا القول بالفعل الشاعر " عبد الرحيم محمود " وقد أمشهد على أرض وطنه سنة ١٩٤٨ م ، و " إبراهيم الدباغ " ٠٠٠ وغيرهما كثيرون .

فلما أستطاعت قوى البغى والعدوان اغتصاب فلسطين في خيبة الوحدة العربية والتضامن العربي هجر معظم الشعب الفلسطيني الى منفاه في الدول العربية المجاورة ، وقد كان لهذه المأساة وقع اليم في نفوس العرب والمسلمين في كل مكان ، وتجرح أبناء فلسطين ككوس المذلة والهول بمرعة ، فجاشت في نفوسهم عوامل السخط والغضب والالام وقام الشعر ليترجم هذه العواطف ويصوغها شعرا متمردا على كل المؤامرات التي تحاك ضده من أجل اذابته وأفئائه وتوطينه خارج وطنه الازلي فلسطين ، والشاعر هو صوت امته والمعبر عن وجدانها وضميرها ، ومن هنا أستطاع هذا الشعر أن يبرز قضية الشعب العربي في فلسطين ، ويحدد أبعاد المأساة التي سقطت في حضيضها لينير الطريق أمام الاجيال اللاحقة لتسير على هدى ووضوح في الروية ، بعد أن كانت الشعوب العربية كلها تعاني من الغفلة وخمود الرنم وعدم القدرة على أستيعاب الاحداث وبلورتها لصالحها ، مما ساعد هيونية والاستمرار على تنفيذ جريمتها الشنماء ضد حاضر هذه الامم .

نقيلها .

وقد برز العديد من الشعراء في المنفى عرفناهم عن طريق الصحف والمجلات والاذاعات ، ثم عرفناهم بعد أن نشرُوا دواوينهم الشعرية ومن أبرز هؤلاء :

" عبد الكريم الكرمي " ، " أبو سلى " ، " كمال ناصر " ، " محمود الحوت " ،
" هارون هاشم رشيد " ، " على هاشم رشيد " ، " معين بسيسو " ، " رجا سميرين " ،
" برهان الدين العبوشي " ، " محمد المدنانى " ، " محمود نديم الافغانى " وغيرهم .

وأذا أستحضرتنا أسماء الدواوين التي صدرت عقب المأساة وجدناها تجسد مأساة
الانسان الفلسطيني وأبعادها فهي :

" المشرد " ، " مع الغرباء " ، " عودة الغرباء " ، " عائدون " الضائعون
" صوت الجياع " ، " المعركة " ، " المهزلة العربية " ، " شبح الاندلس " . وهكذا .

وقد أثبت الشعر الفلسطيني أنه متفهم للواقع الذي تعيشه أمته ، ولكنه
يسمى جاهدا لتفسير هذا الواقع التعس ، ولذلك نراه يتبنى قضايا الوحدة العربية
وبناء الجيوش العربية والاقتصاد العربى ، ويعمل على إثارة الوعى القومى حاثا العرب على
استعادة مجد هم القديم مهما كلفهم ذلك من تضحيات يقول " هارون هاشم رشيد " ومسح
كل تحركات التحدى فى الوطن الواسع وقف والى جانب كل ثورات الاطاحة كان ، وذلف كل
تحركات الى الافضل تحرك ، رافعا شعار المقاومة العتيدة ، والشاعر صوت أمته . وضميرها
ووجدانها ومن هنا انطلق الشعر الفلسطيني ، تفجر من أعماق هذا الوجدان ليكون
على الطريق علامة بارزة تضح ، اشراق الغد لشعب أرادوا له الموت فصنع لإجراحه الحياة .

لقد عبر هذا الانسان " الشاعر الفلسطيني " فى منغاه ، وهو يحمل ترس المقاومة
يتلقى به ضربات قاسمة ، عبر اصدق تمبير عن دور هذا الانسان فى المنفى ،
هدر بندا الصمود ، وتحدى الخيام والكهوف ، والهوس ، والموت والجوع تحدى كل هذه
العوامل بالصمود ، وزرع الامل ، ودعا الى النهوض فى عزه وأنفه وأخذ مكانه
على درب النضال من أجل العودة " ١ " .

وقد ساردم الشعراء من أبناء فلسطين على هذا الدرب كثيرون من شعراء
الاقطار العربية الذين هزتهم المأساة وشعروا بخطر الواقع الذي أصبحت تعيشه
أمتهم فنعوا على القادة والطلوك تخاذلهم وضعفهم ، وحذروا من كيد الاستعمار
ومخططاته ، وحثوا أمتهم على الاخذ بأسباب العلم والحضارة ودعوا الى التمسك بالقيم
التي تعيد لهذه الامة حقوقها السليمة وأمجادها الضائعة ، وبرز من هؤلاء على الجارم
وعلى محمود طه ومحمد عبدالغنى حسن ، وغيرهم فى مصر ومحمد الحوماني و الاخطل
اصغير فى لبنان وسليمان العيسى و عمر أبو ريشة وعدنان سرور وغيرهم فى سوريا ،
وعدنان الراوى ومحمد الجواهري ، وخالد الشواف ، وعلى الحلبي فى العراق ، ومحمد حسن
عواد ، وحسن عبدالله القرشى وطاهر زمخشري وغيرهم فى العربية السعودية ،
وعبدالله زكريا الانصارى فى الكويت ، وهكذا كان الشعريواكب المأساة ويكشف
أبعادها ويحذر من نتائجها ويحث على تدارك خطرها ، ومواجهة التحديات التي فرضت
بما يفرضه منطق الحق والتاريخ ، الا وهو التضامن فى مواجهة العدو ومحاربه والقضاء
عليه ، واستعادة الحق الذي سلب والكرامة التي أهينت ، فهذا منطق الاشياء وليس من
الواقع فى شىء أن يستقر المقتصب الدخيل فى أرض ليست أرضه رغم أنه محاط
ببحر من الصداة العربى ، ويبقى صاحب الارض الحقيقى منفيا مبعدا عنها
وليس معنى ذلك ان دور الشعر انحصر فى الشعر الذى يعيش فى المنفى فقد
بقى فى فلسطين بعد المأساة جزء من شعبها العربى كان تعداده حينذاك ربع
مليون شخص ، فأصبح اليوم نصف مليون على الاقل ، هؤلاء هم عرب الارض المحتلة ، الذين
تصدوا للاحتلال المفروض عليهم وقاوموه بالصمود والثبات ، والصبر الذى لا يعرف
معنى التراجع ، وكم شن عليهم غاراته المفاجئة ، وكم شجن منهم ، وكم عذب ،
وكم فرض من قوانين صارمة ، وأحكام جائره ، كل ذلك من أجل ان يلحقهم بعيدا بأخوانهم
لان الارض هى هدفه وهى مفتاه الذى وضعه نصب عينيه وأرتكب كل ما أرتكب من
ألمها ، الا أن كل محاولاته تلك قد ذهبت كلها أدراج الرياح ، ورغم ان السلطات
التي تظلمت على حرمان هذا الشعب من الثقافة الضرورية وحاربت لغته وتاريخه الا أن
الذين هم أصراراً على أن يبحثوا عن الثقافة وينقبوا عن كل ما يشدهم الى وطنهم وأمتهم
يسر السهل ، قد استطاعت الكلمة فى هذا الليل الحالك ان تكون نبأها يضى الطريق

لهؤلاء القوم ، فزاهم قد أرففوا السح لشعرتهم للمهدومين الذين يصورون صمودهم وشوقهم وحنينهم الى الاهل وقد عادوا والى الارض وقد تحررت لتعود عربية الوجوه واللسان والمصير ، وقد برز من هؤلاء الشعراء :

" محمود درويش " من بلدة البيرة وسميح القاسم من " الرامسة " و " توفيق زياد من " الناصرة و " راشد حسين من اللد .. وغيرهم ونحن نستمع للسيرة " محمود درويش " وهو يقول " ١ " :

أنا في تراك يا بلادي نفحة الارض الفتيه
أنا في جروح التين والزيتون دمعات شقيه
أنا في عروقك في جذورك ريشة الدف الفتيه
أنا في البيادر لا أزال وفي الحقول المسجديه
أنا في سفوحك في صخورك في روابيك العليه
فعلما حين كبرت لم تكبر المأساة فييه ؟
وعلم متى أيادي الليل في أرض القصبه
وهنا جذوري في تراك سرمد ييه
وهنا جذوري كيف تعلقها اياد أجنبييه ؟

فترى مدى تعلقه بتراب وطنه وأصراره على البقاء والوقوف في وجه هذا المفتصب الدخيل وتحدي كل قوانينه الجائرة ، وسطوته الفاشمة ، ويقدر ما استلم " محمود درويش " شعره من الارض والتعلق بها ، نجد شاعرا اخر هو " سميح القاسم " يستلمهم التاريخ ويستوحى شعره منه يقول أحد الباحثين " ٢ " وفي قصيدته غربا " تحس في ريقه مرارة النعمة ، وهو هنا يستعين ببعض الاشارات التاريخيه ، وعلما تحين على حمل جناحيه فيقول :

سنوات التيه في سيناء كانت أرميين

ثم عاد الاخرون ..

ورحلنا يوم عاد الاخرون

(١) المصدر السابق نفسه ص ٧٨/٧٩

(٢) الدكتور / عبدالرحمن ياقى - دراسات في شعر الارض المحتلة ص ٤٤٧

فالى أين ؟ ٠٠ وحق م سبق تائبين

وسبق غرام ؟

وأذا تتبعنا المراحل الشعرية للشعر الفلسطيني نجد المأساة قد بعثته من جديد
وضاعفت من مكانته ، ففلسطين التي كانت تكاد تخلو من الشعراء قبل النكبة فلم يكن فيها
الا ما يمد على أصابع اليد الواحدة من الشعراء مثل :

" إبراهيم طوقان - ابو سلى - عبد الرحيم محمود ٠٠ وآخرون ، كما أنها في المصور
الوسطى لم يبرز فيها شاعر اشتهر سوى كشاجم ، وقد كان ذلك راجعا الى كونها ارضا
جهلية في معظمها ، والسهول في العادة هي التي يزدهر فيها الشعر خاصة والفنون
عامة ، ولذلك نجد بلدا مثل سويسرا او الاقطار الالبية في وسط أوروبا تكاد تخلو
من الشعراء بينما على النقيض من ذلك ترى السهول وأحوالي الانهار بيئه صالحة
لارحام الشعر .

غير أن النكبات والكوارث تثير القرائح وتشحن الخيال وتبهيح العواطف مما يساعد
على نمو الشعر وتفوقه ، كما كانت عليه الحال في الجاهلية حين تدور الممارك بين القبائل
والافراد ، فالشعر يهيج الشر ، والشر الذي اصاب فلسطين وشعبها كان عنيفا وبالغا ،
ولذلك فجر ينابيع الشعر في كل مكان .

- مكانة الشعر بين فنون الادب :

لا جرم أن كان الشعر قديما وحديثا على رأس فنون الادب عامة لما له من قوة التأثير
ولانه يخاطب العاطفه والمقل معا ، ولاعتمادة على الايقاع والموسيقى ، واحتفاله بالصور
يقرب بها المعنى ، ويشد السامع والقارى اليها . أما الفنون الاخرى كالقصة والمسرحية
والمقالة فلها دورها الذي لا ينكر ، ولكنه لا يبلغ شأو الشعر ومكانته ، ولذلك نجد أن
الادباء الذين صدرت عن المأساة ووحى منها أكثر بكثير من الفنون الادبية الاخرى ،
تروي الشعر قد احتلوا مكانه لائقة عند أبناء وطنهم وأبناء أمتهم .

ولم يصلوا الى هذه المكانة المرموقة ، الا بعد ان ساروا طويلا على درب فرشته الاشواك
فطورد منهم من طورد وسجن منهم من سجن ، أو فصل من عمله أو حورب في رزقه ، كما لم
يرجع ذلك الى القيمة الفنية - رغم أهميتها - لهذا الشعر ، وإنما الى صدقه الفني وقد
ظل الصدق الفني في الأعمال الادبية هو الروع دائما .

أن شعراءنا الذين أهدعوا في تصوير عواطف شعبنا ، وأستماتوا في سبيل ان تظل
قضية حيه ، وأن يبقى هذا الشعب متماسكا في وجه الاعاصير وكل عوامل التشتيت والافناء
ليستحقون كل التقدير والاعجاب وقد كانوا شموعا تضيء الطريق في ليل المأساة الخالك .

غير أن كثيرين - وللأسف - كانوا وبالا على الشعر لضعفهم وقصورهم ، إذ خيل لهم
أن نظم بعض الابيات أو رصف بعض الجمل يعطى لصاحبه الحق في دخول نادي الشعر
من أوسع أبوابه ، ونسوا او تناسوا قول الخطيئة منذ أربعة عشر قرنا تقريبا :

الشعر صعب وطويل حليمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به السى الحضيض قدمه
يريد ان يسهه فيجمله

نعم - أن هناك أدوات ضرورية للشعر لا بد من توفرها في الشاعر مثل :

* الموهبة والدراسة والدربة والذوق * فإن لم تكن هذه الأدوات موجودة ، أو غاب
بعضها فإن الشاعر سيكون مجرد ناظم ليس الا . ونحن حين نتحدث عن الشعر
الفلسطيني إنما نتحدث عن شعر الفريسة والحنين وهو محور حديثنا ، وقد كان نصيبه
كثيرا من الشعر الفلسطيني المعاصر ، والذين برزوا من شعرائنا كان شعر الفريسة والحنين
محور اشعارهم وقصائدهم ، أما الذين انصرفوا الى شعر المناسبات أو أنفلقوا على أنفسهم
وعاشوا في ابراجهم العاجية ، والذين شغفوا بتقليد بعض الشعراء الرمزيين فهم جميعا
كأنهم لم يمسسوا بقضية في واد آخر ، ولا أخال الادب الحقيقي قد ظفر منهم

— مكانة الشعر الفلسطيني في الادب الحديث :

لا نهالغ حين نقول أن أدبنا الحديث قد أزدهر كثيرا بعد أن تخلص من أسر الهدية والزركمة اللفظية طيلة العصور المظلمة لاسيما المصريين الممنونين والتركى ، كما تجدد في مضمونه ومحتواه ، وفي غرضه ومغزاه إذ أن عناصر الالفب ثلاثه هى :

- ١ - المضمون والمحتوى ، أو المعنى والفكرة .
- ٢ - الصورة والشكل ، أو الاسلوب واللفظ .
- ٣ - الفرض والمفترى ، أو مايسى "وظائف الفن وغاياته" .

أما الذين أهتموا بالمعنى والفكرة "المضمون" فقد اصروا على أن يكون الفن ذا مضمون نافع يفيد الحياة شيئا وهو "لاهم" الواقعيون "الذين يعتبرون "الفن للحياة" وهذا هو المذهب المسيطر في جهات وأقطار عديدة وأن كانت الواقعية قد تشعبت الى "واقعية اشتراكية تتربط الادب بالصراع المادى وواقعيه وحودية حيث تجعل الادب يعيش مع الانسان فى قيمه الانسانية والاخلاقية والفكرية" ، وليس يعني هنا أن نسترسل فى الجرى وراء هذه المذاهب وتتبع ملامحها وخصائصها .

أما الذين يحنون بالصورة والشكل فهم أنصار "الفن للفن" المثاليون الذين لا يهتمون بالمضمون والمحتوى وإنما يرون ان غاية الفنون هى الجمال وحدة ، بما يثيره من نشوة وسعادة وأمتاع ، وذلك يكون بما فى الصورة من براعة وابداع ، فاذا حقق ذلك فليس مهما ان يحمل مضمونا يفيد الحياة ام لا والذوق عند هؤلاء هو الحكم وحده و لا شىء سواه "١" .

ولقد كان لهذه المذاهب الادبية وما صاحبها من صراع اثر كبير فى ادبنا العربى بوجه عام فقد ظهر ذلك جليا فى أوئل القرن الحالى لاسيما بعد أن أعلن جماعة الديوان عن انتمائهم الى المذهب "الفن للفن" ، وظهر فى ذلك الوقت كتاب الغرغال لميخائيل نعيمة وفيه وضع رأيه فى الشعر التجديدي فى الشعر وطالب الشعراء بأن يكونوا صادقين مع أنفسهم وأن يعبروا عن انتمائهم وضمايرهم ، وأن يكون اهتمامهم منصبا على المعنى والفكرة ، وأن يطرحوا

(١) الدكتور / محمد نائل - اتجاهات وآراء فى النقد الحديث - ص ١٦ مطبعة الرسالة

شعر المناسبات ومحاكاة الاقدمين أولئك الذين عاشوا زمانهم ، أما نحن فيجب أن نعيش زماننا وأن نكون أهلا للتعبير عنه .

وأن كان التخلص من أسر القديم وقيوده اللفظية وجموده الفكرى قد تم - الى حد كبير - على يد رائد الشعر الحديث " محمود سائى البارودى " ، غير أننا حين نستمع اليه أننا نستمع الى " أبى الطيب والبحتري وأبن هانى و أبن زيدون " اذ عنى بممارستهم والسير على منوالهم ، مما جعلنا ننصت الى نهض تلك الفترة المشرقة ، من عصور الادب العربى الذهبية ، وحاول شوقى أن يسير على هدى البارودى مع حرصه على الموسيقى مما جعل شعره أكثر سلامة من شعر استاذة البارودى ، وموسيقاه أكثر صفاً ، وهذا من موسيقى البارودى ، ومعرفته بأسرار الالفاظ وبذبات الحروف والاصوات جعلت شعره قريباً من الغناء ، حتى لقد أكثر المفنون فى هذا العصر من تلحين شعره وتوقيمه .

الا أن جماعة الديوان - ويؤيدها فى ذلك ميخائيل نعيمة - ترى ان شعر شوقى مازال يرسف فى قيد المحاكاة والتقليد ، لانها كانت ترى ان شخصية يجب أن يكون ظهورها سافراً او على نحو مباشر ، أو ان يكون ظهورها على الاقل من خلال موضوع وطريقة طرح هذا الموضوع ، ووجهة نظر الشاعر اليه وهدفه منه ، كما أخذت هذه الجماعة على شوقى وأغرابه تفكك القصيدة وخلوها من الوحدة العضوية التى قصد بها أحيانا كثيرة فى نقدنا الحديث " وحدة الغرض " ويقول احد النقاد " ١ " .

" ولكن وحدة الغرض " قد أخذت تختلف بمد ذلك عند العقاد وغيره من النقاد المحدثين بما سموه " الوحدة العضوية " أى بناء القصيد بناء هندسيا بحيث تخرج من بين يدي الشاعر كالكائن العضوى الذى لا يمكن نقل جزء منه مكان جزء آخر ، وهى دعوة سليمة من ناحية الفلسفة الجمالية ، ولكنها لا تكاد تتصور فى الشعر الفنائى الخال الذى يقوم على تداعى المشاعر والخواطر فى غير نسق وضعى محدد ، وإنما يصر على الوحدة العضوية فى القصائد ذات الموضوع الذى له بدء ووسط ونهاية

على نحو ما نشاهد اليوم في عدد من قصائد الشبان المعروفين بالشعراء الواقعيين حيث يتخذ كل منهم موضوعا لقصيدته قصة قصيرة أو دراما سريعة يمالج بها أعدى مشاكل عصره ، أو مجتمعه .

والشعر الفلسطيني المعاصر الذي تمددت أساليبه ومذاهبه كان يحرض على وحده الغرض خاصة القصائد التي تصور الحنين الى الوطن بكل ملامحه ومظاهره ، وقد عرفنا ان هذا الشعر قد طرق موضوعات عدة تدور حول هذا المحور " مثل الثورة على قرار التقسيم ووعده بلفور ، وعلى هيئة الامم نفسها وتصوير حرب فلسطين ودخول الجيوش العربية ، وخيانة الزعامة العربية وضعفها ، وقيام دولة الصهاينة ، وفداحة المأساة وما صاحبها من تشريد للشعب العربي الفلسطيني ، ثم تسوية البعد عن الديار والحنين اليها ، والحض على البذل والتضحية والفداء ، كما دعا الى الشار وتحرير الوطن من الفاصب الدخيل .

وحيثما تعرض الشعر الفلسطيني " شعر الغربة والحنين " للوصف فأنما كان ذلك منصبا على أرض فلسطين ومدنها وقراها وسهولها وجبالها كما تناول الوصف خيمة اللاجئ ، التي تعيث بها الرياح فلاتضع حرا ولا تقى بردا ، وبؤس اللاجئين وشقاءهم وتشريدهم وعزائهم من كل ما هو ضروري ، ووصف شوقهم ولوعتهم وأغترابهم وضياعهم ، فكأنهم والموتى سواء ، وقد أستطاع الشعر أن يصل الى درجات عالية من السمو والابداع والخلق الفني مما كان له اثر كبير في اثراء الناحية العاطفية في الشعر العربي المعاصر .

وأذا كان بعض الشعراء قد استمواهم الفزل اجانا ، فأنهم لم يستطيعوا أن يفرقوا بين الحبيبه والوطن ، بل هوجوا بينهما ، فأصبحت فلسطين هي الحبيبه وهي الوطن العالي في الوقت نفسه ، في شعر يرف بالعاطفه الجياشه والصور المؤثره ، التي التقطتها مخيلة الشاعر دون اعتراف أو تكلف ، لان الغربة هنا هي غربة شعب معزول بهذا الا نهائية له ، وحنين لا يهدأ ، فهو ليس نفيًا وليس هجرة ، أنه مأساة أمسية ، هذا فجراح الغربة تشكل نزيفا لا يجف ، وتساؤلهم عن مأساتهم يحمل في حيزه " حيرة يفجرونها في وجه الانسانية كلها " ١ .

وحين الشعر الفلسطيني بعد المأساة الى المدن والقرى والسهول والجهال . يدخل في باب الرثاء لانه لم يكشف بأظهار الحنين اليها وتصوير ما يكابده الانسان الفلسطيني من شوق ولهفة وتحرق ، وإنما أخذ يصف محاسنها ومظاهر الجمال فيها ، وكان ذلك اشبه بكاء الاندلس التي فقدتها العرب في العصور الوسطى نتيجة لتخاذلهم وأنقسامهم وركونهم الى الترف ، وعزوفهم عن التضحية والفداء ، وتكاد تكون هي نفس الاسباب التي أدت الى ضياع الاندلس الثانيه " فلسطين " وفي الوقت الذي نرى فيه معظم الشعر الفلسطيني في المنفى بكاء ، وضراعة والمآ وأسا الا في القليل النادر نجد أن الشعر في الارض المحتلة يتحول الى صمود وثبات وتحدي مما أهل شعراء الارض المحتلة ليكونوا نسي طليعة شعراء فلسطين ، لانهم وعوا دورهم جيدا وتحملوا المسؤولية كاملة في إثارة الوعي لدى شعبهم ، ليزرعوا في أعماقه الامل في غد افضل مهما ادلهم ليل الجريمة في الحاضر ، وهم كان موقفهم رائعا حين انطلقت اذسارهم تصك مسامح المقتدر الفاصب حتى بعد أن صعد غروره وتبجده عقب عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ . إذ فوجئ بأن النكسة العربية الشاملة حينذاك لم تزد هذه الشعلة الا ضراما وتوهجا .

ولسنا نبالغ حين نقول أن موقف هؤلاء الفتيه كان له أثر عظيم في رفع الروح المعنوية عند العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، وأنتشل نفسية الانسان العربي من وهدة اليأس وسلمات القنوط والاستسلام ولقد مشى هذا الشعر في طريق مليء بالاشواق ، ولكنه كان صرورة صادقة للحنين الى الوطن والوفاء للارض والشهداء ، وقد اتسمت مسيرته بالرائعه بطابع الحقد والغضب على الفاصب الدخيل .

يقول " هارون هاشم رشيد " : " ١ " :

وحين يقوم المؤرخون بتدوين أو دراسة أدب النكبة مقارنين بين الانتاج في الارض المحتلة والانتاج في المنفى سيجدون ان الشعر الفلسطيني اخذ طريقا واحدا هو طريق المقاومة بشتى اشكالها . وجعل الكلمة سلاحا ماضيا فيها وسيجد المؤرخون ان شعراءنا فسى الذين " محم " أتون في طليعة شعراء فلسطين . وذلك لنظرتهم الصادقة وعمق التجربة التي عاشوها داخل أسوار السجن الكبير في فلسطين المحتلة ، ولانهم احتفظوا بجدورهم وهم رانوا بقوميتهم . فأطلقت اشعارهم غضبي تحرق الظالمين وتندد بالطفاة وتمجد

(١) هارون هاشم رشيد - الشعر المقاتل في الارض المحتلة ص ٧٠/٧١

النضال والمقاومة فهذا " سميح القاسم " يشهر سلاح الكلمة قائلا :

هذى الحروف المدلهممة	ياسيدى احزان أمه
وبها أروى غرسمة	بلظى جحيمك مستحممة
لأعيد من وادى الاسمى	والدمع للاطفال بسممة
لارد للشكلى أبنه	لاعيد للمفجوع أمه
فا شخدمداك على جراحى	اننى قراى كلممة

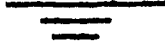
ومنزلة هذا الشعر الفلسطيني فى الشعر العربى هى منزلة عالية أستحقها بجدارة ، بعد أن أرتفع فى مضامينه وصوره الى مكانه سامية فأهتم بالضمون والمحتوى وتبنى قضايا أمته بل أهم قضاياها المصيرية الا وهى قضية فلسطين فكان شعرا ملتزما ، وبما أن هذه القضية يعيشها العرب عامة والفلسطينيون خاصة كل يوم فقد كان الشعر واقعيا .

وبذلك أصبح فنا من أجل الحياة يسعى الى تغيير واقعها المرير ، ويبعث فى نفوس الناس الأمل وحب التضحية والفداء .

وهو حين يطر الى الشكل والصورة فإنه لم يهملها وإنما اعتنى بها أيضا اعتناء وحرص على عمود الشعر العربى - فى معظمه - كما جدد فى الأوزان والقوافى وموسيقى الالفاظ وابتكار الصور ، شأنه فى ذلك شأن الشعر العربى الحديث ، غير أنه ينفرد عن شعرنا العربى بالطابع المأساوى الذى أفرزته نكبة اصحابه ، وما عانوا من جرائمها . فظهرت عواطفهم الحزينة وانفعالاتهم الجياشة من سخط على الخونه والاستعمار وحقد على الناصب الدخيل ، واصرار على العودة ولهفة على الديار ، والم من التشرد والفرقة وتنكر الحياة ، هذه السمات والملاح طبعت الشعر الفلسطينى بطابعها ليبقى شاهدا على هذه الجريمة البشعة التى أقترفت فى حق الشعب الفلسطينى .

شعر فى الفرقة والحنين قد قيل هنا وهناك ، ولكنه لم يكن طابعها حالات فردية نتجت عن ظروف خاصة طارئة لم تلبث أن زالت ، أو تبدلت .

ومن هنا فإن هذا الشعر يمثل رائدا مهما من روافد الشعر العربي الحديث التي هيجت المواطنف ، وخاطبت الاعماق الانسانية فى النفس واستحوذت على الصور المؤثرة الحزينة ، والصور المنيفه الفاضله فى الوقت نفسه ، ونأمل أن تكون قد القينا بمض الضوء عليها فى دراستنا لها .



التعبير والصياغة :

١ - التعبير عند شعراء المهجر

ظل الشعر العربي الحديث حتى عهد قريب يسير على أساليب الشعر العربي القديم ويتخذ له من بحور الشعر المعروفة والقافية الواحدة مجالا يتحرك فسي اطارهما ، حتى الذين بشروا بالتجديد أمثال مطران والحقاد وشكري - ساروا على نهج الصياغة الشعرية المألوفة ، حقا إنهم جددوا في الأفكار والأخيلة والصور لكن طريقة التعبير لم يدخلها تغيير يذكر . بل أن كثيرا من شعرائنا المحدثين قد ولح بمعارضة القدماء مثلما فعل البارودي وشوقي وغيرهما .

فلما جاءت المدرسة المهجرية لاسيما أعضاء الرابطة القلمية عملت على التجديد في التعبير والصياغة بما يتلاءم مع تجديدها في المعاني والأفكار ، إذ أصبح الشعر تعبيراً عن خلجات النفس وتصويراً لحواطفها وانفعالاتها حين تسعد أو تشقى ، ترضى أو تسخط ، تحب أو تكره ، ولم يعد الشعر - في نظرها مدحاً أو رثاءً أو شعر مناسبات تمليه مواقف خارجيه ليس لها من صدى في نفس الشاعر ، وقد آمن المهجريون أن تقييد الشعر بالوزن والقافية المتعارف عليهما قديماً إنما يحد من انطلاقه ويجعل منه بحيرة آسنة لانهمرا متدفقا أو بحرا يموج بالحركة والحياة .

فهم يؤمنون بالتجديد في الشعر ويرون الشعر صوراً شعرية وحياة متحركة نابضة ، وموسيقى رفاة متوثبة تحرك مشاعر الانسان وفكره ، ومعاني جميلة لا يظن عليها الأسلوب يقول أبو ماضي في ديوانه الجداول :

لست عنى إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً
خالفت دريك دوبي وانقضى ما كان منناً
فانطلق عنى لثلاثتسى هما وحزناً
واتخذ غيرى رفيقاً وسوى دنياى معننى

ويدعو شعراء الرابطة القلمية الى تقبل تجديد يد هم ومؤازرته خدمة للأدب وانقاذنا له من الجمود والتقليد : " إن هذه الروح الجديدة التي ترمى الى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد الى دور الابتكار ، في جديس الأماليب والمعاني لحريسة في نظرنا بكل تشييط ومؤازرة ، فهي أمل اليوم وركن النقد (١) .

وهكذا نرى أن الأدب المهجري وخاصة الشعر قد تحرر في الصياغة والتعبير ليراكب التجديد في المعاني ويلائم الصور والأخيلة المبتكرة ، مما أكسبه نراء في موسيقاه وشاعريته وطلاقة في التعبير والأداء .

وأظهر ما يكون هذا التحرر في شعر جبران وميخائيل نسيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب ، وقد فسر الكثير من النقاد في المشرق هذا التحرر بأنه راجع الى بعدهم عن جذورهم العربية وضعفهم اللغوي ، فير أن الواقع يؤكذ أن اطلاعهم اللغوي وثقافتهم لا تقل عن أقرانهم في المشرق الا أن استعمالهم لبعض الألفاظ الركيكة أو المستحدثة انما كان يتم عمدا لاعتقادهم أنها قد تكون أكثر إيحاءً أو أبلغ أثرا وأجمل وقعا ولسنا نود الخوض في النقد الموجه اليهم ، فإن بعض النقاد قد شجب هذا التجديد وعارضه واعتبره بعيدا عن الذوق السليم مثل الشاعر " عزيز أباظه " بينما نرى آخرين يرحبون بهذا التجديد ، ويرون أن ما يستبره البعض عيبا انما مرده الى صدق الشاعر المهجري في التعبير عن نفسه واحساسه الباطن ، كما يرى ذلك الدكتور " محمد مندور "

أما موسيقى الشعر وأوزانه فقد جدد فيها المهجريون الى حد بعيد وقد اغترفوا من الموشحات الأندلسية وساروا على منوالها ، لأن موسيقاهما أكثر حيوية وأجمل وقعا وأقدر على التعبير الانفعالي في النفس فضلا عن ملائمتها وملائمتها للنقاء يقول أحد الباحثين :

" الشعر المهجري في موسيقاه وأوزانه وتنقل القصيدة فيه بين القوافي المتعدده عربيا من الموشحات الأندلسية ، التي أحيانا المهجريون في شعرهم في صور أشادة ورنين موسيقى مؤثر . (٢) "

(١) الدكتور محمد عبد المنعم شفاجي - قصة الأدب المهجري - ج ٢ ص ٢٢

(٢) المصدر السابق - ج ١ ص ١٥١

وهكذا نجد أن الشعراء المهجريين قد تأثروا خطأ الشعر الأندلسي في طرائق النظم إلى حد بعيد ، ولكنهم لم يقفوا عندها فحسب ، بل واصلوا مسيرتهم في التجديد والتطوير ليبلغوا بها مرحلة تجعل الشعر رفيقا للنفس وتصويرا للاحاساس والشعور ، بعيدا عن الزيف والإفتعال ، رغم كل النقد الذي وجه إليهم من قبل أنصار القديم الذين عابوا عليهم عدم التزامهم عمود الشعر العربي ، وإهمالهم في إختيار الألفاظ والتراكيب اللغوية السليمة ، وقد بينما رأى هؤلاء المهجريين الذي تمثل في أبيات ايليا أبو ماضي التي ذكرها في فاتحة ديوانه " الجداول " .

ولم يكتف الشعراء المهجريون بتقليد الموشحات الأندلسية التي اعتبروها جديدة فسي باب الشعر العربي ، ولكننا نراهم يجددون في أوزانها وبحورها ، رغم أن الأندلسيين حين وضعوها لم تكن لها تفاعيل خاصة ولا أوزان معينة ، بل أنشأوها على مختلف البحور والأوزان ، وقد يجمع الشاعر منهم بين الشعر الموزون المقفى وبين التوشيح الأندلسي المبتكر كما فعل رشيد أيوب في قصيدته " خلياني " التي يقول فيها :

يا خليلي إذا شط المزار	بفؤاد ماله غير الزفير
وهي دحى على ذكر الديار	خلياني
سنت النفس اشتياقا للجبال	حيث أنسى وحشتي بين الصخور
حيثما أبعد عن قيل وقال	خلياني
أوغذاني نحوها تيك الرياض	ثم عوجا بي على ذاك الندير
وإذا ما الدمع من عيني فاض	خلياني

ومن الموشحات الرقيقة التي تزخر باللمعة والحنين إلى الأهل والوطن قول الشاعر " نسيب عريضة " يحن إلى مدينة حمص :

ياد هر قد طال البعاد عن الوطن	هل عودة ترجى وقد فات الظفن ؟
عد بي إلى حمص ولو حشو الكفن	واحتف : أتيت بعائس مردود
واجعل هويحي من حجار سود	

يا أرى أصي اليك قد إنتمى	ألمى وأنت المبتغى والمشمى
من يرى إليك ما اسن كلمها	وعلى هواك يد يسن بالتوحيد
يا حمص ، يأأم الحجار السود	

ومنها في الحنين قول شفيق معلوف :

طال بي الشوق ولجّ الظمأ
يخرى بها البدر صبايا الحمى
جمع أنوار جميع النجوم
ويصور في خياله وصوله إلى أرض الوطن :
ويتمطى للعلاء الصلم
حتى إذا البشرية فشت في الأكم

مازجة تستقبل الراجعين

ومن الموشحات في الحنين قول القروي :

إيه لبنان اهل يراك^ه
حبذا العيش في حماك
كل شيء الذي الفنا
ماترى المال والنعنى
ناج شفّه هواك
حبذا العيش ليلتين - ثم حين
ماترى الكد والعنا
عند مرآك ساعتين - خلوتين

ولم تكن الموشحات هي الأوزان الشعرية الوحيدة التي استخدمها المحبرون فقد استخدموا
البحور الشعرية المسروقة الطويلة منها والتصيرة ، التامة والمجزوءة . فمن الكامل يقول
إيليا أبو ماضي في الحنين :

الأرض : سوريا أحب ربوعها
والناس أكرمهم على عشيرها
تشتاق عيني قبل ينمضها الردى
عندي ولبنان أعز جبالها
روحى الفداء لرهطها وآلهها
لو أنها اكتحلت ولو برمالها

ويقول أبو الفضل الوليد من البحر نفسه * الكامل * في الحنين :

يا شاطيء الشام اليميل سلام
واليك يصبونناج في صدره
قد ذاب يا لبنان قلبي في النوى
بالله يارائى أحظى عمودة
يا مت في أرض الأجانب يائسا
يا المميز على التدانى والهوى
فعليك حام الشعر والاله سلام
نور وحوليه عدى - وظلام
فمتى يعود تسمع الأيام
وسعادة أم فريسة وحمام ؟
حننت إليك من الخريب عظام
وبنوك في كل الأمور كرام

بحر الطويل يقول الشاعر * نعمة الحاج * في الشوق والحنين الى الأهل والوطن :

تذكرت أهلى في النوى وبلاديا
وقد طال شوقى للحمى وبعاديا

وياحبذا تلك الربوع الزواهيا
ريمسى لها دمعى على الخد جاريا
كما لمحتزفصن مال للريح حانيا
ولا الدمع يجد ينى ولا القلب ساليا
أودع مشتاقا الى العود ثانييا
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا *

تذكرت هاتيك الربوع وأهلها
تطير لها نفسى من الوجد والجوى
وتهتر من شوقى اليها جوارحى
فلا الشوق يدنينى ولا الفكر نائيا
وداعا وداعا يا بلادى فإننى
وقد يجمع الله الشعتين بعد مسا *

* القصيدة طويلة ، وقد دارت على البيت الأخير وهو بيت عربى قديم ، وكأنه يققح
منها موقع القطب من الرحى ، ولعل فى اقتباس الشاعر له ما يدل على أن هذا التعلق
الشديد بالوطن قد أتاح لهؤلاء المهاجرين أن يحيوا حياة عربية وسط ما تقع عليه أمتهم
من حياة حديثة ومدنية جديدة (١) . *

ومن بحر الطويل قول الشاعر رشيد أيوب فى قصيدته * بلاهى *
خلقت ولكن كى أموت بها حبا
وما أنا ممن إن ترامت به النوى
ولكن لى فى سفح هنين موطننا
إذا ما ذكرنا الأهل فيه فإننى
أعلم نفسى إن سئمت بمسودة
فله هاتيك الربا وربوعها
وياحبذا ذاك النسيم فإننى

ومن بحر البسيط قول نسيب عريضة فى تذكر بلاده والشوق والحنين :
تدققى يارياح الشرق هائجة
وذكرينى بما أنسى من أمل
مرت ثلاثون لم أنس الصمود ولم
أنت لى وأهللى وأطلال الحمى وطنى
وكنيتهم والحين تنظرهم
فأنت لاشاه من أهلى وأخوانى
وجنحيني أرفرف فوق أوطانى
تنسى موثيق أرحام وإيمان
وساكنو الريح أترايب وأقرانى
واعظم شوقى على بعد وهجران

ومن بحر البسيط أيضا قول جوي صيدج في الحنين الى نهر بردى في سوريا :

ملاأت منك يدي بعد امتلاء فمى ولو قدرت ملأت الصدر والكبد
حتى أقول لدهر سامنى ظمأ فى غرمتى : لن ترانى ظامئا أبدا

ومن بحر الوافر يقول رشيد سليم الخورى " القروى " :

أررم الى ربي لبنان عودا فيمنعنى عن العود إفتقار
ولو خيرت لم أهبجر بلادى ولكن ليرنى العيش اختيار

غير أن استعمالهم للبحر الطويلة كان محدودا بالقياس الى الموشحات والبحور القصيرة أو الذبذبة ، وذلك مرده الى أن البحور القصيرة أكثر طواعية ومرونة كما أنها تناسب موضوعات أشعارهم الوجدانية الخنائية غالبا .

فمن بحر المهزج يقول رشيد أيوب في الحنين الى بلاده :

جلست بقرب شباكسى أردد طيب ذكراك
وأطوى بيد أحلام كتبت فيها مطالبك
وفينا الفجر حائمة ترفرف فوق مخفناك
تفجر فى الدنيا برق تله مدحى الباكي
أتاركتى أغا سمر متى عهدى بلقياك
إذا خاطرت على بالسى أوفياكى وايباك
ورحت أعاتب الدنيا جلست بقرب شباكسى

ومن مجزوء الكامل قول الشاعر " القروى " فى الحنين :

أحبابنا ! سكتت على الأغصان أصوات البلايل
وأنتى الرعاة من الجبال ولم يمد فى الحقل عامل
قوموا نعود الى الحمى ، عاد الجميع الى المنازل

بحر سحر المتأرب قول " معهود سماحة "

أحب بلادى وإن لم أنسى قرير الجفون بأحبا
فك أنت النفس من ياسها وناءت بأثقال أشجانها

تود الرجوع إلى عشتها وليس الرجوع بإمكانها

ومنه أيضا قول " عقل الجر " يتلهف على العودة الى وطنه " لبنان " :

أعدني إلى الأرز يا خالقي	فليست بلادي هذى البلاد
أعدني إلى الشفق المستشير	يلف الربى ضوءه والوهيباد
أعدني إلى مسرحى فى الشباب	ومطلع فجر المنى والرشاد
أعدني فليس جمال الوجوه	يعادل عندي تلك الصور

وعلى الرغم من استخدامهم لبحور الشعر العربى المعروفة إلا أنهم جددوا فيها كثيرا متأثرين بالشعر العربى الى حد بعيد ، فضلا عن ثورتهم العارمة على القافية السنتى اعتبرها قيدا يكبل الشعر العربى وانطلاقه منذ زمن بعيد قائلين بأنها تحد من ابداع الشاعر وتقلّم خياله وتفرض عليه الفاظا وصورا كثيرا ما تكون غير مناسبة لصوره وأفكاره السنتى يريد التعبير عنها يقول ميخائيل نعيمة فى هذا الصدد : " ان القافية العربية السائدة الى اليوم ليست سوى قيد من حديد يربط قرائح شعرائنا ، وقد حان تحطيمه من زمان (١) "

ولاشك أن هذا التجديد فى البحور والأوزان قد جاءهم من اطلاعهم على أساليب الشعر الغربى : انجليزى ، وأمريكى ، وفرنسى وغيرها فمعظمهم كان يصرّف لفظة أجنبية أخرى بالاضافة الى لنته الأم وهى العربية ، وقد حرصوا على الاهتمام بالتوشيح لتلائم صياغتهم مع أفكارهم وموضوعاتهم وأخيلتهم وقد تحدث عن فن التوشيح الدكتور أنيس المقدسى فقال : " أما اليوم فهناك اتجاه عام الى أحيائه والتقنن فى أساليب ولا سيما بين الذين احتنوا بالحالم الغربى واطلحوا على أساليبه الشعرية كما نغرى فى منظومات المهاجرين من أعضاء الرابطة القلمية فى أمريكا الشمالية أو العصبة الأندلسية فى الجنوب وسواهم ، فالتوشيح الجديد متأثر من جهة بالطريقة الأندلسية ومن جهة أخرى بأساليب النظم عند الغربيين ، ويظهر هذا التأثير المزوج فى موافقته للتوشيح فى الأندلس فتداهى عدم التقيد بالمطالغ اللازمة (٢) "

(١) ميخائيل نعيمة - الغربال

(٢) الدكتور أنيس المقدسى - الاتجاهات الأدبية فى الحالم العربى الحديث ج ٢

وقد ترتب على تجديد يد هم في البحور والأوزان التجديد في الموسيقى الشعرية خارجية أم داخلية ، ومن هنا لم يلتزموا قافية واحدة بل يبدلها أحد هم كل بيتين أو ثلاثية لينتقل إلى قافية أخرى وهكذا . وقد مرت بنا نماذج كثيرة تصور ذلك ولهذه الطريقة جذور قد يسه في الشعر العربي ، فقد شاعت في العصر السامى عند بعض الشعراء مثل أبي الصنامة وأبي العلاء وغيرهما ، فقد كانوا يضيفون بالقافية وينتفون بها في بيت واحد صد ره وعجزه ، لتفسير في البيت الذي يليه وهكذا ، وكانوا ينظمون بها في الزهد والحكمة وبعض المتن الشعرية أما شعراء المهجر فقد نظموا بها في كل المورعات وفي كل ما يخطر ببالهم من أقدار في الحياة والطبيعة ومظاهر الكون ومشاعر النفس .

• وما يلاحظ أن هذه الطريقة تطویر لما سلكه القدامى من شعراء العرب في "الرجز" إذ كانوا ينظمون كل بيت في الأرجوزة متحد القافية في مصراعيه وذلك كما في أرجوزة أبي الصنامة الحكيمية التي منها :

ان الشباب والفراخ والجده مفسدة للمرء أى مفسده

فكل ما فعله شعراء المهجر في هذا الباب هو أن يبدلوا القافية في المطلوع في أكثر من بيت ، بالإضافة إلى تأثرهم بما في شعر الغربيين من تحرر وانطلاق فسي هذا السبيل " ١ " .

وقد تمثلت الموسيقى الداخلية في اختيار الألفاظ الموحية ذات الجرس والرنين ونظمها بشكل متناسق فيما يعرف بنظرية النظم والعلاقات ، فضلا عن جمعهم شطري البيت الواحد في وحدة متماسكة تزيد من جمال أدائه واتقان كلماته ، وقد جرى على هذا النحو ميخائيل نعيمة وغيره . يقول أحد الباحثين ؟

• أن من يتدبر شعر نعيمة يجد زخرا بالنظم الموسيقى المنساب فسي مجراه انسيابا لا يعرف محه التوقف في سبيل التمييز بين صدر وعجز ، فسر تيار من الالحن يجرى في سبيله إلى قلب البحار الشاسعه " ٢ "

(١) نادرة السراج / شعراء الرابطة القلمية ط دار المعارف ص ٢٦٢ / ٢٦٣

(٢) ودیج دیب - الشعر العربي في المهجر الامريكي ط بيروت ١٩٥٤ .

وهذه الطريقة مقتبسة عن أساليب الشعر الخري الذي تأثر به الشعراء المهجريون والشاميون منهم خاصة الى حد بعيد ، مما حدا بالكثيرين من كتابنا ونقادنا الى الطعن في شعرهم وأعتبره دخيلا على الشعر العربي لخروجه على عمود الشعر وتحلته من الوزن والقافية في الكثير من قصائده ، وصيله الى الغموض احيانا كما هي الحال عند جبران وايليا ابي ماضي .

وحين نسجل اهتمام المهجرين بالموسيقى الشعرية لا نستطيع ان نخفل ولو فهمم بالرباعيات وقد أكثر من نظمها نسيب عريضة ورشيد أيوب الذي يقول من مجموعته الرباعيات بعنوان " تطويني وأطويها " في ديوانه " هي الدنيا "

من مبلغ فرط شوقى جيرة السوادى
واما لقد جارت الدنيا باب السوادى
وصرت لما وهت أيام مي السوادى
الى الرجوع باحلامى او اويها

والتجدد يد فى أوزان الشعر يذكرا بنوع من الشعر له كثير من الاتباع والمؤيد بن معنا وهناك الا وهو الشعر المنثور . ويعتبر امين الريحانى هو اول من استخدمه من الشعراء العرب متأثرا بالشعراء الافرنجى وبالاخص الامريكاني والانجليز ويسمى بالشعر الحر أو المطلق ، وهو يختلف عن النثر الشعرى الذى هو أسلوب من أساليب النثر تغلب فيه الروح الشعرية من قوة فى العاطفة ويحد فى الخيال ، وأيقاع فى التركيب ووفرة فى المجاز وكان فارس هذا الميدان " جبران " الذى اشتهر أسلوبه " بالطريقة الجبرانية " .

أما الشعر المنثور فيعرفه الدكتور أنيس المقدسى فيقول " ١ " والشعر المنثور غير هذا النثر الخيالى " النثر الشعرى " وأما هو محاولة جديدة قام بها بعض محاكاة للشعر الافرنجى ، ومن فتحوا هذا الباب " امين الريحانى " مع هذا فان استخدامهم لهذا النوع من الشعر كان محدود لانهم ملكوا ناهية النظم بالشعر الموزون الذى طوروا اوزانه وقافيته بما يتلاءم مع معانيهم وأفكارهم وأخيلتهم .

(١) الدكتور / انيس المقدس - الاتجاهات الادبية فى العالم العربى ج ٢

وأذا كنا قد ذكرنا أساليب التعبير والصياغة عند شعراء المهجر فأننا نود أن نرى أساليب التعبير عند الشعراء الفلسطينيين بعد النكبة وخاصة في موضوع بحثنا ألا وهو "الغربة والحنين" ، ذلك الموضوع الذي شغل حيزا كبيرا عند الطرفين سواء كان ذلك في أشعارهم أو في تفكيرهم .

وطبع بظاهمه حياتهم إلى حد بعيد ، وسيكون موضوع الغربة والحنين مجالا يكاد يكون مقصورا على الشعراء المهجريين هناك والشعراء الفلسطينيين هنا في عالمنا العربي ، ومرد ذلك إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي فرضت على كليهما ، وأن كانت أقسى على أهلنا الفلسطينيين منها على المهجريين .



ب - التعبير عند الشعراء الفلسطينيين ؟

يتفق الشعراء الفلسطينيون في طريقة التعبير مع شعراء المهجر في بعض الجوانب كما أنهم يختلفون معهم في جوانب أخرى ، فكلا الجانبين استخدما البحور الطويلة ، كالطويل والبسيط والكامل والوافر ، وسبق لنا ان عرضنا نماذج في الحرية والحنين للشعر المهجري جاء على وزن تلك البحور وقد جاء الان دور الشعر الفلسطيني في تقديم النماذج المماثلة - يقول هارون هاشم رشيد في حفيته الى مدينة حيفا من بحر الكامل .

وهل الشباب يعود وهو شباب	حيفا الحبيبة هل لامسك رجصة
حلو الحديد ومرقم ركتاب	أين المجالس منك يجمع شملها
مالي عليك من الزمان عتاب	حيفا عروس خواتري ومشفري

والشا عر محمود الحوت يحن الى مدينة يافا فيقول من بحر البسيط .

متى أراك؟ وهل في العمر من أمد	يافا لقد جف دمعى فانتحيت دما
كأنها قطع من جنة الخلد	كيف الشقيقان؟ واشوقى لها مدنا
وقد تركناه فيها ترك ملتحد	وكيف من قد تبقى في مراتبها

والشاعر عبد الكريم الكرمي * أبو سلمى * يحن الى فلسطين فيقول من بحر الوافر .

بعيدا عن سهولك والهضاب	فلسطين الحبيبة كيف أحيا
وفي الآفاق آثار الخضاب	تناديني السفوح مخضبات
وفي سح الزمان صدى انتخابي	تناديني الشواطىء باكيات

ومن الطويل ينص محمد المدنانسى على أمته الحرييه ضعفها ولجوءها

الى هيئة الامم شاكية فيقول .

ألفنا اذا اجتاح اليهود حدودنا ليوت شري أن لانفام على الاليم
وترسل برقياتنا ووفودنا لتجار بالشكوى الي هيئة الامم
الي هيئة لولا صفاقة وجههم لكان اليهود اليوم لحما على وضم

كما أستخدم كلا الجانبين البحور المجزوءة والقصيرة ، وقد مثلنا بنمساذج
لشعر المهجريين وعزونا ولعهم بها الي طواعيتها ومرونتها وقد رتتها على
تصوير اخيلتهم واحتواء افكارهم وادائهم بشكل أفضل ، ولسنا نبالغ حين
نقول أن الاسباب نفسها هناك هي التي شجعت شعراء فلسطين على أستخدامها
بوفرة يقول الشاعر رجا سمرين من مجزوء الكامل في قصيدته * الي والسدى
نزار *

ولدى اتيت وصلء عالمنا مظالم لا تعد
تتحكم الالهواء في ابنائيه ويسود حقد
وتقود هم نحو الدمار مطامع ليست تحسد

ويقول * فتحى قاسم * من شعراء الارض المحتلة في الحنين الي وطنه من مجزوء
الوافر وتغيير القافية * تعددها *

نحن اليك يا وطني
وللاطيوار والزيتون والدم
نحن لبيتنا العالني
وكرم التين والعناب ..
لا حباب لنا كانسوا
رفاق الانس والطرب
أخى بالله أخبرني
اما زلتم كما كنتم؟
ام الايام سامتكم
صنوف الذل والتعذيب والقهر ..

فقد اعتمد على مجزوء الوافر، مفاعلتين، مفاعلتين، وجعل كل شطر
على حدة كما جعل بعض الاشطر غير مجزوءة .

أو أن تأتي القصيدة على مجزوء الكامل لثلاثة أبيات ثم يعقبها ثلاثة اشطر
لمجزوء الكامل ايضا وذلك كقول " على هاشم رشيد " في الحنين الى الوطن

حتم يا وطني تسيل على الدروب لنا دموع
والام يشقى الشعب مشتاقا الى تلك الربوع
متحرقا والشوق وقد لافح بنين الضلوع
وعيوننا متطلعات
لنفسه صبح جيد آه
فيه تعز المكرسات

ونلاحظ اتحاد القافية بين الابيات الثلاثة كما نلاحظ اتحادها بين الاشطر
الثلاثة فإنا ما مضت القصيدة قدما تغيرت القافية في الابيات الثلاثة التالية
كما تتغير في الاشطر الثلاثة التي تليها حيث يقول .

وطني على الدرب الطويل اليك يسعى النازحون
لا يمانون من التطلع لاولاهم بياسسون
كم فرق الامل الحبيب وجهدهم تلك السنون
لكمما الشعب الصمود
باق على تلك الحدود
مثنوبا حتى يعصود

ويمضي على هذا النحو لتتطلق الموسيقى الشعبية مثنوية متدفقة مما يعسرين
اداء عزمه أبرز العاطفه البياشة في صدره الفعمة بالالم والامل مقامة وأختلاف
القافية والملاطار الخارجى في التصيد تعاطها رحابة ويعدا سا عدا في اداء الغرض
أعصود .

وقد طرق الشعر الفلسطيني اسلوب الرباعيات والخماسيات وغيرها فصن
الخماسيات قصيدة الشاعر معين بسيسو في قصيدته " المدينة المحاصرة "

البحر يعكس للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالشحاذ يطرق بالدموع وبالانين
أبواب غزة وهي مخلقة على الشعب الحزين
فيحرك الاحياء ناموا فوق أنقاض السفين
وكانهم قير تدق عليه أيدي النابشيين
ويشاطب الفجر المدينة وهي حيرى لا تجيب
قد اصها البحر الاجاج وطلوها الرمل الجد يسب
وعلى جوانبها تدب خطى العدو المستريسيب
ماذا يقول الفجر هل فتحت الى الوطن الدروب؟
فتودع المحرء حين نمود للوادي الخصب

وسلك الشعر طريق الاناشيد كما هي الحال في المهزلة العربية للشاعر محمود
المرغبي حيث جعل كل سبعة ابيات على قافية واحدة وقد بلغت حوالي سبعة
وعشرين تشييداً وهي من بحر واحد هو البسيط وقد تظانها منها بأكثر من
نموذج ومنها هذا البيت الرائع .

يا فاساً لقد جف دمي فانتحيت دما متى أراك؟ وهي في العصر من أمم

وبعضهم جدد في وزن البيت فجعل شطره أكثر من العجز تقطعية أو أكثر وخبر
به عن الاوزان الشعرية المعروفة وذلك مثل الشاعر يوسف الخطيب في قصيدته
التي يحن فيها الى مدينته الحبيبة " يافاساً " حيث يقول .

يا فاساً يشد الببال عن قريمدك السوردي

يا فاساً وفي أية دنيا؟

ان نخب عنك فكسى نذراك حتى . .

* *

ففى رعى الجنة .. أيدانا وروءىنا
نحن يا يافا ارتقاب الصبح ، لا أجفاننا
تسهو ، ولا نلمح شيبنا ..

أما الشعر المثور وهو ما يعرف بالشعر الحر فقد وجد ميدانا فسيحا عند الشعراء
الفلسطينيين الشبان ، وقد اعتمد على موسيقى التفعيلية والموسيقى الناخلية
وقد حظى باهتمام بعض الشعراء الكبار فى دواوينهم الاخيرة " الحديثة "
مثل " فدوى طوقان / يوسف الخطيب / هارون هاشم رشيد / معين بسيسو ..
وغيرهم كما استخدمه شعراء الارض المحتلة فى أكثر قصائدهم .

تقول فى قصيدتها " مدينتى الحزينة " ^{فردى}
أواه يا مدينتى الصامتة الحزينة
أهكذا فى موسم القطر
تحترق النمل والشمس
أواه يا نهاية المطاف ؟

ومن أمثلة التجديد التى سلكها الشعراء الفلسطينيون فى التعبير أن يجعلوا
قافية شطر البيت الاول تتحد مع قافية الشطرة الاخيرة من الخماسية أو تنسق
مع قافية البيت الثانى فيما يشبه الرباعية فمن النوع الاول قول " محمود درويش "

ولدت على يدى كرمه
أذا أفلحت خذ قطره
فخذ من ضرعها قطره
فقد علمت عنقودى متى يكسره
ويعطى المسترى سمه

ومن النوع الثانى قوله .

حفر اسمى على القمه
فحفر اسمى وتاريخى
نصل شموشى
وراد اختى النجمه

ومن الشعر الحر الذي لا يحتفل بالقافية ويهتم بالموسيقى الداخلية وبأيقاع
التفعيلية قول يوسف الخطيب .

لوميتا يا وطني القاك .. لو أمشي
لك الدنيا على رمشين .. لو
آتيك في خاطرة .. لو حاجبا
أعبرني بالريبي .. لو
حفنة من الثرى هائمة على
نونق الريح عمرها ، وتنتهي
الي نراك .. لا أناشد الوجوه
غير ذاك ..
أن أشيح فيك ..
أن أراك ..

ومن الرعايات التي طرقتها الشعراء الفلسطينيون في الحنين والشوق الى وطنهم
قول الشاعر " رجاسرين " في قصيدة " عودة " .

وطنني الحبيب لقد رجعت اليك بمد نوى طويل
فلم ذكرتك في الشروق وفي الغروب وفي الأصيل
ولكن نلت الي الببال وكم صبوت الي السهول
كم حن روضي للشذى المطار ، للظل الظليل

* * *

كم كنت يا وطني اود بأن أعود الي ربك
فرايك مفسور الكرامة قد نصرت على عدوك
لنسي قد عدت والاعداء تنعم في نراك
وينوك قد هما مواحي ساري في المضاور للملاك

أما الموشحات فإن الشعر الفلسطيني لم يستخدمها الا نادرا وهذا جانبا من جوانب التباين مع الشعر المهجري الذي أولج بها كثيرا وجدد فيها وطورها كما أسلفنا ، كما أهتم للشعراء المهجريين بالموسيقى الشعرية كثيرا بينما لا نجد هذا الاهتمام الا عند بعض شعرائنا الفلسطينيين مثل " أبي سلمى " وهارون هاشم رشيد - فدوى طوقان - ويختلف الشعر الفلسطيني عن الشعر المهجري في اللجوء الى الرمز ، اذ أن الشعر الفلسطيني اهتم به كثيرا بينما نجد استعماله نادرا ودونما غموض عند شعراء المهجر ، وذلك راجح في - نظري - الى أن الظروف السياسية التي يعيش فيها كل من الفريقين تختلف عن الاخرى ، حيث أتاحت الحرية السياسية في المهجر لشعرائه ان يعبروا عن احساساتهم ومشاعرهم بوضوح ودون - مواربة ، بينما لم تسمح هذه الظروف للشعراء الفلسطينيين بذلك .

- استعمال الالفاظ والتراكيب

نلاحظ ان الشعرين المهجري والفلسطيني قد أستحدثا بعض المفردات والتراكيب التي قد لا تتفق وأساليب اللغة وقواعدها وأن كان ذلك في الشعر المهجري أكثر وأعم منه في الشعر الفلسطيني .

ففي الشعر المهجري استخدمت الكلمات الاجنبية بعد صقلها لتجد لها محسلا في البيت كقول رشيد ايوب في وصف مدينة نيويورك .

كأنى بالصبولي يوم تجمهرت بها الناس خلت الناس في موقف الحسر

ترجح بها الكارات ملأى خلاثقا وترجح فيها منقلات الى الجسر

والصباوى ، والكارات كلمتان انجليزيتان بمعنى النفق ، والسيارات والثاعسر

منسوزة ايض يقول في قصيدته " وهاد في كفن " .

أما رأيتم شاردة عيناه نجمتان
أما رأيتم شاردة ..
سافرا لا يحسن السفر ..
راج بلا زواده .. من يطعم الفتى
أن جاع في طريقه ؟
من يرحم الغريب ؟

فقد أستخدم كلمة زوادة العامية والتي تعنى " زاد المسافر " والطعام
الذى يحتاج اليه في سفره .

ومن الجوانب التي تباين فيها الشعر الفلسطيني عن الشعر المهجري
استخدام الرمز - يقول محمود درويش في رباعيات " يوم جن فلسطين " .

غيمة الصيف التي حملها ظهر الهزيمة
علقت نسل السلاطين على حبل السراب
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمة
ها نا أزدت التناقبا بالستراب ..

ويقول سميح القاسم في قصيدته " الحاصد الاول " من ديوان " دمي على كفي "

بجلدي ايها المخدوع لن تدفنا

أعد جلدي ..

أنا والشمس والعرفا

على وعد

وصوتي قاهر الايقاع لا يطفأ ..

ولقد سبق أن أوضحنا الأسباب التي دفعت ببعض الشعراء الفلسطينيين إلى ولوج طريق الرمز والتستر بالغموض، كقضية بأنفسهم عن تعريفها للعقاب والقصاص من قبل العدو الصهيوني أو بعض الحكام العرب الظالمين الذين لا يريدون للحقائق أن تتكشف، ويحملون بكل ما وسعهم الجهد لتظل الشعوب التي يحكمونها خائفة ذليلة صاغرة .

ج - المقارنة بين الشعراء في التصوير

أن أهم ما تطورت إليه القصيدة هو التعبير بالصورة الشعرية التي يبرز فضلها في قدرتها على تمكين المعنى في النفس، لأن الهدف من الكلام البليغ نثرا كان أو شعرا هو التأثير في القارئ والسامع، وذلك لن يتأتى إلا بالمررة البهيمية المؤثرة التي تطرد عن النفس الملل والسأم، وتفري القارئ والسامع بالانتباه والاهتمام يقول أرسطو في كتابه " فن الشعر " ، علينا ان ننهج نهج المصورين البارزين الذين يوضحون الملاح بدقه، ولا يخفون الشبه بين الحقيقة والصورة " ١ " .

ولكن تعريف الصورة عند الشعراء والنقاد المحدثين قد تطور إلى حد بعيد فلم يكتفوا بتعريف أرسطو الذي أشرط علاقة واضحة بين الصورة " الخيال " والحقيقة بل أنهم أطلقوا لأنفسهم التصورات العالية البعيدة الموقفة في الغموض والحمق، وهم يريدون أن تكون القصيدة كأنها لوح مرسوم - أمام القارئ والسامع - مجسم وبارز .

رأى ذلك الشاعر " إبراهيم ناجي " فيقول " الأسلوب التصويري في مدح الصور بين هو من مظاهر التطور في الأدب الأوروبي الحديث ويبيِّن

(١) أرسطو - فن الشعر - ترجمة احسان عباس ص ٦٠

الصوريون مذهبهم على أن الأدب يجب أن يكون صورا متلاحقة مضغوطة ، وقد
بالنوا في ضغط صورهم ، وتفننوا حتى حملوا الكلمة صورا مجتمعة لا صورة واحدة ،
وقادهم ذلك الى الرمزية ، فذهب الصوريين كان يعتمد على الاسس الاتية :

- ١ - التصوير الشعري
- ٢ - التركيب
- ٣ - الضفط " ١ "

وقد أولسح الرمزيون بالصورة الشعرية " الخيال " وأخذوا يتفننون
فيها ويبحثون عنها بعيدا عن المحسوسات ، وأصبح الجميل في نظرهم أن -
يطيروا - وراء المدحش والمعجب ، وراء اللا محدود ، واعتقد كل منهم أن
لا شئ غيره يصلح موضوعا للفن ، ومن لم يتمثله لم يكن فنانا ، وقد عالم
الخيال صلته بالجمال في نظرهم ، وآمنوا بأن الشعر لا يستطيع التفتنن في
عالم الصاديات والمحسوسات ، ورويدا رويدا ينكفي " الشاعر على نفسه
ليعيش في حالة حلمية " اللا وعى " ليتصيد صورا شعرية من خبايا
نفسه غالبا ما تفقد صلتها بالحقائق ، وأن كانوا يدعون بأن الشعر -
على هذه الصورة يكشف عن حقائق لا يستطيع العقل الواعي الوصول اليها -
وبهذا تحول بعض الرومانسيين الى ما يصرف بالمذهب الرمزي الذي ولد ميتا .

ولذا نرى الذين استسلموا للخيال قد بعيدوا بل انفصلوا عن الحقيقة وأنطوا
على نفوسهم ، يطلقون لها العنان لتجري وراء السراب ، وقد يجدون في ذلك
لذة ومتعة ، ولكنهم حين يصودون الى عالم الواقع - ولا بد من عودتهم
اليه بين حين وآخر - ستخدمهم الحقيقة ويدهمهم الحزن والاسس
يقول محمد غنيمي هلال .

" نأثر نتيجة طبيعية لا تطأه الرومانتيكي على نفسه وطنيان شعوره وعاطفته أن
يأثر نأثر الحقيقة ، فيطلق لنفسه العنان في أحلام يحوض بها ما فقده
عالم " النام " من حيلة ، ووجد في هذا الانطلاق اشباعا لاماله غير المحدوده
انه لا يريد أن يهبط من ذلك العالم الذي خلقه لنفسه ولو تحققت آماله التي يحلم

(١) محمد عبد المنعم خفاجي - قصة الادب المعاصر ص ٧٢ ج ٤

بها . إذ كان يجد في حلمه نفسه لذة لا يريد أن يتغلب عنها . (١) .

ومضى هذا أن الأدب في نأر هولاء والشعر منه خاصة ينبني ألا يكون له علاقة بالحقائق الخارجية ، فالصور التي يتخيلها الانسان عن الكون لا وجود لها خارج ذهن الشاعر ، أي لا وجود لها في العالم المادي على نحو ما تتمثل للذهن غير أن الناقد الفرنسي " ديدرو " قد رد على هولاء قائلا " الفن هو محاكاة للطبيعة ، والجمال هو ما كان له وجود موضوعي خارج ذهني . (٢) .

ورأى ديدرو هذا يعيد للواقعية مكانتها التي أصبح لها مواقع كثيرة في عالمنا اليوم إلا أن المثالية الوهمية التي ينادى بها الرومانسيون تجد لها مواقع وأنصارا في الشير من بلدان " العالم الحر " وهدفها من ذلك صرف الشعوب المستغلة عن واقعها والتفكير فيه لتظل أسيرة الأوهام والأحلام ، ومن هنا نرى خطورة مثل هذه المذاهب السلبية التي لا ترتبط بقضايا الأمم والشعوب العادلة ، ولا تسهم في تقدم الانسانية أو تطور الحضارة بنصيب .

لكن الصورة في مفهوم النقد السري هي الظلال والألوان التي تخلعها علي الصياغة الأفكار والمشاعر ، وبعبارة أخرى هي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأفراضه عرضا أدبيا مؤثرا في طرافة وامتعة . فالأدب لا يعني عرض الحقائق مجردة بل أن يخلق عليها الشاعر أو الأديب مشاعره وإنفعالاته لينحسبها الحرارة والقوة ويبلورها في أجمل صورة وأبهاها ، والشاعر والأديب لا يريان الحقائق مجردة كما يراها الشيررون وإنما يريانها بعين الخيال المخلق وهي عين سحرية بعيدة الرؤية ترى الحقيقة الواحدة في ألوان شتى وأبعاد شيرة وأحجام مختلفة .

فالصورة اذا تنظم في حقيقتها أمرين :

الأول : المعاني والأفكار والمشاعر ، كمادة للصورة أو مضمون .

الثاني : العبارات المصورة لهذه المعاني والمشاعر كشكل لها أو صورة وهكذا يتسع

* - محمد فنيبي هلال - الرومانتيكية - دار السودة بيروت ص ٧٢

٢ - محمد مفيد الشوباسي - الأدب ومذاهبه - الهيئة العامة للتأليف

إطار الصورة الأدبية فيشمل المضمون والشكل محافسى مزاج واحد (١) .

ركلما طشت المشاعر والانفعالات على جانب الأفكار والحقائق ازدادت الصورة تأثيرا وقوة إذ أن الناظر عادة يستجيبون للمشاعر والانفعالات أكثر مما يستجيبون للحقائق والأفكار ، وقد تكون قوة الانفعال عاملا كبيرا في التقاط الصور الرائعة ،

والكلمة الموحية أثر كبير في تكوين الصورة الأدبية ، ولذا نرى حرص الشعراء المبدعين على اختيار ألفاظهم وانتقاءها ، كما أن تركيب الألفاظ وتنظيم علاقاتها - فيما يسر - بناءية النظم والحلقات - أمر مهم في إبراز الصورة الأدبية ، ويلعب الخيال دورا مهما في هذا المضمار . بل أن الخيال قد أصبح عماد الأدب ، لأنه الطريق الطبيعي للتصوير المؤثر الجميل وعرض الحقائق في صورة خلاصة تشد السامع والقارئ وتمعظي بإعجابها وتقديرها ، وقد سبق أن قلنا " أن الخيال المحلق يملك عينا سحرية بعيدة الرؤية قادرة على رؤية الحقيقة الواحدة في ألوان شتى وأبعاد كثيرة وأحجام مختلفة " ودور الخيال هذا وإمكاناته الهائلة يبين مدى حاجة الشاعر والأديب إليه ، ولذا لانجذ الاسراف فيه والجرى وراءه بعيدا عن الواقع والحقيقة فذلك قد يسلم الشاعر أو الأديب إلى الاستسراق في نفسه والانطواء عليها لينفصل عن عالم الحس والمادة ودنيا النام كما يفعل غلاة الرومانسيين والرمزيين الذي جاءوا من بعدهم ، فأصبحوا يعيشون في أبراجهم العنابية يجترون أوهامهم وخيالاتهم في سلبية وانكفاء .

" والخيال منه الابتكاري الذي ينسجه الأديب في خياله من غير أن يكون له واقع ملموس فعلا فالقدم الجغرافية والمسرحيات المشترفة والرحلات الخيالية التي أنشأها أمير الصلابة في رسالة الشفيران ، ودانتى في الجحيم ، وابن شهيد في الزواجر والتواضع ، وما يجرى في هذا السبيل مثل المقامات (٢) .

١ - أندرو مود نائل - اتجاهات وآراء في النقد الحديث - مطبعة

١ رسالة ص ٧٩ / ٨٠

٢ - المصدر السابق ص ٨٩

١ - التصوير في شعر الخربة والحنين المهجري :

ان الحنين في الشعر المهجري قد ارتبط الى حد بعيد بالهرب من الواقع ومحاولة الجري وراء عالم مثالي يسوده الوئام ، ويخلوا من التصارع والأحقاص فلم يجدوا أفضل من الطبيعة يهرمون اليها متمثلة في الغاب الذي لم تصل اليه يد الانسان حيث يتساوى فيه كل شيء ، ولا فرق فيه بين شيء وآخر ، كما أن الهرب هذا قد دفعهم الى الحنين الى الطفولة البريئة والى الوطن المادى الذى قضوا فيه طفولتهم التى لاتصرف التحاسد والتباغض والتعزق ، وحين نحرف أن من بين أسباب هجرتهم التى دفنتهم الى منادرة الوطن الحبيب الظلم التركى والخلاف الطائفى البغيض يتضح لنا سبب توجهم نحو الطبيعة أو الغاب ، كما يتضح لنا سبب حنينهم الى الطفولة التى لم تكن تتأثر بشكل مباشر - بالاستبداد التركى والخلاف الطائفى ولقد كان للخربة أثر بعيد في الشعر المهجري ، لأنها هى التى أوحى الى المهاجر مع الحزن واللوعة والتفرد شعورا بالتأليه لعالم الطبيعة الجميل ، كما يمثله الوطن الحقيقى الذى هو غاب جميل اذا قيس بصخب المدينة وضجيجها في بلاد الغرب ، وشعورا بجمال دنيا الطفولة ، وهى السهد الجميل الذى قضاه الشاعر في وطنه قبل أن يسافر ، وشعورا أعمق يصور الوطن نفسه عالما بعيدا يمتلىء بالمسعادة والرضى والنور .

"إن الشاعر الرومانطيقى قد ينمى في نفسه الشعور بالحاجة الى الغاب والطفولة نغمة ياليمه ، أما المهجريون ، فلم يكونوا بحاجة الى تغذية مشاعرهم بروائد من الدنيا لأنهم يبجدون مادتهم من حقيقة واقعهم (١) ."

وقد كان حنينهم الى الغاب ولم يكن الى الصحراء مثلا لأن طبيعة الرطبة الذى نزحوا عنه تتكون من النباتات كما هى الحال في لبنان مثلا ، وقد تأثر بالنبات وقد بالبحث عنه شعراء المهجر الشمالى خاصة أما شعراء المهجر الجنوبى فقد كان إتحافهم بعيدا عن الرومانسية الخالصة التى طبعت شعراء الشماليين بطابعها أختل جبران خليل جبران ، نسيب عريضة ، رشيد عسوى وميخائيل نعيمة .

١ - احسان عباس ، محمد يوسف نجم - الشعر العربى في المهجر - دار صادر

أما الرموز فقد كان محدودا في شعرهم ، ومرد ذلك إلى حريتهم في الابانة عما في خواطرهم ، ولأن طبيعة الانسان العربي تتجه نحو الموضح متأثرا بجذوره الاجتماعية والطبيعية ، وليس في استطاعته الافلات أو الانفصال تماما عن هذه المؤثرات . وقد لعب الاسترجاع الحلمي دورا عظيما في تصوير المهجريين للحنين إلى الوطن ويقول بعض الباحثين " أنهم في تصوير الحنين قد مشوا في ثلاثة خطوط :

- ١ - التعبير المصريح المباشر عن حب الوطن ، وهو يتفاوت لديهم بمقدار البساطة في التعبير والصدق فيه والقوة في الحنين نفسه .
- ٢ - التعبير عن الحنين في صورة حلم ، وهذا متفاوت أيضا بالنسبة لمقدار الاتزاج بين الوطن والطفولة ومدى التخيل الحلمي .
- ٣ - التعبير غير المباشر عن الحنين ، وذلك بتصوير حالة نفسية قلقة في موضعها ظامئة إلى الشاب أو المجهول أو الطفولة ، أو تصوير نفسية حزينة عاجزة عن أن تتبين روافد حزنها ، فهي ضاربة في سديم غائم من الحواطس المبهمة ، والتعبير عنها تلمحي ليحائي لا يحدد شوقا واضحا إلى الوطن المادى (١) .

وقد ارتبط هذا الحنين بالأبوة والألم ومحاولة الهرب من واقع الحياة جريا وراء الشباب أو خيمة الناظر ، ونتج عن ذلك فلسفة مثالية سلبية ، كما حاولوا نسيان واقعهم عن طريق النغم أو الانطواء . وكان لذلك أثره في الشعر العربي الذي جاء بعد مدرسة المهجر .

الا أننا نرى أن المدرسة المهجرية كان لها فضل عظيم على الشعر العربي ، حيث لقحته بالأخيلة المبتكرة والصور الجديدة نتيجة اطلالها على الأدب الغربي وتأثرها إلى حد بعيد به ، فقد جمعت شعراؤها بين الخيال المجمع ، والعاطفة الملتهبة والفكر المستنير ، وقد عرفت هذه المدرسة للأدب قدره ، ورفعت منزلته ، ليصبح تعبيرا عن تذبذبات النفس وتصويرا للمشاعر والانفعالات التي يجيش بها وجدان الشاعر وقلبه بعد أن يأن الشاعر في الكثير الغالب - يمثل دور الجولان أو النديم في أحسن الأحوال ، لكنه في كل الحالات لا يملك مشاعره ، ولا يحبر عنها ، ولكنه يقول ما

يطلب منه أو يراد له ، " فاذا كان التصوير في الأدب عامة ، دعامة تبرى من دعائمه تسبخ عليه أفانين من الرقة واللفظ والجمال ، وترتك في النفس أعق الآثار ، فهو في الأدب المهجري خاصة إحدى مزاياه الجميلة التي بسج فيها ، وقدم منها أرائنا عجايبا في مختلف صور الحياة ، ونوازح النفس البشرية والفكر الانساني (١) .

ومن صور الشعر المهجري البارعة في الحنين قول الشاعر شفيق مخلوف من قصيدة بعنوان " حنين " حيث يقول :

طال بي الشوق ولجّ الظما	الى ليال في أعالي الكرم
يفرى بها البدر صبايا الحمى	كأنما البدر خلال النجوم
جمع أنوار جميع النجوم	وصبا من كوة في السما

فما أجمل الليل في أعالي الكرم صيفا ولا يحرف هذا حق الصرفة الا الذين عاشوا هذه التجربة الانسانية الممتزجة بالطبيعة الرائحة السنون ، وصورة البدر وهو يشجع الصبايا على الخروج في الليالي المقمرة المبهجة شيء راح في نفس الانسان الذي التصق بالطبيعة وعرف سر جمالها وقوة تأثيرها ، كما يشبه البدر حين ينفلت من أسر النجوم قد جمع كل ضوء في السماء ليصبه على الأرض ومن عليها ولكن كلمة الخيم تثير اعتراضا هنا الا اذا اعتبرناها فيوما صيفية متناثرة ! ومن الصور الرائعة في شعر الحنين المهجري قول الشاعر ايليا أبو ماضي :

الأرض سوريا أحسب ربوعها	عندي ولبنان أعز جبالها
والناس أكرمهم على عشيرها	روحى الفداء لرهطها ولآلهها
تشتاق عيني قبل يغمضها الردى	لو أنها اكتحلت ولو برمالها

إن الصورة التي يشتمل عليها البيت الثالث تثير في النفس عجايبا بوفاء الشاعر وصدق احساسه ، فهو يتمنى أن يجعل من رمال رطنه كخلا لمينه قبل أن يموت ، أو أن يراه ويستمتع بهذه الرؤية قبل أن يخيب في القبر ، والأمنية الأخيرة بالنسبة للانسان المحتضر هي أفضل ، نيات .

ومن الصور الرائعة في آل نين إلى الوطن والحنين إلى الطفولة في الوقت نفسه
قدودة " يا تلج " لرشيد أيوب الذي يمزج بينهما مزجا بسيطاً فيقول :

يا تلج قد هيبت أشجانني	ذكرتني أهلي بلبنان
بالله مني قل لأخوانني	ما زال يرعى حرمة العهد
يا تلج قد ذكرتني السوادى	متنصتا لغديره السوادى
م قد جلست بحضنه الهادى	فكأنني في جنة الخلد
يا تلج قد ذكرتني أهلى	أيام تقضى الليل في همى
مشفوفة تحماتي في ضمى	تحنوعلى مخافة البرد
يا تلج قد ذكرتني الموقد	أيام كنا حوله ننشد
نعنولد به كأنه المسجد	وكاننا النساء في الزهد

فقد أضاف في هذا المرح بين لونين من الحنين عناصر من الواقعية المبسطة والتقطعت
مغيلته صوراً عديدة حشدتها لتتعلق منها هذه الصورة الرائعة من تعلقه بأمله هناك في
لبنان والأماكن التي دجن عليها والحادثات التي اعتادها في طفولته وأمه الحنون وما كانت
تبدله من قنطرة عليه ، كل ذلك جعل الصورة كلوحة بارزة مبهمة

٢ - التصريح في شعر الغربة والحنين في الشعر الفلسائني :

يرجع النقاد على أن التعبير الشعري يتميز في الأصل بأنه تعبير تصويري لا تفريري
والتصوير في حاجة إلى التشبيهات والاستعارات وانظور ، ويجب أن ترتبط هذه التشبيهات
والاستعارات والصور بانفعالات الشاعر ومشاعره وألا يتفنى برصها واحكام أشغالها وألوانها
وقد تبني الكاتب الكبير عباس محمود العقاد هذا الفهم لوليفة التشبيه حين انتقد أمير
الشعراء " احمد شوقي " قائلاً :

" اعلم أيها الشاعر الصالح أن الشاعر من يشرب به وهو الأشياء ، لا من يحددها
ويصفي أشغالها وألوانها ، وأنه ليست مزية الشاعر أن يقول ذلك عن الشيء ما إذا يشبهه
إنما نيتته أن يقول ما هو ، ويكشف ذلك عن لبايه وصلة الحياة به (١) "

وإذا فان الشعراء يعرفون بمصدره فان كان يصد عن الحواس فهو شعر قشور

أما إذا كان يصدر عن أعماق الشاعر ووجدانه ، وينقل العواطفه وأحاسيسه ونبض مشاعره فهذا هو الشرح حقا .

وسبق لنا القول بأن الصورة تلعب دورا هاما في إبراز الأفكار والمعاني فضلا عن نقل الانفعال والتأثر إلى السامع والقارئ .

وكان للخيال أهمية عظيمة في الماضي والحاضر عند العرب وغيرهم ، لأنه هو الذي يُلون الأفكار والعقائد ويخلق عليها قوة التأثير ، فالشاعر لا يصرح علينا أفكاره مجردة والا لفقد تأثيره فينا .

وليس معنى هذا أن الحقيقة ليس لها دور في صنع الصورة الأدبية . بل العكس هو الصحيح ، لأننا كثيرا ما نسمم الحقيقة في ذلك وتعتبر رافدا مهما من روافد التصوير الأدبي ، مثلها مثل جرس الألفاظ وموسيقاها ، فهذه كلها عناصر للصورة الأدبية التي بجانب عنصر الخيال .

والمحنة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني استطاعت - لهولها وجسامتها - أن تفجر القرائح ، وتولد الصور وتبتكر الخيال ، ولقد رأينا في النماذج التي عرضناها في الباب السابق ما يؤكد قولنا هذا ، وحين نحاول المقارنة بين الصور هنا والصور في الشعر المهجري نجد التقاء في بعضها واختلافا وتباينا في البعض الآخر .

فقد التقى الجانبان في الحنين العام إلى الوطن وجباله ووديانه وسهوله ومدنه وقراه كما التقيا في الحنين إلى الأهل واجتماع الشمل ، والعودة إلى الديار . لكنهما اختلفا في الحنين إلى العالم المثالي " الناب والطفولة " والهروب من العالم الواقعي ففي الوقت الذي نجد فيه شعراء المهجر مولعين بالنجاب والهروب إليه نجد أن " الناب ليس له ارتباط في مخيلة الشاعر الفلسطيني ، وإنما نجد حنينه واقعا ، يعرف أسباب اغترابه وهجرته ، ويعدد المؤامرات التي حيكّت ضده ، ويحدد الطريق التي يجب عليه أن يسلكها إذا ما أراد العودة ظافرا .

كما أنه يتذكر عن الآلام التي لقيها مع شعبه نتيجة الطرد الجماعي من وطن آبائه وأجداده ، والمآزر التي حدثت ضدّهم . أما على الصعيد الآخر فلم تكن الهجرة مدمية ، كما لم تكن قسرية على النحو الذي حدث للعرب الفلسطينيين ، ومن هنا نجد آلام الغربة ومظاهرها ، وما نتج عنها من شوق وحنين ، واصرار على العودة

أقوى وأعمق وأشمل عند الشعراء الفلسطينيين وستبرز التناجج التاليه صدق ما نقول .
من الصور الرائعة التي تصور الحنين الجارف الى الوطن قول أبي سلمى في قصيدته
" سمود " حيث يقول :

فلسطين الحبيبة كيف أنو	وفي عيني أطيار العذاب
فلسطين الحبيبة كيف أجيا	بعيدا عن سمولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات	وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطيء باكيات	وفي سمع الزمان صدى انتحاب

فقد صور الشاعر قلقه بأطيار العذاب تراءى أمام عينيه ، وقد أبعد ذلك عنه الهمدوء
وإذ استقرار ثم جعن السفوح أشجارا تناديه ، وعبر عن الدماء التي تملأ هذه السفوح بالخنايب
ليؤكد أنها تزينت وارتفعت مكانتها بشرف التضحية .

ثم نرى التجاوب بينه وبين الشواطيء فهي تبكي لبكائه ، وهو يجيبها في نحيب يسمع
الزمان صدها ، وبذلك يبرز الزمان في صورة حسية ، بحيث يسمع كما يسمع الناس وبعد ذلك
كله نرى الشاعر قد خلج على أبياته تلك عاطفته واحساسه بالوفاء للوطن وبالأمم الذي يعاني منه من
جوراء ما أشابه من معن وكوارث .

ومن الصور الرائعة التي تصبر عن السمود والتضحية والفداء هذه الأبيات للشاعر محمود
درويش من رباعيات " يوميات جرح فلسطين " حيث يقول :

وإذا استرسلت في الذكرى نما
في جهتي عشب الندم
وتحسرت على شيء بعيد
وإذا استسلمت للشوق
تبينت أساطير المبيد
وأنا آثرت أن أجهل من عرق حساة
ومن السخر نغم

فقد عبر للندم عسبا واستسلامه للذكرى يرميه ، وهو لا يريد أن يكون سلبيا فالندم
لا يريح بانك كما أن السمود وحده ، والأفانيات التي تعاقبها الأعمال والتضحيات تبقى
المر ما لليقظة يفرزها الكسل والخمول وهذا سر تعبيره بأساطير المبيد .

ولم هذا فهو سينطلق من موقف القوة والتحدى ليصبح عوته حصة يرحم بها العسود

الدخيل ، كما سيحصل أفعاره أنخاما عذبة شجية تبث الأمل في نفوس شعبه ليحطم بهما
مخور اليأس والقنوط .

ويوسف الخليل يعور حنينه الجارح وشوقه المزعج الى وطنه على النحو التالي في قصيدة
له بعنوان " لوميا القاتل " :

أرخصي يا أجنة الحنين فاسبقني
الرياح ، والجنون ، والرؤى
إليه .. أفديه هجيرة على الرمال
أوكت السفوح ، فينبسها
وعانق الفجر به على شواطئ
الندى ، وليله المضى
ينزق أفياء الضلوع سيدي
متكنا على الرموش ما نأى

فهر يعور حنينه بالبحر واد الجامح الذي يريد الانطلاق ليسبق كل شيء حتى الرياح - حتى
الجنون - حتى الرؤى والاحلام .

ويعوره " كت السفوح " كناية عن الخصب والنماء والعدل الدليل ، ويحث أجنة حنينه
بعد انطوائها - ان تعانق فجر الحرية والأمل في الشواطئ الندية وليله المضى - نعم أن
لين الأرض يتصور الى اشراق وضياء في نفوس أبنائه حين يجدون السعادة فيه وتزول عنهم
واهبس الظلم والقهر .

ويجعل من وطنه سيدي له وهو ابنه البار ونجم الضاد له ويفسح له ممانا بين ضلوعه ليحتضن
سويداء القلب ، ويمهين له من رموشه وسادة يثني عليها ، وكأنه سلطان ذو مهابة وبسال
فيالها من عبورة ولو أردنا أن نقدم الأمثلة ضار بنا المقام ، الا أنا نكتفي بهذا المقدار
ولعل ما قد نفاه من نماذج يثبت صحة ما نقول .
ج - المذارنة بين الشعريين في الشواطئ :

١ - الشعر المهجور

أن الشربة وابعد عن الوطن قد مات نفوس الشعراء بالحزن القائم ، وأررتهم الأسى
والأمم وثلما نقرأ شعرا لأحد من شعراء المهجريين الشمالي والجنوبي حتى نشعر بلذع
الأسى فيه واستمع الى فوز المعنوي ان يصور اليأس القاتل ، يقول في رحلته على بساط
الريح :

سحاكى بشينة وجميلا	ألف اليأس قلبه فهو واليأس
راح يبكي على نواه طويلا	وإذا اليأس صد عنه قليلا
فعليل أتى يعود عليلا	وإذا ما النسيم مر عليه
مدلجا في الدامض السبيلا	حائر الدار فشارد الفكر يعكس

يقول شوقي صيف " وهذا اليأس ما يدع فيه من عزن مبدده الغربة والاحساس بالشقاء بعيدا عن الوطن ، والشعور بالحرمان من الأهل والأصدقاء تبعد الحياة وكأنها القفر الموحش ويرد في الوجود ظلما صيفا فاء الشاعر لآخون له ولا قوة وإذا هو مستسلم للحزن واليأس ، وإذا سوا لا يملك غير دمعه يرسلها أنات وزفرات ، وأنه ليحضر دائما بأنه غريب ، وأنه في عزلة عن الناس ، وأنه ليس ممن حولك ، ولا من حوته منه ، فيعيش كالسير السجين في قفس ، قلبه منه من قلبه ، ولكنه ذبيها يوما ، لأن جوده وأفق الدار يرتد ويحلق فيه سلب منه (١) "

وهكذا طهمت الغربة والحزن شعر المهجريين بالأسى والتشاؤم في الكثير من قصائدهم فالشاعر حينما يبحت موله ويجون بهصره في الهيئة التي يحيا فيها يجد أن الذين يعيشون معه لا يشاطرونه أحاسيسه ومشاعره ، كما أنهم لا يسلطونه أو يحزنونه ، إنما يجد بدل ذلك الوحدة والبهوس والحرمان ، كما أنه لا يتحيز له حياته بعيدا عن أهله وذيويه الذين يتجاوبون معه ويتأوب معهم ، كما أنه مهبط عن الوطن الذي أحبه ونشأ فيه ، وذلك يشعره بضيق الحياة ، وتلاشى الأمل في نفسه ، وهذا الشعور يدفعهم إلى اليأس والتشاؤم وتظهر هذه الصراعات في شعر نسيم عريضة إذ يقول :

ورحمت في وحدتي أبكى على الناس	علقت عودى على صفافة اليأس
دفنت كل بشقاتي وأيناسى	فأن في داخلي قبر بوعثته
يسقي صوب دم من قلبي القاسى	ياقبر آمان نفسى في ثرى كبدى
سوداء مرت عليها نار أنفاسى	زرعت فوق أزهارا بالأرج
بدمعة القلم تحميمها يد اليأس	ما أروى الزهرة السوداء قد سقيت

فهو يبكي على نفسه وعلى الناس بعد أن حذر النفس والأمل واستسلم للوحدة القاتلة وقد قبر آماله وبشاقته ووقع أسير اليأس والتشاؤم .

يرأى نجد بعض الشعراء المهجريين وقد نبذوا التشاؤم وحشوا على التفاؤل والتملق بل تلمح في شعر الجليلي أبو ماضي وهو صاحب قصيدة " فلسفة الحياة " التي يقول :

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر - شوقي صيف ص ٢٧٠

أي هذا الشاكي وما بك داء
كيف تفدو إذا غدوت عليلا
ان شر الجناة في الأرض نفس
تتوق قبل الرحيل الرحبلا
وان كان هذا التفاؤ تنفذ فيه بين الحين والآخر لحظات حيرة وقلق تدفعه الى أن يقول
لا تسألوني اليوم عن قيتارتي
قيتارتي خشب بلا أنسنام
وكما تميز شعر ايليا بالتفاؤ تميز شعر نسيب عريضة بالحيرة والتساؤل ، ورشيد أيوب بالحزن
والشكوى ، لأنه قاس كثيرا في سبيل لقمة العير ، ولقد صور ذلك في قصيدته " المسافر "
التي استشهدنا ببعض أبياتها في غير هذا المكان .
ومن خلال هذه الحياة المنعزلة الموحشة التي لاتجد رفيقا في وحدتها سور الطبيعة
الخالدة المتدثرة بالحزن والآبة . أصدر لنا رشيد أيوب أبداع أغنياته ، وأرق أنغامه حيث يقول
في " نة كوي لبنان " :

اذرفي
يا عين دمي ، فالهوى متلفي
واسعفي
لعل نارا في الحشا تنطفئ

ومن أجل هذا الحزن والشعور بالضياع أطلق عليه الدكتور الهادي ، ومع هذا فان العاطفة
الانسانية تتجلى في أشعارهم لتدلل على رحابة عواطفهم الصادقة ، وقد برزت هذه العواطف
في أشعار الحنين التي عبروا بها عما يجيش في صدورهم وما يحتج في قلوبهم من أحاسيس
وانفصالات تعبر بمدى الولاء والوفاء للأهل وللوطن وقد أكدوا أن كل ما يلقونه من جسد
وما أو مضى لا يخفى عن الوطن أو الأهل يقول نعمة قازان في معلقته " شجر الأرز " :

هجرت وللنفس أنماعها
وانى مع الحظ في هجرتي
فلا الما أشبع من جوعتي
ولا المجد ألقا من غلتي
هي النفس تحيا باحساسها
ولير على الحسن من قدرة
فلا لأحب سوى قرينتي
ولا ، لأريد سوى أمتي

وتبرز الدامانية والثقة بالنفس لدى ميخائيل نسيمة ليظهر عن تفاؤله وقد رته على الثبات أمام
أحاسير الحياة فيمثف في " النهر المتجمد " قائلا :

عقب بيتي حديد
ركن بيتي حجر
نصفى يارياح
وانت حسب يا شجر
واقصنى يارعود
لست أخشى خطر

ولسنا في هذه النماذج قد ألقينا حزمة من الضوء على العواطف الجياشة في نفوس شعراء
المهجر

لقد أثارت المأساة عواطف العرب والمسلمين كافة ولكن الشعراء والفنانين كانوا بطبيعتهم أكثر الناس تأثرا بها وتعبيرا عنها ، لذا لهم من رفاقة الحس والشعور ومن هنا نرت عواطفهم الجياشة تمور بالسخط حيناً وبالأم أحياناً أخرى ، كما أنها تبرز الحسرة واللوعة تارة أو تدعو إلى إثارة الصمود تارة أخرى كل ذلك في إطار الثورة والحنين إلى الوطن الذي اغتصبه وإلى الأحرار الذين شردوا تحت كل كوكب ، ففرقت بهم الشجائب والدروب .

وكم كان الشعر الفلسطيني مادقا حين صور العواطف ورسم الانفعالات التي ولدتها نكبة التشريد والتهجير والابعاد ، فالإنسان حين يترك من وطنه وينتقد بذلك رأيته ولا يلقى من من أكثر الناس إلا التحقير أو الازدراء .. من حقه حينذاك أن يتألم وأن يسخط وأن يتحسّر ، وهو لا يملك في الحقيقة إلا أن يفعل هذا ، وهو حين يهجر عن عرأطفه تلك إنما يهجر عن تجربة شعوريه يحياها ويعبير معاناتها .

صحيح أن الشعراء المهجريين قد صوروا لنا ألم الفرية وحسرة البعد عن الوطن ومن ثم عنينهم اليه وتلفهم على العودة ، لكن الفرق بينهم وبين الشعراء الفلسطينيين يدل واضحا لاختلاف ظروف وتباين العوامل ، فالمهجريون مهاجروا طمعا في تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ولتتهم كان في إمكانهم أن يظنوا بين أدليهم وذويهم كما أنهم كان في إمكانهم أن يعودوا بعد هجرتهم أنى شاءوا . وقد فعل بعضهم ذلك ، أمثال ميخائيل نعيمة رايليا أبي ناسي ، ورشيد سليم حوري " القروي " فضلا عن أن طبيعة وطنهم لم تمر ولم تخبرها عناصر دنيئة ، ووجود نظام مستبد فيها أمر طارئ لا بد أن يزول .

لكن الوضع في فلسطين مختلف تماما ، فالشعب مفرد ومهدد رغم أنفه والوطن يعقل بسكان جدد فهو استعمار استيطاني يسمي إلى تغيير هوية الأرض وطبيعة الوطن فالقرى تزال من الوجود والمدن تتغير ملامحها والاثار تشرق فيهود كئي شي ، والنازيون ليس في وسعهم العودة إلا عن طريق الجهاد والتحرير . من هنا كانت الآلام أقسى والحسرة أشد والسخط أعم ، كما أن الحنين أشد لوعة وأسى .

يقول الشاعر أبو سلمى في حسرة ولوعة على الوطن المنكوب والحرى المستباح :

انفسلين أين ترتبك العذراء تفتضمها يد المجتاح ؟

حرق قلبى على التراب خضيبا بشنايا الأعراض والأرواح

بسرور ذروني يهجر عن وفائه للوطن وامراره على الصمود والتحدى فيقول :

أنا في ترابك يا بلادي نفحة الأرض الفنية

أنا في جرون التين والزيتون دمعات شقيه
أنا في عروقك في جلا ورت وعشة اندفء الفتية
أنا في ابياد ر لأزار وفي الحقول المسجدييه

ومئين بسيسو يسيطر عليه الأسى واحزنن لما ألم بهذا الشعب المسكين حين لفه الهوس والشقاء
وتصافت عليه الظروف القارية ، فنرى عائلته وقد اتضحت بسواد الأيام قاتل والألم المرير فيقول :

البحر يحكي للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالثعالب يطرق بالدموع بالأنسين
أبواب غمزة وهي مخلقة على الشعب الحزين
فيحرق الأحياء ناموا فوق أنقاض السنين
وكأنهم قهر تدق عليه أيدي النابشين

وفدوى طوقان ترى أن التفرق والضعف والتردد هي الجذور الناضرة في مجتمعا العربي فإذا ما
أريد لهذا المجتمع أن يقوى وأن يصمد في وجه التحديات كان لزاما عليه أن يتخلص من أسباب
الضعف والتجزؤ فيقول في سخط عارم :

فرائس الضعف بقايا الرمم	يا هذه الأقدار لا ترحمى
تلك الجذوع الناخرات الحطم	بالمعوم المغموم أدموع على
كن تسميف الروح واهي القدم	فوني أتيها عارما وار رفى

وإدريس ماضم رشيد يشتاو الى حيفا الحبيبة ويتذكر المجد السرى والأحاديث المعلوة التي استمتع بها
في الماضي ويتمنى أن تعود تلك الأيام فيقول :

وهدل الشباب يحود وهو شباب ؟	حيفا الحبيبة هل لأمسك رجمة
علو السديت ومرقم وكتاب	أين المجالس فيك يجمع شلمها
مالي طليت من الزمان كتاب	حيفا عروس خواطرى ومشاعرى

وتبرز عاطفة الشوق والحنين للوطن جياشة عارمة عند الشاعر يوسف الخليل حين يقول :

لو ميئا يا وطنى أفتاك .. لو أمشى
ل الدنيا على رمشين .. لو
لشج في خلافة .. لو هاجا

أعبرني بسال الربى .. لو
حفنة من الثرى هائمة على
جنون الريح عمرها ، وتنتهي
الى ثراك .. لا أناشد الوجود
غيرك ..
أن أشيخ فيك ...
أن أراك ...

• الخلاصة •

لمل موضوع الغربة بالنسبة للانسان الفلسطيني (ولا أقول المواطنة) هو موضوع الحياة ، ولمل الحنين الذي يزرهه وجدانه هوقصة المشاعر لديه .

فأنه على الرغم من أن الغربة أمر يعرض للناس أجمعين في صورتختلف ، وتتوزع بين غربة رومانسية مبعثها الطموح الى المثل الاعلى ، أو غربة دينية مردها بأن الانسان يحيا في الدنيا وكأنه غريب ، وبين غربة أخرى ربما كانت نتيجة جحود أو اختلاف ، أو أقل .

أقول . . . على الرغم من ذلك فإن غربة الفلسطيني طراز متفرد ، لان أشكال الغربة لا تمثل مأساة وأن بعثت أحيانا الاسى ، أما غربة الفلسطيني فهي غربة المأساة ، فهي غربة أجبار لا اختيار فيها ، وهي غربة يراد بها ، محور العلاقات بالارض ، وبكل ما تحمله من حب وتاريخ وتراث .

وهي غربة صنعتها وفرة من جرائم اقترفت على المستوى المحلي والعالمى ، وهي غربة شعب يحس وجعها ، ويجرع مرارتها ، حتى هو "الذي ينزحوا" . . . ويقوا قصاروا بالفكر والوجدان غرباء ، أما عن الحنين ، فإنه متميز أيضا عن ذلك الذي عهدته الناس والشعراء والكتاب .

لانه لا يطوف بالقلب لمراى معلم ما . . . أو لتذكر حدث أو تجره ، ولكن الحنين المستقر الذى يتجسم فى كل أمل ، ويبرز فى كل فكر أو خاطرة .

وأنى لاعجب كيف أنه لم يسرق على نطاق دراسى مكتمل وأرى أنه ينبغي أن يتناول من كل الزوايا ، الاجتماعية والنفسية ، وغيرها وليس من الزاوية الادبية فقط .

وهذا فأنى أعترف بأن بحثى لم يصل الى نقطة الكمال التى أنشدها وأتطلع اليها ، وأن كان لجنة متواضعة فى صرح الادب العربى والانسانى الشامخ .

وقد سبق لى أن ذكرت فى مقدمة الرسالة الدوافع التى دفعتنى الى أن تصدى لبحث هذا الموضوع ، والعوامل التى مرتت بها خلال بحثى ودراستى .
كما ذكرت فى المقدمة تقسيم الرسالة الى أبواب وفصول ووضحت الموضوعات التى أشتمل عليها كل فصل . وهأنذا أذكر ذلك باختصار فأقول :

١ - أن الباب الاول - قد خصصته للناحية التاريخية فيما يتعلق بفلسطين وأحوالها الاجتماعية والسياسية والثقافية والاحداث التى مرت بها قبيل النكبة وبمعيدها .

٢ - أما الباب الثانى - فقد خصصته للفريضة والحنين فى الشعر العربى عبر العصور المختلفة وعرضت نماذج لها ، وحللتها وبينت ما فيها من سمو أو ضعف . وأن كنت حريصا على الاستشهاد بالنماذج المصبرة .

٣ - كما جعلت الباب الثالث - للفريضة والحنين فى الشعر الفلسطينى بعد المأساة وركزت اهتمامى وجهدى حوله لانه لب الرسالة ومحورها . وعقدت مقارنه نقدية تحليلية بين شعر الفريضة والحنين فى الشعر المهجرى وشعر الفريضة والحنين فى الشعر الفلسطينى بعد المأساة ، وأمل أن يكون التوفيق قد حالفنى قدر ما بذلت من جهد ، وما أردت من خير ، أما النتائج التى توصلت اليها من خلال بحثى ودراستى لموضوع الرسالة ، والتى أعتقد أنها أمور جديدة تكشف لى من جراء البحث والدراسة فهى على النحو التالى :

أولا : أن الفريضة والحنين قد سيطرت على معظم أغراض الشعر لدى الشعراء الفلسطينيين ، فكأن شعرهم لم يكن سوى شوق وحنين مسن بـ شعراء أغترابهم وأبتعادهم عن أوطانهم وأهلهم .

ثانيا : أن هذا الشعر يلعب دورا خطيرا في ابقاء صورة الوطن حية
ناهضة في وجدان كل فرد من أبناء هذا الشعب المشرذ المنكوب،
ومن ثم فإنه يحفز المهتم ويبقى الانسان الفلسطيني بوطنه وأرضه
قوية ثابتة أمام كل الاعاصير والنواب .

ثالثا : أن الغربة عند الانسان الفلسطيني هي غربة اجبارية مارستها
مرغضا وتحمل تبعاتها حزينا مهموما ، ولم يكن له يد فيها ، على
خلاف الغربة الاعتيادية التي يتعرض لها أي انسان آخر سعيا
وراء مطلب ما أو بحثا عن هدف معين أو غاية مرجوة .

رابعا : أن الغربة هنا كانت غربة جماعية ، فهي غربة شعب بأكمله
لقد قسرا من أرض آبائه وأجداده ، وأنتزع من منازلهم وديارهم ليلقى
بعيда عنها ، فتآزرت عنده كل قوى الشر والظلمان محملة
أياه وزر جريمة ارتكبتها آخرون ، فكان كبش الفداء ، دون ذنب
جناه ، ومن هنا كانت المأساة جد مروعة ، كما كان التعبير عنها
عميقا ومؤثرا قدر الشعور بالأمها والاحساس بمرارتها .

خامسا : أن الحنين كان متشعبا تشعب عائلة المواطن بوطنه ، فهناك
الحنين الى المدن ، والحنين الى الممارك التاريخية والامجاد الفاهرة ،
والحنين الى القرى والسهول والمزارع ، والحنين الى الاهل ومرايح الصبا
والذكريات ، وقد كان في كل جوانبه حنينا جارفا ، يعبر عن شوق عارم
ولهفة جامحة في العودة الى الوطن المقدس وترابه المقدس من الظاهر .

سادسا : أن هذا الحنين كان في أول امره لوعة وأسى وبكاء وحسرة ،
كما كان نعييا للعدل ، وسخطا على الظالمين والفاشرين والمتخاذلين ،
ثم تحول شيئا فشيئا من الحسرة الى السخط الى الثورة والاصرار على
ابتنال والعساء في سبيل استرداد الكرامة المستباحة والوطن
السليب .

سابقا : أن شعر الغربة والحنين لدى الشعراء الفلسطينيين يندرج تحت نوعين :
الأول شعر الغربة المكانية الذي يمثله شعر من طردوا وهاجروا بعيدا عن
الوطن ، وهاشوا لاجئين غرباء حتى بين أخوانهم في البلاد العربية ،
وقد صور هؤلاء غرتهم وآلامهم وما تجرعوه من غصص وما كابدوه من شوق
وحنين إلى الوطن والعودة إليه ، كما صوروا حياتهم في المهجر وما لاقوا
من عسف وتحقير وأمهات ، وما أعترض سبيل حياتهم من عقبات .

أما النوع الثاني فشعر الغربة النفسية والذي يمثله شعراء الأرض المحتلة الذين
لم يفادروا أرض الوطن بل مكثوا فيه ، لكنهم مكثوا فيه غرباء مستضعفين
حيث جردوا من حرياتهم وسلبوا معظم أراضيهم ، وصودرت أفكارهم
وحوريت ثقافتهم ، وأضطهد تاريخهم وشوه ، فقاموا بالتعبير عن كل ذلك
في أشعار عبرت عن عمق التجربة الشعرية والصدق الشعوري مما كان له
أقوى الأثر في النفس .

ثالثا : لقد حظيت بعض المدن بأهتمام أكثر من غيرها ، ويرجع ذلك أما
لقداستها ومكانتها كالقدس وبيت لحم والناصرة .. مثلا ، أولان لها
من أبنائها شاعرا مشهورا أحب أن يلهج بأسم مدنته ويتغنى بجمالها
ويتلطف للعودة إليها كما فعل أبناء غزة الشعراء " معين بسيسو " ،
على هاشم رشيد ، هارون هاشم رشيد ، وأبن يافا الشاعر " محمود الحوت
وأبن صفد الشاعر " محي الدين الحاج عيسى ، وأبن طولكرم الشاعر
" عبد الكريم الكومى " (أبو سلى) وغيرهم .

وأنسى لأرجو الله العلى القدير أن أكون قد قدمت ما ينفع العلم
ويخدم الأدب ويشيد لبنة متواضعة في صرح الأدب السامق وهو نعم
المؤنس ونسبم النصير .

أمين صالح محمود

* المصادر والمراجع *

أولا : المراجع العامة

١ - القرآن الكريم

٢ - لسان العرب

٣ - القاموس المحيط

٤ - الاغانى

٥ - معجم الادباء

٦ - معجم البلدان

٧ - الحوامان

٨ - الشعر والشعراء

٩ - الامالى وذيليه

١٠ - يتيمة الدهر

١١ - الوساطة بين المتنبي

وخصومه

١٢ - ادب الفريسياء

لاهن منظور - دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر
بيروت سنة ١٩٥٥ .

للفيروز ابادى ط ٣ المطبعة الاميرية - القاهرة
سنة ١٣٠١ هـ .

لاهن فرج الاصفهاني - دار الثقافة بيروت ط ٢ -
سنة ١٩٥٢ .

لياقوت الحموى - دار صادر بيروت للطباعة والنشر
بيروت سنة ١٩٥٥ .

لياقوت الحموى - دار صادر بيروت للطباعة والنشر
بيروت سنة ١٩٥٥ .

للجاحظ - مكتبة الحلبي ط ١ القاهرة سنة ١٩٣٨

لاهن قتيبة ط ٢ دار المعارف - بصرى سنة ١٩٦٨ .

لاهن على القالى ط ٣ - دار الكتب المصرية
القاهرة - دون تاريخ .

للشعالي - مطبعة الصارنى ط ١
القاهرة سنة ١٩٣٤ .

للقاضى الجرجانى - مطبعة الحلبي -
القاهرة سنة ١٩٤٥ .

لاهن فرج الاصفهاني - دار الكتاب الجديد
بيروت سنة ١٩٧٢ .

ثانيا : المصادر التاريخية

- ١ - د . أحمد الشرباصى
 - ٢ - أحمد الشقيرى
 - ٣ - أرنولد تومسبى
 - ٤ - اكرم زعيمتر
 - ٥ - أميل الفورى
 - ٦ - جلوب باشا
 - ٧ - جمال عبد الناصر
 - ٨ - حاييم وايزمان
 - ٩ - صالح مسعود ابوصير
 - ١٠ - عارف المصارف
 - ١١ - عارف المصارف
 - ١٢ - عبد الرحمن الكواكبى
 - ١٣ - عيسى السفورى
 - ١٤ - د . كامل السوافيرى
- أمير البيان شكيب أرسلان - مطابع دار الكتاب
المرسى - القاهرة سنة ١٩٦٣ .
- محاضرات في تاريخ فلسطين - معهد الدراسات
المصرية العالمية التابع للجامعة العربية -
القاهرة سنة ١٩٥٨ .
- جريمة و دفاع - دار العلم للحلابيين - بيروت
سنة ١٩٥٨ .
- القضية الفلسطينية - دار المعارف - القاهرة
سنة ١٩٥٥ .
- المؤامرة الكبرى - دار النيل للطباعة - القاهرة
سنة ١٩٥٥ .
- جندى مع العرب - لم تذكر المطبعة / بيروت ١٩٥٩
فلسفة الثورة - القاهرة سنة ١٩٥٦ .
- التجربة والخطأ - مطبعة المنار - دمشق ١٩٥٠ .
- جهاد شعب فلسطين ط ٢ - دار الفتح -
بيروت سنة ١٩٦٩ .
- المفصل في تاريخ القدس - مطبعة المصارف -
القدس سنة ١٩٦١ .
- نكبة بيت المقدس - والفردوس المفقود ج ٢ -
المطبعة المصرية - بيروت سنة ١٩٥٦ .
- طبائح الاستبداد - دون ذكر تاريخ الطبع -
القاهرة .
- فلسطين العربية بين الانتداب والسميونية -
مكتبة فلسطين الجديدة - ط ١ / يافا ١٩٣٧ .
- الشعر العربى الحديث في مأساة فلسطين - مكتبة
نهضة مصر - الفجالة - القاهرة سنة ١٩٦٤ .

- ١٥ - محمد طلعت غنيمي
قضية فلسطين أمام القانون الدولي - منشأة
المعارف - الاسكندرية سنة ١٩٦٦ .
- ١٦ - د . محمد محمد حسين
الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر - القاهرة
سنة ١٩٥٤ .
- ١٧ - مصطفى الشهابي
القومية العربية * مطبوعات معهد
الدراسات العربية - القاهرة سنة ١٩٥٩ .
- ١٨ - ناجي عـلـوش
المقاومة العربية في فلسطين - مركز أبحاث
الدراسات الفلسطينية - بيروت سنة ١٩٦٨ .
- ١٩ - يوسف هيكل
القضية الفلسطينية / يافا سنة ١٩٣٧ .

ثالثا : الدراسات الادبيه

- ١ - د . أحسان عباس
فن الشعر - ط ٥ - دار الثقافة / بيروت
سنة ١٩٧٥ .
- ٢ - د . أحسان عباس
د . محمد يوسف نجم
الشعر العربي في المهجر - ط ٢ - دار
صادر / بيروت سنة ١٩٦٧ .
- ٣ - أحمد الشايب
الاسلوب / القاهرة سنة ١٩٥٦ .
- ٤ - أحمد الشعراوي
الادب في ظلال القوميات - مطبعة الازهر
القاهرة سنة ١٩٥١ .
- ٥ - أرسطو
فن الشعر - ترجمة " د . أحسان عباس "
القاهرة - دون تاريخ .
- ٦ - اسامة بن منقذ
المنازل والديار - تحقيق مصطفى حجازي
القاهرة - سنة ١٩٦٨ .
- ٧ - انحنان عبد المتعال القاضي
شعر الفتوح الاسلامية - القاهرة سنة ١٩٦٥
- ٨ - أمين الريحاني
الريحانيات / بيروت سنة ١٩٢٣ .
- ٩ - أنيس المقدسي
الاتجاهات الادبية - ط ١ - بيروت
سنة ١٩٥٠ .

- ١٠ - د . جمال الدين الرمادى
خليل مطران - شاعر الاقطار العربية - دار
المعارف / القاهرة سنة ١٩٥٣ .
- ١١ - د . حسين عطوان
الشعراء الصعاليك في العصر الاموى - دار
المعارف / القاهرة سنة ١٩٧١ .
- ١٢ - د . شوقى ضيف
دراسات في الشعر العربي المعاصر -
دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥٣ .
- ١٣ - د . عائشه عبد الرحمن
" بنت الشاطىء " .
قيم جديدة للادب العربي - دار المعارف -
القاهرة سنة ١٩٦٧ .
- ١٤ - عبد البديع صقير
شاعرات العرب - دمشق سنة ١٩٦٧ .
- ١٥ - عبد الجواد رمضان
ترجمة ابن زيدون - مطبعة الازهر / القاهرة
سنة ١٩٥٢ .
- ١٦ - د . عبد الحميد الشلقانى
الاعراب الرواة - دار المعارف / القاهرة ١٩٧٧
- ١٧ - د . عبد الرحمن باغسى
دراسات في شعر الارض المحتلة - منشورات معهد
الدراسات العربية / القاهرة سنة ١٩٦٩ .
- ١٨ - عبد الفتى اسماعيل
النصوص الادبية لكلية اللغة العربية / القاهرة
سنة ١٩٧٠ .
- ١٩ - د . عيسى الناعورى
ادب المهجر - ط ١ - دار المعارف
القاهرة سنة ١٩٥٨ .
- ٢٠ - د . كامل السوافيرى
الشعر العربي الحديث فى مأساة فلسطين -
نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٦٤ .
- ٢١ - الاب لويس شيخو
شعراء النصرانية - مطبعة الابهاء اليسوعيين
بيروت سنة ١٨٩٠ .
- ٢٢ - د . ماهر حسن فهمسى
الحنين والغربة فى الشعر العربي الحديث -
منشورات معهد الدراسات العربية / القاهرة
سنة ١٩٧٠ .
- ٢٣ - د . محمد حور
الحنين الى الوطن فى الادب العربي - نهضة
مصر / القاهرة سنة ١٩٧٣ .

- ٢٤ - د . محمد عبد المنعم خفاجي
قصة الادب المهجري - المطبعة المحمدية -
القاهرة - دون تاريخ .
- ٢٥ - د . محمد عبد المنعم خفاجي
دراسات في الادب المعاصر - المطبعة المحمدية
القاهرة - دون تاريخ .
- ٢٦ - د . محمد غنيمي هلال
الرد مانتيكية - دار العودة / بيروت -
سنة ١٩٧٢ .
- ٢٧ - محمد مفيد الشوباشي
الادب ومذاهبه - الهيئة العامة للتأليف والنشر
القاهرة سنة ١٩٦٤ .
- ٢٨ - د . محمد منور
النقد والنقاد المعاصرون - نهضة مصر - القاهرة
دون تاريخ .
- ٢٩ - د . محمد نافيل
اتجاهات وأراء في النقد الحديث - مطبعة الرسالة
القاهرة سنة ١٩٧١ .
- ٣٠ - مصطفى عبد السرازق
الهباء زهير - ط ١ - القاهرة سنة ١٩٣٥ .
- ٣١ - ميخائيل نعيمة
الفرسال - ط ٥ - دار المعارف - القاهرة
سنة ١٩٥٧ .
- ٣٢ - د . نادرة جميل السراج
شعراء الرابطة القلمية - دار المع
سنة ١٩٥٥ .
- ٣٣ - د . ناصر الدين الاسد
الاتجاهات الادبية في فلسطين والازد
مشورات معهد الدراسات العربية - القاهرة
سنة ١٩٥٧ .
- ٣٤ - هارون هاشم رشيد
الشعر المقاتل في الارض المحتلة - دار العودة
بيروت سنة ١٩٧٠ .
- ٣٥ - وديع ديب
الشعر العربي في المهاجر الامريكية - بيروت
سنة ١٩٥٥ .
- ٣٦ - وديع فلسطين
مدرسة ابولو - مطبعة الازهر / القاهرة
سنة ١٩٧٥ .
- ٣٧ - د . يوسف خليص
الشعراء الصالحين في العصر الجاهلي -
دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦١ .

رابعاً : الدواوين المشتملة

- ١ - إبراهيم طوقان
 - ٢ - ابن الرومي
 - ٣ - ابن زيدون
 - ٤ - أبو الطيب المتنبي
 - ٥ - أبو القاسم الشابي
 - ٦ - أبو تمام
 - ٧ - أبو زيد اللطاعي
 - ٨ - أحمد دحبور
 - ٩ - أحمد شوقي
 - ١٠ - أعشى قيس
 - ١١ - البحري
 - ١٢ - الشبلي الامير
 - ١٣ - القطامي
 - ١٤ - النابغة الذبياني
 - ١٥ - امرؤ القيس
- ديوان إبراهيم - بيروت ١٩٥٥
 ديوانه - لم تذكر المطبعة .
 ديوان ابن زيدون - لم تذكر المطبعة - القاهرة
 سنة ١٩٣٢ .
 الديوان - مطبعة هندية - بالموسكى / القاهرة
 سنة ١٩٢٣ .
 أغاني الحياة - منشورات دار الكتب الشرقية -
 تونس سنة ١٩٥٥ .
 ديوان أبي تمام - شرح التبريزي - تحقيق
 " محمد عبده عزام " - دار المعارف / القاهرة
 سنة ١٩٦٤ .
 شعره جمع وتحقيق - د . نوري حمودي القيس -
 مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٩٦٧ .
 حكاية الولد الفلسطيني - بيروت ١٩٧١ .
 الشوقيات - لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة
 سنة ١٩٣٦ .
 تحقيق د . محمد محمد حسين - المطبعة
 النموذجية - القاهرة - دون تاريخ .
 ديوان البحري - لم تذكر المطبعة / القاهرة
 سنة ١٩١١ .
 ديوان الشبلي - لم تذكر المطبعة - بغداد
 سنة ١٩٦٧ .
 ديوان القطامي - ليدن ١٩٠٢ .
 ديوان النابغة الذبياني - تحقيق د . شكوى
 فيصل - دار الهاشم - بيروت ١٩٦٨ .
 ديوان امرؤ القيس - تحقيق - محمد
 أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة
 سنة ١٩٥٨ .

- ١٦ - أيليا أبو ماضي
 الجداول - لم تذكر المطبعة / نيويورك ١٩٢٧
- ١٧ - أيليا أبو ماضي
 الخمائل - ط ٢ - دار صادر - بيروت - دون تاريخ
- ١٨ - بدر شاعر الشباب
 مجموعته الشعرية - دار العودة - بيروت ١٩٧٠
- ١٩ - بشارة الخوري
 الهوى والشباب - دار المعارف / القاهرة ١٩٥٣
- ٢٠ - جبران خليل جبران
 المواكب - القاهرة سنة ١٩٢٥
- ٢١ - حاتم الطائي
 الديوان - دار صادر - بيروت سنة ١٩٦٣
- ٢٢ - حسن النجدي
 كلمات فلسطينية - دار الاداب - بيروت - ط ١ سنة ١٩٦٥
- ٢٣ - حسن خليل حسين
 خطوات على الشوك - مطبعة دار الاندلس - بنغازي سنة ١٩٧٤
- ٢٤ - حسن خليل حسين
 شجرة الزيتون والمتسلقون - مطبعة دار الاندلس - بنغازي سنة ١٩٧٢
- ٢٥ - حميد بن ثور
 الديوان - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥١
- ٢٦ - خليل زقطان
 صوت الجياح - القدس ١٩٥٣
- ٢٧ - رجاء سمير
 الضائعون - عمان ١٩٦٠
- ٢٨ - رشيد لبيب
 الايوبيات - نيويورك ١٩١٦
- ٢٩ - رشيد أيبوب
 اغاني الدرويش - نيويورك ١٩٢٨
- ٣٠ - زهير بن أبي سلمى
 شرح ديوان زهير - الدار القومية / القاهرة سنة ١٩٦٤
- ٣١ - معدى يوسف
 قصائد مرثية - بيروت - ١٩٦٥
- ٣٢ - سليمان الميمسي
 شاعر بين الجدران - بيروت ١٩٦٣
- ٣٣ - سليمان الميمسي
 رسائل بورقه - بيروت ١٩٦٠
- ٣٤ - سميح القاسم
 دي على كفى - دار العودة - بيروت ١٩٦٨
- ٣٥ - سميح القاسم
 رحلة الفراديب الموحشة - دار العودة / بيروت ١٩٦٩
- ٣٦ - سميح القاسم
 سقوط الاقنعة - دار الاداب - بيروت ١٩٦٩

- ٣٧ - سيد أحمد الحرديلو
- ٣٨ - شكر الله الجبر
- ٣٩ - طفيل الفنسوي
- ٤٠ - عبد التبريم الكرمي
- ٤١ - عبد الكريم الكري " أبوسلي
- ٤٢ - عبد الكريم الكري " أبوسلي
- ٤٣ - عبد الله الدميننة
- ٤٤ - عبد المحسن الكاظمي
- ٤٥ - عبد الوهاب البيانس
- ٤٦ - عبید بن الابرص
- ٤٧ - عز الدين المناصرة
- ٤٨ - علي محمود طه
- ٤٩ - علي حاشم رشيد
- ٥٠ - علي حاشم رشيد
- ٥١ - علي حاشم رشيد
- ٥٢ - عنتره بن شداد
- ٥٣ - فدوى طوقان
- ٥٤ - فدوى طوقان
- ٥٥ - فدوى طوقان
- ٥٦ - تيم بن الطموح
- ٥٧ - كمال ناصر
- ٥٨ - محمد أحمد ابو غريب
- أغنية الى يافا - دار الصودة - بيروت ١٩٧١
- الروافد - الارجنطين ١٩٣٤ .
- الديوان - دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٦٨
- أبوسلي - المشرد - دمشق - ١٩٥٣ .
- اغنيات بالادي - دمشق ١٩٦٠ .
- من فلسطين وريثي - دار الاداب - بيروت
سنة ١٩٧١ .
- الديوان - دار الصروية - القاهرة ١٣٧٩ هـ
- الديوان - ج ١ - بغداد ١٩٣٩ .
- النار والكلمات - القاهرة - دون تاريخ .
- الديوان - مطبعة الحلبي - القاهرة ١٩٥٧ .
- الخروج من البحر الميت - دار الصودة - بيروت
دون تاريخ .
- الملاح التائه - ط ١ - القاهرة ١٩٣٢ .
- اغاني الصودة - دار ميفيس - القاهرة ١٩٦٠ .
- شموع على الدرب - الدار القومية - القاهرة ١٩٦٧
- الذوفان - المطبعة الفنية بالزيتون - القاهرة ١٩٧٤
- الديوان - دار صادر - بيروت ١٩٥٨ .
- وحدى مع الايام - ط ٣ - دار الاداب / بيروت
سنة ١٩٦٧ م
- الليل والفرسان - دار الاداب - بيروت ١٩٦٩
- على قمة الدنيا وحيدا - دار الاداب / بيروت
سنة ١٩٧٣ .
- مجنون ليلي - الديوان - مطبعة حجازي -
القاهرة - دون تاريخ .
- جراح تخفي - دار الطليعه - بيروت ١٩٦٠
- مواكب النضال - مطبعة الاعتماد - القاهرة
سنة ١٩٦٨ .

- ٥٩ - محمد المدنانسى
٦٠ - محمد المدنانسى
٦١ - محمد المدنانسى
٦٢ - محمود الحسوت
٦٣ - محمود حيمن اسماعيل
٦٤ - محمود حسن اسماعيل
٦٥ - محمود غنيم
٦٦ - محمود نديم الافغانسى
٦٧ - محى الدين الحاج عيسى
٦٨ - معين بسيسو
٦٩ - معين بسيسو
٧٠ - نسيم عريضه
٧١ - هارون هاشم رشيد
٧٢ - هارون هاشم رشيد
٧٣ - هارون هاشم رشيد
٧٤ - يوسف الخطيب
٧٥ - يوسف الخطيب
- المهيب - المطبعة المصريه - صيدا ١٩٥٤ .
الوشوب - المطبعة المصريه - صيدا ١٩٥٨ .
فجر العرويه - المطبعة المصريه - صيدا ١٩٦٠
المهزلة العربيه - بغداد ١٩٥١ .
نار واصفاد - مطبعه الانجلو - القاهرة ١٩٥٩ .
قاب قوسين - لم تذكر المطبعة / القاهرة ١٩٦٤
صرخة فى واد - لم تذكر المطبعة - القاهرة ١٩٤٧
قصائد مخطوطة
من فلسطين واليهما - حلب ١٩٧٣ .
المعركة - ط ١ - المكتب الفنى الحديث/ القاهرة
سنة ١٩٥١ .
الاشجار تموت واقفة - دار الاداب / بيروت ١٩٦٦
الارواح الحائره - ط نيويورك ١٩٤٦
مع الغرباء - رابطة الادب الحديث / القاهرة ١٩٥٤
عودة الغرباء / بيروت ١٩٥٦
غزة فى خط النار / بيروت ١٩٥٧ .
عائدون - دمشق ١٩٥٩
واحة الجحيم - دار الطليعة / بيروت ١٩٧٥ .

خامسا	الدوريات
١ -	حولية الثقافة العربية - السنة الثانية ١٩٥٠ - ١٩٥١
٢ -	الكتاب الابيض - الذي اصدرته الحكومة البريطانية عن فلسطين ١٩٢٢
٣ -	الاعداد التالية من جريدة الاهرام المصرية ٢٠/٤/٩ - ٢٩/٩/٥ - ١٠/١٠/٢٨ - ١٩٤٨/١٠/٢٨ ٤٧/١٢/٣١ - ١٩٤٨/٣/٢٨
٤ -	حقائق الحرب العالمية الثانية نشرتها أمريكا سنة ١٩٥٦
٥ -	جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ١٩٥١/٥/٣٠
٦ -	فلسطينيات "العدد ١٢" لمجموعة من الباحثين / مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية
٧ -	مجلة صوت البحرين - العدد الخامس ١٣٧٣ هـ
٨ -	مجلة المرفان اللبنانية اذار ١٩٦٤ / بيروت
٩ -	مجلة القلم الجديد الاردنية - العدد الخامس - يناير ١٩٥٣ / عمان
١٠ -	ملحق جريدة الانوار اللبنانية بيروت - ١٥/٩/١٩٦٨
١١ -	مجلة الاداب اللبنانية ابريل ١٩٥٥
١٢ -	جريدة الاتحاد - حيفا - فلسطين المحتلة - ٢٨/٣/١٩٦٨
١٣ -	مجلة الطريق اللبنانية بيروت - ١٠/١١/١٩٦٨
١٤ -	مجلة الرسالة القاهرة العدد ٩٤٩ - ١٠/٩/١٩٥١ / القاهرة

الفهرس

	١	- المقدمة
	٢	- الباب الأول : فلسطين تحت الانتداب البريطاني
١		الفصل الأول ويشتمل على :
٦		(١) الحياة السياسية قبيل الانتداب
٦		(٢) الحياة الثقافية
١٠		(٣) الحياة الاقتصادية والاجتماعية
١٤		(٤) الحياة السياسية عقب الاحتلال البريطاني
١٧		ب - الفصل الثاني ويشتمل على :
٢٢		(١) سك الانتداب البريطاني
٢٢		(٢) وعد بلفور وأدماجه في سك الانتداب
٢٤		(٣) تسخير كل القوى لإنشاء الوطن القوي
٢٨		ج - الفصل الثالث ويشتمل على :
٣٣		(١) جهاد أبناء فلسطين
٣٤		(٢) الثورة الأولى سنة ١٩٢٠م
٣٧		(٣) الثورة الثانية سنة ١٩٢٩م
٤١		(٤) الثورة الثالثة " ثورة القسام " سنة ١٩٣٥م
٤٣		(٥) الثورة الكبرى سنة ٣٦ - ١٩٣٩م
٥٣		(٦) قرار التقسيم وموقف العرب منه
٥٩		(٧) دخول المتطوعين العرب الى فلسطين
٦١		(٨) دخول الجيوش العربية الى فلسطين

- ٦٦ د - الفصل الرابع ويشتمل على :
- ٦٦ (١) الأساة
- ٦٨ (٢) آثارها ونتائجها
- ٧٦ (٣) تشرد أبناء الشعب الفلسطيني
- ٨٢ (٤) مظاهر الأسى والحزن
- ٣ - الباب الثاني : الغربة والحنين للوطن في الشعر العربي
- ٩١
- ٩١ أ - الفصل الاول ويشتمل على :
- ٩١ (١) معنى الغربة ومفهومها
- ٩٢ (٢) أنواع الغربة " الروحية ، الفكرية ، الجدلية "
- ١٠٠ (٣) أسباب الغربة ودواعيها " الهجرة ، الجهاد ،
الاسر ، السفر في طلب الرزق ، النفي "
- ١٠٨ ب - الفصل الثاني ويشتمل على :
- ١٠٨ مظاهر الغربة
- ١٠٨ (١) غربة الفرد
- ١١٣ (٢) غربة الجماعة " الصعاليك ، المجاهدين ، الزهاد ،
المهجريين "
- ١١٨ (٣) غربة الشعب
- ١٢٩ ج - الفصل الثالث ويشتمل على : شعر الغربة عبر عصور الادب
- ١٢٩ (١) الغربة في العصر الجاهلي
- ١٤١ (٢) الغربة في صدر الاسلام
- ١٤٨ (٣) الغربة في العصر الاموي
- ١٦٠ الغربة في العصر العباسي

- د - الفصل الرابع ويشتمل على : شعر الغربة والحنين في العصر الحديث
- ١٧٣ (١) شعر الغربة
- ١٨٦ (٢) شعر الحنين
- ١٩٢ (٣) الغربة والحنين في شعر المهجر
- ٤ - الباب الثالث : " الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد الأساة "
- ٢٠٥ أ - الفصل الاول ويشتمل على :
- (١) حسرة ولوعة على الوطن المغتصب
- ٢١٧ (٢) بكاء المروءة والمهجرة
- ٢٢٢ (٣) نصى المداللة في المنظمة الدولية
- ٢٤٥ ب - الفصل الثاني ويشتمل على :
- (١) تشوق للديار وأمل في المستقبل
- ٢٤٥ (٢) الحنين الى المقدسات والاماكن التاريخية
- ٢٤٦ (٣) بكاء المدن والحنين اليها
- ٢٥٦ (٤) الحنين الى القرى والمزارع والمهول
- ٢٧١ ج - الفصل الثالث ويشتمل على : " دراسة تحليلية لشعر الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني "
- ٣٠٦ (١) الموضوعات وما فيها من جدة
- ٣٢١ (٢) الاساليب وما فيها من قوة
- ٣٤١ (٣) الصور وما توحى به
- ٣٦٠ (٤) مكانة هذا الشعر ومنزلته في الشعر الحديث

د الفصل الرابع (دراسة مقارنة بين الفرية والحنين في الشعر المهجري
والشعر الفلسطيني)

(١) التمييز والياغ

- أ - عند شعراء المهجر ٣٧٣
ب - عند الشعراء الفلسطينيين ٣٨٢

(٢) التصوير والخيال

- أ - في الشعر المهجري ٣٩٤
ب - في الشعر الفلسطيني ٣٩٧

(٣) الساطفه

- أ - الشعر المهجري ٤٠٠
ب - الشعر الفلسطيني ٤٠٣

٤٠٥ خلاصة

٤١٠ المصادر والمراجع

٤١٠ اولا المراجع العامة

٤١١ ثانيا المصادر التاريخية

٤١٢ ثالثا الدراسات الادبية

٤١٥ رابعا الدواوين الشعرية

٤١٩ خلاصة الدواوين

٤٢٠ الفهرس